لباب التفاسير

تأليف الإمام المفسِّر

تاج القُرَّاء الكرماني

برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعّاج

المجلد التاسع

دار اللباب

لُبَابُ التَّفَاسِيرِ

(٩)

الطبعَة الأولىٰ

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

9 789933 930271

دار اللُّبَاب

للدِّرَاسَاتِ وَتَحْقِيقِ التُّرَاثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الطُّورِ

سُورَةُ الطُّورِ

تسعٌ وأربعونَ آيةً، مكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَالطُّورِ﴾.

﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبلُ بالسُّرْيانيَّةِ.

وقيل: الطُّورُ: الجبلُ عليه الشَّجرُ، والمُرادُ بالطُّورِ هاهنا: طورُ سينينَ، وهو الجبلُ الذي بمَدْيَنَ، كلَّمَ الله تعالى عليه موسى عليه السَّلامُ.

وقيل: عامٌّ في الجبالِ كلِّها[١].

وقيل: وربِّ الطُّورِ.

وحكَى الماورديُّ: الطُّورُ: ما طرأ على قلوبِ الخائفين[٢]. وهو ضعيفٌ ركيكٌ.

* * *

(٢) ـ ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾.

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾: مكتوبٍ، والسَّطرُ: ترتيبُ الحروفِ على جهةِ الطُّولِ.

قيل: هو اللَّوحُ المحفوظُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٥)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٥)، واستغربه.

وقيل: الكتابُ المسطورُ: هو آخرُ سطرٍ في اللَّوحِ المحفوظِ[1]، وهو: «سبقَتْ رحمَتي غضبي، مَن أتاني بشهادةِ لا إلهَ إلا الله أدخلتُه الجنّةَ»[2].

وقيل: القرآنُ.

وقيل: كتابُ الحفَظةِ.

وقيل: التَّوراةُ فيها نعتُ محمَّدٍ ﷺ، وذكرُ الإنجيلِ بعدَه.

***

(٣) ـ ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾.

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ قيل: هو الرَّقُّ المعهودُ والكاغِدُ المعروفُ، يُكتَبُ فيه القرآنُ والتَّوراةُ والإنجيلُ.

وقيل: الرَّقُّ أحسَنُ ما يُكتَبُ فيه.

وقيل: هو ما كُتِبَ فيه وعليه اللَّوحُ المحفوظُ وكتابُ الحفظةِ، وسُمِّيَ رَقًّا لرقَّةِ حواشيهِ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الرَّقُّ المنشورُ: ما بينَ المشرقِ إلى المغربِ[3].

---

(١) بعدها في (ن): «وقيل»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير».

(٢) ذكره القشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٧١)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٥)، واستغربه. وروى البخاري (٧٥٥٣)، ومسلم (٢٧٥١) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لما قضى الله الخلق، كتب كتاباً عنده: غلبت ـ أو قال: سبقت ـ رحمتي غضبي، فهو عنده فوق العرش».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وعده من العجائب.

وقيل: ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ قلبُ المؤمنِ، من قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢][1].

***

(٤) ـ ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾.

﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ جاء مرفوعًا: «إنَّه بيتٌ في السَّماءِ حيالَ الكعبةِ لو خرَّ خرَّ عليها، يدخلُه كلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ ملَكٍ، ثمَّ لا يعودون إليه إلى يومِ القيامةِ»[2].

وقيل: اسمُه الضُّراحُ.

وقيل: كانَ في الدُّنيا فرُفِعَ يومَ الطُّوفانِ.

الحسنُ وابنُ بحرٍ: البيتُ المعمورُ: الكعبةُ[3]، والمعمورُ: المأهولُ.

وقيل: منَ القَصْدِ.

وقيل: من العمارةِ.

سهلُ بنُ عبدِ الله: البيتُ المعمورُ هو قلبُ المؤمنِ، وعمارتُه الإخلاصُ[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وعده من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٥) عن قتادة عن النبي ﷺ مرسلًا، وروى نصفه الثاني البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج الطويل. ولفظه: «فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٧٧) عن الحسن، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، واستغربه.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٨)، واستبعده، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وعده من العجائب.

(٥) ـ ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾.

﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ السَّماءِ، وقيل: العرشِ[١].

***

(٦) ـ ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾.

﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ قيل: هو بحرُ الدُّنيا.

وقيل: هو جهنَّمُ[٢].

وقيل: بحرٌ تحتَ العرشِ.

وقيل: المسجورُ: المملوءُ ماءً.

وقيل: الموقَدُ نارًا، من سَجَرْتُ التَّنُّورَ، وعنه ﷺ: «البحرُ المسجورُ نارٌ في نارٍ»[٣].

وقيل: المسجورُ: المُختلِطُ، منَ السَّجِيرِ، وهو الخليطُ.

وقيل: المُرسَلُ.

وقيل: المسجورُ: اليابسُ.

الأصمعيُّ عن أبي عمرِو بنِ العلاءِ، عن ذي الرُّمَّةِ، عن ابنِ عبَّاسٍ: المسجورُ: الفارغُ. قال: وليس لذي الرُّمَّةِ حديثٌ غيرُ هذا[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، واستغربه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٥)، والماوردي في «الحاوي الكبير» (١/ ٤٠)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٦)، وابن دقيق العيد في «شرح الإلمام» (١/ ١٢٤) دون نسبة ولا سند، بلفظ: «البحر نار في نار» دون ذكر: «المسجور».

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٧)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٨٠)، وذكره المصنف =

وقيل: المسجورُ: المحبوسُ.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾؛ أي: الذي أوعدَ به الكفَّارَ والعُصاةَ ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ بهم يومَ القيامةِ ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾: لا يدفعُه دافعٌ ولا يمنعُه مانعٌ.

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾.

﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ ظرفٌ لـ﴿واقع﴾. ومعنى: ﴿تَمُورُ﴾ قيل: تنشَقُّ، وتموجُ، وتدورُ، وتجري، وتضطربُ، وتَكَفَّأُ، وتنقلبُ، هذا كلُّه من عباراتِ المُفسِّرين.

ابنُ عيسى: المَورُ: تردُّدُ الشَّيءِ في المجيءِ والذَّهابِ، كما يتردَّدُ الدُّخانُ ثمَّ يضمَحِلُّ، وذلك عندَ انقِطاعِها وتغيُّرِ نظامِها.

أبو زيد: لا نعلمُ ما المَورُ[1].

﴿ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾؛ أي: تسيرُ عن وجهِ الأرضِ، فتصيرُ هباءً منثورًا[2] مُنبثًّا.

= في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وعده من العجائب. وقوله: «وليس لذي الرُّمّةِ حديثٌ غيرُ هذا» فيه نظر، فقد روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ١٤٣) عن ذي الرمة خبرين: هذا، وآخر مرفوع عن النبي ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»، ثم نقل عن إسحاق بن سيار النصيبي قوله: ليس لذي الرمة غير هذين الحديثين.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٧٣) عن ابن زيد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وعده من العجائب. ووقع فيه: «أبو زيد» أيضاً كما هنا، ولعله تحرف عليه عن «ابن زيد».

(٢) «منثورًا»: ليس في (ف).

(١١) ـ ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ هذا تأكيدٌ في الوعيدِ، والفاءُ لمعنى الجزاءِ؛ أي: إذا وقعَ الجزاءُ والعذابُ فويلٌ لهم.

الأخفشُ: لأنَّ ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ﴾ محمولٌ على معنى (إذا)[1]، والكوفيُّونَ يُجيزونَ حملَ جميعِ الأوقاتِ المُستقبلةِ على معنى (إذا).

* * *

(١٢) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾؛ أي: في إنكارِهم البعثَ وتكذيبِهم محمَّدًا ﷺ وسائرَ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ يلعبونَ من غير بيانٍ وحجَّةٍ.

وقيل: في أسبابِ الدُّنيا يَلعبون من غيرِ فكرٍ في ثوابٍ وعقابٍ.

وقيل: معناه: يُسرِعُونَ إلى المعاصي.

والخوضُ: التَّخبُّطُ في الباطلِ، ويُقالُ: «خاضَ في الخيرِ» أيضًا.

وقيل: تشاغُلُهم بكفرِهم لعبٌ عاقبتُه العذابُ.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾: يُدفَعون إليها بعُنفٍ وجَفاءٍ، فيُقالُ: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾؛ أي: في الدنيا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٢٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١١٤٧)، واستغربه.

(١٥) ـ ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾؛ أي: أكانَ الوعيدُ بهذا العذابِ والإخبارُ سحرًا كما زعمتُم في الدُّنيا ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أم كنتُم لا تُبصِرونَ؟

وقيل: عُنِّفوا بمثلِ ما كانوا يَنسُبونَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ إليه منَ السِّحرِ وتسكيرِ البصرِ والأخذِ بالأعيُنِ، فقيلَ لهم: أتـمويهٌ هذا وحيلةٌ أم غُطِّيَ على أبصارِكم فلا تُبصِرون؟

* * *

(١٦) ـ ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: أنتم لازِمون لـها حالتَيكُم منَ الجزَعِ والاستغاثةِ، والتَّصبرِ وتركِ الجزَعِ، وهو خبرٌ في صيغةِ أمرٍ، تقديرُه: الجزَعُ وتركُ الجزَعِ سواءٌ، فهو خبرُ مبتدأ محذوفٍ.

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هذا جزاءُ أعمالِكم.

وقيل: ﴿إِنَّمَا﴾ بمعنَى: ما؛ أي: ما جُوزِيتُم إلّا جزاءَ أعمالِكم.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾: مُعجَبين ناعِمين فرِحين.

وقيل: مُتقابِلين بالحديثِ الذي يَسُرُّ ويُؤنِسُ، مأخوذٌ منَ الفُكاهةِ.

وقيل: ذوو فاكهةٍ[1]، كلابنٍ وتامرٍ.

(١) في (ن): «ذو فكاهة».

والفاكهةُ: كلُّ طعامٍ من ثمارٍ يتناولونَ للَّذَّةِ لا للغِذاءِ.

﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: دفعَ عنهم ربُّهم عذابَ النّارِ، ويُقالُ لهم:

(١٩) ـ ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾: لا داءَ ولا غائلةَ فيه، ولا تنغيصَ للَذَّاتِه، و﴿هَنِيٓـًٔا﴾ مصدرٌ؛ أي: هَنِئْتُم هنيئًا ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

* * *

(٢٠) ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾: جمعُ سريرٍ ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾: موصولةٍ بعضُها ببعضٍ.

وقيل: موصولةٍ بالذَّهبِ والفِضَّةِ، والصَّفُّ: مدُّ الشَّيءِ على الولاءِ.

وقيل: تقديرُه: مُتَّكئين على نمارقَ مصفوفةٍ على سُررٍ، فحُذِفَ؛ لأنَّ الاتِّكاءَ يدلُّ على التُّكَأةِ[١].

﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾: قرَنَّاهُم، والمعنى: جعَلْنا ذُكرانَ أهلِ الجنَّةِ أزواجًا للحورِ العينِ، ومعنى الباءِ: أنَّهم صاروا بسببِهنَّ أزواجًا. وقيل: «زوَّجْتُ به» لغةٌ.

والحورُ: جمعُ حوراءَ، ولا يُقالُ للمُذكَّرِ: أحورُ[٢].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الحورَ: نِساءُ المؤمنين[٣] في الدُّنيا، وهذا خلافُ الآيةِ[٤]،

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، واستغربه، وقال: «وهذا القول لا يستقيم على الظاهر، فإن جعل التقدير: على سرر مصفوفة عليها النمارق، صح»، والتكأة: ما يتَّكأ عليه.

(٢) كذا في (ف)، وفي (ن): «ولا يقال للمذكر: حور»، وقد ذكر مؤلفو المعاجم أنه يقال للمذكر: أحور، ويجمع على: حور. انظر: «المحكم» مادة: (ح و ر) (٣/ ٥٠٣)، و«لسان العرب» (٤/ ٢١٩).

(٣) في (ن): «النساء المؤمنات».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٧)، وعده من العجائب.

وإنْ قال: صِرْنَ في الحسنِ مثلَهُنَّ وفوقَهُنَّ؛ فهذا قريبٌ.

* * *

(٢١) - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ الذُّرِّيةُ يُستعملُ في الأولادِ والآباءِ[1]، والآيةُ تحتمِلُهما، وهي جمعٌ في المعنى، ومَن جمعَ[2] فلأنَّها واحدةٌ في اللَّفظِ.

وقولُه: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ حالٌ، فجازَ أن يكونَ حالًا منَ الفاعلِين، وجازَ أن يكونَ منَ المفعولِينَ، وجازَ أن يكونَ منهما جميعًا.

﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ والمعنى: إذا دخلَ الأبُ[3] الجنَّةَ أُلحِقَتْ به ذُرِّيتُه حيثُ هو في الجنَّةِ وإنْ لم يكُنْ للذُّرِّيةِ منَ العملِ ما يُسْتَحَقُّ [به] ذلك[4]؛ تكرِمةً منَ الله للأبِ، وكذلك إذا دخلَ الابنُ الجنَّةَ أُلحِقَ به أبوه وأمُّه.

الضَّحَّاكُ: يُريدُ الضِّعافَ والأطفالَ الذين لم يبلُغوا الإيمانَ يُلحَقُونَ بالآباءِ لإيمانِ الآباءِ[5].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٨)، واستغربه.

(٢) قرأ أبو عمرو: ﴿وأَتْبَعْناهم ذريَّاتِهم﴾ بقطع الألف وإسكان التَّاء والعين، ونونٍ وألف بعد النُّون، وكسرِ التاء من ﴿ذرياتِهم﴾ على الجمع، وابن عامر: ﴿واتَّبَعَتْهُم ذرِّياتُهم﴾ بالجمع أيضاً، والباقون: ﴿واتَّبعَتْهُم ذرِّيتُهم﴾.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو: ﴿بهم ذرِّياتِهم﴾ بالجمع وكسر التاء، والباقون بالتوحيد وفتح التاء. انظر: «التيسير» (ص: ٢٠٣).

(٣) في (ف): «الآباء».

(٤) في (ف): «يُستحق وذلك»، وفي (ن): «يستحق بذلك»، والصواب المثبت.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٨١) بلفظ: «من أدرك =

وقيل: أرادَ بالذُّرِّيةِ النِّساءَ؛ أي: يُرَدُّ إليهم نساءُ الدُّنيا مع الحورِ.

وذهبَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ ثوابَ الذُّرِّيةِ على قَدْرِ عملِ الذُّرِّيةِ؛ لأنَّ الثَّوابَ على قَدْرِ الأعمالِ، لكنْ يجمعُ الله بينَهم في الجنَّةِ فتقرُّ عيونُ الآباءِ بالأبناءِ، والأبناءِ بالآباءِ.

والأوَّلُ قولُ الجمهورِ، وقد جاء مرفوعًا(١).

﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾؛ أي: يلحقُ الثَّاني بالأوَّلِ من غيرِ أن ينقُصَ من عملِ الأوَّلِ شيءٌ، وعلى القولِ الثَّاني معناه: ما نقَصْنا أحدًا من أجرِ عملِه شيئًا.

= ذريتُه الإيمان، فعملوا بطاعتي، ألحقتهم بآبائهم في الجنة، وأولادهم الصغار أيضاً على ذلك».
وبهذا اللفظ رواه الطبري أيضاً من قول ابن عباس، لكن إسناده ضعيف جدًّا.

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً وموقوفاً:
فقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٧٩)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٤٤)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ١٦٦)، وفي «السنن» (١٠/ ٢٦٨)، عن الثوري، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: إن الله تبارك وتعالى لَيَرْفَعُ ذرِّيَّة المؤمن في درجته وإنْ كانوا دونَه في العمل لِيُقِرَّ بهم عينَه. ثُم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾.
ورواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٠٧٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٩٠)، من طريق محمد بن بِشْرٍ العَبْدِيِّ، عن سفيان الثوري، عن سَمَاعةَ، عن عمرو بن مُرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ به.
قال النحاس: فصار الحديثُ مرفوعًا عن رسول الله ﷺ، وكذا يجب أن يكون؛ لأن ابن عباس لا يقولُ هذا إلا عن رسول الله ﷺ؛ لأنه إخبارٌ عن الله تعالى بما فعله وبمعنى آيةٍ أنزلها تعالى.
وقال الطحاوي: فنحن نحيطُ علمًا ـ لو لم نجد أحدًا من رواته رَفَعه إلى النبي ﷺ ـ أن ابن عباس لم يأخذه إلَّا عن النبي ﷺ إذ كان الذي فيه إخبارٌ عن الله عزَّ وجلَّ بمُراده في الآية المذكورة فيه، وذلك مما لا يؤخذ من غير النبي ﷺ.

وفيه خمسُ لغاتٍ: أَلَتَ يأْلِتُ، وعلى الضِّدِّ أَلِتَ يأْلَتُ، وألاتَ يُليتُ، ولاتَ يَلِيتُ، وحُكِيَ: وَلَتَ يَلِتُ، وقد سبقَ في (الحجرات).

فمَن قرأ ﴿أَلَتۡنَٰهُم﴾ فله ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: من أَلَتَ.

والثّاني: من ألاتَ.

والثّالثُ: من وَلَتَ، قُلِبَتْ همزةً، وفيه ضعفٌ.

ومَن قرأ ﴿أَلِتناهم﴾ بالكسرِ[1] فمن أَلِتَ لا غيرُ.

وقُرِئَ في الشَّاذِّ: (لِتْناهُم) من لاتَ يَلِيتُ[2].

وقرأ الأعمشُ: (ما لَتْناهُم) بفتحِ اللّامِ[3]، وكلُّهم على أنَّ ذلك غيرُ جائزٍ، وله وجهانِ منَ القياسِ:

أحدُهما: أنَّه ليَّنَ الهمزةَ فقرُبَتْ منَ السّاكنِ، فحُذِفَ لالتقاءِ السّاكنَين.

والثّاني: أنَّه أُجرِيَ مُجرى (ليس)، تقولُ: لَسْتُ ولَسْنَ ولَسْنا.

﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾؛ أي: لا يُظلَمُ أحدٌ فيما يُجزَى منَ الأعمالِ.

وقيل: هذا يعودُ إلى الكفَّارِ.

والرَّهينُ: المرهونُ المأخوذُ المحبَّسِ على أمرٍ يُؤدَّى عنه.

وقيل: ﴿رَهِينٞ﴾ بمعنى: راهِنٌ، وهو المُقيمُ؛ أي: كلُّ إنسانٍ مُقيمٌ في جزاءِ ما قدَّمَ.

---

(١) هي قراءة ابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٢).

(٢) نسبت للحسن وابن كثير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٠).

(٣) انظر: «الكامل في القراءات» (ص: ٤٠٢)، و«النشر» (٢/ ٣٧٧).

(٢٢) ـ ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾.

﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ﴾؛ أي: ذلك دائمٌ لهم لا ينقطعُ ﴿مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾: يختارُونَ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا﴾: يتناوَلونَها ويأخذُ بعضُهم من بعضٍ بحرصٍ وشهوةٍ.

﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا﴾ اللَّغوُ: السَّاقطُ منَ الكلامِ، تقولُ: لَغا فلانٌ فهو لاغٍ، ولاغيةٌ للمُبالغةِ، ولا يُقالُ: لَغَتِ الكلمةُ، ولا الكلمةُ لاغيةٌ، وقولُه: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾؛ أي: ناطقًا بسوءٍ، ويقالُ: لَغا الدِّيكُ؛ إذا صاحَ، قال:

قبلَ الصَّباحِ وقبلَ[1] لغوِ الدِّيكِ[2]

وقيل: ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا﴾؛ أي: لا كذبٌ ولا باطلٌ.

﴿وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾: لا إثمَ في شُربِها كما في الدُّنيا.

وقيل: ﴿وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾: لا يُنسَبُ شاربُها إلى الإثمِ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾؛ أي: ﴿وَيَطُوفُ﴾ بالكأسِ والفاكهةِ

---

(١) في (ن): «إذا صاح قبل الصباح وقيل»، وفيه زيادة وتحريف. انظر التعليق الآتي.

(٢) نسب لثعلبة بني صُعير بن خُزاعيٍّ المازني كما في «المفضليات» (ص: ١٢٨)، و«الحيوان» (٢/ ٤٠٧)، و«المنجد» (ص: ٢٠٤) وفي هذه المصادر: «الطائر» بدل «الديك». وهو من قصيدة رائية ساقها بتمامها في «المفضليات»، وصدر البيت:

باكَرْتُهُمْ بِسِباءِ جَوْنٍ ذارعٍ

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ من بياضِهم وصفاءِ لونِهم ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾: مصونٌ مستورٌ عن الشَّمسِ والغُبارِ.

وقيل: هم أولادُهم الذين سبقُوهم أقرَّ الله بهم أعيُنَهم[١].

الحسنُ: أولادُ المشركين، ذُكورُهم غلمانُ أهلِ الجنّةِ، وإناثُهم هن الحورُ[٢] العينِ، وأولادُ المؤمنينَ مع آبائِهم على هيئتِهم التي كانُوا عليها[٣].

***

(٢٥ ـ ٢٧) ـ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أي: يسألُ بعضُهم بعضًا عن سببِ نَيلِهم الجنّةَ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: مُوقنين بوعدِه ووعيدِه، خائفينَ من عصيانِه.

وقالَ ابنُ جريرٍ: إنَّ هذا التَّساؤُلَ عند البعثِ منَ القبورِ[٤].

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: تفضَّلَ علينا بالمغفرةِ والرَّحمةِ، وقيل: بالهدايةِ في الدُّنيا والتَّوفيقِ.

﴿وَوَقَىٰنَا﴾: دَفعَ عنَّا ﴿عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ قيل: السَّمومُ: من أسماءِ جهنَّمَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٨)، واستغربه.

(٢) في (ن): «وإناثهم حور».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٣٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٨)، وعده من العجائب.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١١١).

وقيل: السَّمومُ: وَهْجُ النّارِ.

الضَّحَّاكُ: حرَّ السَّمومِ في الدُّنيا؛ أي: العذابَ فيها[١].

وقيل: السَّمومُ: شِدَّةُ البردِ أيضًا، قال:

اليومُ يومٌ باردٌ سمومُهُ   مَن جَزِعَ اليومَ فلا ألومُهُ[٢]

وفي البيتِ وجهٌ آخرُ: وهو أنَّ الباردَ بمعنى: الثَّابتِ[٣].

* * *

(٢٨) ـ ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أن يتفضَّلَ علينا بالمغفرةِ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾: البارُّ.

وقيل: ﴿ٱلْبَرُّ﴾: الصّادقُ في وعدِه.

وقيل: اللَّطيفُ.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنينَ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾.

﴿فَذَكِّرْ﴾؛ أي: بالقرآنِ ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾: برحمةِ ربِّك.

وقيل: برسالةِ ربِّك.

---

(١) لم أجده.

(٢) الرجز بلا نسبة في «الفاخر» (ص: ١٦)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٢٩٤)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٦٥)، و«الزاهر» له (١/ ١٩٧)، و«الصحاح» مادة: (ب ر د). والرواية في بعض المصادر: «مَن عَجزَ اليومَ...».

(٣) وبهذا المعنى ورد في المصادر السابقة.

﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ كما زعَمُوا، والتَّقديرُ: ما أنت بكاهنٍ ولا مجنونٍ بنعمةِ ربِّك، وهو اعتراضٌ بين اسمِ (ما) وخبرِه.

وقيل: بين قولِـهم: (كاهنٍ) و (مجنونٍ) تضادٌّ كما سبقَ.

وقيل: سمَّوه مجنونًا على أنَّه يطلُبُ ما لا يليقُ به.

وقيل: سمَّوه مجنونًا لأنَّه كان عندَهم يقِفُ على أخبارِ السَّماءِ، وذلك عندهم بتعليمِ الجنِّ إيّاهم، وكذلك الشُّعراءُ عندَهم يقولونَ الشِّعرَ بمُعاونةِ الجنِّ إيَّاهم، وقالوا: لكلِّ شاعرٍ مُعينٌ منَ الجنِّ، فيكون معنى ﴿مَجْنُونٍ﴾: معه جنِّيٌّ، وعلى هـذا قولُه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾[1] [الدخان: ١٤].

* * *

(٣٠) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: حوادِثَ الدَّهرِ.

والمَنونُ عندَ الأصمعيِّ: الدَّهرُ[2]، وعندَ غيرِه: الموتُ، وكلاهما يقطعُ العمرَ ويُنقِصُه.

ابنُ عيسى: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: عِلَلَ الموتِ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: قال قائلونَ منَ المُجتمعينَ في دارِ النَّدوةِ: تربَّصُوا بمحمَّدٍ ـ ﷺ ـ الموتَ يكفِكُمُوه كما كفاكُم شاعرَ بني فلانٍ، وشاعرَ بني فلانٍ[3].

---

(١) في (ف): «وعلى هذا قالوا: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾».

(٢) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٢٦)، وابن الأنباري في «الأضداد» (ص: ١٥٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٩٣) عن قتادة.

الفرَّاءُ: تربَّصوا إلى ريبِ المَنونِ، فحُذِفَ الجارُّ[١].

وفي هذه الآياتِ إلزاماتٌ، وهي خمسةَ عشرَ، قبِلَتْه عقولُهم[٢] إنْ لـم يُكابِروا، و﴿أَمْ﴾ في هذه الآياتِ للاستفهامِ بمعنى: (بل) والألفِ، ومعنى أكثرِها الإنكارُ، ومعنى بعضِها الإثباتُ.

***

(٣١) ـ ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أمرُ تهديدٍ، والمعنى: ما يرجُونَه في محمَّدٍ لا يكونُ، وما ينتظرُه فيكم يقعُ عن قريبٍ.

الزَّجَّاجُ: كان أبو جهلٍ فيمَن قالوا: نتربَّصُ به، فأهلَكَهم الله جميعًا قبل رسولِ الله ﷺ[٣].

وقيل: الذي تهدَّدَهم به نالَهم يومَ بدرٍ.

وقيل: منسوخٌ بآيةِ القتالِ[٤].

***

(٣٢) ـ ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾ الحِلْمُ: العقلُ.

---

(١) هذا قول الأخفش كما في «معاني القرآن» له (٢/ ٥٢٥)، و«البسيط» (٢٠/ ٥٠٢)، والذي في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٣): «﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾: أوجاعَ الدَّهر، فيشغل عنكم ويتفرّقُ أصحابهُ، أو عُمْرَ آبائه، فإنَّا قد عرفنا أعمارَهم».

(٢) في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩): «مقبولة في العقول»، وهو أوضح.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٦٥).

(٤) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للمقري (ص: ١٦٩)، و«المصفى» لابن الجوزي (١/ ٥٤)، وقال: «ولا يصح».

وقيل: الحِلمُ أشرفُ منَ العقلِ، ويُوصَفُ الله تعالى بالحِلمِ، ولا يُوصَفُ بالعقلِ، وقد يُنفَى الحِلمُ عمَّن يُوصَفُ بالعقلِ.

وقيل: الحِلمُ: الإمهالُ الذي تدعو إليه الحكمةُ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: كانت قُريشٌ تُدعَى في الجاهليّةِ: الحُلوم، ويصفُهم النّاسُ بالحلمِ؛ لأنَّ الله وصفَهم بالحلمِ وأثبتَه لهم.

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: مُجاوِزُونَ[1] الحدَّ في الكفرِ، والمعنى: لم تأمُرْهم عقولُهم لأنَّ في الطُّغيانِ مخالفةَ العقلِ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾: يقولُه محمَّدٌ من تلقاءِ نفسِه.

﴿بَل﴾ ردٌّ عليهم؛ أي: ليس الأمرُ كما زعَمُوا ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ لعُتوِّهم وحسَدِهم.

* * *

(٣٤) ـ ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾؛ أي: إنْ كنتُم صادِقين في أنَّ محمَّدًا يَقولُه[2] من تلقاءِ نفسِه[3] فليأتُوا بكلامٍ مثلِه، فإنَّه بلسانِهم، وهم فُصحاءُ زمانِهم.

* * *

(٣٥) ـ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾؛ أي: لغيرِ شيءٍ؛ عبَثًا لا يأمرُونَ ولا ينهَونَ.

---

(١) في (ف): «تجاوزوا».

(٢) في (ن): «تقوّله».

(٣) في (ن): «من نفسه».

﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ للأشياءِ، فلهم الأمرُ والنَّهيُ؟

وقيل: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ﴾ أبٍ وأمٍّ، فهم جمادٌ[1] لا يعقلونَ الأمرَ والنَّهيَ، ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ فلا يأتَمِرونَ؟

وقيل: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ﴾ خالقٍ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أنفُسَهم؟

***

(٣٦) ـ ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ هو عطفٌ على قولِه: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾، والمعنى: أخَلَقوا أنفسَهم أم خلَقوا السَّماواتِ والأرضَ؟ ﴿بَل﴾؛ أي: لم يخلُقوا شيئًا منها ﴿لَّا يُوقِنُونَ﴾؛ أي: لا يتدبَّرون في الآياتِ، فيعلَمُوا خالقَهم وخالقَ السَّماواتِ والأرضِ وسائرِ المخلوقاتِ.

وقيل: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ وعدَ الله، فهانَتْ عليهم المعاصي.

***

(٣٧) ـ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ قيل: خزائنُ العلمِ، فيعلموا أنْ لا بعثَ ولا حسابَ.

وقيل: خزائنُ الرِّزقِ، فلا يحتاجونَ إلى مَن يرزُقهم.

﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ المُسيطرُ: الجبّارُ المُسلَّطُ، تقولُ: تَسَيْطرَ؛ إذا تغلَّبَ على الشَّيءِ.

ابنُ عيسى: هو مُجري السَّطرِ على غيرِه بما يلزمُه قهرًا[2].

---

(١) في (ف): «جهال».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩) بلفظ «مجري السيطرة»، ولعله الصواب.

وقيل: هم الأربابُ.

ابنُ بحر: هم الملائكةُ؛ أي: يكتُبونَ لأنفُسِهم ما يُريدونَ[١].

***

(٣٨) ـ ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ ﴾: مُرتَقًى، وقيل: ما يُتوصَّلُ به إلى عوالي الأشياءِ.

﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾؛ أي: عليه، وقيل: في السَّماءِ.

والمعنى: ليس لـهم كتابٌ، فهل لهم سُلَّمٌ هو سببٌ إلى بلوغِ السَّماءِ واستماعِ ما يدَّعونَ أنَّه حقٌّ؟

الزَّجَّاجُ: ألَـهُم كجبريلَ عليه السَّلامُ الذي يأتي النَّبيَّ عليه السَّلامُ بالوحيِ ويُنبِئُ عن الله ما كانَ وما يكونُ[٢]؟

وقيل: إنِ ادَّعَوا أنَّهم يستمِعُونَ منَ الملائكةِ ما يستَغنُونَ به عن الأنبياءِ عليهم السَّلامُ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: بحُجَّةٍ ظاهرةٍ على صدقِ دَعواهُم.

وقيل: معناه: أم يستَمِعُونَ الوحيَ منَ السَّماءِ فقد وثِقُوا بما هم عليه وردُّوا ما سواه؟

***

(٣٩) ـ ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾.

﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ فيه تسفيهٌ لأحلامِهم حيثُ اختارُوا لله ما يأنَفُونَ هم عنه.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٦٧).

(٤٠) ـ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾: جُعْلًا على تبليغِ الرِّسالةِ ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: من أداءِ ذلك ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ المَغرمُ: إلزامُ الغُرْمِ، والغُرْمُ: المُطالبةُ بإلحاحٍ.

* * *

(٤١) ـ ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الغيبُ: اللَّوحُ المحفوظُ، فهم يكتُبونَ منه ويُخبِرونَ النَّاسَ(١).

وقيل: يعلمُونَ متى يموتُ محمَّدٌ عليه السَّلامُ(٢).

ويحتمِلُ: أم عندَهم الوحيُ فهم يكتُبون ما يُوحَى إليهم؟

* * *

(٤٢) ـ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: سوءًا بك ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ يُريدُ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] فكانوا هم المكيدين(٣) ببدرٍ.

وقيل: معناه: أم يظُنُّونَ أنَّهم يُخفونَ علينا سرائرَهم؟

* * *

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «هم المكيدون»، و«هم» ليست في (ن).

(٤٣) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يمنعُهم من عذابِ الله ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

* * *

(٤٤) ـ ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾؛ أي: لو أُجيبَتْ دعوتُهم فيما اقترَحُوا بقولِهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لَمَا آمَنُوا، بل قالوا: هذا سحابٌ مُتَراكِمٌ[١] بعضُها[٢] على بعضٍ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يَصعَقُون﴾ أي: لا ينفعُ إنذارُ هؤلاءِ، فذَرْهُم حتَّى يُلاقوا يومَ القيامةِ.

وقيل: يومَ الموتِ.

وقيل: عندَ النَّفخةِ الأولى.

وقُرِئَ: ﴿يُصْعَقُونَ﴾[٣] صَعِقَ وصُعِقَ جائزانِ كسَعِدَ وسُعِدَ، وقيل: هو مَن أصعقَه الله؛ أي: أماتَه.

وقيل: ﴿يُصْعَقُونَ﴾: يُهلَكُونَ بصاعقةٍ.

* * *

---

(١) في (ف): «تراكم».

(٢) كذا في النسختين، والجادة: «بعضه».

(٣) قراءة عاصمٍ وابنِ عامرٍ، والباقون بالأولى. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٤٦) ـ ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾.

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾؛ أي: لا يدفعُ مكرُهم عذابَ الله عنهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾: يُمنَعونَ من عذابِ الله.

* * *

(٤٧) ـ ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ يُريـدُ: عـذابَ القبـرِ، وهـذا قـولُ جمهـورِ المُفسِّـرين[١].

وقيل: عذابَ الجوعِ الذي ابتُلوا به.

وقيل: مصائبَ الدُّنيا.

وقيل: ما أصابَهم يومَ بدرٍ.

وقيل: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الصَّعقِ[٢].

وقيل: (الذين ظَلَموا) هم أصحابُ الصَّغائرِ، وقيل: أصحابُ الحدودِ؛ فإنَّ الحدودَ تُخفِّفُ عنهم العذابَ[٣].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّه يأتيهم ذلك.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾.

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾: لبلائِه فيما ابتلاكَ به من قومِكَ.

---

(١) في (ف): «قول الجمهور».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٠)، وعده من العجائب.

وقيل: ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: لقضائِه فيما حمَّلَكَ من رسالتِه.

وقيل: لِـمَا حكَمَ من تأخيرِ عذابِهم.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأًى منَّا.

وقيل: بعِلْمِنا.

وقيل: بحِراستِنا وحفظِنا.

والكلُّ واحدٌ، والمعنى: إنَّك مُراعًى محفوظٌ محروسٌ لا يصِلُونَ إليك بمكروهٍ.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: صلِّ ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ منَ النَّومِ؛ يعني: صلاةَ الصُّبحِ.

وقيل: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ منَ القيلولةِ، فتكونُ صلاةَ الظُّهرِ.

وقيل: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصَّلاةِ، فيكونُ التَّسبيحُ: «سبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِك...» إلى آخرِه.

وقيل: هو: «الله أكبرُ كبيرًا، والحمدُ لله كثيرًا، وسُبحانَ الله بُكرةً وأصيلًا».

وقيل: هو: «سُبحانَ ربِّي العظيم» في الرُّكوعِ، و«سُبحانَ ربِّيَ الأعلى» في السُّجودِ.

وقيل: فسبِّحْ حينَ تقومُ من مجلسِكَ، رَوى أبو هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَن جلسَ في مجلسٍ كثُرَ فيه لغَطُه فقالَ حينَ قامَ: سُبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ، لا إلهَ إلا أنتَ، أستغفِرُكَ وأتوبُ إليك، غفرَ الله له ما كانَ في مجلسِه ذلك»[1].

***

(١) رواه الترمذي (٣٤٣٣)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٤٩) ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ يُريدُ: صلاةَ اللَّيلِ.

وقيل: صلاتَي المغربِ والعشاءِ الآخرةِ.

وقيل: هو التَّسبيحُ باللِّسانِ(١) إذا انتبَهَ من نَومِه.

﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: هو استِتارَتُها عنِ العيونِ.

والجمهورُ على أنَّه رَكعتا الفجرِ، وجاء مرفوعًا: «أنَّهما خيرٌ منَ الدُّنيا جميعًا»(٢).

وقيل: هما صلاةُ فرضِ الصُّبحِ.

واستدلَّ بعضُهم بهذا على أنَّ الإسفارَ بصلاةِ الصُّبحِ أفضلُ، وكذلك قراءةُ مَن قرأ ﴿وَأَدۡبَٰرَ﴾ بالفتحِ، وهو عن يعقوبَ(٣)؛ لأنَّ النُّجومَ لا أدبارَ لها ولا إدبارَ، وإنَّما ذلك بالاستتارةِ عن العيونِ(٤). والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (ف): «بالليل».

(٢) رواه مسلم (٧٢٥) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».

(٣) اتفق العشرة في المشهور عنهم على ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ بالكسر، وقرأ زيد عن يعقوب بالفتح. انظر: «المبسوط» (ص: ٤١٧)، و«النشر» (٢/ ٣٧٦). ونسبت القراءة بالفتح إلى الأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٤٧).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٠)، واستغربه.

سُورَةُ النَّجۡمِ

سُورَةُ النَّجْمِ

اثنتانِ وستُّونَ آيةً، مكِّيَّةٌ[1].

ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: مكِّيَّةٌ إلا آيةً، وهي: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾؛ فإنَّها مدنيَّةٌ[2].

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنهما: أنَّها أوَّلُ سورةٍ أعلنَهَا رسولُ الله ﷺ بمكَّةَ[3].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ الظَّاهرُ في الآيةِ أنَّ الألفَ واللَّامَ للجنسِ، والمُرادُ به النُّجومُ كلُّها، وهُوِيُّها: سقوطُها وانتشارُها يومَ القيامةِ.

وقيل: هُوِيُّها: غروبُها.

وقيل: هُوِيُّها: أنَّها لا تَفْتُرُ طالعةً وغاربةً.

وقيل: هُوِيُّها: انقضاضُها رُجومًا للشَّياطين.

وقال بعضُهم: هُوِيُّها: طلوعها.

---

(١) في (ف): «سورة والنجم مكية».

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٧٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٨٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٨٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٦٥).

وحكى الأزهريُّ: هَوَى: إذا سقَطَ وغربَ هَوِيًّا بالفتحِ، وهَوَى: إذا علا وصعدَ هُوِيًّا بالضَّمِّ، وأنشدَ:

والدَّلْـوُ في إصْعادِهـا عَجْلَـى الهُوِيِّ[1]

وذهبَ بعضُهم[2] إلى أنَّه الثُّرَيَّا، والعربُ تُسمِّي الثُّرَيَّا: «النَّجمَ» مُطلَقًا، وهي سبعةٌ: ستَّةٌ منها ظاهرةٌ وواحدٌ خفيٌّ يُجرَّبُ بها البصرُ، قال ساجعُ العربِ:

إذا طلَـعَ النَّجـمُ عِشـاءً

ابتَغَـى الرّاعـي كسـاءً

إذا طلَـعَ النَّجـمُ غُدَيَّـةً

طلَـبَ الرّاعـي شُـكَيَّةً[3]

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري مادة: (هـ و ي) (٦/ ٢٥٩)، وورد الرجز أيضاً في «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٤١٧)، و«البسيط» للواحدي (٢١/ ٨)، وذكر القول المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥١)، واستغربه.

(٢) في (ف): «جماعة».

(٣) انظر: «الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ١٣٥)، و«تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٦٨)، و«المخصص» لابن سيده (٢/ ٣٦٩)، و«الكشاف» (٤/ ٤١٦)، و«التذكرة الحمدونية» (٧/ ٣٥٨).
وهو من مجزوء الرمل كما ذكر الجاربردي في «الحاشية على الكشاف» (ج٢/ و١٨٠أ) ثم قال: «وزاد فيه الشاعر «إذا» بالخزم، والخزم زيادة في أول البيت لا يعتد به في التقطيع».
وقد ورد في كثير من المصادر دون «إذا». انظر: «المعاني الكبير» (١/ ٣٧٥)، و«نثر الدر في المحاضرات» للآبي (٦/ ٢٩ و١٨١)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٣٩٦)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٦).
قال الآبي: «طلع النَّجْم عشَاء، ابْتغى الرَّاعِي كسَاء» يُرِيدُونَ طُلُوع الثريا بالعشيات وذلك عند اشتداد البرد، و«طلع النَّجْم غديَّة، ابْتغى الرَّاعِي شكية» يريدون: شكوة يحمل فيها الماء لشدَّة الحر.

تصغيرُ «شِكْوة»، وهي رِكْوةٌ[١].

﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: غابَ مع الصُّبحِ.

وقيل: هَوى: ارتفَعَ وطلَعَ.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «إذا طلعَ النَّجمُ ارتفَعَتِ العاهاتُ»[٢].

السُّدِّيُّ: هو الزُّهَرةُ[٣].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه زُحَلُ[٤].

وعن جماعةٍ: أنَّه نجومُ القرآنِ؛ لأنَّ القرآنَ نزَلَ نَجْمًا نَجْمًا في عشرينَ سنةً، ومعنى ﴿هَوَىٰ﴾: نزلَ.

وقيل: النَّجمُ: محمَّدٌ ﷺ، سمَّاه نَجْمًا كما سمَّاه سِراجًا، ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ نزَلَ منَ السَّماءِ ليلةَ المعراجِ، وعلى التَّأويلِ الآخرِ: عرَجَ إلى السَّماءِ وصعدَ[٥].

وقيل: النَّجمُ: النَّباتُ، ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: سقطَ على الأرضِ، فإنَّ النَّجمَ ليس له ساقٌ، وعلى التَّأويلِ الآخرِ: طالَ ونَما[٦].

---

(١) «تصغير شكوة وهي ركوة»: ليس في (ف)، وهي مستدركة في هامش (ن) مع علامة التصحيح.

(٢) رواه أبو يوسف في «الآثار» (٩١٧)، والإمام أحمد في «المسند» (٨٤٩٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٢٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إذا طلع النجم ذا صباح، رفعت العاهة».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٨٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٨٣).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٨٩)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٢٩).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢)، وعده من العجائب.

ويحتمِلُ منَ التَّأويلِ: المُصلِّي إذا سجدَ، والغازي إذا قُتِلَ[١]، والعالِـمُ إذا ماتَ؛ فإنَّ هؤلاءِ نجومُ الأرضِ، والأخبارُ ناطقةٌ بها[٢].

وقيل: تقديرُه: وربِّ النَّجمِ.

وهو قسمٌ بالإجماعِ، وما ذكرَه الماورديُّ: أنَّه رجومٌ للشَّياطينِ، وأنَّه على هذا التأويلِ خبرٌ وليس بقسَمٍ؛ فسهوٌ منه[٣].

وجاءَ في الأخبارِ: أنَّه لـمَّا نزَلَ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قال عُتبةُ بنُ أبي لهبٍ: كفَرْتُ بربِّ النَّجمِ إذا هوى، وطلَّقَ ابنةَ النَّبيِّ ﷺ، فدَعا عليه رسولُ الله فقالَ: «اللَّهمَّ سلِّطْ عليه كلبًا من كلابِكَ»، فخرجَ في تجارةٍ إلى الشَّامِ، فقال أبو لهبٍ: احفَظوه فإنِّي أخافُ عليه دعوةَ محمَّدٍ، فنزلوا منزلًا، فأشرفَ عليهم راهبٌ من ديرٍ، وقال: هذه الأرضُ مُسبِعةٌ، فقال أبو لهبٍ لأصحابِه: أعينُونا هذه اللَّيلةَ، فجَمَعوا أحمالَـهم وفرَشُوا لعُتبةَ في أعلاها، وناموا حولَه، فجاء أسدٌ، فضَرَبَ الله على أَصْمِخَتِهم[٤]، ثمَّ ثَنَى ذَنبَه فوَثَبَ، وضرَبَ عُتبةَ بيدِه ضربةً كسَرَتْ صُلْبَه، ولـم يأكُلْ منه[٥].

---

(١) في (ف) زيادة: «شهيدًا».

(٢) وهذا الوجه للمصنف كما يظهر من كلامه في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٠)، وعده المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢) من العجائب. ولفظه: «العجيب: ذكر الماوردي أن النجم إذا حمل على رجوم الشياطين يكون خبراً لا قسماً، وهذا منه سهو».

(٤) جمع صِماخ الأذن، وهو المِسمع أيضاً. انظر: «الدلائل في غريب الحديث» للسرقسطي (٢/ ٦٣٢).

(٥) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٩١٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦) عن قتادة، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٨٤) وصححه، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢١١)، من طريق أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه. وأبو عقرب اسمه: مسلم بن عمرو كما في «أسد الغابة» (٥/ ١٨١)، ووقع في حديثه: «لهب بن أبي لهب»، فتعقب ذلك ابن الأثير بقوله: «كذا قال، والقصة لعتيبة بن أبي لهب، ذكر ذلك ابن إسحاق وابن الكلبي والزبير وغيرهم».

(٢) ـ ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾.

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ جوابُ القسمِ، وهو محمَّدٌ رسول الله ﷺ أفضلُ صاحبٍ وأكرمُه وأجلُّه وأعظمُه، صلَّى الله عليه صلاةً لا ينقطعُ أَمَدُها، ولا يُحصَى عدَدُها، وذلك أنَّ قُريشًا قالوا: ضلَّ محمَّدٌ عن دينِ آبائِه وغَوَى، ثمَّ تقوَّلَ على الله وافترى، فأنزَلَ الله: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾؛ أي: ما ضلَّ بل اهتَدَى، وما غَوَى بل رشدَ.

وقيل: معنى ﴿ما غَوَى﴾: ما خابَ سعيُه.

* * *

(٣) ـ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾؛ أي: لم يأتِكُم بالقرآنِ من تلقاءِ نفسِه وبهواه ومُرادِه، و﴿عَنِ﴾ بمعنى: الباءِ، وقد يتعاقَبانِ كقولِه: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩]؛ أي: عنه.

والهوى: ميلُ القلبِ إلى خلافِ الصَّوابِ.

* * *

(٤) ـ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾.

﴿إِنْ هُوَ ﴾: ما القرآنُ، وقيل: ما الذي ينطقُ به.

﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾: يُوحيه الله إليه.

وقيل: يُوحيه جبريلُ.

* * *

(٥) ـ ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾.

﴿عَلَّمَهُۥ﴾ علَّمَ محمَّدًا عليه السَّلامُ ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾: هو جبريلُ عليه السَّلامُ عند الجمهورِ.

والقُوَى: جمعُ القُوَّةِ، وهي في الأصلِ: الطَّاقةُ منَ الحبلِ تُضَمُّ إلى أُخرى.

وجبريلُ عليه السَّلامُ منِ بين الملائكةِ موصوفٌ بالقوّةِ.

***

(٦) ـ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: قوَّةٍ، وأصلُها: إمرارُ الفتلِ حتَّى يستحكِمَ.

وقيل: المِرَّةُ: صِحَّةُ الجسمِ والسَّلامةُ منَ الآفاتِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ذو منظرٍ حسَنٍ[١].

ابنُ الأنباري: ذو عقلٍ[٢].

وقيل: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ إخبارٌ عن قُوَّتِه في أمرِ الله سبحانَه ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ إخبارٌ عن قوَّةِ جسمِه.

وقيل: ﴿مِرَّةٍ﴾: فِعْلةٍ منَ المرورِ؛ أي: ذو مرورٍ في الجوِّ في صُعودِه وانحِدارِه[٣].

﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ قيل: معناه: استَوْلى بفَرْطِ قُوَّتِه على ما جُعِلَ إليه منَ الأمرِ[٤].

وقيل: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ على صورتِه التي خلقَه الله عليها.

وقيل: ﴿استَوَى﴾: اعتدَلَ واقفًا بعد أن كانَ مُسرِعًا.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٧٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٢).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٢)، واستغربه.

(٧) ـ ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾.

﴿ وَهُوَ ﴾ جبريلُ عليه السَّلامُ ﴿ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ قيل: قَبْلَ[1] مطلعِ الشَّمسِ.

وقيل: ناحيةً منَ السَّماءِ.

* * *

(٨) ـ ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾.

﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ جبريلُ من محمَّدٍ عليهما السَّلامُ ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾: زادَ في القُربِ.

وقيل: ثمَّ تدلَّى منَ الأُفقِ الأعلى فدَنا من محمَّدٍ عليه السَّلامُ، والتَّدلِّي: الامتدادُ إلى جهةِ السُّفلِ.

وقيل: هو التَّعلُّقُ فيما بينَ عُلوٍ وسُفلٍ.

وقيل: هو منَ الدَّلوِ؛ أي: نزلَ قليلًا قليلًا واسترسَلَ من عُلوٍ إلى سُفلٍ.

وقيل: ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ جبريلُ من محمَّدٍ عليهما السَّلامُ ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾: نكَسَ رأسَه إليه[2].

وقيل: دَنا جبريلُ عليه السَّلامُ من محلِّ القُربةِ.

وقيل: التَّدلِّي منَ الدَّلالِ، قُلِبت لامُه ياءً[3].

* * *

(٩) ـ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾.

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ الضَّميرُ في (كانَ) يعودُ إلى جبريلَ عليه السَّلامُ.

و﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ نصبٌ على الظَّرفِ؛ كما تقولُ: هو منِّي مَعقِدَ الإزارِ ومَناطَ الثُّريّا.

---

(١) «قبل» ليست في (ن).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٤)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٣)، واستغربه.

وقيل: الضَّميرُ في (كان) للمسافةِ؛ أي: كانت المسافةُ بينهما قابَ قوسينِ، فيكونُ نصبًا على الظَّرفِ أو بـ(كانَ)(١).

واختلَفُوا في (قابَ):

قال المُبرِّدُ: القابُ والقِيدُ والقِدَى والقَدْرُ واحـدٌ، والقَوسانِ: هما قَوسانِ عربيَّتانِ، وكانوا يذرَعونَ الأشياءِ ويُقدِّرون بقِسِيِّهم.

وقال مجاهدٌ: كان منه حيثُ الوَتَرُ من كبدِ القوسِ(٢).

وقيل: من مَقْبِضِها إلى طرَفِها.

وذهبَ قومٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ القوسَينِ الذِّراعانِ، ويحتمِلُ على هذا التَّأويلِ أن يُجعَلَ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ عبارةً عن المُعانَقةِ؛ لأنَّ المُعانقةَ تقعُ بعينِ الذِّراعَينِ، والمعنى: دَنا جبريلُ من مُحمَّدٍ عليهما السَّلامُ فتعانَقا، ويكونُ قولُه: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ عبارةً عن مُجاوزةِ إحدى اليدَينِ الأُخرَى(٣).

وذُكر أيضًا أنَّ القوسَين عبارةٌ عن الشِّبرَينِ.

وقولُه: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قيل: بل أدنى. وقيل: وأدنى. وهو عند النُّحاةِ: الإبهامُ على المُخاطَبين؛ أي: لو رأى واحدٌ منكم ذلك لقالَ: قابَ قوسَينِ أو أدنى.

وأفادَ ﴿أَوْ﴾ تحقيقَ الخبرِ عن القُربِ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٤)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٥) بلفظ: «حيث الوتر من القوس»، وهكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٨٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٤)، واستغربه.

(١٠) ـ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾.

﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ جبريلُ عليه السَّلامُ ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، والهاءُ يعودُ إلى الله تعالى لا غيرُ، وإنْ لـم يتقدَّمْ ذكرُ الله تعالى صريحًا، فقد تقدَّمَ ضِمْنًا.

﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ جبريلُ عليه السَّلامُ. وقيل: ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ اللهُ إلى جبريلَ.

وأبهمَ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ تعظيمًا لشأنِ ذلك.

وقيل: أوحى اللهُ إليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦] إلى آخرِ السُّورةِ.

وقيل: أوحَى إليه: أنَّ الجنَّةَ مُحرَّمةٌ على الأنبياءِ حتَّى تدخُلَها أنتَ، وعلى الأممِ حتَّى تدخُلَها أمَّتُكَ.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين في هذه الآياتِ إلى تأويلٍ آخرَ فقالُوا: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ﴾ هو الله عزَّ وجلَّ، وهذا كقولِه: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وزادَ بعضُهم فقالَ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ من فِعْلِ الله، كقولِه: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: والأفقُ الأعلى فوقَ السَّماواتِ السَّبعِ؛ يعني: العرشَ ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من محمَّدٍ عليه السَّلامُ، ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ و﴿كانَ قابَ قوسَين أو أدنى﴾ عبارةٌ عن قُربِ المنزلةِ والمكانةِ لا عن المنزلِ والمكانِ، وعلى الوجهِ الذي ذكرتُ عبارةٌ عن قربٍ ليس وراءَه قُربٌ، تعالى الله عن المنزلِ والمكانِ والاجتماعِ والافتراقِ، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ وتكلَّمَ معه ما تكلَّمَ، وأمرَه ما أمرَ.

وذهبَ بعضُهم في الآيةِ إلى تأويلٍ آخرَ فقالَ: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ محمَّدٌ عليه السَّلامُ ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: قامَ ما به جنونٌ، وكانَ صَعِقَ لـمَّا رأى جبريلَ في صورتِه ﴿وَهُوَ﴾ أي:

محمَّدٌ ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا﴾ محمَّدٌ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ إلى[1] العرشِ ومحلِّ القربةِ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ﴾ الله إلى محمَّدٍ ﷺ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾.

وذهبَ الفرَّاءُ في قولِه: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: فاستوَى جبريلُ ومحمَّدٌ عليهما السَّلامُ؛ أي: صارَ كلٌّ واحدٍ مُساوِيًا للآخرِ، فعطفَ على ضميرِ المرفوعِ المُتَّصلِ من غيرِ حائلٍ[2]، وهذا غيرُ جائزٍ عندَ البصريِّين، وقد جاء في الشِّعرِ. والله أعلمُ.

***

(١١) ـ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾:

قيلَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ الفؤادُ.

وقيلَ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ محمَّدٌ عليه السَّلامُ بعينِه.

وذكرَ الثَّعلبيُّ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ القلبُ، قال: والفؤادُ: وعاءُ القلبِ[3]. وفي هذا القولِ بُعدٌ.

ثمَّ اختلَفُوا في المرئيِّ؛ فذهبَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه في جماعةٍ إلى أنَّه

---

(١) في (ف): «من».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٥)، وفيه: «استوى هو وجبريل بالأفق الأعلى لما أسري به، وهو مطلع الشمس الأعلى، فأضمر الاسم في استوى، ورد عليه هو، وأكثر كلام العرب أن يقولوا: استوى هو وأبوه، ولا يكادون يقولون: استوى وأبوه، وهو جائز؛ لأن في الفعل مضمرًا».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٩٣).

جبريلُ عليه السَّلامُ، رآه على صورتِه التي خلقَه الله عليها[١]، وإلى هذا ذهبَتْ عائشةُ رضي الله عنها[٢].

وذهبَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما في جماعةٍ إلى أَنَّه الرَّبُّ سُبحانَه، رآه بعينِ رأسِه[٣].

وذهبَ جماعةٌ إلى أَنَّه رآه بقلبِه[٤].

وجاء مرفوعًا أَنَّه سُئِلَ ﷺ: هل رأيتَ ربَّكَ؟ فقالَ: «رأيتُه بفُؤادي ولـم أَرَه بعينيَّ»[٥].

ورَوَى أبو العاليةِ فقال: سُئِلَ عليه السَّلامُ: هل رأيتَ ربَّكَ؟ فقال: «رأيتُ نهرًا، ورأيتُ وراءَ النَّهرِ حجابًا، ورأيتُ وراءَ الحجابِ نورًا، لـم أَرَ غيرَ ذلك»[٦].

---

(١) روى البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) عن أبي إسحاق الشيباني، قال: سألت زر بن حبيش عن قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] قال: حدثنا ابن مسعود: «أنه رأى جبريل، له ستمائة جناح».

(٢) روى البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (١٧٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته، وخلقُه سادٌّ ما بين الأفق».

(٣) رواه الترمذي (٣٢٧٩)، وقال: «حسن غريب»، ولفظه: عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «رأى محمد ربه»، قلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ قال: «ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى محمد ربه مرتين».

(٤) روى مسلم (١٧٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، قال: «رآه بفؤاده مرتين».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٩٨) عن محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبي ﷺ. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٩) عن أبي العالية مرسلاً، قال ابن كثير في «تفسيره» =

وعن الحسنِ: أنَّه رآه في المنامِ، وأنَّه لـم يُعرجْ بجسمِه إلى السَّماءِ، وإنَّما عُرِجَ بروحِه وجسمُه نائمٌ بمكّةَ(١).

ويحتمِلُ أنَّ مـا رأى هـو الذي فسَّرَه الله عزَّ وجلَّ فقالَ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، ولهذا قالَ: ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾، ولـم يقُلْ: مَن رأى. والله أعلمُ.

قُـرِئَ: ﴿كَذَبَ﴾ بالتَّخفيـفِ والتَّشـديدِ(٢)، فمَـن خفَّـفَ فتقديـرُه: مـا كـذَبَ الفـؤاد(٣) محمَّـداً ﷺ حديـثَ مـا رأى، فحُـذِفَ المُضـافُ؛ لأنَّ (كـذَبَ) يتعدَّى إلى مفعولَيـن، ومِن شـرطِ المفعولِ الثّاني أن يكونَ مسـموعًا، وفي الآيـةِ مرئيٌّ، والوجهُ إضمـارُ الحديثِ.

وقيل: ما كذَبَ الفؤادُ فيما رأى، فلا بدَّ من إضمارِ الحديثِ أيضًا.

ومَن شدَّدَ فالمعنى: حقَّقَ الرُّؤيةَ ولـم يجعَلْها شُبهةً وتخيُّلًا.

وقيل: ما كذَّبَ الفُؤادُ فيما ما(٤) أدَّاه إليه جبريلُ عليه السَّلامُ، بل رآه صِدْقًا غيرَ كذبٍ ولا ظنٍّ.

***

= (٧/ ٤٥٠): «غريب جدًّا».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٤)، وعده من العجائب، وذكر الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٤٣٧) عن الحسن قال: «﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]: رأى ربه بقلبه».

(٢) قرأ هشام عن ابن عامر بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٣) «الفؤاد» ليست في (ن).

(٤) في (ن): «فيما».

(١٢) ـ ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ وقُـرِئَ: ﴿أفتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[1]؛ أي: تجـحَدُونه وتدفعُونَه، يُقالُ: مَراهُ حقَّه؛ إذا جـحَدَه، وأصلُه: المرْيُ، من مرَيْتَ النَّاقةَ؛ إذا استخرَجْتَ لبنَها بعلاجٍ.

ووجهُ (تُمارونَه): تُجادِلُونَه، منَ المِراءِ، وهو الجدالُ بالباطلِ، ولفظُ ﴿عَلَىٰ﴾ يُقوِّي هذا الوجهَ.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ الخلافُ فيه كالخلافِ في الأوَّلِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: رأى الرَّبَّ سُبحانَه مرَّتَين[2].

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: رأى جبريلَ عليه السَّلامُ على صورتِه مرَّتَين؛ مرَّةً عند سدرةِ المُنتَهى، ومرَّةً بأجيادَ وقد سدَّ الأفقَ له ستُّ مئةِ جناحٍ[3].

ومعنى ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: مرَّةً أخرى، وتقديرُه: رآه نازلًا نزلةً أخرى، وكان أحدُ النُّزولَينِ الدُّنُوَّ، والآخرُ التَّدلِّيَ.

* * *

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣٠٦)، ورواه الترمذي (٣٢٧٨) عن عائشة رضي الله عنها. وقوله: «له ستُّ مئةِ جناحٍ» في «الصحيحين» عن ابن مسعود كما تقدم قريباً.

(١٤) - ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾.

﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ الجمهورُ على أنَّها شجرةُ النَّبْقِ.

ورَوَى أنسٌ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال في صفةِ ليلةِ المعراجِ: «ورُفِعَتْ لي سدرةٌ مُنتَهاها في السَّماءِ السَّابعةِ، نَبْقُها مثلُ قِلالِ هَجَرَ»(١).

وسُمِّيت سدرةَ المُنتَهى؛ لأنَّه ينتهِي إليها علمُ الخلائقِ وأعمالُهم، وإليها ينتَهي مَن فوقَها ويصعدُ إليها مَن تحتَها.

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: لـمَّا أُسرِيَ برسولِ الله ﷺ إلى سدرةِ المُنتَهى وهي في السَّماءِ السّابعةِ، وإليها ينتَهي ما يعرجُ منَ الأرواحِ فيُقبضُ منها، وإليها ينتَهي ما أُهبِطَ مِن فوقِها فيُقبَضُ منها(٢).

وقال ابنُ بحرٍ في «تفسيرِه»: هي الشَّجرةُ التي يقولُ الله فيها: ﴿إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وأَوَّلَ قولَه: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾؛ أي: نالوا الجنَّةَ منَ البيعةِ

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٧) عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم (١٧٣)، بلفظ: «لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، وإليها ينتهي ما عرج به من تحتها وإليها ينتهي ما أهبط به من فوقها حتى يقبض منها...».

ورواه بنحو ما ذكره المصنف بذكر السماء السابعة: ابن منده في «الإيمان» (٧٤١).

قال النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٢): «كذا هو في جميع الأصول (السادسة)، وقد تقدم في الروايات الأخر من حديث أنس أنها فوق السماء السابعة، قال القاضي (هو عياض): كونها في السابعة هو الأصح وقولُ الأكثرين، وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتُها بالمنتهى، قلت (القائل النووي): ويمكن أن يجمع بينهما، فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة، فقد علم أنها في نهايةٍ من العِظَم، وقد قال الخليل رحمه الله: هي سدرة في السماء السابعة قد أظلت السماوات والجنة».

التي جرَتْ عندها، ولمَّا بلغَ إلى قولِه: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ خلَطَ كلامَه[1]، وهذا تأويلٌ بعيدٌ غيرُ مرضيٍّ.

***

(١٥) ـ ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ ﴿ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾: مصدرٌ، تقديرُه: جنَّةُ الرُّجوعِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: جنَّةُ المأوى عن يمينِ العرشِ فيها أرواحُ الشُّهداءِ[2].

وقيل: هي التي كانَ فيها آدمُ صلواتُ الله عليه.

وقيل: هي الجنّةُ التي وُعِدَ المتَّقون.

***

(١٦) ـ ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾.

﴿إِذْ يَغْشَىٰ﴾؛ أي: رآه إذ يغشى ﴿ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ عن بعضِهم: يغشاها الملائكةُ.

وعن بعضِهم: يغشاها فَرَاشٌ من ذَهَبٍ.

وقيل: جَرادٌ من ذهبٍ.

وقيل: ملائكةٌ مثلُ الغِرْبانِ حينَ يقَعْنَ على الشَّجرِ.

وقيل: يغشاها النُّورُ[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٥)، وعده من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١١٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٦).

(٣) في «صحيح مسلم» (١٦٢) من حديث الإسراء الطويل عن أنس رضي الله عنه: «فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى».

وعن ابنِ عبَّاسٍ: يغشاها الرَّبُّ[1]، وأرادَ ابنُ عبَّاسٍ بذلك: نورَ الرَّبِّ تعالى.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: يغشاها لؤلؤٌ وياقوتٌ وزبرجَدٌ[2].

وإبهامُه يدلُّ على عِظَمِ قَدْرِه.

* * *

(١٧) ـ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾: ما مالَ محمَّدٌ[3] يمينًا وشمالًا، ولا جاوزَ الحدَّ قُدَّامًا.

وقيل: ﴿مَا زَاغَ﴾: ما قصَّرَ عن النَّظرِ إلى ما أُمِر به، ولا طغَى: ولا جاوَزَ ما لم يُؤمَرْ بالنَّظرِ إليه.

وقيل: ما زادَ وما نقصَ.

* * *

(١٨) ـ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ هي ما رأى ليلةَ المعراجِ، ويطولُ تعدادُها، ولا يدخلُ في هذه الآيةِ رُؤيةُ الله تعالى؛ لأنَّ آياتِ الله غيرُ الله.

و﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يجوزُ أن يكونَ المفعولَ؛ أي: لقد رأى الكُبرَى من آياتِ ربِّه، فتكونَ ﴿مِنْ﴾ للتَّبعيضِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢) بلفظ: «غشيها الله، فرأى محمد من آيات ربه الكبرى».

(٢) لم أقف عليه عن عائشة رضي الله عنها، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٢٧) عن مجاهد.

(٣) «محمد»: ليس في (ف).

ويجوزُ أن تكونَ صفةً للآياتِ، ومحلُّها جرٌّ، والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: آياتٍ من آياتِ ربِّه الكُبرى.

ويجوزُ أن تكونَ ﴿مِنۡ﴾ زيادةً، و﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ مفعولٌ، وزيادةُ (مِنْ) في الإثباتِ قليلٌ.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾.

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ ذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّها أسماءُ أصنامٍ كانت في الكعبةِ تعبُدُها العربُ.

وقيل: اللَّاتُ: بيتٌ بنخلةَ كانت قريشٌ تعبدُه، والعُزَّى: بيتٌ بالطَّائفِ تعبُدُه ثَقيفٌ.

قتادةُ: اللَّاتُ: بيتٌ ببطنِ نخلةَ(١)، ومناةُ: بيتٌ يعبُدُه بنو كعبٍ(٢).

قتادةُ: اللّاتُ: صنَمٌ بالطّائفِ(٣).

وقيل: كان رجلًا يلُتُّ السَّويقَ للحاجِّ، فلمَّا ماتَ عبَدوه(٤).

قال الكلبيُّ: اسمُه صِرْمةُ بنُ غَنْمٍ(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧) عن ابن زيد، وسيأتي قول قتادة في موضع اللات قريباً، أما قول قتادة: ببطن نخلة، فهو في العزى كما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٠) عن ابن زيد.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧ ـ ٤٨) عن مجاهد وابن عباس وأبي صالح.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١١٩)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٩).

وقيل: اسمُه عامرُ بنُ الظَّرِبِ[(١)].

قال مجاهدٌ: العُزَّى: شجرةٌ لغَطَفانَ يعبُدونَها، فبعثَ النَّبيُّ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ، فقطعَها وجعلَ يضربُها بالفأسِ، ويقولُ:

يـا عُـزُّ كُفرانَـكِ لا سُـبحانَكِ
إنِّـي رأيـتُ الله قـد أهانَـكِ

فخرجَتْ منه شيطانةٌ ناشرةٌ شعرَها، داعيةٌ ويلَها، واضعةٌ يدَها على رأسِها، فقتلَها، ثمَّ رجعَ إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ وأخبرَه بذلك، فقال: «تلك العُزَّى لن تُعبَدَ أبدًا»[(٢)].

الضَّحَّاكُ: هي صنَمٌ لغطفانَ، وضعَها لهم سعدُ بنُ ظالـمٍ الغطَفانيُّ[(٣)].

وقيل: حجَرٌ أبيضُ.

وأمّا مناةُ فكانت لخزاعةَ.

وفي اشتقاقِ (اللّاتِ) ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) رواه ابن المنذر عن ابن جريج، كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٣).

(٢) ذكره هكذا عن مجاهد الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١١٩)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٢).
ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٨٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٠٢) من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه بأخصر من هذا دون ذكر الرجز.
ورواه الواقدي في «المغازي» (٣/ ٨٧٣ ـ ٨٧٤)، ومن طريقه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٢٧) عن سعيد بن عمرو الهذلي، ورواه بنحوه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٩٨)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٢٠)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٣).

أحدُها: أنَّها من: لتَّ السَّويقَ، فخُفِّفَ، بدليلِ مَن قرأ: ﴿اللَّاتَّ﴾ بالتَّشديد[1].

والثَّاني: مـن لوَيْتُ على الشَّيءِ؛ إذا عكفْتَ عليه وعطَفْتَ إليه[2]، وكانوا يعكُفونَ على أصنامِهم، والتَّاءُ[3] فيه للتَّأنيثِ.

والثَّالثُ: أنَّهم أدخَلُوا الهاءَ على «الله»[4]، وهذا لا يصحُّ أو يُقالُ، فصارَ في الوقفِ «اللهه»، فاجتمَعَ هاءانِ، فحُذِفَ الأوَّلِ.

ورُوِيَ عن الكسائيِّ: أنَّه كان يقفُ عليها بالهاءِ وترقيقِ اللامِ[5].

وأما (العُزَّى) فمُشتقَّةٌ منَ العِزَّةِ في مُقابلةِ العزيزِ[6].

و(مناةُ) قُرِئ بالمدِّ والقصرِ[7]، واشتِقاقُها من مَناهُ يَمْنِيْه؛ إذا قطعَه، قيل: كانوا يذبحونَ عندَها القرابينَ، ومنه: مِنًى؛ لأن هناك تُذبَحُ المناسكُ.

وقولُه: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ تأكيدٌ؛ كـ﴿طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقيل: تقديرُه: ومناةَ الأُخرَى الثَّالثةَ، فقدَّمَ وأخَّرَ لفواصلِ الآيِ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ التَّقديرَ: اللَّاتَ الأولى والعُزَّى الأُخرَى ومناةَ الثَّالثةَ، فحذفَ (الأولى) استغناءً عنها، وأخَّر ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ الآيةَ[8].

---

(١) قرأ بها رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٩).

(٢) في (ن): «عليه».

(٣) في (ف): «والهاء».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٦)، وعده من العجائب.

(٥) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦٠)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٢).

(٦) أي: أنها مؤنث (العزيز).

(٧) قرأ ابن كثير: (مَناءة) بالمد والهمز، والباقون بالقصر. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٨) كأن المراد: أخّر كلمة ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ إلى الآية الثانية، والله أعلم، وقد ذكره المصنف في «غرائب =

وما رُوِيَ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ جرَى على لفظِه: تلك الغرانيقُ العُلى منها الشَّفاعةُ تُرتَجى، فقد أنكرَه بعضُ المُفسِّرين وقالَ: هذا من رواياتِ الملحدةِ.

وقال بعضُهم: كان ذلك من تلاوةِ الشَّيطانِ في أثناءِ قراءةِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ، وقد سبقَ في سورةِ (الحجِّ)(١).

مُجاهدٌ: كانَ قرآنًا فنُسِخَ؛ على تقديرِ الاستفهامِ، والمعنى: تلك الغرانيقُ العُلى بزَعْمِكم أَمِنْها الشَّفاعةُ تُرتَجى؟ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٦](٢)، والله أعلم.

* * *

(٢١) - ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ وذلك أنَّهم قالوا: إنَّها بناتُ الله كما قالوا: الملائكةُ بناتُ الله(٣).

وقيل: كانوا يقولون: قد استوطَنَتْها جنِّيَّاتٌ هُنَّ بناتُ الله، من قولِه: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨].

وقيل: زعَمُوا أنَّهم اتَّخذوها على هياكلِ الملائكةِ، فلهذا قالَ الله سبحانَه: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾.

والمفعولُ الثّاني لقولِه: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ قولُه: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾.

* * *

= التفسير» (٢/ ١١٥٥)، واستغربه.

(١) تقدم الكلام عن حادثة الغرانيق وردها في سورة (الحج) مفصلاً.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٦)، واستغربه.

(٣) «كما قالوا الملائكة بنات الله» من (ف).

(٢٢) ـ ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾.

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾: ناقِصةٌ منقوصةٌ، وقيل: عوجاءُ[1] مُخالفةٌ.

واشتقاقُها منَ الضَّيْزِ، وهو الجَورُ في القضيَّةِ، وزنُها عند النُّحاةِ: (فُعْلى) بالضَّمِّ؛ لأنَّ (فِعْلى) بالكسرِ لا يأتي وصفًا، ثمَّ كُسِرَ الفاءُ ليصحَّ الياءُ كما فُعِلَ في (بِيضٍ)[2]، ومثلُه: رجلٌ كِيْصَى؛ يأكلُ وحدَه، ومشيةٌ حِيْكَى.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿ضِئْزَى﴾ بالهمزِ[3]، وهما لغتانِ.

قال أبو عليٍّ: وهي على قراءتِه مصدرٌ كالذِّكرى، والتَّقديرُ: قسمةٌ ذاتُ ضِيْزَى. ويحتمِلُ على هذا أن يكونَ ﴿ضِيزَىٰ﴾ أيضًا (فِعْلَى) بالكسرِ مصدرًا كالذِّكرَى[4].

***

(٢٣) ـ ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾؛ أي: ما هذه التي تصِفون الأصنامَ والملائكةَ والجنَّ بها من أنَّها بناتُ الله، وأنَّها تستحقُّ العبادةَ، وأنَّها تَشفعُ لكم، إلا أسماءٌ وضَعْتُموها أنتم وآباؤُكم.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾؛ أي: ما أذِنَ لكم فيه، ولا أمرَكُم به، ولا أنزَلَ عليكم حجَّةً بوجوبِ[5] ذلك.

---

(١) في النسختين: «عوجاً»، وهو تحريف.

(٢) بعدها في (ن): «جمع بيضاء». وقوله: «كما فُعل في بيض»، قال في «الصحاح» مادة: (ب ي ض): «جمع الأبيض: بيضٌ، وأصله: «بُيْضٌ» بضم الباء، وإنما أبدلوا من الضمة كسرةً لتصح الياء».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٤).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٣٤).

(٥) في (ف): «توجب».

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾؛ أي: ظنُّوا ظنًّا باطلًا فاتَّبعوه فسكَنَتْ إليه نفوسُهم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾: الرَّسولُ والكتابُ، فتركوه ولـم يعمَلُوا به.

* * *

(٢٤ ـ ٢٦) ـ ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ ﴿أَمْ﴾ هـي المُنقطِعـةُ، والتَّقديـرُ: بل أللإنسـانِ[1] ـ يعني: الكافـرَ ـ مـا تمنَّـى مـنَ الشَّـفاعةِ؟ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ لا يملـكُ أحدٌ غيـرُه فيهما نفعًـا ولا ضرًّا.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا تُرجَى شفاعةُ الملائكةِ المُقرَّبين، فكيفَ يُرجَى شفاعةُ الأوثانِ؟

ابنُ جريرٍ وابنُ زيدٍ: معنى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾: اشتَهى محمَّدٌ النُّبوَّةَ والرِّسالةَ فأعطاه الله إيَّاها، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يُعطي مَن يشاءُ[2].

وقيل: معناه: ليس للكافرِ ما تمنَّى، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ يُعطي مَن أطاعَه.

وقيل: ﴿أَمْ﴾ هي المُتَّصلةُ، وتقديرُه: أَلَكُم الذَّكرُ وله الأُنثَى أم للإنسانِ ما تمنَّى منَ البنينِ؟ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: هو أجلُّ وأعظمُ؛ فإنَّ له الآخرةَ والأولى.

---

(١) في (ف): «أللإنسان» دون «بل»، وفي (ن): «بل للإنسان» دون الهمزة، والمثبت هو الصواب؛ أي: باجتماعهما. انظر: «الدر المصون» (١٠/ ٩٨)، وفيه: «وهي ﴿أَمْ﴾ المنقطعةُ، فتتقدَّر بـ(بل) والهمزةِ على الصحيح».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٦)، ورواه أيضًا عن ابن زيد.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ (كم) للتَّكثيرِ، ولهذا جمعَ ﴿شَفَٰعَتُهُمْ﴾، والمعنى: كثيرٌ منَ الملائكةِ في السَّماواتِ لا تُغني شفاعتُهم شيئًا.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وله وجهانِ:

أحدُهما: لمن يشاءُ منَ الشَّافعينَ.

والثّاني: لمَن يشاءُ منَ المشفوعِ لهم[1].

وكذلك قولُه: ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾؛ أي: عنِ الشّافعِ، والثّاني: يرضَى عنِ المشفوعِ له، وهذا أظهرُ؛ لقولِه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، والمعنى: عَبَدوا الملائكةَ بزُعمِهم لتُقرِّبَهم[2] إلى الله، وهم لا يشفَعون إلّا لمَن ارتَضَى.

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ يعني قولَهم: الملائكةُ بناتُ الله.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: بما يقولونَ من معرفةٍ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وهو تقليدُ الآباءِ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾: لا يقومُ مَقامَه. والحقُّ: العلمُ هاهنا.

وقيل: الحقُّ هو الله سبحانَه، والمعنى: لا يدفعُ[3] من عذابِ الله شيئًا.

* * *

---

(١) في (ف): «له».

(٢) في النسختين: «ليقربهم»، والصواب المثبت.

(٣) ضمير الفاعل يعود على الظن.

(٢٩) ـ ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾.

﴿ فَأَعۡرِضۡ ﴾: فاصفَحْ ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ ﴿عَن ذِكۡرِنَا﴾: القرآن، ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾؛ أي: لم يَسْعَ إلّا لها.

* * *

(٣٠) ـ ﴿ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم ﴾؛ أي: اختيارُهم الدُّنيا والرِّضا بها ﴿مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ مُنتَهى علمهم، وهو قليلٌ حقيرٌ.

وقيل: هو إشارةٌ إلى تسميةِ الملائكةِ إناثًا.

وقيل: علموا ما يحتاجونَ إليه في معاشِهم، ونبَذوا الآخرةَ وراءَ ظُهورِهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾: دينِه ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾: أصابَ، هذا مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿ فَأَعۡرِضۡ ﴾، والمعنى: كِلْهم إليَّ؛ فإنِّي مُجازٍ مُحسِنَهم ومُسيئَهم.

* * *

(٣١) ـ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ﴾ اللّامُ مُتّصلٌ بالمعنى؛ أي: مَلَكهُم ليجزيَ، واللّامُ في (لله) دلَّ على: مَلَكَهم.

وقيل: خلَقَها ليجزيَ.

وقيل: اللَّامُ لامُ العاقبةِ، وهو مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ الآية[١]؛ أي: كانَ عاقبةُ ذلك أن يُجازِيَهم على أعمالِـهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٧)، واستغربه.

﴿الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾؛ أي: بمثلِ عملِهم ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى﴾: بالأحسنِ منَ الأعمالِ، وقيل: بالجنَّةِ.

***

(٣٢) ـ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ الْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ﴾.

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ قيل: محلُّ ﴿الَّذِينَ﴾ نصبٌ على الصِّفةِ لـ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾.

وقيل: هم ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾.

﴿كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ﴾ قُرِئَ بالجمعِ؛ لأنَّ الكبائرَ كثيرٌ، وقُرِئَ بالواحدِ[1] لأنَّ (فَعِيلًا) قد يقعُ موقعَ الجمعِ، نحو: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

واختلَفوا في الكبائرِ:

فقيل: الكبائرُ: الشِّركُ، ﴿وَالْفَوَٰحِشَ﴾: المعاصيَ.

وقيل: كبائرُ الإثمِ: ما له حدٌّ في الدُّنيا، والفواحشُ: الزِّنى خاصَّةً.

وهذه الآيةُ مثلُ ما في سورةِ (النِّساء): ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآيةَ [النساء: ٣١]، وقولُه: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ بمنزلةِ قولِه: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، وهما الصَّغائرُ، وذلك مغفورٌ[2] بشرطِ اجتنابِ الكبائرِ.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بالواحد، والباقون: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾ بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٥)، و«التيسير» (ص: ١٩٥).

(٢) في (ن): «معفوٌّ».

وقيل: اللَّمَمُ: ما كانَ منهم في الجاهليَّةِ، وغُفِرَ[1] لهم ذلك بالإسلامِ.

وقيل: إلا أن يُلمَّ بالذَّنبِ ثمَّ يتوبَ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان رسولُ الله ﷺ يقولُ:

إنْ تغفـرِ اللهـمَّ تغفِـرْ جـمّا
وأيُّ عَبْـدٍ لـكَ لا ألمَّـا[2]

وقيل: هي كالنَّظرةِ واللَّمسةِ وغيرِهما ما لـم يكُنْ وَطْئًا، فقد رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «العينانِ تزنيانِ، واليدانِ تزنيانِ، والرِّجلانِ تزنيانِ، والفرجُ يُصدِّقُ ذلك أو يُكذِّبُ»[3].

وقيل: هو أن يَقرُبَ منه فلا يقعَ فيه.

وقيل: النَّظرةُ الأولى، فإنْ عادَ فليس بلممٍ.

وقيل: هو ما ألـمَّ[4] على القلبِ.

وقيل: هو ما لا حدَّ عليه في الدُّنيا، ولـم يوجبِ الله عليه العذابَ في الأُخرَى.

وقيل: اللَّممُ: النِّكاحُ[5].

---

(١) في (ن): «قد غفر».

(٢) رواه الترمذي (٣٢٨٤)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق».

(٣) رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) عن ابن عباس، قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة، فزنى العين النظر، وزنى اللسان المنطق، والنفس تَمنَّى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه».

(٤) «ألمَّ» ليس في (ن).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٧)، واستغربه.

قيل: نزلَتْ في نبهانَ التَّمَّارِ[1]، وقد مضى في سورةِ (آلِ عمرانَ).

وقيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: الواوِ؛ أي: واللَّمَمَ[2]، وهذا ضعيفٌ.

وفي الاستثناءِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه مُتَّصِلٌ.

والآخرُ: أنَّه منفصِلٌ منقطعٌ.

والإلمامُ: الإتيانُ على الشَّيءِ من غيرِ إقامةٍ عليه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾: يسَعُ جميعَ ذنوبِ العبادِ ولا يَضِيقُ عنها.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: واسعُ المغفرةِ لمَن فعلَ ذلك ثمَّ تابَ[3].

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: ابتدأكُم منها، يُريدُ: آدمَ عليه السَّلامُ.

﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾: جمعُ جنينٍ، وهو الولدُ ما دامَ في البطنِ.

﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾؛ أي: علِمَ ضعفَكُم ومَيلَكُم إلى اللَّمَمِ، وقيل: إلـمامَكم بذلك، فلم يأخُذْكم به.

وقيل: هو متصلٌ بما بعدَه؛ أي: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم﴾.

ومعنى ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: بما ليسَ فيها.

وقيل: بما فيها؛ ليكونَ أقربَ إلى الإخلاصِ، وأبعدَ منَ الرِّياءِ.

وقيل: معناه: لا تعمَلُوا بالمعاصي فتقولُوا: نحنُ عاملونَ بالطَّاعةِ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٦٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٧)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٦١ ـ ٦٢).

وقيل: لا يمدَحْ بعضُكم بعضًا.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ وبمَن لـم يتَّقِ منكم.

وفي سببِ النُّزولِ: كانت اليهودُ تقولُ إذا هلَكَ لهم صبيٌّ: هو صدِّيقٌ، فبلغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ فقال: «كذبتِ اليهودُ، ما من نسمةٍ يخلقُه الله في بطنِ أمِّه إلا وهو شقيٌّ أو سعيدٌ»، فأنزَلَ اللهُ: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية[1].

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ مجاهدٌ وابنُ زيدٍ وابنُ عبّاسٍ في روايةِ عطاءٍ ومُقاتلٌ: نزلَتْ في الوليدِ بنِ المُغيرةِ، وكان قد اتَّبعَ رسولَ الله ﷺ فعَيَّره بعضُ الكافرين وقالَ له: أتركْتَ دينَ الأشياخِ وضلَّلتَهم، وزعمْتَ أنَّهم في النّارِ؟ قال: إنِّي خشيتُ عذابَ الله، فضمِنَ له إنْ أعطاه شيئًا من مالِه ورجعَ إلى شركِه أن يتحمَّلَ عنه عذابَ الله، ففعلَ وأعطى الذي عاتبَه بعضَ ما كان ضمِنَ له، ثمَّ بخلَ ومنعَه، فأنزلَ الله هذه الآياتِ[2].

الضحاك: قدِمَ أعرابيٌّ على قَعودٍ له وهو يُنادي بأعلى صوتِه: مَن يشتَري

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٦٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٣٦٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٨) من حديث ثابت بن الحارث الأنصاري.

(٢) ذكره بهذا السياق الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٦٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥) من غير نسبة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٤٥ ـ ١٤٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٩) عن مجاهد وابن زيد، وذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٧٨) عن مقاتل.

حسناتي بصاعٍ من تمرٍ؟ فقالَ أبو خيثمةَ ـ وكان رجلًا صالحًا راغبًا في الخيراتِ ـ: أنا أشتَري حسناتِك بوَسْقٍ من تـمرٍ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[1].

وقيل: نزلَتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ[2].

وقيل: نزلَتْ في المنافقين، كانوا يُخرِجونَ القليلَ من أموالِـهم رياءً.

وعن ابنِ عبَّاسٍ والكلبيِّ والسُّدِّيِّ وابنِ شَريكٍ: أنَّها نزلت في رجلٍ من أكابرِ الصَّحابةِ؛ يُريدُ: عثمانَ بنَ عفَّانَ رضي الله عنه، قال الشَّيخُ رحمَه الله: فتحاشَيتُ عن ذكرِ ذلك، وقد عيَّنَه الثَّعلبيُّ[3]، ثمَّ فسَّرَ الآيةَ فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾: أعرضَ يومَ الأُحُدِ، وكم بينَ هذا وذلك؟! وما أقبحَ اتِّباعَ الهوى!!!

ومعنى ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: قطعَ العطاءَ، وأصلُه من قولِ العربِ: أَكْدَى الحافِرُ؛ أي: بلَغَ الكُدْيةَ، وهي حجرٌ صُلْبٌ لا يعملُ فيه المِعوَلُ، فيَتركُ الحفرَ، وصارَ مثلًا لكلِّ من منعَ خيرَه.

***

(٣٥) ـ ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾.

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أنَّ صاحبَه يتحمَّلُ عنه، وقيل: يَراه شاهدًا.

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٠٠) دون نسبة.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩١) عن الضحاك.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٨) عن ابن عباس، والسدي، والكلبي، والمسيب بن شريك من غير إسناد. قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥): «ذلك عندي باطل، وعثمان رضي الله عنه منزه عن مثله».

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾.

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ ﴾؛ أي: لـم يُخبَرْ ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ أي: التَّوراةِ ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾: ما أُنزِلَ عليه ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾؛ أي: وفَّى بما عاهدَ الله على القيامِ به، والتَّوفيةُ: بلوغُ آخرِ ما لزِمَه.

وقيل: وفَّى بالكلماتِ العشرِ.

وقيل: وفَّى في ذبحِ ولدِه، والصَّبرِ على نارِ نُمْرودَ، وعلى الاختتانِ.

وقيل: وفَّى بتبليغِ الرِّسالةِ.

وقيل: عهِدَ ألّا يسألَ أحدًا شيئًا، فوفَّى حينَ أتاه جبريلُ عليه السَّلامُ يومَ أُلقِيَ في النّارِ فقال له: ألكَ حاجةٌ؟ فقال: أمَّا إليك فلا، فأثنَى الله عليه فقال: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾.

والقولُ الأوَّلُ مُشتمِلٌ على هذه كلِّها.

وعن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه وفَّى عملَ يومِه بأربعِ ركعاتٍ أوَّلَ النَّهارِ(١)؛ يعني: صلاةَ الضُّحى.

ثمَّ بيَّن ما في صُحفِ موسى وإبراهيمَ فقال:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٩٧١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٥٣)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦٠) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والشيرازي في «الألقاب»، وضعفه.

قال الطبري: «لو صح عن رسول الله ﷺ لم نَعْدُ القول به إلى غيره، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت من أجله». وقال ابن كثير (٧/ ٤٦٣): «رواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف».

(٣٨) ـ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فهو بدلٌ من (ما) ومحلُّه جرٌّ.

وذُكِرَ في التَّفاسيرِ: أنَّه كانَ قبلَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ يُقتَلُ الأبُ بالابنِ، والأخُ بالأخِ، والرَّجلُ بزوجِه، والعبدُ بسيِّدِه، حتَّى جاء إبراهيمُ عليه السَّلامُ فأُوحِيَ إليه: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: لا يُؤاخَذُ أحدٌ بذنبِ غيرِه.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾؛ أي: وكان في صُحفِ موسى وإبراهيمَ عليهما السَّلامُ: أنْ ليسَ للإنسانِ إلّا ثوابُ ما عمِلَ من خيرٍ أو شرٍّ، وما عمِلَ غيرُه فليس له ولا عليه.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ منسوخٌ بقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١][1]، وقد سبقَ، ومَن يُصَّدَّقُ عنه أو يُصامُ له أو يُحجُّ عنه فذلك لاحقٌ به وإن لم يَأمُرْ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه لا ينفعُه إلّا أن يكونَ له فيه سعيٌ، فلا تناقُضَ بين قولِه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وبين قولِه: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١]؛ لأنَّ ذلك لسُنَّةٍ سنُّوها.

وقيل: لا تزِرُ طَوْعًا، بل تُحمَلُ كَرْهًا.

و﴿أَنْ﴾ في الآيتين مُخفَّفةٌ منَ المثقَّلةِ، واسمُها مُضمَرٌ معها.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٨٠)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٨٩).

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾.

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾؛ أي: يُريه الله جزاءَ سعيِه، ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾: الجنّةَ أو النّارَ، و(يُجزَى)[١]: الضَّميرُ المرفوعُ، والهاءُ يعودُ إلى السَّعيِ، و(الجزاءَ) نصبٌ على المصدرِ[٢].

* * *

(٤٢) ـ ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾.

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾: المصيرَ والمَعادَ.

وقيل: بلوغَ النِّهايةِ.

وقيل: يصيرُ إلى حيثُ لا ينفذُ فيه حكمٌ إلّا حكمُ الله تعالى.

وقيل: معناه: إذا انتهى الكلامُ إلى الله فأمسِكُوا، ومَن تعاطَى ذلك هلَكَ[٣].

* * *

(٤٣) ـ ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾: أضحكَ أهلَ الجنّةِ، وأبكَى أهلَ النّارِ.

وقيل: سَرَّ وأحزَنَ.

وقيل: أنعمَ بما يُوجِبُ الضَّحكَ، وابتَلى بما يُوجِبُ البكاءَ.

ابنُ بحرٍ: وأنَّه خلقَ القوَّتَين اللَّتَين منهما ينبعثُ الضَّحكُ والبكاءُ، والإنسانُ

---

(١) في (ف): «في النار».

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٨): «العجيب: الهاء عائد إلى المصدر والجزاء مفعول به».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٨)، واستغربه.

لا يعلمُ ما تلك القُوى[١]، والضَّحكُ والبكاءُ أمرانِ خَصَّ الله بهما الإنسانَ من بينِ الحيوانِ، وما نُسِبَ إلى القردِ منَ الضَّحكِ، وإلى الإبلِ من البكاءِ عند الحنينِ؛ فدَعوى لا حقيقةَ لها.

ابنُ عيسى: الضَّحِكُ تَفَتُّحُ أسرارَ الوجهِ عند سرورٍ وعجبٍ[٢] في القلبِ، والبكاءُ جرَيانُ الدَّمعِ على الخدِّ عن غمٍّ في القلبِ.

وما جاء في الخبرِ: أنَّ الله يضحكُ إلى عبدِه[٣]، فمعناه: يَرْضَى عنه.

وقيل: أضحَكَ الأرضَ بالنَّباتِ، وأبكى السَّماءَ بالمطرِ[٤]، وهذا استعارةٌ وتشبيهٌ لا حقيقةَ لها[٥].

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٨)، واستغربه.

(٢) في النسختين: «عجب» دون واو، والمثبت من «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٨).

(٣) ورد في ذلك عدة أحاديث، منها:

ما رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه في خبرِ آخر أهل النار دخولًا الجنة، وفيه: «فيقول الله: ويحك يا ابن آدم، ما أغدرك، أليس قد أَعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أُعطيت؟ فيقول: يا رب، لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله عز وجل منه، ثم يأذن له في دخول الجنة».

وما رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة»، فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «يقاتل هذا في سبيل الله عز وجل فيستشهد، ثم يتوب الله على القاتل، فيسلم، فيقاتل في سبيل الله عز وجل فيستشهد».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٨)، وعده من العجائب.

(٥) كذا في النسختين، وحذف «لها» أجود من إثباتها، والله أعلم.

(٤٤) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا﴾ الإحياءُ والإماتةُ بيدِ الله تعالى، لا يقدرُ عليهما غيرُ الله، والقتلُ نقضُ البِنيةِ التي تصِحُّ معها الحياةُ، ويفعلُه غيرُ الله، والتَّخنيقُ ضربٌ منَ القتلِ؛ لأنَّ من تمامِ البِنيةِ التَّنفُّسَ، فإذا حيلَ بينَه وبين الهواءِ فقد نُقِضَت البِنيةُ، والمعنى: أماتَ في الدُّنيا وأحيا في الآخرةِ[1].

وقيل: أماتَ الآباءَ وأحيا الأبناءَ.

وقيل: خَلَقَ الموتَ والحياةَ.

وقيل: خلقَ أسبابَ الموتِ والحياةِ.

وقيل: أنامَ وأيقظَ.

وقيل: أماتَ بالجهلِ، وأحيا بالعلمِ.

وقيل: بالمعصيةِ والطّاعةِ.

وقيل: أجدَبَ وأخصَبَ.

* * *

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾؛ أي: كلُّ ذكرٍ وأنثى مخلوقٌ من نُطفةٍ تُمنَى سوى آدمَ وحوَّاءَ وعيسى عليهم السَّلامُ.

والنُّطفةُ: الماءُ القليلُ، وصار يُستَعملُ لماءِ الفحلِ.

والمنيُّ: الفعيلُ منَ (المَنْي)، وهو التَّقديرُ، والإمناءُ: صَبُّ المنيِّ في

(١) «في الآخرة»: ليس في (ف).

الرَّحـمِ، فمعنـى ﴿تُمْنَىٰ﴾: تُصَـبُّ فـي الرَّحمِ، وقيـل: يُقدَّرُ منهـا الولـدَ؛ إذ ليسَ كلُّ منـيٍّ يصيـرُ ولدًا.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾: الإحياءَ بعدَ الموتِ، تقولُ: أنشأتُه نشأةً ونشاءةً، كقولِه: أَنْبَتَه نباتًا، وذُكِرَ بلفظِ (على) إيجابًا منه على نفسِه سُبحانَه إعادةَ الخلقِ للجزاءِ ثوابًا وعقابًا.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾؛ أي: ﴿أَغْنَىٰ﴾ بالذَّهبِ والفِضَّةِ وصُنوفِ الأموالِ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ بالنِّعمِ خاصَّةً، وهي: القُنْيةُ.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾ بما أعطى في الحالِ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: جعلَ له أصلَ مالٍ في الاستقبالِ، من قولِـهم: اقتَنَى مالًا: اتَّخذَه للإقامةِ.

وقيل: ﴿أقنَى﴾: أَخْدَمَ؛ أي: جَعَلَ له خدَمًا.

وقيل: ﴿أقنَى﴾: أَرْضَى.

وقيل: أفقَرَ؛ كقولِه: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦].

وقيل: أقنَعَ.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾: هي الشِّعْرَى العَبُورُ، تُسمَّى: مِرْزَمَ الجوزاءِ، وهما شِعْرَيانِ: الغُمَيصاءُ والعَبورُ[١]، والعَبُورُ أشدُّهما ضياءً، وخُصَّتْ بالذِّكرِ لأنَّ أبا كبشةَ أحدَ أجدادِ رسولِ الله من قِبَلِ أمِّه، قال: لا أرى شمسًا ولا قمرًا ولا نجمًا يقطعُ السَّماءَ عرضًا غيرَها، فليس شيءٌ مثلَها، فعبَدَها وعبدَتْها خُزاعَةُ، فخالَفُوا[٢] قُرَيشًا في عبادةِ الأوثانِ، وكانت قُريشٌ تُسمِّي محمَّدًا عليه السَّلامُ: ابنَ أبي كبشةَ[٣]؛ أي: نزَعَ إليه في مخالفةِ دينِنا كما خالفَ أبو كبشةَ، والمعنى: أنَّ الشِّعرى مربُوبٌ فاعبُدوا ربَّه.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ (أنَّ) في هذه الآياتِ كلِّها في محلِّ جرٍّ بدلًا من: ﴿ما في صُحُفِ مُوسَى﴾.

اختلَفُوا في ﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾:

فذهبَ بعضُهم إلى أنَّ ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ بمنزلةِ: القُرونِ الأولى.

الحسنُ: ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾؛ أي: قبلَكم[٤].

وقيل: ﴿عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾: هو عادُ إِرَم، ولـمَّا أُهلِكوا بقيَتْ منهم بقيَّةٌ يُقالُ لهم: بنو لُقَيمٍ، وكانوا بمكَّةَ عند أخوالِـهم العمالقةِ، وهم أولادُ عِمْليقَ بنِ لاوَذَ بنِ سامٍ، فلم يُصِبْهم يومئذٍ العذابُ، وبقُوا بعدَهم زمانًا، فسُمُّوا: عادًا الأخرى.

---

(١) «والعبور» ليس في (ن).

(٢) في (ف): «فخالف».

(٣) انظر: «شرح مشكل الآثار» للطحاوي (٢/ ١٨٤)، و«تفسير الثعلبي» (٢٥/ ١٧٤).

(٤) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧١٦)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٣٩٨).

وقيل: ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ قومُ هودٍ، والثَّانية[1]: ثمودُ؛ لأنَّهم مِن نَسْلِهم.

وقيل: ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ أُهلِكُوا بالرِّيحِ، والثّانيةُ قومُ هودٍ.

* * *

(٥١) ـ ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾.

﴿وَثَمُودَاْ﴾ عطفٌ على ﴿عَادًا﴾، ولا ينتصِبُ بقولِه: ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ لأنَّ ما بعد النَّفيِ لا يعملُ فيما قبلَه، ومفعولُ (ما أبقى): عادٌ وثمودُ جميعًا.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: أهلَكَ قومَ نوحٍ من قبلِ عادٍ وثمودَ.

﴿إِنَّهُمْ﴾: إنَّ قومَ نوحٍ ﴿كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ من عادٍ وثمودَ؛ لأنَّ نوحًا عليه السَّلامُ دعاهُم ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عامًا، فما آمنَ معه إلا قليلٌ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ يُريدُ: قريةَ قومِ لوطٍ، واسمُها سَدُومُ، ائتفكَتْ بأهلِها؛ أي: انقلَبَتْ.

والفقيهُ أبو اللَّيثِ رحمَه الله فسَّرَها بالمُكذِّبةِ، منَ الإفكِ[2]، وفيه بُعدٌ.

﴿أَهْوَىٰ﴾: أهوَاها لها جبريلُ؛ أي: رفعَها ثمَّ قلبَها.

وقيل: أهواها: جعَلَها تهوي.

---

(١) في النسختين: «الثاني»، والتصويب من «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٩).

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٣٦٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٩)، وعده من العجائب.

وقيل: قلبَها في موضعِها فهَوَتْ خَسْفًا.

وقيل: ألِفُ ﴿أَهْوَىٰ﴾ للتَّفضيلِ؛ أي: أكثرَ ممَّن تقدَّمَ ذكرُهم عمَلًا بالهَوَى، حكاه الماورديُّ(١).

وهذا القائلُ حملَه على قولِه: ﴿أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾، وذلك للتَّفضيلِ لا غيرُ، وتكونُ ﴿المؤتفكة﴾ نصبًا بـ﴿أَهْلَكَ﴾، و﴿أَهْوَىٰ﴾ في محلِّ نصبٍ بخبرِ (كان)؛ أي: والمؤتفكةَ كانوا أَهْوَى، والمُرادُ: أهلُ المُؤتفكةِ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿أَهْوَىٰ﴾ حالًا.

* * *

(٥٤) ـ ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾: أصابَها، وقيل: ألبَسَها، وقيل: عمَّها.

وأَبْهمَ ليكونَ أوقعَ في القلوبِ.

وقيل: هو العذابُ.

وقيل: الحجارةُ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾: تشُكُّ أيُّها المُخاطَبُ: بما أولاكَ منَ النِّعمِ، أو بما كفاكَ منَ النِّقمِ؟

وقيل: بأيِّ نِعَمِ ربِّك الدّالَّةِ على وحدانيَّته تَشكُّ؟

وقيل: لـم يُعذِّبْ أمَّةَ محمَّدٍ ﷺ بواحدةٍ من هذه النِّقَمِ، فهي نِعمةٌ عليهم.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٦)، وعده المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٥٩) من العجائب.

(٥٦) ـ ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾؛ أي: من جنسِ النُّذُرِ الأولى، والمعنى: يُنذِرُ بما أَنذَروا به.

وقيل: ﴿هَٰذَا﴾ الكتابُ ﴿نَذِيرٌ مِّنَ﴾ جنسِ الكتُبِ المُتقدِّمةِ.

وقيل: ما تقدَّمَ من ذكرِ العذابِ ﴿نَذِيرٌ مِّنَ﴾ جنسِ ﴿ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾.

والنَّذيرُ يأتي بمعنى: المُنذِرِ، وبمعنى: المُنذَرِ به.

وقيل: ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ في اللَّوحِ المحفوظِ.

* * *

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾.

﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾: دنَتِ القيامةُ ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾: لا يكشِفُ وقتَها ولا يُزيلَ غطاءَها أحدٌ دونَ الله، فإنَّه لـم يطَّلِعْ على وقتِها ملَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَلٌ.

وقيل: إذا وقعَتْ شدائدُ القيامةِ وعذابُها لا يكشفُها أحدٌ دونَ الله؛ فإنَّه يكشِفُها من المؤمنين.

والهاءُ في ﴿كَاشِفَةٌ﴾ قيل: للمُبالغةِ.

وقيل: نفسٌ كاشفةٌ.

وقيل: مصدرٌ كالطّاغيةِ والكاذبةِ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآنَ ﴿تَعْجَبُونَ﴾؛ أي: تعجَبُونَ أنَّ محمَّدًا أتاكم نبيًّا يتلو عليكم كتابًا؛ كقولِه: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآيةَ [يونس: ٢].

(٦٠) ـ ﴿وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ﴾.

﴿وَتَضۡحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبۡكُونَ﴾ تحزُّنًا أن ينالَكُم مثلُ ما نالَ مَن تقدَّمَ ذِكرُهم.

***

(٦١) ـ ﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾.

﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ﴾: غافِلونَ لاهونَ لاعِبونَ مُستكبِرونَ.

مجاهدٌ: كانوا يمُرُّونَ بالنَّبيِّ ﷺ غِضابًا مُبَرْطِمينَ[١]. والبَرْطَمةُ: الإعراضُ.

ابنُ عبَّاسٍ وعِكرمةُ: السُّمُودُ: الغِناءُ، وكانوا إذا سمِعُوا القرآنَ عارَضوه بالغناءِ؛ لِيَشغَلوا النّاسَ عن استماعِه[٢].

الكلبيُّ: مُقيمون[٣].

ورُوِيَ أنَّ عليًّا كرَّمَ الله وجهَه ورضي عنه خرجَ إلى الصَّلاةِ فرأى النّاسَ قيامًا فقال: مالي أراكُم سامِدين[٤]؟ وكانوا يكرهُونَ أن يقومُوا للصَّلاةِ[٥] قبل الإمامِ.

***

(٦٢) ـ ﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ﴾.

﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ﴾؛ أي: صلُّوا لله ووحِّدُوه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٩٨).

(٢) رواه من طريق عكرمة عن ابن عباس: عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٥١)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٣٧٣)، و«فضائل القرآن» (ص: ٣٤٢)، والبزار في «مسنده» (٤٧٢٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٩٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٢٣).

(٣) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٨٠) عن الكلبي أن السامد الحزين بلسان طيء، وبلسان أهل اليمن الملاهي.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٣٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٠٩٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٠)، والطحاوي في «مشكل الأثار» (١٠/ ٣٩٥).

(٥) في (ف): «إلى الصلاة».

وقيل: هي سجدةُ التِّلاوةِ، ولـمَّا قرأ رسولُ الله سجَدَ، وسجَدَ معهُ المؤمنونَ والمُشرِكونَ والجِنُّ[1]. والله أعلَمُ.

* * *

(١) رواه البخاري (٤٨٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وجاء في هامش (ن): «قالَ: إنَّما سجَدَ المُشركونَ لأنَّهم سمِعُوا ذكرَ إلهِهم، وذلك قولُه: تلك الغَرانيقُ العُلى، ولا تجوزُ سجدةُ التِّلاوةِ بغيرِ الوضوءِ بالمذهبَين، وعلى مذهبِ أبي حنيفةَ يجبُ قضاؤُه بعد فوتِه».

سُورَةُ القَمَرِ

سُورَةُ القَمَر

خمسٌ وخمسونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها مدَنيَّةٌ[2].

وعن مُقاتلٍ: أنَّها مكِّيَّةٌ إلّا ثلاثَ آياتٍ من قولِه: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥][3].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾.

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ في سببِ النُّزولِ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فقالَتْ قريشٌ: هذا سحرُ ابنِ أبي كبْشةَ، فاسألوا السُّفَّارَ، فسألوهم فقالوا: نعم، قد رأيناه، فأنزَلَ الله هذه الآياتِ[4].

---

(١) «خمس وخمسون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٨١) عن الحسن.

(٣) ذكره عن مقاتل ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩٦)، لكنه قال: إلا ثلاث آيات أوّلها: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَرُّ﴾ [الآيات: ٤٤ ـ ٤٦]. وذكر عنه قولاً آخر وهو: الاقتصار على الآية (٤٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٦)، ورواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٩٣) دون ذكر نزول الآيات، ورواه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (١٨٠٠) بلفظ: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا».

وفي التَّفسيرِ: سألَ أهلُ مكَّةَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ آيةً فانشَقَّ القمرُ بمكّةَ مرَّتَينِ[١].

ابنُ عبّاسٍ: انشَقَّ شقَّتَينِ حتّى رآه النّاسُ[٢].

وقالتِ اليهودُ: سُحِرَ القمرُ[٣]، وعلى هذا جُلُّ المُفسِّرين.

ورواه البخاريُّ والمسلمُ رحمَهما الله في «صحيحَيهما»[٤].

وذهبَ قومٌ إلى أنَّ هذا ممَّا يكونُ في القيامةِ؛ لقولِه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١].

منهم الحسنُ فقالَ: لو انشَقَّ ما بقي أحدٌ إلا رآه؛ لأنَّه آيةٌ، والنَّاسُ في الآياتِ سواءٌ[٥].

ومنهم عليُّ بنُ عطاءٍ قال: سينشقُّ القمرُ[٦].

وذهبَ ابنُ بحرٍ إلى أنَّ انشقاقَ القمرِ عبارةٌ عن وضوحِ أمرِ النَّبيِّ ﷺ وصحَّةِ

---

(١) رواه الترمذي في «تفسيره» (٣٢٨٦) عن أنس رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) رواه البخاري (٣٦٣٨)، ومسلم (٢٨٠٣).

(٣) لم أقف عليه من قول اليهود، وتقدمت الرواية فيه من قول قريش.

(٤) تقدم قريباً.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦١)، وعده من الغريب بل العجيب.

قلت: ويرده روايات «الصحيحين» التي صرحت بانشقاق القمر ورؤيته، ولا يستلزم ذلك أن يراه جميع الناس، وخصوصاً أنه وقع ليلاً في وقت يكون فيه أكثر الناس نياماً. ولعله لا يصح عن الحسن أو غيره من السلف.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٩٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٠٧) عن عثمان بن عطاء عن أبيه. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩٧) وقال: «وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع، ولأن قوله: ﴿وَٱنشَقَّ﴾ لفظ ماض، وحملُ لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك موجودًا، وفي قوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ﴾ دليل على أنه قد كان ذلك».

الإسلامِ، قال: وهذا كقولِـهم للشَّيءِ المعروفِ المشهورِ: ابنُ جَلا، وهو القمرُ(١).

وهذانِ القولانِ خلافُ الإجماعِ، وخلافُ النَّصِّ أيضًا؛ فإنَّ قولَه سبحانَه: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ لا يُمكِنُ حملُه على القيامةِ بإجماعٍ.

وقُرِئَ: (اقتربتِ السّاعةُ وقد انشَقَّ القمرُ)(٢).

وقيل: تقديرُه: انشَقَّ القمرُ فاقترَبَتِ السّاعةُ(٣).

ومعنى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾: دَنَتْ دُنوًّا قريبًا؛ لأنَّ في (اقترَبَ) منَ المُبالغةِ ما ليس في (قَرُبَ)، وكذلك (اقتدَرَ)؛ لأنَّ أصلَ (افتعَلَ) طلبُ إعدادِ الشَّيءِ بالمُبالغةِ فيه.

و﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامةُ، ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾، وكان ليلةَ بدرٍ، قال أنسٌ رضي الله عنه: فصارَ فلقتَينِ حتَّى رأينا حراءَ بينَهما، وقال لنا رسولُ الله ﷺ: «اشهَدُوا»(٤).

***

(٢) ـ ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾ تُوجِبُ العلمَ اليقينَ ﴿يُعْرِضُوا۟﴾ عن الإيمانِ بها كما أعرَضُوا

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦١)، وعده من العجائب.

(٢) نسبت لحذيفة رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦١)، واستغربه.

(٤) هذا السياق فيه خلل، فأنس لم يشهد هذه الحادثة، وقد روى البخاري (٣٨٦٨) عن أنس رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما». ورواه البخاري (٤٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: «انشق القمر فرقتين». وقول النبي ﷺ فيه: «اشهدوا» ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه كما رواه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

عن انشقاقِ القمرِ، وقيل: إنَّه عامٌّ. ﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: مُحكَمٌ شديدٌ صاحبُه حاذِقٌ، منَ المِرَّةِ؛ تقولُ: أمرَرْتُه فاستَمَرَّ: أحكَمْتُه فاستَحْكَمَ.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: باطلٌ ذاهبٌ، منَ المُرورِ.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: يُشبِهُ بعضُه بعضًا، من قولِهم: مُطَّرِدٌ مُستمِرٌّ[1].

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: دائمٌ استمرَّ منَ الأرضِ إلى السَّماءِ حتَّى سحرَ القمرَ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾.

﴿وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَآءَهُمْ﴾: ما مالَتْ إليه طباعُهم دونَ الحقِّ الواضحِ، وهما عطفٌ على ﴿يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ﴾، ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾؛ أي: كلُّ مُنتهٍ إلى غايةٍ؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا انتهى إلى غايتِه استقرَّ وثبتَ.

وقيل: مُستقرٌّ في الآخرةِ.

وقيل: مُستقرٌّ خيرُه وشرُّه لأهلِه.

وقيل: معناه: المقدورُ كائنٌ لا محالةَ.

* * *

(٤) ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ الْأَنبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾: جاء أهلَ مكَّةَ في القرآنِ ﴿مِّنَ الْأَنبَآءِ﴾: أخبارِ الأممِ السّالفةِ ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: ازدِجارٌ عن الكفرِ والمعاصي، تقولُ: زجَرْتُه وازدَجَرْتُه إذا نهَيتَه، وتاءُ الافتعالِ مع الزَّايِ والذَّالِ تصيرُ دالًا[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٢)، واستغربه.

(٢) وكذلك مع الدال. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٥/ ٤٤٣)، و«المفتاح» للجرجاني (ص: ٩٨).

(٥) ـ ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾.

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ بدلٌ من ﴿مَا فِيهِ﴾.

وقيل: هو حكمةٌ بالغةٌ؛ أي: القرآنُ حكمةٌ تامَّةٌ في الزَّجرِ.

وقيل: ﴿بَالِغَةٌ﴾: لا خلَلَ فيها ولا فسادَ.

وقيل: بالغةٌ منَ الله إليكم.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يجوزُ أن تكونَ (ما) نفيًا، ويجوزُ أن تكونَ استفهامًا ومحلُّه نصبٌ بـ﴿تُغْنِ﴾.

و﴿ٱلنُّذُرُ﴾: جمعُ نذيرٍ، وهو الرُّسلُ[1].

وقيل: النَّذيرُ: المُنذَرُ منه.

وقيل: ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: مصدرٌ بمعنى: الإنذارِ.

* * *

(٦) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فقد أدَّيتَ الرِّسالةَ، ودَعْني وإيَّاهم، وهذا تهديدٌ.

وقيل: تولَّ عنهم إلى أن تُؤمَرَ بالقتالِ، وتمَّ الكلامُ.

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ قيل: هو إسرافيلُ عليه السَّلامُ.

﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ قُرِئَ: بالضَّمِّ والسُّكونِ[2]، والأصلُ الضَّمُّ، و(فُعُلٌ) في الوصفِ قليلٌ، حكَى سيبويهِ: «ناقةٌ أُجُدٌ»[3].

---

(١) كذا في النسختين، والجادة: «وهو الرسول».

(٢) قرأ ابن كثير بسكون الكاف، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٥).

(٣) انظر: «الكتاب» (٤/ ٢٤٤)، وقال أبو سعيد السيرافي في «شرح الكتاب» (٥/ ١٤٠): «الأجد: =

والمعنى: فظيعٌ هائلٌ لـم يرَوا مثلَه، فيُنكِرونَه استعظامًا له.

واختلفُوا في عاملِ ﴿يَوْمَ يَـدْعُ﴾ فقيلَ: (اذكُرْ) فيكونُ مفعولًا به لا ظرفًا.

وقيل: العاملُ فيه ﴿يَخْرُجُونَ﴾.

وقيل: تقديرُه: فتوَلَّ عنهم إلى يومِ يدعُ الدَّاعي، ولا تشفعْ لهم، كما تولَّوا عنكَ في الدُّنيا.

وقيل: انشَقَّ القمرُ يومَ يدعُ[1]، وهذا على قولِ مَن قالَ: سينشَقُّ.

***

(٧) ـ ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ﴾: ذليلةً خاضعةً عند رُؤيةِ العذابِ، وأضافَ إلى البصرِ لأنَّ ذِلَّةَ الذَّليلِ وعِزَّةَ العزيزِ تتبيَّنُ في نظرِه.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: منَ القبورِ، جمعُ (جَدَثٍ) و(جَدَفٍ) فإذا جمعْتَ قلتَ: (أجداثٌ) بالثَّاءِ لا غيرُ.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ في كثرتِهم وتفرُّقِهم في كلِّ جهةٍ.

***

(٨) ـ ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾: مُسرِعين قِبَلَه لانقيادِهم وذلِّـهم، ولأنْ لا يجدوا ملجأً.

= الشديد الخلق، يقال: ناقة أجد؛ إذا كانت كذلك». وفي «إصلاح المنطق» (ص: ٢١٨): «ناقَةٌ أُجُدٌ: قوية مُوْثَقة الخَلْق». وفي «العين» (٦/ ١٦٧): «وهي التي فَقَارُ ظهرها متَّصل كأنّه عظمٌ واحد».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٢)، وعده من العجائب، وقال: «وهو بعيد فاسد».

وقيل: ناظرينَ لا يُقلِعون أبصارَهم.

وقيل: يُسرِعون بنظرِهم قِبَلَ داعيهم.

وقيل: مادِّي أعناقِهم نحوَه.

وقيل: قابضينَ ما بين أعيُنِهم.

وقيل: مائلينَ[1] آذانهم إلى قولِ الدَّاعي. حكاهما الماورديُّ[2].

﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: صعبٌ شديدٌ، مثلُه: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩ ـ ١٠].

* * *

(٩) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؛ أي: قبلَ قومِكَ ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحًا، والمعنى: كذَّبَتْ قومُ نوحٍ بآياتِنا فكذَّبُوا رسلَنا لأجلِ ذلك، فعطفَ بالفاءِ لأنَّ الثَّانيَ ظهرَ منَ الأوَّلِ.

﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾؛ أي: هو مجنونٌ ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾: زُجِرَ عن أداءِ الرِّسالةِ بالشَّتمِ، وهُدِّدَ بالقتلِ.

مجاهدٌ: استُطِيرَ جُنونًا[3].

* * *

(١) في «النكت والعيون»: «فاتحين».

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٤١١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢١٣).

(١٠) ـ ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾.

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى ﴾: بأني ﴿مَغْلُوبٌ ﴾: لا يُمكِنُني مُقاومتُهم إلّا بنصرِك ﴿فَٱنتَصِرْ ﴾: فانْتَقِمْ لي منهم.

* * *

(١١) ـ ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾.

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: فُتِحَت رِتاجُها.

ابنُ عيسى: فتحُ أبوابِها: إجراؤُه منَ السَّماءِ كجرَيانِه إذا فُتِحَ عنه بابٌ كانَ مانعًا له[1].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: فُتِحَتِ السَّماءُ منَ المجرَّةِ، وهي شَرَجُ السَّماءِ[2].

﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾: مُنصَبٍّ انصبابًا شديدًا كما يسيلُ من أفواهِ القِرَبِ.

وقيل: مُتدفِّقٍ سريعِ الانصبابِ.

وقيل: بماءٍ سائلٍ خارجٍ عن طريقِ المُعتادِ لـم ينقطعْ أربعينَ ليلةً، ولـم يكن قطراتٍ.

* * *

(١٢) ـ ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾.

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾: فشقَقْنا الأرضَ عنِ الماء عيونًا تنبعُ منها، فصارت

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٣) دون نسبة، واستغربه.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٩٧). وجاء في هامش (ن) عند كلمة «شرج»: «طريق».

الأرضُ كلُّها كالعيونِ، والعينُ: ما يفورُ منَ الأرضِ مُستديرًا كاستدارةِ عينِ الحيوانِ.

وهي نصبٌ على التَّمييزِ.

ويجوزُ: وفجَّرْنا في الأرضِ عيونًا؛ فيكونُ مفعولًا به، و﴿ٱلْأَرْضَ﴾ نصبٌ على الظَّرفِ بعد حذفِ الجارِّ.

وقيل: بعيونٍ، فحُذِفَ الجارُّ.

وقيل: ﴿عُيُونًا﴾ نصبٌ على الحالِ.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾ يعني: ماءَ الأرضِ وماءَ السَّماءِ، فسَدَّ اسمُ الجنسِ مسدَّ التَّثنيةِ؛ لأنَّه النِّهايةُ هاهنا، وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالتَّثنيةِ[1]، وهو: (ماءانِ على أمرٍ)[2].

﴿قَدْ قُدِرَ﴾: قَدَرَه الله وقضاهُ لإهلاكِ الكفَّارِ.

وقيل: قُدِرَ في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: قُدِرَ ماءُ الأرضِ على مقدارِ ماءِ السَّماءِ.

وقيل: على ما قَدَرَه الله تعالى لا زيادةً ولا نُقصانًا.

وقيل: على أمرٍ قد عرفَ الله تعالى مقدارَه ومبلغَه.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ يعني: نوحًا عليه السَّلامُ ومَن آمنَ معه ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾: وهي

---

(١) أي: (فالتقى الماءان) نسبت للجحدري ومحمد بن كعب. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨).

(٢) «وهو: ماءان على أمر»: ليس في (ف).

الخشباتُ العريضةُ، ﴿وَدُسُرٍ﴾: هي المساميرُ والشُّرُطُ التي تُشَدُّ[١] بها ألواحُ السفينةِ، واحدُها: دِسارٌ.

قال المُفسِّرون: هذه عبارةٌ وحكايةٌ عنِ السَّفينةِ.

ويحتمِلُ: على سفينةٍ ذاتِ ألواحٍ كثيرةٍ ودُسُرٍ كثيرةٍ؛ أي: عظيمةٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: (دُسُرٌ): كَلْكَلُ السَّفينةِ وصَدْرُها[٢].

مجاهد: عوارِضُها[٣].

الضَّحَّاكُ: طرَفاها[٤].

ويحتمِلُ أنَّه مصدرٌ ـ كالشُّغُلِ ـ بمعنَى: الدَّسْرِ، وهو الدَّفعُ؛ أي: ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾؛ أي: تَدْسرُ الماءَ دَسْرًا[٥]، من قولِه ﷺ في العنبرِ: «إنَّ ذلك شيءٌ دَسَرَه البحرُ»[٦]؛ أي: دَفَعَه ورَماه.

* * *

---

(١) في (ف): «يسد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٢٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٢٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٢٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٢).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٤) واستغربه.

(٦) لم أقف عليه مرفوعًا، وذكره البخاري قبل حديث (١٤٩٨) معلقًا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «ليس العنبر بركاز هو شيء دسره البحر»، ووصله الشافعي في «الأم» (٢/ ٤٥)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٦٩٧٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٠٥٨).

(١٤) ـ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأًى منَّا وحفظٍ، والباءُ للحالِ؛ أي: محفوظةً بنا[١].

وقيل: بأعيُنِ ملائكتِنا الحَفَظَةِ، فحُذِفَ المُضافُ[٢].

وقيل: بأعينِ المياهِ التي فجَّرْنا الأرضَ عيونًا، فتكونُ الباءُ للظَّرفِ[٣].

مقاتل: بوحيِنا[٤].

وقيل: بإذنِنا.

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ (مَن) كنايةٌ عن نوحٍ عليه السَّلامُ، وتقديرُه: كُفِرَ به، قال الكسائيُّ: (كَفَرْتُه) و(كَفَرْتُ به) لغتانِ[٥].

مجاهدٌ: كنايةٌ عن الله[٦].

ابنُ عبَّاسٍ: انتصَرَ لنفسِه[٧].

الفرَّاءُ: جزاءً لكفرِهم، و﴿مَن﴾ بمعنى (ما) للمصدر[٨].

---

(١) في (ف): «منا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٤)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٤)، وعده من العجائب.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٨١).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٨٩) بلا نسبة.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٦).

(٧) هذا القول وقول مجاهدٍ واحد كما أفاد ابنُ عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٥) حيث قال: «قال ابن عباس ومجاهد: (مَن) يراد بها الله تعالى؛ كأنه قال: غضباً وانتصاراً لله، أي: انتصر لنفسه، فأنجى المؤمنين وأغرق الكافرين».

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٧)، وفيه: «﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جحد. يقول: فعلنا به وبهم ما فعلنا جزاء لما صنع بنوح وأصحابه، فقال: ﴿لِمَن﴾ يريد: القوم، وفيه معنى: (ما)، ألا ترى =

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كَفَرَ) بفتحتَينِ[١].

* * *

(١٥) ـ ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ يعني: سفينةَ نوحٍ، وكانت باقيةً حتَّى رآها أوائلُ هذه الأمّةِ[٢].

وقيل: ترَكْنا حديثَها.

وقيل: ترَكْنا أمثالَها منَ السُّفنِ.

وقيل: ترَكْنا تلك الفعلةَ وتلك العقوبةَ.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: مُتَّعِظٍ يتَّعِظُ ويَعْتبِرُ.

وقيل: معناها: هل من طالبِ خيرٍ فيُعَانَ عليه؟

وأصلُه: (اذْدكَرَ): افتعَلَ منَ (الذِّكرِ) كما سبقَ، فأُدغِمَ الذَّالُ في الدَّالِ فصارَ دالًا.

* * *

(١٦) ـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ استفهامُ تعظيمٍ لِمَا مضَى، وتخويفٍ لمَن يُؤمِنُ

= أنك تقول: غرقوا لنوح ولما صُنع بنوح، والمعنى واحد»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٤)، واستغربه.

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٩٨).

(٢) هو قول قتادةَ قال: أبقاهَا الله بأرضِ الجزيرةِ ـ وقيل: على الجُودِيِّ ـ دهراً طويلًا، حتَّى نظرَ إليها أوائلُ هذه الأمَّةِ. رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦٢) بالرواية الثانية، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٨) بالروايتين.

بمحمَّـدٍ عليـه السَّـلامُ، والنُّذُرُ: اسـمٌ مـنَ الإنذارِ.

وقيل: جمعُ نذيرٍ؛ أي: وكيف كانَ حالُ نُذُرِي؟

وكُرِّرَ لأنَّ كلَّ واحدٍ وقعَ مع قصَّةٍ أخرى، فلم يكُنْ تكرارًا في المعنَى.

***

(١٧) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾: هوَّنَّاه وسهَّلْنا قراءتَه وتلاوتَه، ولولا ذلك ما أطاقَ العبادُ أن يتكلَّموا بكلامِ الله تعالى.

وقيل: يسَّرْناه للحفظِ حتَّى يحفظَه الصَّبيُّ والكبيرُ، والعربيُّ والعجميُّ، والأُمِّيُّ والبليغُ، وسائرُ كتبِ الله تعالى يقرؤونَها نظرًا، ولا يحفظُها عن آخرِها أحدٌ حِفظًا.

وقيل: يسَّرْنا استنباطَ معانيه وسهَّلْنا علمَ ما فيه.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ يتذكَّرُ ما فيه؟ وهل من طالبِ علمٍ فيُعَانَ عليه؟ وهذا حثٌّ على الذِّكرِ؛ لأنَّه طريقُ العلمِ.

ثمَّ ختمَ قصَّةَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ولوطٍ به؛ لِـمَا في كلِّ واحدٍ منها منَ التَّخويفِ والتَّحذيرِ وبدائعِ ما حلَّ بهم، فيتَّعِظُ به تالي القرآنِ وحافظُه، ومَن يستنبطُ معانيَه، ويعِظُ غيرَه به. والله أعلم.

***

(١٨) ـ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ سبقَ في سورةِ (النَّجمِ).

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾: ألـم يكُنْ مُبيرًا مُهلِكًا؟ ألـم يكُنْ حقًّا صِدْقًا؟!

***

(١٩) ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾: باردةً ذاتَ هُبوبٍ.

المُبرِّدُ: ﴿صَرۡصَرٗا﴾: شديدَ الصَّوتِ، قال الشّاعرُ:

كما صَرْصَـرَ العُصفُورُ في الرُّطَـبِ الثَّعْدِ[١]

﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾: مشؤومٍ دائمِ الشُّؤمِ.

وقيل: ﴿نَحۡسٖ﴾: باردٍ، قال الشّاعرُ:

وَلَيلَـةِ نحـسٍ يصطَلـي القَـوسَ رَبُّها وأقـطُـعَـه اللَّاتــي بـهــا يتَنَبَّـلُ[٢]

﴿مُّسۡتَمِرّٖ﴾: دائمٍ على مرورِ ساعاتِه.

وقيل: استمرَّ عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيّامٍ.

وقيل: استمرَّ بهم العذابُ إلى نارِ جهنَّمَ.

وقيل: ﴿مُّسۡتَمِرّٖ﴾: شديدٍ ماضٍ على الصَّغيرِ والكبيرِ، لـم يُبقِ منهم أحداً، وكان يومَ الأربعاءِ آخرَ الشَّهرِ[٣].

* * *

(١) عجز بيت ورد بلا نسبة في «الكامل» (١/ ١٧٩)، و«المحكم» (٢/ ٤)، و«لسان العرب» مادة: (ث ع د)، و«خزانة الأدب» (٦/ ٢٨١)، وصدره:

لَشَـتَّانَ مَـا بَينـي وَبَيـن رُعِاتهـا

الثَّعْدُ: ما لان من البُسْر. وقوله: «صرصر العصفور» قال المبرد: «أحسبه مستعاراً؛ لأن الأصل فيه أن يستعمل في الجوارح من الطير».

(٢) البيت للشنفرى. انظر: «ديوانه» (ص: ٦٩)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤١٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٥)، واستغربه.

(٢٠) ـ ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: تَقْلَعُهم وترمِي بهم على رُؤوسِهم فتَدُقُّ رقابَهم.

وقيل: كانوا استَتَروا عن الرِّيحِ بحُفَرٍ حفَرُوهَا وتغَطَّوا فيها، فنَزَعَتْهم الرِّيحُ من تلك الحفَرِ وصرعَتْهُم مَوتى.

﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ هذا واقعٌ موقعَ الحالِ.

ابنُ عبَّاسٍ: أصولُ نخلٍ[1].

وقيل: أوراكُ نخلٍ، جمعُ عجُزٍ؛ لأنَّ الرِّيحَ كانت تُبينُ رؤوسَهم عن أجسادِهم فيبقى[2] بلا رأسٍ.

﴿مُّنقَعِرٖ﴾: مُنقلعٍ[3] من أصلِه؛ لأنَّ قَعْرَ الشَّيءِ أصلُه، تقولُ: قعَرْتُه فانقَعَرَ.

ولم يقُلْ: مُنقعِرةٍ؛ لأنَّ الجمعَ إذا لم يكُنْ بينَ واحدِه وجمعِه إلَّا هاءُ التَّأنيثِ جازَ تذكيرُه وتأنيثُه، كنخلةٍ ونخلٍ، وتمرةٍ وتمرٍ، ومثلِها.

قال مُقاتلٌ: كان طولُ الواحدِ منهم اثنَي عشرَ ذراعًا[4].

وقيل: أربعونَ. وقيل: ستُّونَ. وقيل: ثمانونَ.

وذُكِرَ في القِصَّةِ: أنَّ سبعةً منهم قاموا مُصطَفِّين على بابِ الشِّعبِ ليرُدُّوا الرِّيحَ عمَّن في الشِّعبِ منَ العيالِ، فجعلَتْ تجعَفُهم[5] رجلًا رجلًا حتَّى هلَكُوا.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٣٠)، ورواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٨).

(٢) في (ف): «فبقي».

(٣) في (ف): «منقطع».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٨١).

(٥) في هامش (ن): «قال: جعفه؛ إذا صرعه»، وفي «تهذيب اللغة» (١/ ٢٤٧): «جعفه وجعفه؛ إذا صرعه، وهذا مقلوب».

وذكرَ الثَّعلبيُّ أسماءَهم، وأنشدَ أبياتًا منها[(١)]:

والـذي سـدَّ مهـبَّ الرِّيـحِ أيَّـامَ البَلِيَّـاتِ[(٢)]

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «انتزَعتِ الرِّيحُ النّاسَ من قُبورِهم»[(٣)].

وذُكِرَ أنَّ قولَه: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ أرادَ تشبيهَ الحفَرِ التي حفَروها بأصولِ نخلٍ قد هلَكَ ما كانَ قائماً منها، وبقيَ موضعُها مُنقَعِرًا، وهذا بعيدٌ؛ لقولِه تعالى وتقدَّسَ: ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ﴾ ولـم يقُلْ: كأنَّها.

* * *

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ أعـادَ فـي قـصَّـةِ عادٍ مرَّتينِ؛ فقيلَ: الأوَّلُ في الدُّنيا، والثّاني في العُقبَى، كما قال في هذه القصّةِ: ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰ﴾ [فصلت: ١٦].

وقيل: الأوَّلُ لتحذيرِهم قبلَ هلاكِهم، والثّاني: لتحذيرِ غيرِهم بهم بعد هلاكِهم[(٤)].

* * *

(٢٣) ـ ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ كذَّبوا صالِحًا، والنُّذُرُ[(٥)] جمعُ نذيرٍ.

---

(١) في (ف): «فيها».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٣٠) من طريق محمد بن قرظة بن كعب الأنصاري عن أبيه قرظة رضي الله عنه، ومحمد بن قرظة مجهول.

(٤) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٢٥ ـ ١٢٢٨).

(٥) «والنذر» من (ف).

وقيل: المواعظُ والكتبُ السّابقةُ.

وقيل: العذابُ.

* * *

(٢٤) - ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾.

﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ أنتَّبعُ آدميًا مثلَنا ونُطيعُ واحدًا من جُـملتِنا ليس له فضلٌ علينا؟

﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ ذهبَ بعضُهم إلى أنَّ السُّعُرَ الجنونُ، تقولُ العربُ: ناقةٌ مسعورةٌ؛ إذا كان بها جنونٌ.

وقيل: سُعُرٌ: عذابٌ، جمعُ سعيرٍ.

الفرَّاءُ: في عناءٍ عذابٍ[1].

وقيل: بُعْدٍ منَ الحقِّ.

وذكرَ ابنُ بحرٍ له وجهَين آخرَين:

أحدُهما: في احتراقٍ، كما يُقالُ: «هلكْنا واحترَقْنا» عندَ شدَّةِ الحالِ وعِظَمِ البليَّةِ.

والثَّاني: أنَّهم كانوا وُعِدُوا على الكفرِ بالنَّبيِّ الذي جاءَهم الضَّلالَ والنّارَ، فقالوا: إنِ اتَّبعْنا رجلًا مِنَّا صِرْنا إلى الضَّلالِ والنَّارِ.

* * *

---

(١) في (ن): «عناء وعذاب». وفي «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٨): «أراد بالسُّعُر: العَنَاء للعذاب». وهكذا نقله عنه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٠٧).

(٢٥) ـ ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾.

﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾[1]؛ أي: الكتابُ والوحيُ[2].

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ فيما يدَّعيه ﴿أَشِرٌ﴾: عظيمُ الكذبِ.

وقيل: بطِرٌ فَرِحٌ يريدُ أن يَتعظَّمَ علينا.

وقيل: الأَشِرُ: الذي لا يُبالي ما يقولُ.

وقيل: مُتعدٍّ إلى منزلةٍ لا يَستحِقُّها.

***

(٢٦) ـ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾؛ أي: إذا لحقَ بهم[3] العذابُ يومَ القيامةِ علمُوا أنَّهم الكاذِبونَ لا صالحٌ، وسمَّاه غدًا للتَّقريبِ وشدَّةِ الوعيدِ.

وقيل: ﴿غَدًا﴾ يُريدُ به: يومَ العذابِ في الدُّنيا.

***

(٢٧) ـ ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: سألوا صالحًا عليه السَّلامُ أن يُخرِجَ لهم ناقةً حمراءَ عُشَراءَ من صخرةٍ ثمَّ تضعُ حملَها، ثمَّ تَرِدُ ماءَهم فتشربُه، ثمَّ تغدُو عليهم بمثلِه لبنًا، فأجابَ الله صالحًا عليه السَّلامُ إلى ذلك فقال:

---

(١) وقع بعد كلمة ﴿عَلَيْهِ﴾ في (ن): «أكد»، ولم يظهر لي وجهها.

(٢) في (ف): «الكتاب والذكر».

(٣) في (ف): «إذا لحقهم».

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾[١]؛ أي: نُنشِئُها، فعبَّرَ عنه بالإرسالِ لأنَّ المعنى: نُوجِّهُها، وأصلُه من أرسلتَ الشَّيءَ: إذا أزلتَ عنه ما يحبِسُه عن الانبعاثِ. ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾: امتحانًا واختبارًا لهم؛ أيُؤمنونَ أم لا؟

﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾: فانتظِرْ ما هم صانِعونَ ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ على ما يُصيبُكَ من أذاهُم.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ يومٌ لـها ويومٌ لـهم، وجُمِعَ جمعَ السَّلامةِ تغليبًا للعقلاءِ.

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾: تَحضُرونَ شِربَكم: نصيبَكم منَ الماءِ، وتَحضرُ هي شربَها، لا يُزاحِمُ البعضُ البعضَ.

مجاهدٌ: إذا غابَتْ حضرتُم الماءَ، وإذا حضرَت الماءَ حضرتُم اللَّبنَ[٢]. فالشِّربُ على هذا: الحظُّ منَ الماءِ واللَّبنِ.

* * *

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ هو قُدارُ بنُ سالفٍ.

وقيل: كانا اثنَين، قُدارٌ ومِصْدَعٌ، يُقالُ لقُدارٍ: أحمرُ ثمودَ، وأُحَيْمِرُ ثمودَ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١١٠).

(٢) في (ن): «وإذا حضرتم الماء». رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٣).

قال الزَّجَّاجُ: وربَّما غلطَ بعضُ العربِ فيجعلُه أحمرَ عادٍ[١]. ويحتمِلُ أنَّ ذلك لِـمَا سبقَ أنَّ ثمودَ عندَ بعضِهم عادٌ الأخرَى.

﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ جاء في القَصَصِ أنَّ عِدَّةً منهم ـ وفيهم قُدارٌ ـ تَواطَؤُوا على عقرِها، وكَمَنُوا لها بينَ جبلَين في مُرورِها، ثمَّ هابَ الآخَرون عن الإقدامِ، فتَعاطَى قُدارٌ هذا الفعلَ من قولِـهم: فلانٌ يتعاطَى هذا الأمرَ؛ إذا تكلَّفَ تناوُلَه.

وقيل: تعاطَى تناوُلَـها بيدِه فعقرَها.

وقيل: ارتفعَ على أطرافِ أصابعِه ثمَّ عقرَها كما تعطُو الشَّاةُ؛ إذا لـم تنَلِ الغُصنَ فرفعَتْ يدَيها.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: أسمَعَهم الله صيحةً فأهلَكَهُم بها في الحالِ.

وقيل: صاحَ بهم جبريلُ عليه السَّلامُ فماتُوا عن آخرِهم.

وقيل: كانَ صوتَ الفصيلِ[٢].

﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾؛ أي: صاروا بعدَ نضارتِهم وحُسنِهم كهشيمِ الشَّجرِ.

(هشيمٌ) بمعنى: مهشومٍ؛ أي: مكسورٍ، وهو ما يَبِسَ منَ الورقِ.

ابنُ عبَّاسٍ: العَظمُ المُحترِقُ[٣].

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هو التُّرابُ يتَناثرُ منَ الحائطِ[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٩٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٥)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٨).

ابنُ زيدٍ: هو الشَّوكُ يُحظَرُ به حولَ المواشي(١).

مجاهدٌ: هو ما يُكسَّرُ من خشبِ الخيمةِ(٢).

والمُحتظَرُ(٣): المكانُ الذي يُحتظرُ، والمُحتظِرُ: المُبتني حظيرةً على غنَمِه أو بُستانِه، والمُحتضِرُ: صاحبُ الحضيرةِ(٤).

وقيل: ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ الهشيمُ: ما يُعِدُّ المُحتَظِرُ منَ الحشيشِ لماشيتِه في الشِّتاءِ ووقتِ إعوازِ المرعى.

* * *

(٣٢ ـ ٣٤) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۢ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: حجارةً.

وقيل: ﴿حَاصِبًا﴾: راميًا بالحصباءِ، وهو السَّحابُ، والحصباءُ: الحصا الصِّغارُ.

وقيل: ﴿حَاصِبًا﴾: ريحًا فيها حَصباءُ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٧) بلفظ: «الهشيم: اليابس من الشجر الذي فيه شوك، والمحتظر: الذي تَحْظُر به العرب حول ماشيتها من السباع».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٧).

(٣) بفتح الظاء قراءة الحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٩).

(٤) في (ف): «والمحتظر: صاحب الحظيرة». والحضيرة: موضع التمر. انظر: «القاموس» مادة: (ح ض ر).

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾: ابنتَيه ومَن آمنَ معه ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ منَ الأسحارِ، والباءُ للحالِ؛ أي: مُسْحِرينَ، كما يقولُ: جاء بالغَداةِ؛ أي: غاديًا.

ويجوزُ أن يكونَ الباءُ الذي ينوبُ عن (في) ظرفِ المكانِ، تقولُ: شَرَبْتُ[1] ببغدادَ؛ أي: فيها.

* * *

(٣٥) ـ ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾؛ أي: للإنعامِ، فهي مفعولٌ له، والمعنى: فعَلْنا ذلك بهم لشُكرِهم ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾؛ أي: مَن آمَنَ بالله لم يُعذِّبْه مع المُشركينَ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوطٌ ﴿بَطْشَتَنَا﴾: شدَّةَ أخذِنا وانتقامِنا ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾: كذَّبوهُم بما قالوا.

وقيل: شكُّوا بالإنذارِ.

وقيل: جادَلوا لوطًا في الرُّسلِ الذين أتَوه في صورةِ الأضيافِ ليُمكِّنَهم منهم.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾؛ أي: قصدُوا الفُجورَ بأضيافِ لوطٍ ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ مسحَ جبريلُ عليه السَّلامُ بجناحِه أعيُنَهم فصاروا عُمْيًا لا يقدرونَ على الخروجِ[2].

---

(١) في (ن): «سَريتُ»، والمثبت من (ف)، وانظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٧).

(٢) «على الخروج»: ليس في (ف).

الضَّحَّاكُ: أُخْفُوا عن أبصارِهم حتَّى لـم يرَوْهم مع بقاءِ أعيُنِهم[١].

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؛ أي: وقُلْنا لهم.

وقيل: أمرٌ بمعنى الخبرِ؛ أي: فأذَقْناهُم.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾: نزلَ بهم فلم يُقلِعْ عنهم.

وقيل: ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾: حقٌّ.

وقيل: مُستَديمٌ إلى نارِ جهنَّمَ.

وقيل: العذابُ الأوَّلُ رَمْيُ الحجارةِ، وذلك لـم يستقِرَّ، والعذابُ الآخِرُ: الخسفُ، فبقيَ إلى يومِ القيامةِ.

ويحتمِلُ أنَّ العذابَ الأوَّلَ ذهابُ البصرِ، والثَّانيَ الخسْفُ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ كرَّر لأنَّ الثَّانيَ قامَ مقامَ قولِه: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

* * *

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٤٠ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٤٠ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾: فرعونَ[٢] وخاصَّته وأتباعَه، و﴿النُّذُرُ﴾: موسى وهارونُ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٨).

(٢) في (ن): «آل فرعون».

وقيل: ما كانَ معه منَ الآياتِ.

***

(٤٢) ـ ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ يجوزُ أن يكونَ الضَّميرُ لفرعونَ وآلِه، وعليه الجمهورُ.

ويجوزُ أن يكونَ الكلامُ تمَّ على قولِه: ﴿ٱلنُّذُرُ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿كَذَّبُوا۟﴾، فيكونُ إخبارًا عن جميعِ مَن تقدَّمَ ذِكرُهم، ولهذا لـم يأتِ بواوِ العطفِ.

﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾: غالبٍ لا يُغلَبُ ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: قادرٍ بالكمالِ.

وقيل: أهلَكَهم بعِزَّتِه وقُدرتِه.

***

(٤٣) ـ ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ هؤلاءِ يا معشرَ العربِ ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾؛ أي: من أولئك الكفَّارِ فلا يلحقَهم ما لحقَ مَن تقدَّمَهم؟ استفهامُ إنكارٍ؛ أي: ليسوا بخيرٍ منهم.

﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أم لهم(١) براءةٌ منَ العذابِ في الكتبِ أنَّه لا يُصيبُهم ما أصابَ مَن قبلَهم؟

***

(٤٤) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾: ننتصرُ من أعدائِنا، فنحنُ يدٌ واحدةٌ على مَن خالفَنا وعادانا.

---

(١) في (ف): «ألهم» بدل: «أم لهم».

وقيل: معناه: إنّا مُجتمِعونَ مُتوافِقون مُتَناصِرون ينصُرُ بعضُنا بعضًا، ووحَّدَ ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ حملًا على لفظِ ﴿جَمِيعٌ﴾ كما يُحمَلُ على لفظِ (كلّ).

* * *

(٤٥) ـ ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾.

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ في بعضِ التَّفاسيرِ: نزلَتْ في أبي جهلٍ، كان له فرسٌ كُميتٌ[1] يعلفُه كلَّ يومٍ فَرْقًا من ذُرةٍ، ويَحلِفُ باللّاتِ والعُزَّى ليقتُلَنَّ عليه محمَّدًا، فأنزلَ الله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾[2]؛ أي: جمعُ أهلِ مكّةَ في الحربِ، ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾: سيُصرَفُونَ مُنهزِمين؛ يعني: يومَ بدرٍ، وهذه علامةٌ من علاماتِ النُّبوّةِ.

وعن عمرَ رضي الله عنه أنَّه قالَ: لـمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ كنتُ لا أعلَمُ ما هي، فلمَّا كان يومُ بدرٍ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يلبسُ الدِّرعَ ويقولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[3].

(الدُّبُرُ) اسمٌ للجنسِ، ولهذا لـم يُجمَعْ، وقيل: يُولِّي كلُّ واحدٍ الدُّبرَ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾: موعدُ عذابِهم ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: عذابُ يومِ القيامةِ ﴿أَدْهَىٰ﴾: أشدُّ من عذابِ السَّيفِ.

---

(١) الكميت: مشتق من الكمتة، وهو لون بين السواد والحمرة يكون في الخيل والإبل ونحوها. انظر: «المحكم» (٦/ ٧٨١).

(٢) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية بأتم من هذا.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٥٧)، وقراءة النبي ﷺ للآية يوم بدر رواها البخاري (٤٨٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: من عذابِ الدُّنيا، والدَّاهيةُ: الأمرُ الشَّديدُ الذي لا يُهتَدى لدوائِه.

وقيل: أخبَثُ.

وقيل: أعظَمُ.

﴿وَأَمَرُّ﴾؛ أي: أمرُّ مَذاقًا من عذابِ الدُّنيا.

وقيل: ﴿أَمَرُّ﴾: أشدُّ، منَ (المِرَّةِ).

***

(٤٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الحقِّ[1] في الدُّنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ في عذابِ النَّارِ في الآخرةِ.

وقيل: ﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾: جنونٍ، جوابٌ لقولِهم: ﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤].

***

(٤٨) ـ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ﴾: يُجَرُّونَ في النّارِ ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ويُقالُ لهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾: إصابةَ جهنَّمَ إيّاكم بالعذابِ، و(سَقَرُ) من أسماءِ جهنَّمَ.

***

(٤٩) ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾؛ أي: كلُّ ما خلَقْناه مقدورٌ مكتوبٌ في اللَّوحِ المحفوظِ قبل وُقوعِه.

---

(١) في (ف) زيادة: «يعني».

وقيل: كلُّ ما خلَقْناه جعَلْناه على مقدارٍ نعلمُه؛ كقولِه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وقيل: هذا يعودُ إلى العذابِ، و﴿بِقَدَرٍ﴾؛ أي: بقَدَرِ أعمالِكم تُعذَّبونَ.

ابنُ بحرٍ: أي: كلُّ شيءٍ خلقناه فهو على قَدرِ[(١)] ما أَرَدْناه لا زائدًا ولا ناقصًا.

وفي سببِ النُّزولِ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: جاءَ قُريشٌ يختَصِمونَ في القَدَرِ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[(٢)].

وعن أبي أُمامةَ الباهليِّ مُسَلسَلًا يقولُ: أشهدُ بالله لسمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ في هذه الآيةِ: «إنَّها نزلَتْ في القَدْرِيّةِ»[(٣)].

وعن النَّبيِّ ﷺ مرفوعًا: «إنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في أُناسٍ من آخرِ هذه الأمَّةِ يُكذِّبونَ بقَدَرِ الله»[(٤)].

وتقديرُ الآيةِ: إنَّا خلَقْنا كلَّ شيءٍ بقَدَرٍ.

و﴿كلَّ﴾ منصوبٌ بمُضمرٍ دلَّ عليه ما بعدَه.

وقيل: بدلٌ من اسمِ (إنَّ) بدلَ الاشتمالِ.

---

(١) «قدر» ليست في (ن).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٦)، ولفظه: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت».

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٩٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠١)، والسيوطي في «جياد المسلسلات» (ص: ١٧٠)، وضعفه ابن عدي بعفير بن معدان، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٨٣) لابن عدي وابن مردويه والديلمي، وضعف إسناده.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٣١٦)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٠٨٦) عن زرارة رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): «رواه الطبراني، وفيه عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف».

ولم يُقرأ بالرَّفعِ؛ لأنَّ الرفعَ يحتمِلُ وجوهًا كلُّها مرغوبٌ عنها في حقِّ الله تعالى.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾.

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾؛ أي: إذا أرَدْنا خلقَ شيءٍ قُلنا مرَّةً واحدةً: «كُنْ» فيكونُ، لا مُراجعةَ فيها.

وقيل: إذا أرَدْنا خلقَ شيءٍ خلَقْناه بمرَّةٍ واحدةٍ، وإرادةٍ واحدَةٍ، بلا مُعاناةٍ ولا معالجةٍ، ﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ على قَدرِ ما يلمَحُ أحدُكم ببصرِه.

وقيل: المُرادُ بـ﴿أَمۡرُنَآ﴾: القيامةُ؛ كقولِه: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧].

* * *

(٥١) ـ ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾: أمثالَكُم منَ الأممِ المُتقدِّمة.

وقيل: أتباعَكم في مُحاربةِ رسولِ الله ﷺ.

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾: مُتَّعظٍ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾.

﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ﴾؛ أي: أولئك الكفّارُ ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ قيل: في كتُبِ الحفظةِ.

وقيل: كان مكتوبًا في اللَّوحِ المحفوظِ قبل أن يفعلوه[١].

---

(١) في (ف) زيادة: «﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾».

(٥٣) ـ ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾.

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ﴾ مـنَ الذُّنـوبِ والطّاعاتِ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: مكتـوبٌ في اللَّوحِ المحفوظِ.

وقيل: في كتُبِ الحفظةِ، وأعادَ الذِّكرَ؛ لأنَّ الأوَّلَ خاصٌّ، وهذا عامٌّ.

وقيل: كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ منَ الأرزاقِ والآجالِ والموتِ والحياةِ وغيرِ ذلك مكتوبٌ.

***

(٥٤) ـ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾.

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾؛ أي: أنهارٍ، فوحَّدَ لرَويِّ الآيةِ.

وقيل: في نهرِ ضياءٍ ونورٍ.

وقيل: في سَعةٍ منَ العيشِ.

***

(٥٥) ـ ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾.

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾: في غايةِ الرِّضا.

وقيل: حقٌّ لا لغوَ فيه ولا تأثيمَ.

وقيل: في مقعدٍ صدَقَ اللهُ وَعْدَه أولياءَه فيه، فاكتَفَى بالمصدرِ.

و(المقعدُ): موضعُ القُعودِ، وكذلك القُعودُ.

﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾؛ أي: عندَ اللهِ المالكِ القادرِ الذي لا يُعجِزُه شيءٌ، والمعنى: في كنَفِه وضيافتِه.

وقيل: في علمِ اللهِ صائرونَ إلى ذلك، جعلَنا اللهُ منَ المُتَّقين الفائزينَ برحمتِه.

سُورَةُ الرَّحۡمَٰن

سُورَةُ الرَّحمَن

ثمانٍ وسبعونَ آيةً[1]، مكّيّةٌ.

ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: إلّا آيةً منها نزلَتْ بالمدينةِ، وهي: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآيةَ [٢٩][2].

وعن ابنِ مسعودٍ ومُقاتلٍ: مدَنيّةٌ[3].

وجاء عن بعضِهم التَّوقُّفُ فيها.

وعن النَّبيِّ ﷺ: «لكلِّ شيءٍ عروسٌ، وعروسُ القرآنِ سورةُ الرَّحمنِ»[4].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ هو اللهُ عزَّ وجلَّ، اسمٌ لا يستطيعُ النّاسُ أن ينتَحِلوه، نزلَتْ حينَ قالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠][5].

---

(١) «ثمان وسبعون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٣٧) وفيه: «وهي سبعون وستٌّ بَصْري، وسبعٌ مدنيان ومكي، وثمانٍ كُوفي وشامي».

(٢) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٢)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٨٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٢).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٦٥) عن علي رضي الله عنه.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٩٥)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٣٧٨)، و«تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٢٨٨).

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هو مجموعُ ثلاثِ سُوَرٍ: ﴿الٓر﴾ ﴿حمٓ﴾ ﴿نٓ﴾[(١)]، وهذا كأنَّه أخذَ قولَ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما، حيثُ قال: ﴿الٓر﴾ ﴿حمٓ﴾ ﴿نٓ﴾: هو الرَّحمنُ[(٢)]، ثمَّ عكَسَه، فقالَ: الرَّحمنُ مجموعُ ثلاثِ سورٍ، وبينَ القولَين بَوْنٌ.

***

(٢) ـ ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ هـذا ردٌّ على مَن قـالَ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، و: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧]؛ أي: الرَّحمنُ علَّمَ محمَّدًا القرآنَ ليُعلِّمَه أمَّتَه.

وقيل: مكَّنَهُم من تعلُّمِه بأن أنزَلَه عربيًّا[(٣)].

وقيل: من رحمتِه تعليمُ القرآنِ.

والتَّعليمُ: تبيينُ ما يصيرُ به المرءُ عالـمًا، والإعلامُ: إيجادُ ما يصيرُ به عالِـمًا.

وقيل: معناه: جعَلَه آيةً يُعتبَرُ بها[(٤)].

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾:

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٠٩٨) بنحو خبر ابن عباس رضي الله عنهما الآتي، ولفظه: «الر وحم ون هو الرحمن مقطع».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٧)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٧)، وعده من العجائب، وفيه: «العجيب: معناه: جعل القرآن علامةً لمن يَعتبر بها، ولهذا عدي إلى مفعول واحد».

قيل: الإنسانُ عامٌّ، والبيانُ: الكلامُ، وقيل: التَّمييزُ والنُّطقُ.

وقيل: الإنسانُ: آدمُ صلَواتُ الله عليه علَّمَه الأسماءَ، وقيل: جميعَ اللُّغاتِ.

وقيل: الإنسانُ: محمَّدٌ عليه السَّلامُ، والبيانُ: القرآنُ فيه بيانُ ما كانَ وما يكونُ.

وقيل: الإنسانُ: عامٌّ، والبيانُ: الكتابةُ والخطُّ بالقلمِ، وقيل: ما يقولُ ويُقالُ له، وقيل: الخيرُ والشَّرُّ وما يأتي ويذَرُ.

ولم يأتِ بحرفِ العطفِ لأنَّه يجوزُ[1] أن يكونَ خبرًا بعدَ خبرٍ، أو لأنَّ ما فيها منَ العائدِ قام مقامَ العاطفةِ، أو لأنَّ كلَّ واحدٍ منها مُستأنَفٌ.

* * *

(٥) ـ ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾.

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾؛ أي: يجريانِ بحسابٍ ومنازلَ، فالشَّمسُ تقطعُ بروجَ السَّماءِ في ثلاثِ مئةٍ وخمسٍ وستِّينَ يومًا، والقمرُ يقطعُها في ثمانيةٍ وعشرينَ يومًا.

وقيل: ذاتُ كلِّ واحدٍ منهما بحسابٍ؛ فالشَّمسُ سعتُها ستَّةُ آلافٍ وأربعُ مئةِ فرسخٍ في مثلِها، وسعةُ القمرِ ألفُ فرسخٍ في ألفِ فرسخٍ[2]. والله أعلَمُ.

وقيل: لهما أجلٌ وحسابٌ، فإذا انتهَيا إليه هلَكا.

وقيل: يُعرَفُ من جَرْيِهما الحسابُ، كقولِه: ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾ [يونس: ٥][3].

---

(١) في (ف): «بحرف العطف لجواز».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٧)، وعده من العجائب.

والحُسبانُ: مصدرُ (حَسَبْتُ)، وقيل: جمعُ حسابٍ؛ كشهابٍ وشُهبانٍ.

وخبرُ المبتدأ مُضمَرٌ؛ أي: يجريانِ بحسابٍ، وقيل: الجارُّ خبرُه؛ كما تقولُ: فلانٌ بخيرٍ؛ أي: له خيرٌ[1].

* * *

(٦) ـ ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾:

قيل: النَّجمُ هاهنا: ما لا ساقَ له منَ النَّباتِ؛ لاقترانِه بالشَّجرِ.

وقيل: النَّجمُ: هو كوكبُ السَّماءِ.

واشتِقاقُ النَّجمين[2] من (نجَمَ)؛ إذا طلَعَ.

وسجودُهما: حملُ غيرِهما على السُّجودِ.

وقيل: سجودُهما: دلالتُهما على التَّوحيدِ.

وقيل: سجودُهما بظلالِـهما.

وقيل: هما يسجُدانِ ولا نَقِفُ على سجودِهما؛ كما قالَ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

* * *

(٧) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾؛ أي: رفعَها على الأرضِ. وقيل: معناه: خلقَها رفيعةً.

ونصبَ (السَّماءَ) وحقُّها منَ الإعرابِ الرَّفعُ؛ لأنَّ الجملةَ التي قبلَها جملةٌ

---

(١) في (ف): «فلان بخبر أي له خبر».

(٢) في (ن): «النجم».

اسـميَّةٌ، لكـنَّ خبرَ المبتـدأ الأوَّلِ جملـةٌ فعليَّةٌ، فجازَ النَّصـبُ لذلك(١).

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يُريدُ: الميزانَ المعهودَ، له لسانٌ وعمودٌ وكِفَّتانِ.

وقيل: أنزَلَ الله تعالى الميزانَ زمنَ نوحٍ عليه السَّلامُ.

وقيل: ألهمَ النّاسَ كيفيّةَ اتِّخاذِ الميزانِ؛ كما تقولُ: وضعَ لنا مثالًا نعملُ عليه.

وقيل: الميزانُ: عبارةٌ عن العدلِ(٢).

وقيل: الميزانُ: القرآنُ، حكاه الثَّعلبيُّ(٣).

* * *

(٨) ـ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾: لأَنْ لا تطغَوا؛ أي: لأنْ لا تُجاوِزُوا الحدَّ والإنصافَ فيما لكم وعليكم.

وقيل: لئلَّا تتَّخِذُوا إحدى كِفَّتَيه أرجحَ منَ الأُخرى، فتستَوفُوا بالأخفِّ وتُوفُوا بالأرجحِ.

وقيل: (أنْ) هي المُفسِّرةُ، و(لا) للنَّهيِ.

---

(١) قوله: «لأنَّ الجملةَ التي قبلَها جملةٌ اسميَّةٌ»؛ أي: لأن الذي تقدمها جملةٌ اسمية وهي: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾، وقوله: «لكنَّ خبرَ المبتدأ الأوَّلِ جملةٌ فعليَّةٌ، فجازَ النَّصبُ لذلك»؛ أي: لكنها نصبت حملاً على الجملة الفعلية التي وقعت خبراً في الجملة الاسمية وهي ﴿يَسْجُدَانِ﴾، فجاءت في جملة فعلية منصوبة بفعل مضمر يفسره المذكور؛ أي: رفع السماء رفعها. مستفاد من «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨)، واستغربه، وهذا القول خلاف قول الجمهور.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٩٦) عن الحسين بن الفضل، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨)، وعده من العجائب.

(٩) ـ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ﴾؛ أي: لسانَ الميزانِ ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدلِ.

وقيل: الإقامةُ باليدِ، والقِسطُ بالقلبِ.

﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾: ولا تُنقِصُوه، و(خسَرَ) و(أخسَرَ) لُغتانِ[١].

وقيل: الميزانُ: ميزانُ القيامةِ، فلا تُخسِرُوا ميزانَ أعمالِكم.

وقيل: الميزانُ: العقلُ، فلا تُخسِرُوه بأن يكونَ مُعطَّلًا غيرَ مُتَّبعٍ.

وصرَّحَ [بذكرِ] الميزانِ ولم يُضمِرْ؛ ليكونَ قائمًا بنفسِه غيرَ مُحتاجٍ إلى الأوَّلِ[٢].

وقيل: لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما غيرُ الآخَرِ[٣].

وقيل: لأنَّها نزلَتْ مُتفرِّقةً في أزمنةٍ مختلفةٍ، فاقتضى الإظهارَ[٤].

***

(١٠) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾.

﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ بسطَها، وقيل: خلقَها، والأحسنُ: خلقَها موضوعةً.

والأنامُ: الإنسُ، وقيل: الإنسُ والجنُّ، وهما المُخاطَبانِ فيما بعدُ.

وقيل: الأنامُ كلُّ ذي روحٍ، وليس على التَّرتيبِ من هذا التَّركيبِ غيرُه، وجاء: الأنيمُ أيضًا بمعناه.

---

(١) انظر: «ما جاء على فعلت وأفعلت» للجواليقي (ص: ٣٨)، وقد ضبطت في (ن): «خَسِرَ»، وهو خطأ. وانظر: «تاج العروس» مادة: (خ س ر) (١١/ ١٦٤).

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٣١)، و«غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨) وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨) واستغربه.

وقيل: هو مقلوبُ (نأمَ) إذا صوَّتَ[١].

* * *

(١١) ـ ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ نُكِّرَ بكثرتِها وعمومِها[٢].

﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾: ذاتُ الأحمالِ، والكُمُّ: الكُفُرَّى[٣]، وقد سبقَ.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾.

﴿وَٱلْحَبُّ﴾: هو الحِنطةُ والشَّعيرُ والذُّرةُ وغيرُ ذلك.

﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ العَصْفُ: التِّبنُ.

وقيل: ورَقُ الزَّرعِ إذا كُسرَ[٤]، تقولُ: عصَفْتُه؛ إذا دقَقْتَه وفركتَه، ويُسمَّى: العصفَ والعصيفةَ.

وقيل: العَصفُ: أوَّلُ ما يبدو منَ الزَّرعِ.

وقيل: العَصفُ: بقلُ الزَّرعِ، والعربُ تقولُ: خرَجْنا نعتصِفُ الزَّرعَ؛ إذا قطَفُوا[٥] منه شيئًا قبل أن يُدرِكَ.

وقيل: العَصْفُ: النَّباتُ الأخضرُ الذي منه الرَّيحانُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «تكثر وعمومها» بدل: «نُكِّرَ بكثرتِها وعمومِها»، ولو قال: «لكثرتها»، لكان أظهر.

(٣) الكُفرَّى: وعاء الطلع. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٧٨٦).

(٤) في (ن): «يبس».

(٥) في (ف): «قطعوا».

وقيل: العَصْفُ: ما يُؤكَلُ منَ الحبِّ والثَّمرِ وغيرِهما، قال:

إذا جُمادَى منَعَتْ قطرَها زانَ جَنابِيْ عَطَنٌ مُعْصِفُ[1]

أي: يُعطي ما يُؤكَلُ.

﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾: هو المشمومُ المشهورُ.

وقيل: الرَّيحانُ: الرِّزقُ، تقولُ العربُ: خرَجْتُ أطلبُ ريحانَ الله؛ أي: رزقَه.

وقيل: الذي في الآيةِ الرِّزقُ، وتقديرُ الآيةِ: والحبُّ ذو علَفِ الأنعامِ، وطعامِ الأنامِ.

ووزنُ (رَيحان) عندَ الحذّاقِ: فَيْعِلان؛ رَيْوِحَان، قُلِبَ وأُدغِمَ ثمَّ خُفِّفَ.

وقيل: فَعْلان، قُلِبَ واوُه ياءً من غيرِ مُوجِبٍ.

وهو اسمٌ، وقيل: مصدرٌ.

الرَّفعُ بالعطفِ على (الحبُّ)، والجرُّ على ﴿ٱلۡعَصۡفِ﴾، والنَّصبُ بالعطفِ على (الحبَّ) بعدَ أن نصبتَه عطفًا على (وضَعَ) لأنَّه بمعنى: خلَقَ[2].

---

(١) نسب لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري. انظر: «المقصور والممدود» لأبي علي القالي (ص: ٢٥١)، و«الصحاح» مادة: (ع ص ف) (٤/ ١٤٠٤)، وفيه: «مكانٌ مُعْصِفٌ؛ أي: كثير الزرع».
ونسب لأحيحة بن الجلاح كما في «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٥٤٤)، و«تهذيب اللغة» مادة: (غ ض ف) (٨/ ٥٥)، والرواية فيه: «عطن مُغضف»، وقال الأزهري: «أراد بالعطن هاهنا: نَخيلَةُ الرّاسخَةَ في الماء الكثيرةَ الحمل، وعَطنٌ مُغْضِفٌ: إذا كَثُر نَعَمُه. وعيشٌ أغْضَفُ: إذا كان رخيًّا خصيباً، ويقال: تغَضَّفتْ عليه الدنيا؛ إذا كَثُر خيرها له، وأقبلت عليه. قال: ورواه ابن السّكيت: عَطَنٌ مُعْصِف، وقال: هو من العَصْفِ وهو ورقُ الزرع».

(٢) قرأ ابن عامر: ﴿والحبَّ ذا العَصْفِ والرَّيحانَ﴾ بالنَّصب في الثلاثة، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿والريحَانِ﴾ بالخفض وما عداه بالرفع، والباقون برفع الثلاثة. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٩)، =

(١٣) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآلاءُ: النَّعماءُ، وقيل: القدرةُ، وقد سبقَ.

والخطابُ للإنسِ والجنِّ، وقد تقدَّما في قولِه: ﴿لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠].

وقيل: خطابٌ للثَّقلَين في قولِه: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] وإن تأخَّرَ لفظًا.

وقيل: لـمَّا تقدَّمَ ذكرُ أحدِهما وقرُبَ ذكرُ الآخرِ جازَ أن يُذكرَ بلفظِ التَّثنيةِ(١)، قال:

ولا أدري إذا يَمَّمْتُ أرضًا ... أُريدُ الخيرَ أيُّهما يَليني

أَأَلخيرُ الذي أنا أَبتَغيْه ... أم الشَّرُّ الَّذي لا يأتَليني(٢)

أي: لا يُقصِّرُ عنِّي.

ويحتمِلُ أنَّ ذكرَهما في قولِه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.

= و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

وقوله: «بعدَ أن نصبتَه عطفًا على (وضَعَ) لأنَّه بمعنى: خلَقَ»، لعله على أحد احتمالين:

الأول: أن يكون فيه تجوُّزٌ والمراد: عطفاً على معمول (وضع) على أن (وضع) بمعنى: خلق، والتقدير: وخلق الميزانَ والحبَّ والريحانَ.

والثاني: أن ينصب بتقدير: ووضَعَ الميزانَ وخَلَقَ الحبَّ والرَّيحانَ، كقوله:

علفتُها تبناً وماءً بارداً

أي: وسقيتها ماءً.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٩)، واستغربه.

(٢) البيتان للمثقب العبدي. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٩٢)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٨٤)، وفيهما: «الشر الذي هو يبتغيني» بدل «الشر الذي لا يأتليني».

وقيل: خاطب الواحدَ بلفظِ التَّثنيةِ والمرادُ به الإنسُ[١]؛ كقولِه:

فـإنْ تزجُـراني يـا بـنَ عفَّـانَ أَنْزَجِـرْ وإنْ تَـدَعــاني أَحـمِ أنفًـا مُــمَنَّعا[٢]

وفي تكرارِ هذه الآيةِ في سورةٍ واحدةٍ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه تكرارٌ للتَّأكيدِ، والعربُ كما تختارُ الإيجازَ في مواضعَ تختارُ الإطنابَ في مواضعَ، منها الخُطَبُ والمقاماتُ والمواعظُ، قال مُهلهِلُ بنُ ربيعةَ يرثي أخاه كُليبًا:

عَلَـى أَنْ ليـسَ عَـدْلًا مـن كليبٍ إذا طُـرِدَ اليـتـيمُ عـنِ الجَزُورِ

عَلَـى أَنْ ليـسَ عَـدْلًا مـن كليبٍ إذا مـا ضِيـمَ جِيـرَانُ المُجيـرِ

عَلَـى أَنْ ليـسَ عَـدْلًا مـن كليبٍ إذا خرَجَـتْ مُخبَّـأةُ الخُـدُورِ[٣]

ومثلُه قولُـهم[٤]:

كـم نعمـةٍ كانَـتْ لكُـم كَمْ كَـمْ وكَـمْ[٥]

والثّاني: أنَّ كلَّ واحدٍ منها غيرُ الأوَّلِ، فأعادَ لتقريرِ النِّعمةِ بعد النِّعمةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٩)، وعده من العجائب.

(٢) نسب البيت لسويد بن كراع العكلي. انظر: «شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ٣٥)، وتقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ [ق: ٢٤] برواية: «أحم عرضاً ممنعاً»، وهي الرواية في جميع المصادر التي وقفت عليها، والرواية التي ذكرها المصنف هاهنا لم أجدها سوى في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦٩).

(٣) انظر: «أمالي اليزيدي» (ص: ١٢٠)، و«أمالي القالي» (٢/ ١٣٢)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٢٧).

(٤) «قولهم»: ليس في (ف).

(٥) الرجز بلا نسبة في: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٧٧)، و«الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ١٥٨)، و«البسيط» (٢١/ ١٥١)، وروايته في «الصناعتين» (ص: ١٩٣):

كـم نعـمــة كـانـــت لكم كـم كـم وكـم كانت وكـم

والثّالثُ: أنَّ كلَّ واحدٍ منها اقتضَتْ منَ التَّقريرِ بها مثلَ ما اقتضاه الأوَّلُ، فلم يكُنْ تكرارًا.

وجاء في الخبرِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قرأ سورةَ الرَّحمنِ، ثمَّ قال: «ما لي أراكُم سكوتًا؟ لَلْجِنُّ كانوا أحسنَ منكم ردًّا، ما قرأتُ عليهم هذه الآيةَ من مرّةٍ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيءٍ من نعَمِكَ يا[1] ربَّنا نكذِّبُ، فلكَ الحمدُ»[2].

وما في السُّورةِ من ذكرِ الشَّدائدِ والنّارِ والعذابِ فالنِّعمةُ فيها من وجهَينِ:

أحدُهما: في صَرفِها منَ المؤمنين إلى الكفّارِ، وتلك نعمةٌ عظيمةٌ تقتَضي شكرًا عظيمًا.

والثّاني: أنَّ في التَّخويفِ منها والتنبيهِ عليها نعمةً عظيمةً؛ لأنَّ اجتهادَ الإنسانِ رَهبةً ممَّا يُؤلِمُه أكثرُ من اجتهادِه رغبةً فيما يُنعِّمُه.

وكرَّرَ هذه الآيةَ في السُّورةِ إحدى وثلاثينَ مرةً، ثمانيةٌ منها ذكرَها عقيبَ آياتٍ فيها تعدادُ عجائبِ خلقِ الله وبدائعِ صُنعِه، ومَبدأ الخلقِ ومَعادِهم، ثمَّ سبعةٌ منها عقيبَ آياتٍ فيها ذكرُ النّارِ وشدائدِها على عددِ أبوابِ جهنَّمَ، وبعد هذه السَّبعةِ ثمانيةٌ في وصفِ الجنّاتِ وأهلِها على عددِ أبوابِ الجنّةِ، وثمانيةٌ أُخرى بعدَها للجَنَّتين اللَّتين دُونَهما، فمَن اعتقَدَ الثَّمانيةَ الأُولى وعمِلَ بمُوجَبِها استحقَّ كلتا الثَّمانيتَينِ منَ الله، ووَقاهُ منَ السَّبعةِ السّابقةِ[3]. والله أعلَمُ.

***

---

(١) «يا»: ليس في (ف).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩١) عن جابر رضي الله عنه، وأشار إلى تضعيفه.

(٣) انظر: «الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/ ٨٠٧)، و«درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٣٧ ـ ١٢٤٦)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٢٣١).

(١٤) ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ، خلقَه من ترابٍ؛ لقولِه[1]: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] ثمَّ صارَ طينًا؛ لقولِه: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، ثمَّ صارَ حمأً؛ لقولِه: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ثمَّ صارَ صَلْصالًا؛ لقولِه: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾.

والصَّلْصالُ: الطِّينُ إذا يبسَ وصارَ كالخَزَفِ، فإنَّ الفَخَّارَ هو الطِّينُ الذي قد طُبِخَ في النّارِ، و(الصَّلْصالُ) مُشتقٌّ من (صَلَّ اللَّحمُ)؛ إذا أنتَنَ.

وقيل: له صوتٌ، من (صَلْصلةِ الحديدِ)[2].

***

(١٥) ـ ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾: أبا الجانِّ، وقيل: هو إبليسُ.

﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾: المارِجُ: لهَبُ النَّارِ.

وقيل: خالصُ النَّارِ.

وقيل: شُعَبُ النَّارِ.

وقيل: اللَّهَبُ الذي له حُمرةٌ وصُفرةٌ وخُضرةٌ، مشتقٌّ من (مرَجَ)؛ إذا اضطرَبَ.

وقيل: من (مرَجَ)؛ إذا أرسلَ.

والنَّارُ: هي التي بين الخلقِ.

---

(١) في (ن): «كقوله».

(٢) أي: خلق الله آدم من تراب أصابه ماء فصار طيناً وبقي الماء فصار حَمَأً، ثم زال عنه الماء فيبس فصار صَلْصَالاً له صوت مشتق من صلصلة الحديد، فشبه بالفخار وهو الخزف. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٠).

وقيل: منَ النَّارِ التي يكونُ منها الصَّواعقُ.

الكلبيُّ: نارٌ دونَ السَّماءِ، كالكِلَّةِ الرَّقيقةِ[١].

وقيل: من نارِ الجحيمِ.

* * *

(١٦ ـ ١٨) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ أحدُ المشرقَين هو الذي تطلُعُ منه الشَّمسُ في أطولِ يومٍ منَ السَّنةِ، والثَّاني هو الذي تطلعُ منه في أقصرِ يومٍ، وبينهما مئةٌ وثمانونَ مَشْرقًا، وكذلك الكلامُ في المغربينِ.

وقيل: أحدُ المشرقَينِ للشَّمسِ[٢]، والثَّاني للقمرِ[٣]، وكذلك المغربانِ.

وقيل: أحدُ المشرقَينِ للفجرِ، والثّاني للشَّمسِ، وأحدُ المغربَينِ للشَّمسِ[٤]، والثَّاني للشَّفقِ[٥]. حكاهُ الماورديُّ[٦].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٩). والكلة: هي التي يُتوقى بها من البعوض، وهي على صُورَة بَيت يخاط من ثوب رَقِيق يسْتَشِفُّ ما وراءه ولا يجد البعوضُ متخلَّلاً فيه. انظر: «ثمار القلوب» للثعالبي (ص: ٢٤٦).

(٢) في (ف): «الشمس».

(٣) في (ف): «القمر».

(٤) في (ف): «الشمس».

(٥) في (ف): «الشفق».

(٦) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٩)، وفيه: «الغسق» بدل: «الشفق».

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾؛ أي: أرسَلَ، من (مرَجْتَ الدّابةَ)؛ إذا أرسلتَها للرَّعيِ.

وقيل: خلَطَ، من قولِه: ﴿أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ [ق: ٥].

والبحرانِ عندَ بعضِهم بحرُ فارسَ والرُّومِ، يلتَقيانِ في مُعظمِ البحرِ.

وقيل: تحتَ الأرضِ.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾: حاجِزٌ، وهو جزيرةُ العربِ.

وقيل: عرضُ الأرضِ.

﴿لَّا يَبْغِيَانِ ﴾: لا يبغي أحدُهما على الآخرِ فيُغرقَ الخلقُ، والبغيُ: الخروجُ إلى فسادٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بحرٌ في السَّماءِ وبحرٌ في الأرضِ يلتَقيانِ كلَّ سنةٍ، ومنه المطرُ، بينَهما حاجزٌ يمنعُ بحرَ السَّماءِ من النُّزولِ، وبحرَ الأرضِ منَ الصُّعودِ[1].

وذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ البحرَين: الماءُ المالحُ والعذبُ، ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في بعضِ البحارِ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ من لُطفِ الله تعالى، ﴿لَّا يَبْغِيَانِ ﴾: لا يغلبُ أحدُهما الآخَرَ إلى جنسِه.

* * *

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٢١)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٠) واستغربه. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٠) بلفظ: «بحر في السماء والأرض يلتقيان كل عام».

(٢١ ـ ٢٣) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: من ماءِ بحرِ السَّماءِ وبحرِ الأرضِ؛ لأنَّ ماءَ السَّماءِ إذا وقعَ في صدَفِ البحورِ(١) انعقدَ اللُّؤلؤُ فكان خارِجًا منهما(٢).

وقيل: يخرجُ منَ الأُجاجِ والعَذْبِ جميعًا.

وقيل: من اجتماعِ الملحِ معَ الأُجاجِ(٣).

وذهبَ أكثرُهم إلى أنَّهما يخرُجانِ من الأُجاجِ، ولا يخرُجانِ منَ الفُراتِ، وحـمَلُوا قولَه: ﴿مِنْهُمَا﴾ على وجهَينِ:

أحدُهما: أنَّ الشَّيءَ قد يُنسَبُ إلى اثنين وهو لواحدٍ، كقولِه: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، وقد سبقَ.

والثّاني: من أحدِهما، فحُذِفَ المُضافُ.

قولُه: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾ قيلَ: الكبيرُ منه، ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾: الصَّغيرُ.

وقيل: المَرجانُ: الكبيرُ، واللُّؤلؤُ: عامٌّ للجنسِ.

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: هو الجوهرُ الخرزُ(٤) ....

---

(١) في (ف): «البحر».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧١)، واستغربه.

(٣) كذا في النسختين، ولعل الصواب: «من اجتماع العذب مع الأجاج»، وانظر ما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢].

(٤) في (ن): «الجوهر»، ولكن كتب في الهامش «الخرز» مع إشارة التصحيح.

الأحمرُ كالقُضبانِ(١)، يُقالُ له: البُسَّذُ. وقيل: المَرجانُ: الجوهرُ المُختلطُ، وفيه بُعدٌ.

وما حكاهُ الثَّعلبيُّ عن بعضِ المُفسِّرين: أنَّ اللُّؤلؤَ والمرجانَ الحسنُ والحُسَينُ رضي الله عنهما، فقد حمَلَ هذا القائلُ قولَه سُبحانَه: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: ٥٣] على عليٍّ وفاطمةَ عليهما الرِّضوانُ والسَّلامُ، والبرزَخَ على محمَّدٍ ﷺ؛ فتأويلٌ مُزيَّفٌ عندَ المُحقِّقِينَ(٢).

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾: لله إجراءُ السُّفُنِ، جمعُ جاريةٍ.

﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ بالفتحِ: المُحدَثاتُ.

وقيل: المخلوقاتُ.

وقيل: المرفوعاتُ الشُّرُع.

وقيل: أُنشِئنَ: أُجرِينَ(٣).

و﴿المُنشِئاتُ﴾ بالكسرِ(٤)؛ أي: أَنشأنَ السَّيرَ(٥)؛ فحُذِفَ المفعولُ(٦).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٦) بلفظ: «المرجان: الخرز الأحمر»، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٧) بلفظ: «المرجان حجر».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣١٧) عن سفيان الثوري ولا يصح سنده، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧١)، وعده من العجائب.

(٣) في (ن): «وأجرين».

(٤) قرأ بها حمزة وشعبة، والباقون بفتح الشين. انظر: «السبعة» (ص: ٦١٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

(٥) «أنشأن» ليس في (ف)، و«السير» ليس في (ن)، والصواب المثبت.

(٦) أي: المنشئات السيرَ، فحذف المفعول للعلم به ونسب الفعل إليها على الاتساع؛ كما يُقال: مات زيد، ومرض عَمْرو، ونحو ذلك ممَّا يُضاف الفعل إليه إذا وجد فيه وهو في الحقيقة لغيره؛ فإن =

وقيل: ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ مفعولُـها على تقديرِ: أمواجًا كالأعلامِ، وعلى الوجهِ الأوَّلِ ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ صفةٌ لـ﴿الْجَوَارِ﴾.

و(الأعلامُ): الجبالُ، وقيل: القصورُ.

المُبرِّدُ: ﴿الْمُنشَآتُ﴾ بالفتحِ: ما رُفِعَ شِراعُها، وبالكسرِ: البادياتُ.

وقيـل: بالكسرِ مجـازٌ، كما تقـولُ: مرِضَ زيـدٌ، وانكسَـرَ الكـوزُ، والفعلُ في الحقيقـةِ لغيرِهما.

***

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٥ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٥ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ الهاءَ تعودُ إلى الأرضِ، قالوا: وهو كقولِهم: ليس عليها أكرمُ من فلانٍ؛ يعنُونَ: على الأرضِ، وإنْ لم يتقدَّمْ لها ذكرٌ، ولعلَّهم يَعْنون: لم يَتقدَّم لها ذكرٌ في الآيةِ، أمَّا في السُّورةِ فقد تقدَّمَ في قولِه: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ [الرحمن: ١٠].

والمعنى: يُفني الله جميعَ الحيوانِ الذي على وجهِ الأرضِ.

وقيل: يُريدُ الجنَّ والإنسَ خاصَّةً؛ لقولِه: ﴿مَنْ عَلَيْهَا﴾.

والقولُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ غيرَ العاقلِ تَبَعٌ لهم في الجموعِ.

= سيرها إنما يكون في الحقيقة لهبوب الرّيح وَرفع الصواري. انظر: «الحجة» للفارسي (٦/ ٢٤٨).
وقدره الطبري على كسر الشين بمعنى: الظاهرات السير اللاتي يقبلن ويدبرن.
وقال السمرقندي: «يعني: المبتدئات في السير». وقال البغوي: «المُنْشِئَاتُ لِلسَّير؛ يعني: اللاتي ابتَدَأْن وأَنشأْن السَّيرَ». انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢١٠)، و«بحر العلوم» (٣/ ٣٨٢)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٥).

ويحتمِلُ الضَّميرُ في الآيةِ ـ والله أعلَمُ ـ أنَّه يعودُ إلى الأرضِ والسَّماواتِ؛ كقولِه: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ﴾ [الزخرف: ٩]، فيكونُ المعنى: يُفني الله كلَّ شيءٍ ويبقى وجهُه وحدَه؛ لقولِه[1]: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ولِمَا ذهبَ إليه المُحققون: وهو أنَّ الموتَ ليس بإفناءٍ؛ لأنَّ جسمَ الميتِ باقٍ، وإنَّما الإفناءُ أن يُعدِمَه حتَّى يصيرَ بالفناءِ في حُكمِ ما لم يُوجَدْ، ثمَّ يُعيدُه[2] ويَرجعُه ثانيًا على الصِّفةِ التي كان عليها في الوجودِ الأوَّلِ، وفَناءُ بعضِ الأجسامِ فَناءٌ لسائرِها[3].

قالوا: والنِّعمةُ في الفَناءِ: للتَّسويةِ بينَهم حتَّى لا يكونَ لأحدٍ منهم فضلٌ في الحياةِ.

ويحتمِلُ: أنَّ النِّعمةَ في الفَناءِ[4] هو ما يَبْتَني عليه منَ الإعادةِ ليصلَ المؤمنونَ إلى ما وُعِدُوا به من النَّعيمِ الدّائمِ السرمد[5].

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ الوجهُ هاهنا صلةٌ، كما تقولُ: هذا وجهُ الأمرِ، وعينُ الشَّيءِ.

وقيل: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾: ما يُبتَغى به اللهُ تعالى.

﴿ذُو الْجَلَالِ﴾: ذو العظَمةِ ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾: الإعظامِ بالإحسانِ.

وقيل: الجلالُ: التَّنزيهُ، من قولِهم: هو أَجَلُّ عن هذا[6].

---

(١) في (ن): «كقوله»، والمثبت من (ف)، وهو الأنسب.

(٢) «يعيدُه» هكذا ضبط الفعل في النسختين بالضم على الاستئناف.

(٣) في (ن): «كسائرها».

(٤) في (ف): «الإفناء».

(٥) «السرمد». من (ف)

(٦) كذا في النسختين، والجادة: «أجلُّ من هذا».

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾: يسألُه أهلُ الأرضِ الرِّزقَ والمغفرةَ، وأهلُ السَّماءِ القُوَّةَ والمغفرةَ.

وقيل: يسألون الرِّزقَ والمغفرةَ للمؤمنين كما سبقَ.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ ظرفٌ للسُّؤالِ(١).

وقيل: ظرفٌ لـ﴿شَأْنٍ﴾؛ أي: شأنٍ يقعُ كلَّ يومٍ، واليومُ هاهنا عبارةٌ عن الوقتِ.

وقد أكثَرُوا في تفسيرِ الشَّأنِ، والأَولى ما جاء مرفوعًا عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «شأنُه أن يغفرَ ذنبًا، ويدفعَ كربًا، ويرفعَ قومًا ويضعَ آخَرين»(٢).

وقيل: شأنُه سبحانَه: سَوقُ المقاديرِ إلى المواقيتِ.

وقيل: بَعثُ الرُّسلِ، وشَرْعُ الشَّرائعِ.

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ ظرفٌ للسُّؤالِ وهو صلةٌ، و﴿فِى شَأْنٍ﴾ مُتعلِّقٌ بالسَّائلين؛ أي: شأنٍ يحدُثُ لهم ويتجدَّدُ، وعلى هذا التأويلِ يجوزُ أن يكونَ ﴿هُوَ﴾ كنايةً عن السُّؤالِ، و﴿فِى شَأْنٍ﴾ خبرَه؛ أي: سؤالُهم كلَّ يومٍ في شأنٍ يبدو لهم فيظهرُ. والله أعلَمُ.

ابنُ بحرٍ: الدَّهرُ كلُّه عندَ الله يومانِ؛ مدَّةُ الدُّنيا يومٌ، وهو في الدُّنيا في الأمرِ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧١)، واستغربه، ثم قال: «فيحسن الوقف عليه». وقدم ثمة في تفسير الآية قوله: «﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ متصل بمضمر؛ أي: هو في شأن يقع كل يوم». وهو ما سيأتي لاحقاً هنا.

(٢) ذكره البخاري معلقًا عن أبي الدرداء رضي الله عنه موقوفًا عليه قبل حديث (٤٨٧٨)، ورواه ابن ماجه (٢٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٩) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا.

والنَّهي وتدبيرِ العالَـمِ، والآخَرُ يومُ القيامةِ، وهو في الآخرةِ في الجزاءِ والحسابِ والثَّوابِ والعقابِ(١).

***

(٣٠ ـ ٣٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ هذا تهديدٌ ووَعيدٌ بالجزاءِ والحسابِ بالإجماعِ؛ إذ ليس له سُبحانَه شغلٌ يكونُ له فراغٌ، وهذا كما تقولُ لمَن تُهدِّدُه: سأفرُغُ لك؛ قال جريرٌ:

الآنَ وقـد فَرَغْـتُ إلـى نُـمَيرٍ ... وهــذا حـينَ كنتُ لهم عذابًا(٢)

وقيل: معناه: سينتَهي الأمرُ ويصِلُ إليكم الوعدُ والمُتوعَّدُ.

وقيل: معناه: سنقصِدُكم بعدَ تركٍ وإمهالٍ.

وقيل: الفراغُ للفعلِ: التَّوفُّرُ عليه دونَ غيرِه(٣).

﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ هما الإنسُ والجِنُّ، وسُمِّيا الثَّقلَينِ لثِقَلِهما على الأرضِ.

وقيل: لعقلِهم ورزانَتِهم وقَدْرِهم.

وقيل: لأنَّهما مُثْقَلانِ بالذُّنوبِ.

وقيل: مُثْقَلانِ بالتَّكليفِ.

---

(١) ذكر النبوي نحوه في «تفسيره» (٤/ ٣٣٥) عن سفيان بن عيينة.

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٣٣٩)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٤٩)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٣٤)، و«البسيط» (٢١/ ١٦٥)، ولم أقف عليه في «ديوانه» دار المعارف، ط٣، ت: نعمان طه.

(٣) ذكر الثعلبي نحوه في «تفسيره» (٢٥/ ٣٣٤) عن ابن كيسان، لكن يلفظ: «الفراغ للفعل الوقوف عليه دون غيره».

(٣٣) ـ ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: إنْ قَدرْتُم أن تخرُجُوا من جوانبِ السَّماواتِ والأرضِ سابقينَ الله ومُعجِزينَ له ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾: فاخرُجوا، وهذا كقولِه: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، خاطبَهم به في الدُّنيا، ثمَّ قالَ: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: لا تخرُجونَ من سُلطاني إلا بحُجةٍ(١)، والمعنى: حيثُ خرَجْتُم إليه فثَمَّ سُلطاني، فيكونُ الباءُ للظَّرفِ كما تقولُ: اجتَزْتُ بقريةِ كذا.

وقيل: لن تجتازُوا أرضًا إلّا لقِيَكُم سلطانُ الموتِ، فيكونُ كما تقولُ: اجتَزْتُ به.

وقيل: الباءُ بمعنى: إلى؛ أي: إلى سُلطاني.

وقيل: لا تجتازُونَ مَوضِعًا إلّا شاهَدْتُم سلطانَ الله وحجَّتَه الدّالَّةَ على الوحدانيّةِ.

وقيل: يُخاطبُهم به في القيامةِ إذا نزلَتِ الملائكةُ، وصَفُّوا حولَ الإنسِ والجنِّ، والمعنى: يُقالُ لكم عندَ الفراغِ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الآية، ومعنى: ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾: لا تَجُوزُونَ ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: بإيمانٍ وطاعةٍ.

وقيل: إذا أتوا بالحُجَّةِ ـ وهي الإيمانُ والطَّاعةُ ـ أمرُوا بهم إلى الجنَّةِ، فيخرُجونَ من أقطارِهما؛ لأنَّ الجنةَ خارجةٌ من أقطارهما.

وقيل: ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ أمرُ تعجيزٍ.

---

(١) «إلا بحجة» من (ف).

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنِ استطعتُم أن تعلَمُوا ما في السَّماواتِ والأرضِ فاعلَمُوا، لا تعلمونَ ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: إلّا بالبيِّنةِ منَ الله تعالى[١].

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ الشُّواظُ والشِّواظُ[٢]: اللَّهَبُ الذي لا دُخانَ معه.

وقيل: الشُّواظُ: نارٌ تتأجَّجُ.

وقيل: اللَّهبُ الأخضرُ.

وقيل: خلطٌ منَ النّارِ والدُّخانِ.

﴿وَنُحَاسٌ﴾: هو الدُّخانُ[٣].

ابنُ عبَّاسٍ: الصُّفْرُ المُذابُ يُصَبُّ على رأسِ أهلِ النّارِ[٤].

الرَّفعُ بالعطفِ على (الشُّواظ)، والجرُّ[٥] بالعطفِ على (نارٍ)، وقيل: عطفٌ على ﴿شُوَاظٌ﴾، وجُرَّ بالمُتابعةِ والجوارِ.

الحسنُ وابنُ زيدٍ: لا نَدري ما النُّحاسُ في الآيةِ[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٩).

(٢) قرأ ابن كثير بكسر الشين، والباقون بضمِّها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢١) و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٢٤) عن ابن عباس، واختاره.

(٤) رواه هكذا الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٢٥) عن مجاهد، ورواه عن ابن عباس بلفظ: «النحاسُ: الصُّفْرُ يُعذَّبون به». وإسناده ضعيف جدًّا.

(٥) قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو بالجر، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢١)، و«التيسير» (ص: ٢٠٦).

(٦) لم أجده. وفي «الهداية» لمكي (١١/ ٧٢٢٨) عن الحسن: أنه الصفر يعذبون به. وهو مروي عن =

وقيل: الشُّواظُ: طائفةٌ منَ العذابِ، والنُّحاسُ: نَحسٌ لأعمالِـهم.

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾: لا تقدرانِ على الامتناعِ ممَّا يُعمَلُ بكما وتكرهانِه.

***

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: انفَكَّ بعضٌ[1] من بعضٍ لقيامِ السّاعةِ، ﴿فَكَانَتْ﴾: فصارَتْ ﴿وَرْدَةً﴾ قيل: كلونِ الوردِ المشمومِ.

ابنُ عبَّاسٍ: تصيرُ كلونِ الفرسِ الوَرْد[2].

وقيل: كلونِ الفرسِ الوَردَةِ[3]؛ لأنَّه يَتلوَّنُ في الفُصولِ الأربعةِ، فشُبِّهَ تلوُّنُها بتلوُّنِ الوَردِ منَ الخيلِ[4].

قولُه: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ قيل: جمعُ دُهنٍ.

= ابن عباس كما ذُكر آنفاً.

(١) كذا في النسختين، والجادة: «انفكّ بعضها» كما في «تفسير النسفي» (٣/ ٤١٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩)، والفريابيُّ وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتِم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣٤٢). وانظر شرحه في التعليق الذي بعده.

(٣) «وقيل كلون الفرس الوردة» من (ف).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٧)، وفيه: «أراد بالوردة الفَرس، الوردةُ تكون في الربيع وردةً إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء، فإذا كانَ بعد ذلك كانت وردةً إلى الغُبْرة، فشُبِّه تلوُّن السماء بتلون الوردة من الخيل». والورد والوردة صفتان للذكر والأنثى، فقد قيل للفرس: وَرْدٌ، وهو ما بين الكُميت والأشقر، والأنثى وَرْدَةٌ، وقد وَرُدَ الفرس يَوْرُدُ وُرُودةً؛ أي: صار وَرْداً، واللون: وُرْدةٌ، مثل: شُقْرَةٍ. تقول: اِيرادَّ الفرسُ، كما تقول: ادْهامَّ الفرسُ واكْماتَّ، وأصله: اِوْرادَّ، صارت الواو ياءً لكسرةِ ما قبلها. انظر: «الصحاح» و«اللسان» مادة: (و ر د).

أي: تحمَرُّ احمرارَ الوردِ، ثمَّ تذوبُ ذَوبانَ الدُّهنِ.

وقيل: كالدِّهانِ المُختلفةِ يُصَبُّ بعضُها على بعضٍ، وحَمَلَ هذا القائل (المُهْلَ) على الدُّردِيِّ.

وقيل: الدِّهانُ: الأديمُ الأحمرُ؛ أي: تحمَرُّ السَّماءُ فتصيرُ كالنِّطْعِ المُتَّخذِ منَ الأديمِ الأحمرِ، وحملَ قولَه: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨] على الفِلزِّ المُذابِ.

وقيل: السَّماءُ الدُّنيا منَ الحديدِ، ولهذا تذوبُ، ولو كانَ غيرَ الجوهرِ(١) لاحترَقَ.

وقيل: أصلُ لونِ السَّماءِ الحمرةُ، لكنَّها من بُعدِها وكثرةِ الحوائلِ تُرَى زرقاءَ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: كانت كشُعاعِ دُهْنٍ في شمسٍ، والوردةُ: قُرصُ الشَّمسِ.

وقيل: الدِّهانُ: الشَّيءُ الزَّلقُ.

***

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: فيومَ تنشَقُّ السَّماءُ ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ وقال في سورةٍ أُخرى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، ولا تناقُضَ؛ لأنَّ التَّقديرَ: لا يُسألُ سؤالَ استعلامٍ؛ لأنَّهم يُعرفونَ بسيمَاهُم، لكن يُسألونَ سؤالَ توبيخٍ وتقريعٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: في القيامةِ مواقفُ يُسألونَ في بعضِها، ويُختَمُ على أفواهِهم في بعضِها(٢).

---

(١) كذا في النسختين، والأظهر لو كان: «غير هذا الجوهر».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٥) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٠) عن قتادة قال: «قد كانت مسألة، ثم ختم على ألسنة القوم، فتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون».

والأوَّلُ أظهَرُ(١)؛ لقولِه: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ولقولِه: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

والضَّميرُ مُقدَّمٌ في اللَّفظِ(٢)، والتَّقديرُ: لا يُسألُ إنسٌ ولا جانٌّ عن ذنبِه.

وقيل: إضمارٌ عن غيرِ مذكورٍ، والذَّنبُ يدلُّ عليه؛ أي: لا يسألُ عن ذنبِ المُذنبِ إنسٌ ولا جانٌّ، والمعنى: لا يُؤخَذُ أحدٌ بذنبِ غيره(٣).

* * *

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾: هو ما تقدَّمَ من سوادِ الوجهِ وزُرقةِ العيونِ، وما يَعْلوهُم منَ الكآبةِ والحزنِ.

﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي﴾ مرَّةً لقولِه: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] ﴿وَالْأَقْدَامِ﴾ مرَّةً لقولِه: ﴿يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨].

وقيل: يُجمَعُ بينَ النَّواصي والأقدامِ، نعوذُ باللهِ منَ النارِ وعقابِها.

والسِّيماءُ: العلامةُ.

والنَّاصيةُ: شعرُ مُقدِّمةِ الرَّأسِ، سُمِّيت ناصيةً لاتِّصالِها به، وأصلُ الكلمةِ: الاتِّصالُ.

* * *

(٤٢ ـ ٤٣) ـ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: يُقالُ لهم وهم

---

(١) في (ف): «ظاهر».

(٢) لكنه يعود على متقدِّم في الرتبة، فلا إشكال.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٢)، واستغربه.

فيها: هذه جهنَّمُ التي كانَ المشركونَ يُنكِرونَها ويُكذِّبونَ بها، توبيخًا لهم وزيادةً في تعذيبِهم.

وقيل: هو استئنافُ كلامٍ؛ أي: هذه يا محمَّدُ صفةُ جهنَّمَ التي يُكذِّبُ بها ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: المُشركون.

***

(٤٤) ـ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ بين النّارِ ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾: ماءٍ حارٍّ بلغَ النِّهايةَ في الحرارةِ، يُصَبُّ عليهم مرّةً، ويُسقَونَ منه أُخرى؛ لقولِه: ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٢].

ومعنى ﴿ءَانٍ﴾: بلغَ النِّهايةَ في الحرارةِ.

وقيل: معنى ﴿ءَانٍ﴾: آنَ شُربُه.

وقيل: ﴿ءَانٍ﴾: حاضرٍ، والمعنى: لا مخلصَ لهم منَ النّارِ.

***

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾؛ أي: خافَ فأدَّى الفرائضَ، وقيل: خافَ فتركَ المعاصيَ.

والمقامُ: المصدرُ أو المكانُ؛ فإن جعلتَه المصدرَ فالفعلُ للخائفِ، وأضافَ إلى الله تعالى لأنَّ التَّقديرَ: قيامَه بينَ يدَي ربِّه.

وإنْ جعلتَه للمكانِ فإضافتُه إلى الله تعالى إضافةُ مِلْكٍ، كما تقولُ: مسجدُ الله.

ويحتمِلُ: (مقامَ حسابِ رَبِّه) مصدرًا ومكانًا.

ذهبَ جماعةٌ إلى أنَّها نزلَتْ في أبي بكرٍ رضي الله عنه؛ شرِبَ لبنًا، فقيلَ له: إنَّه من غيرِ حلٍّ، فاستقاءَ(١).

قولُه: ﴿جَنَّتَانِ﴾ قيل: جنَّةٌ للإنسِ، وجنَّةٌ للجِنِّ.

وقيل: جنَّةُ عدنٍ، وجنَّةُ نعيمٍ.

وقيل: جنَّةٌ هو فيها، وجنَّةٌ فيها أزواجُه وخدَمُه.

وقيل: جنَّةٌ في قصرِه، وجنَّةٌ خارجَ قصرِه يذهبُ إليها تنزُّهًا.

الفرَّاءُ: إنَّما هي جنَّةٌ واحدةٌ، فثُنِّيَ على عادةِ العربِ في إجراءِ الواحدِ مُجرى التَّثنيةِ، وأنشدَ:

ومَهْمَهَينِ قَـذَفَـيْـــنِ مَرْتَـيْـنِ قطَعْتُه بالسَّـمْتِ لا بالسَّمْتَيْنِ(٢)

وقولُ الفرَّاءِ ضعيفٌ؛ لقولِه: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢].

***

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٧)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٣٣) عن الضحاك.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٢) واستغربه.

ونسب الرجز لهميان بن قحافة في «أمالي ابن الشجري» (٢/ ٤٩٦)، ولخطام المجاشعي في «شرح المفصل» (٣/ ٢١١)، و«لسان العرب» (٢/ ٨٩). والمهمه: القفر المخوف والمفازة البعيدة. والقَذْف: ما ارتفع من الأرض، والمَرْتُ: التي لا ماء بها ولا نبات فيها. والواوُ بمعنى: رُبَّ، وقوله: «قَطَعْتُه بالسَّمْتِ لا بالسَّمْتَيْن» معناه: قَطَعْتُه على طريقٍ واحدٍ لا على طريقين. وروي: «بالنعت لا بالنعتين»؛ أي: نُعتا لي مرةً واحدة، فلم أحتج إلى نعتهما إلى مرة أخرى، وصف نفسه بالحذق والمهارة. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٠/ ٢٧٢)، و«اللسان» مادة: (س م ت).

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ قيل: ألوانٍ وأنواعٍ منَ الأشجارِ والثِّمارِ وغيرِهما، جمعُ فَنٍّ.

وقيل: ﴿أَفْنَانٍ﴾: أغصانٍ، جمعُ فَنَنٍ.

وقيل: ذواتا فِناءٍ واسعةٍ، حكاه الماورديُّ[(١)]، وهو بعيدٌ.

وجاءَ: شجرةٌ فَنْواءُ: كثيرةُ الأفنانِ.

الأخفشُ: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾: ذواتا أشجارٍ[(٢)].

عكرمةُ: أفنانٌ: أطرافُ الأغصانِ، وأنشدَ:

ما هاجَ شَوقَكَ من هَدِيرِ حَمامَةٍ ... تدعُو على فَنَنِ الغُصُونِ حَماما

تدعُو أبا فَرخَينِ صادَفَ ضارِياً ... ذا مِخلَبَينِ منَ الصُّقورِ قَطاما[(٣)]

* * *

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ﴾ في الجنَّتينِ عينانِ منَ الماءِ ﴿تَجْرِيَانِ﴾ إلى حيثُ يشاءُ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٨).

(٢) لم أجد عنه تفسيرها بالأشجار، وجاء عنه تفسيرها بالأغصان، ففي «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٠): «﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ واحدها: الفنن»، وفي «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٨): «ذواتا أغصان، قاله الأخفش وابن بحر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٠)، ولفظه: «ظل الأغصان على الحيطان»، ثم ذكر البيتين، ورواه أبو بكر الأنباري في «الوقف والابتداء» (١/ ٦٥) بلفظ: «ذواتا ظل وأغصان»، ثم ذكر البيتين، ولم أقف على قائلهما. ويقال: صقر قطامٌ وقطاميّ؛ أي: لَحِمٌ. انظر: «المحكم» مادة: (ف ط م) (٦/ ٢٩٥).

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾؛ أي: من جميعِ أجناسِها صِنفانِ؛ رَطبٌ ويابسٌ، كالرُّطبِ والتَّمرِ والعِنَبِ والزَّبيبِ.

ابنُ عبَّاسٍ: ما في الدُّنيا ثمرةٌ حُلوٌ ولا مُرٌّ إلّا وهي في الجنَّةِ حتّى الحنظَلُ[1].

* * *

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ﴾: جالسينَ جُلوسَ راحةٍ ودَعةٍ ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾: جمعُ فِراشٍ، وهو ما استُمْهِدَ للجلوسِ والنَّومِ.

﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: جمعُ بِطانةٍ، والإستبرَقُ: الدِّيباجُ الثَّخينُ الغليظُ بكثرةِ الإبْرِيْسَمِ، ولـم يذكرِ الظِّهارةَ لعِلْمِ النَّاسِ بفضلِ الظِّهارةِ على البِطانةِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وصفَ لكم البطائنَ، وظواهرُها لا يعلمُها إلا الله[2].

قال الفرَّاءُ: أرادَ بالبطائنِ: الظَّهائرَ، كما تقولُ: باطنُ السَّماءِ، تُريدُ: ظاهرَها[3].

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: قريبٌ لا يرُدُّهُ بُعدٌ ولا شوكٌ.

وقيل: ﴿دَانٍ﴾ لمَن أرادَ تناوُلَه قائمًا وقاعدًا بيدِه أو بفيه.

و(الجنَى) اسمٌ بمعنى المجنيِّ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٣٢) وفيه: «حتى الحنظل إلا أنه حلو».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٨٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢١٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٨).

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ جَمعَ بعدَ[1] التَّثنيةِ؛ لأنَّ المُرادَ: في قُصورِ الجنَّتَينِ.

وقيل: يعودُ إلى الجنانِ؛ لأنَّه ذكرَ ثنتَينِ، وعن قريبٍ يذكرُ أُخرَيَينِ.

وقيل: يعودُ إلى الفُرُشِ، وهو الوجهُ.

ومعنى ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: حبَسْنَ الطَّرفَ على أزواجِهنَّ من غيرِهم، والطَّرفُ: النَّظرُ بطرفِ العَين، وهو الجَفْنُ، ولـم يُجمَعْ في الآيةِ لأنَّ المُرادَ به المصدرُ.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾: لـم يمسَّهُنَّ ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ قيل: ما أدماهُنَّ بالجماعِ أحدٌ، والطَّمثُ: المُجامَعةُ بالتَّدميةِ، والضَّمُّ فيه لغةٌ[2]، وقولُه: ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾؛ أي: حورُ الإنسِ[3] لـم يطمِثْهُنَّ إنسٌ، وحورُ الجنِّ[4] لـم يطمِثْهُنَّ جِنٌّ، وهذا دليلٌ أنَّ الجنَّ يُجامِعُ.

وقيل: لـم يُجامِعْ حورَ الإنسِ الجنُّ، فقد رُوِيَ أنَّ الرَّجلَ إذا لـم يذكرِ اسمَ الله تعالى عندَ الجماعِ شاركَه في جماعِه الشَّيطانُ يُجامِعُ امرأتَه معه[5].

---

(١) في (ف): «بين».

(٢) ضمُّ الميم رواية عن الكسائي، وقرأ الباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢١)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٣) في (ف): «للإنس».

(٤) في (ف): «للجن».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٨) عن مجاهد.

وقد صح مشاركة الشيطان للرجل غير الذاكر في المبيت والطعام، فقد روى مسلم (٢٠١٨) عن جابر بن عبد الله، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، =

الحسنُ: يقولُ: هُنَّ المُؤمناتُ لـم يمسَّهُنَّ قبل أزواجِهنَّ في الجنَّةِ أحدٌ بعد خلقِ الله تعالى إيَّاهُنَّ الخلقَ الثّانيَ(١).

* * *

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾؛ أي: كأنَّهنَّ الياقوتُ حُمرةً وصفاءً، والمرجانُ بياضًا وضياءً.

* * *

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾؛ أي: ذلك جزاءُ المؤمنينَ، أحسَنُوا في الدُّنيا فأحسَنَ الله إليهم في العُقْبى.

ابنُ عبّاسٍ: هل جزاءُ «لا إلهَ إلَّا اللهُ» إلا الجنَّةُ ونعيمُها(٢).

وعن ابنِ عبّاسٍ أيضًا وابنِ عمرَ رضي الله عنهم قالا: قالَ رسولُ الله ﷺ:

= قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء، وإذا دخل، فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء».

وصح أيضاً استحباب ذكر الله تعالى قبل الجماع، فقد روى البخاري (١٤١)، ومسلم (١٤٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله، قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك، لم يضره شيطان أبدًا».

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٣٣٣) دون نسبة.

(٢) رواه عنه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧١٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣٦٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٠).

«يقولُ الله تعالى: ما جزاءُ مَن أنعمتُ عليه بمعرفَتي وتوحيدي إلّا أن أُسكِنَه جنَّتي وحظيرةَ قُدسي برحمَتي»[١].

***

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾؛ أي: دونَ الجنَّتينِ اللَّتينِ تقدَّمَتا جنَّتانِ أُخرَيانِ.

ومعنى ﴿دُونِهِمَا﴾ قيل: في الدَّرجةِ.

وقيل: في المكانِ؛ أي: أقربُ منهما إلى قصرِه.

وقيل: معنى ﴿دُونِهِمَا﴾: معَهما، فيكونُ لكلِّ مُؤمنٍ أربعُ جنانٍ في الجهاتِ الأربعِ: بينَ يدَيه، ومن خلفِه، ويمينِه، وشمالِه.

وقيل: أربعُ جنانٍ على التَّوالي؛ ليتَضاعفَ له السُّرورُ بالتَّنقُّلِ من جنَّةٍ إلى جنَّةٍ.

المُبرِّدُ: جنَّتانِ عُلْيَيَانِ وجنَّتان سُفلَيَانِ؛ فالعُلْيَيَانِ: جنَّةُ عدنٍ وجنَّةُ النَّعيمِ، والسُّفْليَانِ جنَّةُ الفِردوسِ وجنَّةُ المأوى.

وقيل: الأُوْلَيَانِ جنتان في القصر، والأُخْريَان جنتان خارجَ القصر[٢].

وقيل: الأوليانِ للرِّجالِ والولدانِ، والأُخريانِ للنِّساءِ والحورِ العينِ.

---

(١) رواه من حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٢)، وفيه بشر بن عبيد وهو منكر الحديث. وروى نحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنه، وقال: تفرد به إبراهيم بن محمد الكوفي، وهو منكر، وذكر نحوه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٦٦) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) «وقيل الأوليان جنتان في القصر والأخريان جنتان خارج القصر» من (ف).

الحسنُ: الأوليانِ للسَّابقينَ إلى الأنبياءِ بالإيمانِ، والجنَّتانِ دونَهما للأتباعِ[١].

وقيل: المُرادُ بالتَّثنيةِ هاهنا الجمعُ كقولِك: لبَّيكَ وسعدَيكَ وحنانَيكَ، وما جاء مثنًّى والمُرادُ به الجمعُ والدَّوامُ، والمعنى: لهم الجنان مُتَّصلةً بعضُها ببعضٍ.

* * *

(٦٣ ـ ٦٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ﴾؛ أي: مُرتَويَتانِ ناعِمَتانِ.

وقيل: خَضراوانِ تضرِبُ خُضرتُهما إلى السَّوادِ، والدُّهمةُ: السَّوادُ؛ أي: الغالبُ على هاتَينِ الجنَّتينِ النَّباتُ والرَّياحينُ المُنبسطةُ على وجهِ الأرضِ، وفي الأولَيينِ الأشجارُ والفواكهُ.

* * *

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ النَّضخُ: دُونَ الجري.

وقيل: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾: فوَّارتانِ بالماءِ.

وقيل: جاريتانِ.

وقيل: مملوءتانِ لا تنقَطِعانِ.

أنسٌ رضي الله عنه: نضَّاخَتانِ بالمسكِ والعنبرِ[٢].

---

(١) ذكره عن الحسن الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣٧١)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٣٣٣)، وروى نحوه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٨١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٨) عن أبي موسى.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢٨)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٦٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٠٣).

الحسنُ: بالخيرِ والبركةِ[(١)].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: بأنواعِ الفاكهةِ[(٢)].

* * *

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ هذه دونَ الأُولى؛ لأنَّه ذكرَ في الأولى: ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾.

والنَّخلُ والرُّمّانُ عند بعضِ الفُقهاءِ ليسا منَ الفاكهةِ؛ لأنَّ المعطوفَ غيرُ المعطوفِ عليه، قال: ولو حلَفَ لا يأكلُ الفاكهةَ، ثمَّ أكلَ تمرًا أو رُمَّانًا لا يحنَثُ.

وعند بعضِهم هما منَ الفاكهةِ، وأُفرِدا بالذِّكرِ لفضلِهما عند العربِ، ومثلُه: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

* * *

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾: في الجنانِ الأربعِ.

وقيل: تعودُ إلى الخيامِ المذكورةِ بعدُ.

والخَيْراتُ: جمعُ خَيْرةٍ، والأصلُ: (خَيِّرةٌ) بالتَّشديدِ فخُفِّفَ؛ كهَيِّنٍ وهَيْنٍ، ولَيِّنٍ ولَيْنٍ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤١).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤١)، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٥٥) بلفظ: «بالماء والفاكهة».

وقيل: ﴿خَيْرَٰتٌ﴾: عَذارى حِسانُ الوجوهِ.

وقيل: ﴿حِسَانٌ﴾: فيهنَّ محاسنُ: من فعلِ الخيرِ، وحُسنِ الخلقِ، وذَكَرَ[1] أنَّ الفعلَ منَ الأوَّلِ: «حَسُنَ وجهُه» بالضَّمِّ، ومنَ الثّاني: «حَسِنَ» بالكسرِ.

والجمهورُ على أنَّهنَّ الحورُ العينُ أنشأهُنَّ الله للمُؤمنينَ.

وقيل: هنَّ نساءُ المؤمنين[2].

وقيل: هُنَّ النِّساءُ المُؤمناتُ الخيِّراتُ الصّالحاتُ.

* * *

(٧١ ـ ٧٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾: محبوساتٌ في الحِجالِ.

وقيل: مقصوراتُ الطَّرفِ على أزواجِهنَّ.

وقيل: مُخدَّراتٌ.

وقيل: مُبيَّضاتٌ، من قِصارةِ الثَّوبِ، وهو تبييضُه، وفيه بُعدٌ.

وفي ﴿ٱلْخِيَامِ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّها البيوتُ.

والثّاني: لأهلِ الجنَّةِ خيامٌ خارجَ القصورِ كهيئةِ البدوِ.

والثّالثُ: هي الخيامُ منَ الدُّرِّ فيهنَّ الحورُ العينُ.

* * *

(١) قوله: «وذَكَر» هكذا ضبط في (ف) بالمبني للمعلوم، فيكون المراد به صاحب هذا القيل.

(٢) «وقيل هن نساء المؤمنين» من (ف).

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ كُرِّرَ لأنَّهنَّ غيرُ الأُولَيَاتِ.

* * *

(٧٥ ـ ٧٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ وسائدَ ونَمارِقَ، الواحدُ: رَفْرفةٌ؛ أي: كما اتَّكَؤوا في الأُولَيينِ على فُرُشٍ بطائِنُها من إِستبرقٍ، اتَّكؤُوا في هاتَينِ على رَفْرفٍ خُضْرٍ.

وقيل: الرَّفرَفُ: رياضُ الجنانِ، واحدُها: رَفرفةٌ، من (رَفَّ النَّبْتُ يَرِفُّ)؛ إذا صارَ غضًّا طريًّا نضِرًا.

وقيل: الرَّفرفُ: المجالسُ.

وقيل: فُضولُ المجالسِ، والرَّفرفُ هو فضلُ الثِّيابِ.

وقيل: ذُيولُ الخيامِ يتَّكئونَ عليها، والرَّفرفُ في كتابِ «العين»: كِسْرُ الخباءِ وما يُحاطُ في أسفلِ السُّرادقِ[1].

﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾: بُسُطٍ، وقيل: ديباجٍ. وقيل: طَنافِسَ ثِخانٍ.

وقيل: العبقريُّ صفةٌ لكلِّ ما بُولِغَ في وصفِه، ومنه قولُه عليه السَّلامُ في عمرَ رضي الله عنه: «لم أرَ عبقريًّا يفرِي فَرِيَّه»[2]؛ أي: يعملُ عملَه، وأصلُ عَبْقَرَ: بلدٌ كانَ يُوَشَّى فيه البُسُطُ وغيرُها، فنُسِبَ إليه كلُّ شيءٍ جيِّدٍ حسَنٍ.

---

(١) انظر: «العين» (٨/ ٢٥٥)، وفيه: والرَّفْرَف: كِسْر الخِباء ونحوه، وهو أيضاً خِرْقة تُخاط في أَسْفَلِ السُّرادِق والفُسطاط ونحوه. وكلمة «يحاط» في المتن كذا وقعت بالحاء في النسختين.

(٢) رواه البخاري (٣٦٨٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقيل: عَبْقَرُ: اسمُ رجلٍ كانَ بمكَّةَ يتَّخِذُ الزَّرابيَ ويُجيدُها فنُسِبَ إليه.

وقيل: عَبْقَرُ: اسمُ أرضٍ يسكنُها الجنُّ، يُنسَبُ إليها خيارُ كلِّ شيءٍ.

وجُمِعَ ﴿خُضْرٍ﴾ حملًا على الجنسِ.

***

(٧٧ ـ ٧٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾: تعالى صفتُه عن صفاتِ المخلوقينَ.

وقيل: تبارَكَ ربُّكَ، والاسمُ صلةٌ، كقولِه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾ [الفرقان: ١].

﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾: ذي العظَمةِ، والجلالُ لا يُستعمَلُ إلا لله تعالى، وقُرِئَ: ﴿**ذو الجلال**﴾[1] حملًا على الاسمِ.

﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: يُكرِمُ أولياءَه بالإنعامِ عليهِم والإحسانِ إليهم.

***

(١) قراءة ابن عامر، والباقون: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢١)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

ستٌّ وتسعونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: إلَّا آيةً نزلَتْ بالمدينةِ، وهي: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢][2].

وقيل: إلَّا قولَه: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩ـ ٤٠]، وقولَه: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [الواقعة: ٨١][3].

ورَوَى جماعةٌ منَ المُفسِّرين أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ دخلَ على ابنِ مسعودٍ رضي الله عنهما في مرضِه الذي ماتَ فيه فقالَ له: ما تشتكي؟ فقال: ذُنوبي، قال: ما تشتَهي؟ قال: رحمةَ ربِّي، قال: أفلا نَدعُو الطَّبيبَ؟ قال: الطَّبيبُ أمرَضَني، قال: ألَا نأمرُ بعطائِكَ؟ قال: لا حاجةَ لي فيه، فقال: تدفعُه إلى بناتِكَ، قال: لا حاجةَ لهنَّ فيه، قد أمرتُهنَّ أن يقرَأْنَ سورةَ الواقعةِ؛ فإنِّي سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن قرأ سورةَ الواقعةِ كلَّ ليلةٍ لم تُصِبهُ فاقةٌ أبدًا»[4].

---

(١) «ست وتسعون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٣٩)، وفيه: وهي تسعون وست آيات كوفي، وسبع بَصري، وتسع في عدد الباقيين.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٥)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٥٩١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٢٤) عن الكلبي.

(٤) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٥٧)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٤٧)، =

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾.

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ قيل: تقديرُه: اذكُرْ إذا وقعتِ الواقعةُ.

وقيل: ﴿إِذَا﴾ شرطٌ جوابُه محذوفٌ دلَّ عليه: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾؛ أي: إذا وقعَتْ خفَضَتْ ورفَعَتْ.

قال سيبويهِ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧] مُكتَفًى به عن الجوابِ.

الفرَّاءُ في جماعةٍ: ﴿وَكُنتُمْ﴾ جوابُه، والواوُ زيادةٌ[1].

وقيل: هو جوابُ قولِهم: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢][2].

وقيل: ﴿إِذَا﴾ مُبتدأٌ خبرُه: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الواقعة: ٤][3]؛ أي: وقتُ هذا وقتُ ذاك.

ويحتمِلُ أنَّ العاملَ فيه ﴿وَقَعَتِ﴾؛ لأنَّ ﴿إِذَا﴾ شرطٌ، وإنَّما يمتنِعُ ما بعدَه عن

= وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٧٠). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤١٣ ـ ٤١٤): «قد تبين ضعف هذا الحديث من وجوه:

أحدها: الانقطاع، كما ذكره الدارقطني وابن أبي حاتم في «علله» نقلًا عن أبيه.

والثاني: نكارة متنه، كما قال أحمد.

والثالث: ضعف رواته، كما ذكره ابن الجوزي.

والرابع: الاضطراب، فذكر الاضطراب في اسم بعض رواته ثم قال: وقد اجتمع على ضعفه الإمام أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطني والبيهقي وابن الجوزي تلويحًا وتصريحًا».

(١) ذكر القولين عن سيبويه والفراء المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٥)، ولم أجدهما عند غيره.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٥)، وعده من العجائب.

العملِ فيه إذا كانَ مُضافًا إلى الفعلِ، نحو: آتيكَ إذا احـمَرَّ البُسْرُ.

***

(٢) ـ ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾؛ أي: كذِبٌ، والمعنى: لا كذِبَ في وُقوعِها، فيكونُ اللَّامُ بمعنى: في، والوقوعُ: ظهورٌ بالحدوثِ.

وقيل: ليسَ لـها مَرَدٌّ.

وقيل: لا رُجوعَ فيها ولا مَثْنويَّةَ.

وقيل: ليس لأَجْلِ وقعتِها كاذبةٌ، والمعنى: مَن أخبرَ عنها صَدَقَ ولـم يَكذِبْ.

والتَّاءُ لتأنيثِ النَّفسِ، أو للمُبالغةِ، وقيل: قضيَّةٌ[١] كاذِبةٌ.

وقيل: ليس الخبرُ عن وُقوعِها كذبًا.

***

(٣) ـ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾؛ أي: هي تخفِضُ أعداءَ الله في النَّارِ وإنْ كانوا أعزَّةً في الدُّنيا، وترفعُ أولياءَ الله إلى الجنَّةِ وإنْ كانوا أذلَّاءَ في الدُّنيا.

وقيل: تخفضُ فيسمَعُها القريبُ، وترفعُ فيسمُعها البعيدُ، فالقريبُ والبعيدُ فيها سواءٌ.

وقيل: خفضَتْ فأماتَتِ الخلقَ كلَّهم، ورفعَتْ فأحيَتِ الخلقَ كلَّهم، حكاه أقضى القُضاةِ[٢].

---

(١) في (ف): «قصته».

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٦)، وفيه: «خفضت بالنفخة الأولى من أماتت، ورفعت بالنفخة =

وقُرِئَ بالنَّصبِ على الحالِ الدَّائمِ[١].

***

(٤) ـ ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾ قيل: ﴿إِذَا﴾ بدلٌ منَ الأوَّلِ.

وقيل: خبرٌ عنِ الأوَّلِ كما سبقَ.

وقيل: العاملُ فيه ﴿وَقَعَتِ﴾.

ومعنى ﴿رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾: حُرِّكتِ الأرضُ تحريكًا شديدًا لقيامِ السَّاعةِ، والرَّجُّ: حركةٌ شديدةٌ لها صوتٌ.

وقيل: يُرَجُّ ما فيها كما يُرَجُّ الغِرْبالُ.

***

(٥) ـ ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا﴾.

﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا﴾؛ أي: سُيِّرتْ سيرًا، والبَسُّ: السَّوقُ.

وقيل: كُسِرَتْ كسرًا بليغًا، والبَسُّ: اللَّتُّ كما يُبَسُّ السَّويقُ.

وقيل: البَسُّ: الطَّحنُ.

وقيل: البَسُّ: الفَتُّ. وكلٌّ قريبٌ.

وقيل: سالَتْ سيلًا.

= الثانية من أحيت».

(١) نسبت لليزيدي والحسن والثقفي وأبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥١)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٥).

وقيل: هُدَّتْ هدًّا.

وقيل: قُطِعَتْ قطعًا، وقُلِعَتْ قَلْعًا.

* * *

(٦) ـ ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾.

﴿فَكَانَتْ﴾؛ أي: الجبالُ ﴿هَبَآءً﴾: غُبارًا، كما يُرى في الكُوَّةِ مع الشَّمسِ.

وقيل: هي نفسُ الهواءِ أُدرِكَ بالبصرِ، وقد سبق.

﴿مُّنۢبَثًّا﴾: مُتفرِّقًا أجزاؤُه في الجهاتِ مُنتَشرًا.

* * *

(٧) ـ ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافًا ﴿ثَلَٰثَةً﴾:

قيل: في كلِّ صنفٍ مُستكثِرٌ ومُقصِّرٌ، فكان زوجًا.

وقيل: في كلِّ صنفٍ رجالٌ ونساءٌ، فكانَ زوجًا.

وجاء مَرفوعًا: أنَّهم أصحابُ الميمنةِ وأصحابُ المشأمةِ والسَّابقونَ[1].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٢) عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ، والنعمان عن عمر، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٠) عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] قال: «الضُّرباء كل رجل مع قوم كانوا يعملون بعمله، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ قال: «هم الضرباء».

(٨ ـ ٩) ـ ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾.

وقولُه: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ هذا تعظيمٌ للمذكورِ، وكذلك أمثالُـها في القرآنِ تجري مَجرى التَّعجيبِ من أمرِهم.

وأصحابُ الميمنةِ منَ (اليمينِ)؛ أي: هم الذين يأخُذونَ كتبَهم بأيمانِهم.

وقيل: يدخُلونَ الجنَّةَ، وهي على يمينِ العرشِ.

وقيل: كانوا على يمينِ آدمَ صلَواتُ الله عليه يومَ أُخِذَ الميثاقُ.

وقيـل: هو مـن (اليُمْـنِ)؛ أي: هـم المَيامينُ على أنفُسِـهم، وهـؤلاءِ أصحابُ الحسناتِ.

وأصحابُ المشأمةِ: العربُ تُسمِّي الشِّمالَ: الشُّومَى، والمعنى: يُؤتَونَ كتبَهم بشمالِـهم، ويدخُلونَ النّارَ، وهي على يسارِ العرشِ، وكانوا على يسارِ آدمَ عليه السَّلامُ.

وقيل: هم المشائيمُ على أنفُسِهم، وهؤلاءِ أصحابُ السَّيِّئاتِ.

و(أَصْحَابُ) رفعٌ بالابتداءِ، ﴿مَآ أَصْحَٰبُ﴾ جملةٌ من مبتدأ وخبرٍ هي خبرُ المبتدأ الأوَّلِ، والصَّريحُ قامَ[1] مَقامَ الضَّميرِ العائدِ.

وأجمـعَ أهـلُ الإعـرابِ أنَّ ﴿مَآ﴾ رفـعٌ بالابتـداءِ، و﴿أَصْحَٰبُ﴾ رفـعٌ بالخبـرِ، وكذلـك: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾، و﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

ويحتمِلُ أنَّ ﴿مَآ﴾ رفعٌ بالخبرِ، وما بعدَه رفعٌ بالابتداءِ، فإنَّ ﴿مَآ﴾ نكرةٌ، وتقديرُه: أيُّ شيءٍ، وهي بالخبرِ أولى، لكنْ قُدِّمَ للاستفهامِ كما قُدِّمَ الخبرُ تقديمًا

---

(١) في (ف): «قائم».

لازِمًا في: أينَ زيدٌ؟ و: متى القيامُ؟ و: كيفَ بكرٌ؟ للاستفهامِ، وهذا ظاهرٌ.

***

(١٠ ـ ١٢) ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ قيل: هم الذين سبقُوا إلى الإيمانِ في جميعِ الأديانِ.

وقيل: هم الأنبياءُ عليهم السَّلامُ.

وقيل: هم الذين سبقُوا إلى الطّاعاتِ.

ابنُ عبَّاسٍ: هم خِرْبيلُ مُؤمنُ آلِ فرعونَ، وحبيبٌ النَّجَّارُ صاحبُ أنطاكِيّةَ، وأبو بكرٍ وعليٌّ رضي الله عنهما(١).

وقيل: هم المذكورونَ في قولِه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقيل: هم أهلُ القرآنِ، وهم المُتوَّجُونَ يومَ القيامةِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾: المُكرَّمون المُبجَّلون ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

وقيل: المُقرَّبونَ من رحمةِ الله وجزيلِ ثوابِه.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ رفعٌ بالابتداءِ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ خبرُه، والتَّقديرُ: والسَّابقون إلى الإيمانِ والطَّاعةِ السَّابقونَ إلى الجنَّةِ والرِّضوانِ.

وقيل: الأوَّلُ رفعٌ بالابتداءِ، والثّاني تأكيدٌ له، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ خبرُه، كما تقولُ: زيدٌ زيدٌ قائمٌ.

وقيل: السّابقونَ الأوَّلُ رفعٌ بالخبرِ، والتَّقديرُ: هم أصحابُ الميمنةِ وأصحابُ

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٨)، وفيه: «حزقيل» بدل «خربيل».

المشأمةِ والسَّابقونَ، ثمَّ ابتدأ فقالَ: ﴿السَّابِقُونَ﴾ فهو رفعٌ بالابتداءِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ خبرُه.

هذا جملةُ كلامِ النُّحاةِ.

ويحتمِلُ أنَّ تقديرَ الآيةِ: والسّابقونَ ما السّابقونَ، فحُذِفَ (ما) لأنَّ الأُوْلَيين تدُلّانِ عليه، فيكُونُ الكلامُ في الثَّلاثةِ على نَسَقٍ واحدٍ. والله أعلَمُ.

وقيل: إنَّ ﴿مَآ﴾ في الأوليَين زيادةٌ، ومعنى الميمَنتَينِ والمشأمتَينِ مُختلِفٌ.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ سابقي سائرِ الأممِ الذين آمَنُوا بأنبيائِهم أكثرُ من سابقي أمّةِ محمَّدٍ ﷺ؛ لكثرةِ الأنبياءِ، وهذا لا ينقضُ قولَه عليه السَّلامُ: «إنَّ أمَّتي يَكْثُرونَ سائرَ الأممِ»[1]؛ لأنَّه عليه السَّلامُ قال: «أمَّتي»، ولم يقُلْ: سابِقُو أمَّتي.

والثّاني: أنَّ ﴿ثُلَّةٞ﴾ في معنى: قليلٌ منَ النّاس؛ لأنَّ اشتقاقَه منَ الثَّلِّ، وهو القطعُ، قالَه الزَّجَّاجُ[2].

والثّالثُ: أنَّ الثُّلَّةَ: الشَّطرُ، وهو النِّصفُ، عن الضَّحَّاكِ[3].

---

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٢٢): «لم أقف عليه»، قلت: روى معناه البزار في «مسنده» (٨٢٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «يأتي معي من أمتي يوم القيامة مثل السيل والليل فتحطم حطمة فتقول الملائكة: لما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع سائر الأمم أو الأنبياء».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٠٩).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٩).

أبو عُبيدةَ: الثُّلَّةُ: البقيَّةُ[(١)].

وقيل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ كلاهما من أمّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، وقد جاء مرفوعًا أنه قال: «كِلْتا الثُّلُثينِ أُمَّتي»[(٢)].

ورُوِيَ أيضًا أنَّه قال عليه السَّلامُ: «أهلُ الجنّةِ مئةٌ وعشرونَ صفًّا، ثمانون صفًّا منها أُمَّتي، وهم الفائزون الأخيارُ»[(٣)].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٨)، وفيه: «ثلة: تجيء جماعة وأمة وتجيء بقية».

(٢) روي من حديث ابن عباس ومن حديث أبي بكرة رضي الله عنهم:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٤)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٨٦)، من طريق أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «هما جميعا من أمتي»، وأبان متروك.

وحديث أبي بكرة روي مرفوعاً وموقوفاً:

أما المرفوع فرواه مُسَدَّد في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٣٧٤٥) عن خاقان بن عبد الله بن الأهتم، عن علي بن زيد، عن عقبة بن صَهْبان، عن أبي بكرة عن النَّبي ﷺ.

ورواه الطبراني كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٤٠٣) من طريق حجاج بن المنهال عن حَمَّاد بن سَلَمَة عن علي بن زيد به.

قال الدارقطني في «العلل» (٧/ ١٦٤): «وخاقانُ ليس بالقوي، وكان يحيى القَطَّانُ حَدَّث به عن حَمَّادِ بن سلمةَ عن عليٍّ بن زيد عن عقبةَ بن صهبانَ عن أبي بكرةَ عن النبي ﷺ ثم تركه».

وأما الموقوف فرواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٩٢٧): ثنا حَمَّاد بن زيد عن علي بن زيد عن عقبة بن صهْبَان عن أبي بكرة. قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٢): «والموقوف أولى بالصواب، وعلي ضعيف».

(٣) رواه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩)، من حديث بريدة رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٣٢٨)، والبزار في «مسنده» (١٩٩٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وفي سببِ النُّزولِ: أنه لمَّا نزَلَ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ بكى عمرُ بن الخطّابِ رضي الله عنه، وقال: يا نبيَّ الله! آمنّا بكَ وصدَّقناك، وما ينجو منَّا قليلٌ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، فدَعا عليه السَّلامُ عمرَ رضي الله عنه وقالَ: «يا بنَ الخطّابِ، قد أنزَلَ الله كما قُلتَ، فجعلَ ثلَّةً منَ الأوَّلينَ، وثُلَّةً من الآخِرينَ»[1].

* * *

(١٥) ـ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾.

قولُه: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾: مَرمولةٍ[2] بالذَّهبِ، مُشبَّكةٍ بالدُّرِّ والياقوتِ، مَرصوفةٍ[3] منسوجةِ السُّطوحِ، وذلك ألينُ للجالسِ عليها.

وقيل: ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾: جُعِلَ كلُّ سريرٍ بجنبِ سريرٍ.

* * *

(١٦) ـ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾؛ أي: يتَّكئونَ على تلك السُّررِ، ويتَوانسونَ بالتَّقابلِ حالةَ الزِّيارةِ.

* * *

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٨١) عن عروة بن رويم مرسلاً، ووصله الطبراني في «مسند الشاميين» (٥٢٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٢٩) من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٥١٨): «في إسناده نظر».

(٢) أي: منسوخة. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٨٠١)، و«التلخيص» للعسكري (ص: ٣٦٦).

(٣) في (ف): «مضفورة».

(١٧) ـ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ يخدمُهم وينقلبُ إليهم ﴿وِلْدَانٌ﴾: غِلمانٌ، جمعُ وليدٍ، وخدمةُ الغلمانِ أمتعُ من خدمةِ الكبارِ، وهم وِلدانٌ أنشأَهُم الله تعالى لخدمةِ أهلِ الجنّةِ.

الحسنُ: هم الأطفالُ لم يستوجِبُوا النَّارَ ولا الدَّرجاتِ[1]، مُشتَقٌّ منَ الولادةِ.

﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: باقونَ لا يموتونَ.

وقيل: يبقَونَ على غُلومتِهم لا تتغيَّرُ نَضارتُهم.

وقيل: مُقرَّطونَ مُزيَّنونَ، منَ الخُلْدةِ، وهي القُرْطُ.

وقيل: لا ينصرِفُونَ عنهم.

***

(١٨) ـ ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾.

﴿بِأَكْوَابٍ﴾: جمعُ كُوبٍ، وهو الإناءُ لا عُروةَ لها ولا خُرطومَ.

﴿وَأَبَارِيقَ﴾: جمعُ إبريقٍ، وهو الإناءُ له عروةٌ وخرطومٌ، مُشتقٌّ منَ البَريقِ.

وقيل: مُعرَّبُ «آب ريز»[2].

﴿وَكَأْسٍ﴾ قَدَحٍ مملوءٍ ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من خمرٍ، واختُلِفَ في وزنِ ﴿مَّعِينٍ﴾، وقد سبقَ[3].

الكوبُ للماءِ وغيرِه، والإبريقُ لغسلِ الأيدي، والكأسُ لشُربِ الخمرِ.

---

(١) روي نحوه في «تفسير مجاهد» (ص: ٦٤١) عن الحسن بلفظ: «لم يكن لهم حسنات فيجزون بها، ولا سيئات فيعاقبون عليها، فوضعوا بهذا الموضع»، وهكذا ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٢٠) عن الحسن.

(٢) انظر: «الصحاح» مادة: (ب ر ق) (٤/ ١٤٤٩)، و«التلخيص» للعسكري (ص: ١٩٠).

(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

(١٩) ـ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾: تُطْرِبُهم ولا تُؤذِيهِم بصُداعٍ.

وقيل: لا يتفرَّقونَ عنها، تقول: صَدَعتُهم فانصَدَعوا.

وقيل: لا يُمنَعون عنها.

﴿وَلَا يُنْزَفُونَ﴾: لا يُنزَفُ عقولُـهم.

وقيل: لا يتقيَّؤون.

وقيل: لا يبُولونَ.

يُقالُ لكلِّ ما استُقصِيَ عليه حتَّى يذهبَ كلُّه: نُزِفَ وأنزَفَ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: في الخمرِ أربعُ خصالٍ: السُّكرُ والصُّداعُ والقَيءُ والبولُ، والله عزَّ وجلَّ نزَّهَ خمرَ الجنَّةِ عنها كلِّها[١].

وقُرِئَ: ﴿يُنزِفُونَ﴾ بالكسرِ[٢]، وفُسِّرَ: لا يَنْفَدُ شرابُهم، تقولُ: أَنْزَفَ القومُ؛ إذا فنيَ شرابُهم.

وقيل: أنزَفَ: سكِرَ، قال الشَّاعرُ:

لَعَمْـري لَئِـنْ أنزَفْتُـمُ أو صـحَـوْتُـم ... لَبِـئسَ النَّدامَـى كُنتُـمُ آلَ أَبْجَـرا[٣]

***

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢١١)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٨٨).

(٢) قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي، والباقون بفتح الزاي، ولا خلاف في ضم الياء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٣) البيت للأبيرد الرياحي كما في «مجاز القرآن» (٢/ ١٦٩ و٢٤٩)، و«تفسير الطبري» (١٩/ ٥٣٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٢٦).

(٢٠) ـ ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾.

﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: يختارونَ؛ أي: كلُّها خِيَارٌ.

وقيل: التَّخيُّـرُ لذلك: إرادتُه وشهوتُه.

***

(٢١) ـ ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾.

﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾؛ أي: يجدونَ لذَّةً وشهوةً في أكلِه من غيرِ قَرَمٍ[١].

قولُه: ﴿مِّمَّا﴾ يحتمَلُ جنسَ الطَّيرِ كالدَّجاجِ والقَبَجِ وغيرِ ذلك، ويحتمِلُ اتِّخاذَ الألوانِ كالمطبوخِ والمشويِّ، ويحتمِلُ أجزاءَ الطَّيرِ، فقد جاء مرفوعاً: «طيرُ الجنَّةِ مثلُ البُخْتِ»[٢].

***

(٢٢) ـ ﴿وَحُورٌ عِينٞ﴾.

﴿وَحُورٌ﴾: جمعُ حَوراءَ، منَ الحوَرِ، وهو شدَّةُ بياضِ العينِ وسوادِها.

مجاهدٌ: تحارُ في حُسنِها العينُ[٣]، وفيه ضَعفٌ.

﴿عِينٞ﴾: جمعُ عَيناء، وهي الواسعةُ العينِ.

***

---

(١) في هامش (ن): «الأقرم الاشتهاء». والصواب: «القَرَم» وهو شدة شهوة اللحم. انظر: «القاموس» مادة: (ق ر م).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٣١١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٤).

(٢٣) ـ ﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾.

﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ في الصَّفاءِ والنَّقاءِ.

المكنُونِ: المصونِ عمَّا يُضِرُّ به. وقيل: المكنونِ في الصَّدفِ.

أنسٌ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «إنَّ الله تعالى خلقَ الحورَ العِينَ منَ الزَّعفَرانِ»[1].

وقُرِئَ ﴿وحُوْر عِيْن﴾ بالرَّفعِ والخفضِ[2].

أبو عليٍّ في «الحجَّةِ»: الرَّفعُ محمولٌ على المعنى؛ أي: لهم أكوابٌ وحورٌ

---

(١) رواه من حديث أنس رضي الله عنه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٤١)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٥٥)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٧/ ٥٨٨)، وقال البيهقي: «وهذا منكر بهذا الإسناد لا يصح عن ابن علية».

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨١٣)، و«الأوسط» (٢٨٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٨٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٩): «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفي إسنادهما ضعفاء».

ورواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وروي موقوفًا على مجاهد وابن عباس: رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٣)، وابن حبان في «الثقات» (٨/ ٥٢٨) من قول مجاهد، وكذا ذكره ابن قيم الجوزية في «حادي الأرواح» (ص: ٢٣٣) عن مجاهد، وقال: «وهو أشبه بالصواب، ورواه عقبة بن مكرم عن عبد الله بن زياد عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله، ولا يصح رفع الحديث، وحسبه أن يصل إلى ابن عباس».

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٧)، واستغربه.

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالجر، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

عينٌ، قال: ويجوزُ أن يُحمَلَ على ﴿سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾؛ أي: على سُرُرٍ موضونةٍ حورٌ عينٌ، قال: ويجوزُ أن يكونَ عطفًا على الضَّميرِ في ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ أو ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾، ولـم يُؤكَّدْ لطُولِ الكلامِ.

قال: ووجهُ الجرِّ: أن يُحمَلَ على قولِه: ﴿فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ وفي حورٍ عينٍ؛ أي: في مُقارنةِ حورٍ عينٍ، قال: وحملُه على الباءِ في ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ ممكنٌ إلا أنَّ الأخفشَ قالَ: في هذا بعضُ الوحشةِ[1].

الفـرَّاءُ: الجـرُّ علـى الجِوارِ، وإنْ لـم يحسُـنْ[2] في آخرِه ما حَسُـنَ فـي أوَّلِه، وأنشدَ:

علفتُهـا تبنًـا ومـاءً بـاردًا[3]

وزَجَّجْـنَ الحواجـبَ والعُيونـا[4]

ويحتمِلُ أن يرتفعَ «حورٌ عينٌ» بالعطفِ على ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾، ولا أدري لـمَ سكتَ عنه أبو عليٍّ، ولا يمتنِعُ الجرُّ منَ العطفِ على ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ كما لـم يمتنِعْ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧).

(٢) في هامش (ن): «في نسخة: يكن».

(٣) أي: وسقيتها ماء. وهذا صدر بيت أنشده الفراء لبعض بني دُبَير ـ قبيلة من أسد ـ يصف فرسه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤) و(٣/ ١٢٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٦٤)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣٣)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٤٩٩). وعجزه:

حَتَّـى شَـتَتْ هَمّالَـةً عَيْناهَـا

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤). وقوله: «والعيون»؛ أي: وكحَّلْنَ العيونَ. وهذا عجز بيت للراعي النميري وهو في «ديوانه» (ص: ١٥٠). وصدره:

إذا مـا الغانيـات بـرزن يومًـا

منه الفاكهةُ واللَّحمُ، ويكونُ الطَّائفُ بالحورِ العينِ مَن اختصَّ بخِدمتِهنَّ كالخَصِيِّ والمجبوبِ في المعهودِ(١). والله أعلَمُ.

* * *

(٢٤) - ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ جزاءً للسّابقينَ على أعمالِـهم.

* * *

(٢٥) - ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا﴾.

﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾: في الجنّةِ ﴿لَغۡوٗا﴾: باطلًا.

وقيل: يمينًا كاذبًا.

وقيل: صياحًا وصخَبًا وعبَثًا.

﴿وَلَا تَأۡثِيمًا﴾؛ أي: لا يُقالُ لهم: أثِمْتُم وأسأتُمْ.

وقيل: لا يأثَمونَ إثمًا، فيكونُ كقولكَ: أكلتُ خُبزًا ولبنًا؛ لأنَّ التَّأثيمَ لا يُسمَعُ.

* * *

(٢٦) - ﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾.

﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾: إلّا قولًا ذا سلامةٍ، والاستثناءُ مُنقطعٌ؛ أي: لكنْ قيلاً سلامًا يسمعون.

وقيل: إلّا: سلامٌ عليكم، من قولِه: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٧)، واستغربه، ثم عقبه بقوله: «فلا يكون بعض الوحشة».

وفي نصبِ «سلامًا» ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أن يكونَ صفةً للقيلِ، كما ذكرت.

والثّاني: أن ينتصِبَ بالقولِ؛ أي: إلّا أن يقولوا: سلامًا.

والثّالثُ: على المصدرِ، وتقديرُه: إلّا أن يقولوا: سلّمَكَ الله سلامًا، كقولِه: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧].

وقيل: إلّا قولًا سارًّا وكلامًا حسنًا.

وقيل: إلّا قيلًا هنيئًا مريئًا، حكاه الماورديُّ[١].

***

(٢٧) ـ ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾.

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾ التّقديرُ هاهنا: ما لأصحابِ اليمينِ؟! على التّعجيب[٢] ممّا لهم.

وفي سببِ النُّزولِ: قالَ أبو العاليةِ والضَّحّاكُ: نظرَ المسلمون إلى وَجٍّ، وهو وادٍ مخصبٌ بالطّائفِ، فأعجبَتْهم سدرةٌ، فقالوا: يا ليتَ لنا مثلَ هذا، فأنزلَ الله تعالى هذه الآياتِ[٣].

***

(٢٨) ـ ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾.

﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾ السِّدرُ: شجرُ النَّبقِ، والمخضودُ: الذي لا شوكَ له.

وقيل: المخضودُ: الذي قُطِعَ شوكُه.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٢).

(٢) في (ن): «المتعجب»، والمثبت من (ف)، وهو أليق.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٣).

وقيل: المخضودُ: السَّريعُ الانثِناءِ.

***

(٢٩) ـ ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قيل: شجرُ أمِّ غَيلانَ، وله نَورٌ رائحتُه طيِّبةٌ جدًّا.

وقيل: الموزُ، وثمرُه يكونُ منضودًا بعضُه فوقَ بعضٍ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قُرِئَ عنده: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾، فقال: ما بالُ الطَّلحِ؟ إنَّما هو الطَّلعُ، فقال القارئُ: أفلا نُحوِّلُـها؟ فقال(١) عليٌّ كرَّمَ الله وجهَه: إنَّ القرآنَ لا يُهاجُ اليومَ ولا يُحوَّلُ(٢).

***

(٣٠) ـ ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾: دائمٍ لا تنسخُه الشَّمسُ(٣).

مُقاتل: هو ظلُّ العرشِ(٤).

---

(١) في (ف): «فقال أمير المؤمنين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٩)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٥٣). وفي إسناده مجالد بن سعيد قال في «التقريب»: ليس بالقوي.

وقال الجاربردي في «الحاشية على الكشاف» (ج٢/ ٣٨٩أ): هذا الحديث لم يثبت عن علي رضي الله عنه.

(٣) في (ف): «لا ينتسخه الشمي». وروى البخاري (٣٢١٥٢)، ومسلم (٢٨٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٥٥) عن الربيع بن أنس.

ويحتمِلُ: أنَّه عبارةٌ عن الحفظِ، تقولُ: فلانٌ في ظلِّ فلانٍ؛ أي: في كنَفِه؛ لأنَّه لا شمسَ هناك.

***

(٣١) ـ ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: جارٍ.

وقيل: مصبوبٍ سائلٍ.

وقيل: لا يتعبونَ فيه، بل ينسَكِبُ لهم كما يُحبُّونَ.

وقيل: يجري في غيرِ أُخدودٍ.

وقيل: يُسكَبُ على الخمرِ فيُشرَبُ ممزوجًا.

***

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾؛ أي: كثيرةِ الأجناسِ والأنواعِ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ بالزَّمنِ ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بالثَّمنِ.

وقيل: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾: كلَّما قُطِعَ نبتَ آخرُ، ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾: لا محظورةٍ بالجدارِ.

وقيل: لا ممنوعةٍ بشوكٍ أو بُعدِ مُتَناوَلٍ.

***

(٣٤) ـ ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾: رفيعةِ القَدْرِ.

وقيل: طويلةٍ في الهواءِ، طولُها مسيرةُ خمسِ مئةِ عامٍ، بعضُها فوقَ بعضٍ.

وقيـل: هي النِّسـاءُ بلغـةِ خَثعَـمَ، واحدُها: فَريـشٌ، يُقـالُ: استَفْرَشَـتِ المرأةُ؛ إذا طلَبَـتْ فحلًا(١).

وقيل: كنايةٌ عن النِّساءِ(٢)، كما قالَ ﷺ: «الولدُ للفراشِ»(٣).

ومعنى ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾؛ أي: رفيعةِ القدرِ.

***

(٣٥) ـ ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾.

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قيل: يعودُ الضَّميرُ إلى الحورِ(٤)، واستبعَدَه المُحقِّقونَ، وقالوا: إنَّها في قصَّةٍ، وهذه في قصَّةٍ أُخرى، بل يعودُ إلى الفُرشِ؛ فإنَّها النِّساءُ، أو كنايةٌ عن النِّساءِ كما سبقَ، وتقولُ: «افتَرَشَها» كنايةً عن الوَطْءِ.

وقيـل: الفُـرُشُ: محـلُّ النِّسـاءِ، فدلَّتْ علـى النِّسـاءِ، ومعنـى(٥): ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾: خلقَهُـنَّ الله ابتـداءً لأوليائِـه، لَسْـنَ ممَّـن وقعَـتْ عليهنَّ الـولادةُ.

الضَّحَّاكُ: هنَّ المُؤمناتُ منَ النِّساءِ(٦).

الحسنُ: هنَّ عجائزُكم الغُمْصُ الرُّمْصُ صيَّرَهنَّ الله كما تسمعونَ(٧).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٨)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٨)، واستغربه.

(٣) رواه البخاري (٢٢١٨)، ومسلم (١٤٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٨)، وعده من العجائب.

(٥) في (ن): «أو معنى».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٨)، واستغربه. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٥) بلفظ: «إعادتهن بعد الشمط والكبر صغاراً أبكارًا».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٢)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٦٥)، من طريق سليمان بن أبي =

قـال مجاهـدٌ: قالَ رسـول الله ﷺ في امـرأةٍ كانت عند عائشـةَ رضـي الله عنها مـن بني عامـرٍ وكانت عجـوزًا: «إنَّ الجنّـةَ لا يدخلُها العُجَّـزُ»، فوَلَّـتْ تبكي، فقال ﷺ: «أخبِروهـا أنَّهـا ليسَـتْ بعجـوزٍ يومَئـذٍ[1]، إنَّ الله تعالـى يقـولُ: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾»[2].

* * *

= كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أمّ سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ بلفظ: «هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز رمصاً شمطاً، خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): «فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي».

ورواه الترمذي (٣٢٩٦) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ قال: «إن من المنشآت اللائي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصًا»، وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث».

(١) في (ف): «أنها يومئذ ليست بعجوز».

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٨٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٩)، عن مجاهد. ووصله الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٢٩) من طريق ليث، عن مجاهد، عن عائشة، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي عجوز، الحديث، وليث هو ابن أبي سليم وهو ضعيف. وأشار ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٣) إلى ضعف كل ما اتصل من رواياته.

ورواه الطبراني في «الأوسط» (٥٥٤٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٩١)، من طريق مسعدة بن اليسع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها، ومسعدة ضعيف كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٩). وقال عنه الذهبي في «الميزان»: «هالك، كذبه أبو داود، وقال أحمد: حرقنا حديثه منذ دهر»، وقد رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢٤) عن عبدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب مرسلاً، وعبدة هو ابن سليمان الكلابي، وهو ثقة ثبت كما في «التقريب»، فهذا وإن كان مرسلاً لكن رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴾: عَذارَى لا يأتيها الرَّجلُ إلّا وجدَها بِكْرًا.

﴿ عُرُبًا ﴾: جمعُ عَروبٍ.

ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: هي العواشِقُ للأزواجِ(١).

قالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: تقولُ للنَّاقةِ إذا أرادَتْ فحلًا: هي عَرِبَةٌ(٢).

الزَّجَّاجُ: غَنِجةٌ مُتحبِّبةٌ إلى زوجِها(٣).

أبو عبيدةَ: الحسنةُ التبعُّلِ(٤).

وقيل: هي الخَفِرَةُ(٥) المبتذِلةُ لزوجِها.

وقيل: هي اللَّعوبُ بزوجِها أُنْسًا به.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ مرفوعًا: «﴿ عُرُبًا ﴾: كلامُهنَّ عربيٌّ»(٦).

﴿أَتْرَابًا ﴾: جمعُ تِرْبٍ؛ أي: مُستوياتٍ على سنٍّ واحدةٍ، قيل: ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً(٧).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٦٦) عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير.

(٢) لم أجده عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٧) عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٢).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٥١).

(٥) في هامش (ن): «الخفرة: الحِيِيَّة».

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٢) عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده مرفوعًا، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٦)، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٣٢٢): «ضعيف منقطع».

(٧) روى الترمذي (٢٥٤٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة =

وقيل: هي اللَّواتي نشأنَ معًا، مأخوذٌ من لعبِ الصِّبيانِ بالتُّرابِ.

وقيل: جُعِلْنَ أشكالًا لأزواجِهنَّ في الجسمِ والمقدارِ لأصحابِ اليمينِ.

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.

﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ قيل: هُنَّ لأصحابِ اليمينِ[1].

وقيل: أنشأناهُنَّ لأصحابِ اليمينِ.

وعن بعضِ القرَّاءِ الوقفُ على ﴿أَتْرَابًا﴾، ثمَّ قالَ الله تعالى: ﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[2]

وقيل: تقديرُه: أصحابُ اليمينِ ثلةٌ من الأولين وثلةٌ من الآخرين.

* * *

(٤١ ـ ٤٤) ـ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ المشأمةُ والشِّمالُ واحدٌ.

﴿فِى سَمُومٍ﴾: وهي الرِّيحُ الحارّةُ تدخُلُ في المسامِّ ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وهو الماءُ الحارُّ في النِّهايةِ.

= جردًا مردًا مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة»، وقال: «هذا حديث حسن غريب وبعض أصحاب قتادة رووا هذا عن قتادة مرسلًا، ولم يسندوه».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٩)، واستغربه.

(٢) فيكون ﴿ثُلَّةٌ﴾ رفع بالابتداء، ﴿وَثُلَّةٌ﴾ عطف عليه، ﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ خبر تقدم عليه، فيحسن عندها الوقف على ﴿أَتْرَابًا﴾، هكذا قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٩)، وعد هذا القول من العجائب.

﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾: وهو دخانٌ شديدُ السَّوادِ، من (الحُمَمَةِ)، و(يَحْمُومٌ) يَفْعولٌ منه، قابَلَ بهذا الظِّلِّ ظلَّ أصحابِ الميمنةِ.

وقيل: اليَحْمومُ: هو النَّارُ السَّوداءُ.

ابنُ كيسانَ: اليَحْمومُ: من أسماءِ النّارِ(١).

وقيل: ﴿يَحْمُومٍ﴾: جبلٌ في النّارِ يستغيثُ إلى ظلِّه أهلُ النّارِ.

وقيل: في نارٍ لا ضوءَ لها.

الزَّجّاجُ: في نارٍ يُعذَّبونَ؛ كقولِه: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر: ١٦](٢).

﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كسائرِ الظِّلالِ ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ على صاحبِه.

وقيل: لا باردِ المدخلِ ولا كريمِ المخرجِ، والعربُ إذا بالغَتْ في ذمِّ شيءٍ نفَتْ عنه الكرمَ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ يعني: في الدُّنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾: مُتنعِّمين، فمنعَهُم ذلك عن الانزِجارِ، وشغَلَهُم عن الاعتبارِ.

وقيل: وصفَهم بالتُّرْفةِ؛ لأنَّ عذابَ المُترَفِ أشدُّ ألـمًا.

وقيل: مُترَفين فيما حرَّمَ الله عليهم.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٨٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٣)، وزاد: «إلا أنه موصوف في هذا الموضع بِشِدة السواد».

السُّدِّيُّ: ﴿مُتْرَفِينَ﴾: مُشركينَ[1].

* * *

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ﴾: يُداوِمونَ، والإصرارُ: الإقامةُ على الشَّيءِ، بخلافِ التَّوبةِ.

﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: الشِّركِ، والحِنْثُ: نَقضُ العهدِ المُؤكَّدِ باليمينِ.

وقيل: على الكذبِ.

وقيل: على الذَّنبِ العظيمِ.

وقيل: اليمينُ الغَموسُ هو قولُه: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]، يُقوِّيه ما بعدَه:

﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ تقديرُه: أَنُبعَثُ إذا مِتْنا؟ وهو العاملُ في الظَّرفِ، وجازَ حذفُه لأنَّ قولَه: (مَبْعُوثُونَ) يدلُّ عليه، ولا يعملُ فيه (مَبْعُوثُونَ)؛ لِمكانِ (إنَّ) ولمكانِ الاستفهامِ، وكلُّ واحدٍ منهما يمنعُ أن يعملَ ما بعدَه فيما قبلَه.

* * *

(٤٨) ـ ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: لا نُبعَثُ نحنُ ولا آباؤُنا، مَن حرَّكَ الواوَ جعلَه عطفًا واستفهامًا، ومَن سكَّنَه[2] جعلَه عطفًا.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٧).

(٢) قراءة قالون وابن عامر، والباقون بتحريك الواو. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٦).

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾؛ أي: يُحشَرونَ إلى مكانِ الحسابِ أو زمانِ الحسابِ في يومٍ معلومٍ عندَ الله تعالى.

وقيل: لَمجمُوعونَ في القبرِ إلى ميقاتِ المحشرِ.

ورُوِيَ عن بعضِ القُرَّاءِ الوقفُ على قولِه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ﴾، كأنَّه خرجَ مخرجَ الجوابِ، ثمَّ ابتدأ فقالَ: ﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾؛ أي: لهُمْ مجموعونَ، وهذا الوقفُ حسَنٌ من حيثُ المعنى، وإنْ كانَ فيه بعضُ تعسُّفٍ[1].

* * *

(٥١ ـ ٥٥) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾: منَ الشَّجرِ ﴿ٱلْبُطُونَ﴾ لأنَّ اللهَ تعالى يُسلِّطُ عليهم جوعًا شديدًا، فيملؤُونَ بُطونَهم بأكلِها رجاءَ زوالِ الجوعِ، فإذا امتلؤُوا منه وجَدُوا عطشًا شديدًا، فيُعرَضُ عليهم الحميمُ، فيشربونَ ﴿شربَ الهيمِ﴾؛ الإبلِ أصابَتْها علَّةُ الهُيامِ، وهو داءٌ يأخذُ الإبلَ منَ العطشِ، فلا تزالُ تشربُ حتَّى تَهلِكَ، وهو قولُه:

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على الزَّقُّومِ، أو على الأكلِ، أو على الشَّجرِ فذكَّرَ للجنسِ.

﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ الفتحُ والضَّمُّ لُغتانِ[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٩)، وعده من العجائب.

(٢) قرأ عاصم ونافع وحمزة ﴿شرب﴾ بضم الشين، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

وقيل: ﴿ٱلۡهِيمِ﴾: الرَّملُ(١).

وقيل: هي الإبلُ الضَّوالُّ؛ لأنَّها تهيمُ في الأرضِ القَفْرِ ولا تجدُ ماءً، فإذا وجدَتْه فلا شيءَ أكثرُ منها شربًا.

* * *

(٥٦) ـ ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾.

﴿هَٰذَا﴾؛ أي: الطعامُ والشَّرابُ ﴿نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾: ما أُعِدَّ لضيافتِهم يومَ الجزاءِ.

* * *

(٥٧) ـ ﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾.

﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾: فهلَّا تُصدِّقونَ بالبعثِ والحسابِ.

وقيل: فهلَّا تُصدِّقونَ بأنَّا خلقْناكُم.

* * *

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ﴾: تُريقُونَ من المنيِّ ﴿ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ﴾ وتجعلونَه بشرًا سويًّا ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ فتذكَّروا بالإبداءِ والإعادةِ(٢).

* * *

---

(١) قوله: «﴿ٱلۡهِيمِ﴾: الرمل» وجْهُه: أن يكون جمعَ (الهَيَام) بفتح الهاء، وهو الرَّمْلُ الَّذي لا يتَماسَكُ، جُمِعَ على فُعُل؛ كسَحابٍ وسُحُبٍ، ثم خُفِّفَ وفُعِل به ما فُعِل بجَمْع أبيَض، وأصله: بُيْضٌ بضم الباء، وأبدلوا الضمة كسرة لتصحَّ الباء. انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٦٤)، و«الصحاح» مادة: (ب ي ض).

(٢) في (ن): «بالإبداء والإعادة»، والمثبت من (ف)، وهو الصواب.

(٦٠ ـ ٦١) ـ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾: قضَيْنا عليكم الفناءَ في الدُّنيا.

وقيل: بيَّنَّا وقتَه وزمانَه فلا يزيدُ ولا ينقصُ، ولا يتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ.

وقيل: سوَّينا بينكم الموتَ؛ بين المُطيعِ والعاصي، وبين أهلِ السَّماءِ والأرضِ.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: لا يسبقُنا أحدٌ فيهربَ منَ الموتِ أو يُؤخِّرَ وقتَه أو يُقدِّمَه.

وقيل: لا يسبقُنا أحدٌ إلى إماتتِكُم قبل الوقتِ.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾: لنبدِّلَ أمثالَكم، و﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى اللّامِ، وهو متَّصلٌ بقولِه: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا.. وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾، أو حالٌ.

وقيل: السَّبقُ بمعنى الغلبةِ، و﴿عَلَىٰٓ﴾ مُتَّصلٌ بالغَلَبةِ؛ أي: وما نحنُ بمغلوبينَ على أن نستبدلَ أمثالَكم في الدُّنيا فنخلقَ فيها بدلَكم غيرَكم، والتَّقديرُ: نُبدِّلكم بأمثالِكم، فحُذِفَ المفعولُ الأوَّلُ، وحُذِفَ الجارُّ منَ المفعولِ الثّاني.

ويحتمِلُ أنَّ (المِثْلَ) زيادةٌ[٣]، والتَّقديرُ: نُبدِّلكم، وتبديلُهم: نقلُهم من صورةٍ إلى صورةٍ، أو حالٍ إلى حالٍ، أو منَ الحيوانِ إلى الجمادِ.

ويحتمِلُ أيضًا: أنَّ (المِثْلَ) هاهنا الشَّخصُ، من قولِهم: مَثَلَ بينَ يدَيه[٤].

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: نخترِعَكم في صورٍ[٥] لا تعلَمونَها.

---

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٩)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٧٩)، وعده من العجائب.

(٥) في (ن): «صورة».

ومعنى الآيةِ: نحنُ قادرونَ على إحيائِكم وإنشائِكم ثانيًا وإنْ كنتُم لا تعلمونَ النَّشأةَ الثَّانيةَ.

* * *

(٦٢) - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ نُطفةً ثمَّ علقةً إلى تمامِ الخِلقةِ، ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّ مَن قدرَ على شيءٍ مرَّةً لـم يعجَزْ عنه ثانيًا.

* * *

(٦٣ - ٦٧) - ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾: تُثيرونَ الأرضَ وتُلْقُونَ فيها البِذْرَ ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾: تُنبِتُونَه ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾: المُنبِتُونَ؟

والحرْثُ فعلُ العبدِ، والزَّرعُ فعلُ الله تعالى وحدَه، ولهذا قالَ ﷺ: «لا يقولَنَّ أحدُكم: زرَعْتُ، ولكنْ: حَرَثْتُ»[1]، وقد يُسمَّى الحارثُ زارعًا على أنَّه فعَلَ أسبابَ الزَّرعِ والإنباتِ.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾: هشيمًا مُتكسِّرًا قبل إدراكِه وأوانِه بآفَةٍ تُصيبُه.

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: دُمتم بعدَ[2] أنْ صارَ حُطامًا تعجَبُونَ.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٠٠٦٤)، وأبو يعلى في «معجمه» (٢٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٢٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٢٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأشار البيهقي إلى تضعيفه، وكان قد رواه قبله من قول مجاهد، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٤) أنه غير قوي.

(٢) في هامش الأصل: «في نسخة قبل».

وقيل: تندَمُونَ.

وقيل: تحزَنُونَ.

وأصلُ التَّفكُّهِ: التَّنقُّلُ[١] بضُروبِ الفاكهةِ، ويُستعملُ أيضًا في التَّفكُّهِ بالحديثِ، ومنه: الفُكاهةُ، وهي المزاحُ، والمعنى: فظَلْتُم تتحدَّثونَ: ممَّ كانَ؟ وما مُوجِبُه؟ وأشباه هذا، يُقوِّيه قولُ مَن قالَ تقديرُه: تفكَّهونَ بقولِكم: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

وقيل: معنى ﴿تَفَكَّهُونَ﴾: تتنعَّمُونَ، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُه: ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: تتنعَّمُونَ بذلك ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾[٢]، وفيه بُعدٌ؛ لأنَّ ما بعدَه يبقَى كلامًا غيرَ مُفيدٍ.

ومعنى: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: أصابَنا غُرمٌ في أموالِنا، والغُرمُ: ذهابُ المالِ بغيرِ عِوَضٍ.

قتادةُ: مغرمون: مُعذَّبونَ[٣]، منَ الغرامِ، وهو العذابُ.

مجاهدٌ: مُولَعٌ بنا[٤].

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: حُرِمْنا ومُنِعْنا رزقَنا.

وقيل: محدودونَ لا مَجْدُودونَ.

---

(١) قوله: «التنقل» من النَّقْل، وهو مَا يُتنقل بِهِ على الشَّرَاب من فواكه وكوامخ وغَيرهَا وما يُتفكه به من جوز ولوز وبندق ونحوِها. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (ن ق ل).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٠)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٢).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦١) عن عكرمة.

قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ قيل: هي من رُؤيةِ العينِ، ﴿مَّا تَحْرُثُونَ﴾ مفعولُه.

وقيل: من رُؤيةِ القلبِ، وقولُه: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥ﴾ في موضعِ المفعولِ الثّاني.

وقيل: معناه: تَنَبَّهْ، فلا مفعولَ له إذًا.

***

(٦٨ ـ ٧٠) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ يعني: العذْبَ ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ وهو السَّحابُ، واحدُها: مُزْنةٌ، ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ بقُدْرتِنا؟

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾: مِلْحًا، وقيل: مرًّا، مشتقٌّ منَ (الأجيجِ)، يُحرِقُ الفمَ بمُلوحتِه ومرارتِه ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

***

(٧١ ـ ٧٣) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾: تقدَحُونَ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ وهي المَرْخُ والعَفارُ تُقدَحُ بهما النَّارُ، ومنه: «في كلِّ شجرٍ نارٌ، واستَمْجَدَ المرخُ والعَفَارُ»(١).

وقيل: ﴿تُورُونَ﴾ منَ الشَّجرِ والحديدِ والحجرِ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾: أصلَها ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾: الخالقونَ لها ابتداءً.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ في الهاءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) يضرب مثلاً في تفضيل الرجال بعضهم على بعض. انظر: «جمهرة الأمثال» (٢/ ٩٢)، وانظر ما تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠].

أحدُها: يعودُ إلى خروجِ النّارِ من الشَّجرةِ الخضراءِ ﴿تَذْكِرَةً﴾ لقُدرتِنا.

والثّاني: جعَلْنا نارَ الدُّنيا ﴿تَذْكِرَةً﴾ لنارِ جهنَّمَ، قالَ النَّبيُّ ﷺ: «نارُكم هذه جزءٌ من سبعينَ جُزءًا من حرِّ نارِ جهنَّمَ»(١).

وقيل: تبصرةً للنَّاسِ في الظّلامِ.

والثّالثُ: جعَلْنا النِّعمَ التي تقدَّمَتْ ﴿تَذْكِرَةً﴾ لحقِّ الله تعالى، وما يجبُ من طاعتِه.

والأكثَرونَ: على أنَّها تعودُ إلى النّارِ، ولهذا لـم يذكُرْ بعدَها: لو نشاءُ لأطفَأناها، أو: أخمَدْناها، كما قالَ في الأوليَينِ؛ لأنَّها تذكرةٌ يُذكَّرُ بها نارُ الآخرةِ.

قولُـه: ﴿وَمَتَٰعًا﴾ متعـةً يتمتَّعـونَ بهـا ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ لمـنَ نـزلَ بالقَـواءِ(٢)؛ أي: المُسـافرينَ.

وقيل: لمن نفدَ زادُهم، من قولِـهم: أقوَتِ الدّارُ؛ إذا خلَتْ من ساكنيها.

وقيل: للجائعينَ في إصلاحِ زادِهم.

وقيل: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾: لمَن أصحابُه أقوياءُ، تقولُ: «أقوى الرَّجلُ»: صارَ أصحابُه أقوياءَ، وكذلك: «أضْعَفَ»: صارَ أصحابُه ضُعفاءَ.

وقيل: ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾: أصحابُ القُوّةِ؛ أي: يستمتِعُ بها الغنيُّ والفقيرُ.

بدأ بذكرِ خلقِ الإنسانِ فقالَ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾؛ لأنَّ النِّعمةَ فيه سابقةٌ على جميعِ النِّعمِ، ثمَّ بما فيه قِوامُ النّاسِ ـ وهو الحَبُّ ـ فقالَ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾، ثمَّ بالماءِ الذي يُعجَنُ به ويُشرَبُ عليه، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾، ثمَّ بالنّارِ التي

---

(١) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في هامش (ن): «في نسخة: القواء: الأرض الخالية».

يُخبَزُ بها، فقال: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾، فصارَ مجموعُ الثَّلاثةِ طعامًا لا يستَغني عنه الجسدُ ما دام حيًّا، ثمَّ قالَ:

* * *

(٧٤) ـ ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾: نزِّهِ اللهَ عمَّا لا يَليقُ به.

وقيل: قل: سُبحانَ ربِّي العظيمِ.

وجاءَ مرفوعًا: أنَّه لـمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قالَ ﷺ: «اجعَلُوها في رُكوعِكُم»، ولـمَّا نزلَ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ قالَ عليه السَّلامُ: «اجعَلُوها في سُجودِكُم»[(١)].

* * *

(٧٥) ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ في (لا) أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه صلةٌ للكلامِ وليس بنفيٍ؛ كما في قولِه: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]؛ أي: ليعلَمَ.

وقيل: ردٌّ لكلامٍ سابقٍ؛ أي: ليس الأمرُ كذلك.

وقيل: أصلُه: فلَأُقسِمُ، فأُشبعَ اللّامَ فصارَ (لا)، وكذلك قرأه الحسنُ[(٢)].

وقيل: إنَّه نفيٌ للقسمِ؛ أي: الكلامُ أوضَحُ من أن يُحتاجَ معه إلى قسمٍ.

وقيل: إنَّه نفيٌ للقسمِ، والمقصودُ بالقسمِ ثابتٌ، كما يقولُ الرَّجلُ: «لا أحلفُ لقد كانَ كذا» يريدُ بذلك تحقيقَ الكلامِ، وهي مُستعملةٌ في كلامِ العربِ والعجمِ.

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٩).

وقولُ مَن قالَ: التَّقديرُ في هذه الأقسامِ: ورَبِّ مواقعِ النُّجومِ، ورَبِّ الشَّمسِ، وربِّ النَّجمِ، وربِّ التِّينِ؛ عدولٌ عنِ الظَّاهرِ، ثمَّ لا يطَّرِدُ في الكلامِ، لا يقولُ الرَّجلُ: وأبي ما فعلتُ، ورأسِكَ لقد فعلتُ، ومقصودُه: ورَبِّ رأسِكَ، وربِّ أبي، ولو ساغَ هذا لـم يُمنَعْ عن الحَلِفِ بغيرِ الله.

وقولُه: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ قيل: المُرادُ به المصدرُ، وجُمِعَ لاختلافِ أجناسِه، ويُقوِّيه قراءةُ مَن قرأ بالتَّوحيدِ[1].

وقيل: المُرادُ به المكانُ، وهي مغاربُها ومطالعُها، ومجاريها وأفلاكُها[2].

وقيل: مواقعُ النُّجومِ: منازلُ النُّجومِ.

وقيل: مواقعُ النُّجومِ: السَّماءُ، فهي قسَمٌ بالسَّماءِ.

وقيل: المُرادُ به الزَّمانُ، وهو يومُ القيامةِ يومُ انتشارِها وانكدارِها.

وقيل: هي نجومُ القرآنِ وأوقاتُ نزولِـها.

وقيل: نجومُ القرآنِ هي المُحكَماتُ منه.

ابنُ بحرٍ: المُرادُ بها النُّجومُ ذواتُ الأنواءِ، والنَّوءُ: سقوطُ نجمٍ وطُلوعُ رقيبِه في البرجِ السَّابعِ منه، وكانت العربُ تُراعي ذلك.

ويحتمِلُ: أنَّ النُّجومَ نجومُ الرُّجومِ ورُماتُها؛ لأنَّها حدثَتْ عند مولدِه وبعثِه.

ويحتملُ أيضًا على مَن حملَه على نجومِ القرآنِ: أنَّه قسَمٌ بمُحمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّ قلبَه محلُّ وقوعِه. والله أعلَمُ.

***

(١) قرأ حمزة والكسائي (بمَوْقِعِ)، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٤).

(٢) في (ف): «في أفلاكها».

(٧٦) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ هذا اعتراضٌ بينَ القسَمِ والمُقسَمِ عليه، والمعنى: القسَمُ بمواقعِ النُّجومِ قسمٌ عظيمُ القَدْرِ ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾، وهذا اعتراضٌ بينَ الصِّفةِ والموصوفِ في اعتراضٍ.

* * *

(٧٧) ـ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾: كثيرُ الخيرِ عامُّ المنافعِ، تُنالُ ببركتِه الدُّنيا والآخرةُ، والرُّؤيةُ والنَّعيمُ.

وقيل: كريمٌ عندَ الله.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾: يُكرَمُ حافِظُه، ويُكرَمُ قارِئُه.

وقيل: ﴿كَرِيمٌ﴾: يُكرِمُه المُؤمنونَ والملائكةُ المُقرَّبون.

* * *

(٧٨) ـ ﴿فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾.

﴿فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾: مَصونٍ محروسٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو اللَّوحُ المحفوظُ(١).

وقيل: هو المُصحَفُ.

* * *

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٣).

(٧٩) ـ ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾.

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾؛ أي: لا يمسُّ اللَّوحَ المحفوظَ إلّا الملائكةُ.

وقيل: لا يمسُّ المُصحَفَ إلّا المُطهَّرونَ منَ الأحداثِ، واللَّفظُ نفيٌ والمُرادُ به نَهيٌ.

وقيل: لا يقرَؤُه إلّا المُطهَّرونَ منَ الجنابةِ.

وقيل: لا يمَسُّه إلّا المُطهَّرونَ منَ الشِّركِ.

وقيل: معنى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ ﴾: لا يطلُبُه إلا المؤمنونَ.

وقيل: لا يمَسُّ تأويلَه ولا يفهمُ معانيَه إلّا المُطهَّرونَ.

* * *

(٨٠) ـ ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: لا يفترَيه ولا يتقوَّلُه محمَّدٌ ﷺ.

* * *

(٨١) ـ ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾.

﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ يعني: القرآن، وفيه ذكرُ حوادثِ الأمورِ ﴿ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾: مُكذِّبونَ.

وقيل: كاذِبونَ.

وقيل: مُنافِقونَ.

وقيل: كافِرونَ.

وأَدْهَنَ ودَاهَنَ: أسرَّ خلافَ ما أظهرَ.

وقيل: تُليِّنونَ القولَ وتُساهِلُونَ كالدُّهنِ.

وقيل: مُعرِضُونَ.

وقيل: مُمالِئونَ ومعاونون(١).

وقيل: الإِدْهانُ ضدُّ الحزمِ، والمعنى: تتساهلونَ فيه وتستَهينُونَ به.

***

(٨٢) ـ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّ هذا ردٌّ على مَن يقولُ بالأنواءِ، والمعنى: تجعلونَ شكرَ رزقِكم بتكذيبِكم، فحُذِفَ المُضافُ.

وقيل: الرِّزقُ: الشُّكرُ. ذكرَه الزَّجَّاجُ(٢).

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الرِّزقَ: الحظُّ، والمعنى: تجعَلون حظَّكم منَ الرِّزقِ التَّكذيبَ.

عِكرمةُ: هو الاكتسابُ بالسِّحرِ(٣).

وقيل: هو ما كانوا ينالونَه من سَفِلَتِهم على تكذيبِهم محمَّدًا ﷺ. حكاه الماورديُّ(٤).

قال الشَّعبيُّ: التَّكذيبُ على وجهَينِ: تكذيبُ جحدٍ، وتكذيبُ تركِ الأمرِ(٥).

---

(١) «ومعاونون» من (ف)، وفيها: «ممالون».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٦).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٥).

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٥).

(٥) لم أقف عليه.

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾؛ أي: الرُّوحُ ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾: مَمَرَّ الطَّعامِ والشَّرابِ في الحلقِ ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾: لا يُمكِنُكم دَفعُها.

والجمهورُ على أنَّ قولَه: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ خطابٌ لمَن حضرَ الميِّتَ تلك السّاعةِ؛ أي: أنتم تنظُرونَ إلى الميِّتِ.

وقيل: إلى سُلطانِ الله وقُدرتِه.

وقيل: وأنتم تنظُرونَ أن يَحِلَّ بكم كما حلَّ به، وفي الخبرِ: لا يموتُ أحدٌ حتَّى يعلمَ أهو من أهلِ الجنَّةِ أم أهلِ النّارِ(١).

* * *

(٨٥) ـ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾: إلى ذلك الميِّتِ ﴿مِنكُمْ﴾ يراهُ اللهُ سبحانه من غيرِ مسافةٍ.

وقيل: تدبيرُنا أقربُ إليه منكم.

وقيل: ملَكُ الموتِ ورسلُنا أقربُ إليه منكم.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ اللهَ وتدبيرَه وملَكَ الموتِ ورسلَه.

---

(١) ذكر العراقي أن ابن أبي الدُّنيا أخرجه في «الموت» من رواية رجل لم يسم عن علي موقوفاً: «لا تخرج نَفْس ابن آدم من الدُّنيا حتَّى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النَّار» وفي رواية: «حرام على نَفْس أن تخرج من الدُّنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النَّار»، وفي «الصَّحيحين» من حديث عبادة بن الصَّامت ما يشهد لذلك: «إن المؤمن إذا حَضَره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته... وإن الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته» الحديث. انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (ص: ١٨٤٤)، ولم أجده في كتب ابن أبي الدنيا المطبوعة، وحديث عبادة رواه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣)، ورواية مسلم مختصرة ليس فيها القطعة المذكورة.

وقيل: معنى ﴿لَّا تُبْصِرُونَ﴾: لا تعقِلونَ ولا تعلمونَ.

* * *

(٨٦ ـ ٨٧) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: هلَّا ردَدْتُم الأرواحَ والنُّفوسَ من حُلوقِكم إلى أبدانِكم إذا بلغتِ الحلقومَ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّكم غيرُ مُحاسَبين مجزِّيين في القيامةِ.

وقيل: إنْ كنتُم غيرَ مملوكينَ مقهورينَ مربُوبينَ فهلَّا تمتنِعونَ منَ الموتِ فترُدُّونَ الرُّوحَ إلى النَّفسِ فتبقَونَ أحياءً.

الحسنُ: معنى ﴿مَدِينِينَ﴾: مَبعوثينَ[1].

والتَّقديرُ: إنْ لـم أكُنْ قادرًا على البعثِ لـم أكُنْ قادرًا على النَّزعِ، فكما أنَّ القبضَ إليَّ مع عجزِكم كذلك البَعثُ إليَّ.

و(لولا) في الآيتَين للتَّحضيضِ يستَدعي فعلًا، وهو قولُه: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾، فاكتَفَى من ذكرِ الفعلِ على مرَّةٍ واحدةٍ.

وقولُه: ﴿إِن كُنتُمْ﴾ شرطٌ دخلَ على شرطٍ، فيكونُ الثَّاني مُقدَّمًا في التَّقديرِ؛ أي: إن كنتُم صادِقين إنْ كنتُم غيرَ مملوكينَ مجزِّيين فارجِعُوا أرواحَكُم إلى أبدانِكم ممتَنِعينَ عن الموتِ. واللهُ أعلَمُ.

الزَّجَّاجُ: هذا جوابٌ لقولِـهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٦٨]، ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦]، أي: لو كانَ الحياةُ والموتُ بأيديكُم فادفَعُوا

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٥).

عن أنفُسِكم الموتَ[1]، وزُيِّفَ هذا القولُ؛ لأنَّ سورةَ (الواقعةِ) مكِّيةٌ، وذلك القولُ كانَ منَ المنافقين بعدَها بمدَّةٍ.

***

(٨٨ ـ ٩٤) ـ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ختمَ السُّورةَ بذكرِ الفِرَقِ الثَّلاثةِ، فقال: فأمَّا إنْ كانَ المُتوفَّى منَ المُقرَّبين؛ أي: السَّابقينَ؛ لقولِه أوَّلَ السُّورةِ: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

وقيل: المُقرَّبونَ: أهلُ جنَّةِ عدنٍ.

﴿فَرَوْحٌ﴾؛ أي: فلَه رَوحٌ ﴿وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.

(الرَّوحُ) بالفتحِ: الفرَحُ، وبالضَّمِّ: الحياةُ الدّائمةُ[2].

وقيل: الرَّوحُ: الهواءُ الذي يُلِذُّ النَّفسَ ويُزيلُ الهمَّ عنها.

﴿وَرَيْحَانٌ﴾: رِزقٌ، وقيل: هو المشمومُ.

وقيل: يُشَمُّ عندَ الموتِ رَيحانةً فيخرجُ بها رُوحُه، اللَّهمَّ اجعَلْنا منهم.

وقيل: رَيحانٌ: رحمةٌ ومغفرةٌ ورزقٌ طيِّبٌ هنيءٌ.

الزَّجَّاجُ: الرَّيحانُ هاهنا: التَّحيَّةُ لأهلِ الجنَّةِ[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٧).

(٢) قراءة الضم قراءة شاذة نسبت للنبي ﷺ وابن عباس وقتادة والحسن وغيرهم. انظر: «المحتسب» (٢/ ٣١٠)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٥)، و«شواذ القراءات» محمد بن أبي نصر الكرماني (ص: ٤٦٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٧).

وقيل: الرَّوحُ في القبرِ، والرَّيحانُ في الجنّةِ.

وقيل: الرَّوحُ للقلبِ، والرَّيحانُ للنَّفسِ، والجنَّةُ للبدنِ.

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾: ابنُ عيسى: النِّعمةُ مضمونٌ بالشُّكرِ؛ لأنَّها فعلُ المُنعمِ، من (أنعَمَ نعمةً)، وليس كذلك النَّعيمُ؛ لأنَّه من (نَعِمَ نعيمًا)، كقولهم: انتفَعَ انتفاعًا[1].

والفاءُ في ﴿فَرَوْحٌ﴾ جوابُ (أمَّا)؛ لأنَّ معناه: مهما يكُنْ شيءٌ فله رَوْحٌ، و(أمَّا) لا يلي الفعلَ لأنَّه نابَ عن الفعلِ، وإنَّما يلي الأسماءَ والجملَ[2]، وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ.

وقيل: مُقدَّمٌ لأنَّه لم يُجزَمْ.

وقيل: الفاءُ تنوبُ عن الجوابَينِ.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ هم أصحابُ الميمَنةِ ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: أنَّك ترى فيهم ما تحبُّ منَ السَّلامةِ.

وقيل: سلامٌ عليك منهم لأنَّهم معكَ في الجنّةِ، واللّامُ نابَ عن (على).

وقيل: هو صلاتُهم وتسليمُهم عليه في الدُّنيا.

وقيل: فسلامٌ لك منَ العذابِ؛ أي: أمانٌ لك أن[3] لا يُعذَّبوا.

وقيل: تقديرُه: وأمَّا إنْ كانَ من أصحابِ اليمينِ فمُسلَّمٌ لك، ثمَّ استأنفَ فقالَ: إنَّك ـ أو: أنتَ ـ من أصحابِ اليمينِ، فحُذِفَ (إنَّك) أو (أنتَ).

---

(١) ذكر ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٦٧) نحوه فقال: «النعمة كالإنعام في التضمين لمعنى: منعم أنعم إنعاماً ونعمة، والشكر يتعلق بهما، وليس كذلك النعيم؛ لأنه من (نعِم نعيماً)، وذلك لا يوجب شكراً».

(٢) قوله: «و(أما) لا يلي الفعل...» مراده: لا يأتي بعدها الفعل...

(٣) في (ن): «أي».

وقيل: هذا خطابٌ لكلِّ مَن ماتَ منهم، تقولُ له الملائكةُ يُبشِّرونَه عند قَبضِ رُوحِه: سلامٌ لك إنَّكَ من أصحابِ اليمينِ.

وقيل: يُبشِّرونَه في القبرِ.

وقيل: عندَ الخروجِ منَ القبرِ.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ هم أصحابُ المشأمةِ ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾؛ أي: فله رزقٌ ممَّا أُعدَّ له في النّارِ.

* * *

(٩٥) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾؛ أي: الذي ذكرتُ لهؤلاءِ الفِرَقِ الثَّلاثِ ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾.

وقيل: كلُّ ما ذكَرْنا في هذه السُّورةِ فهو يقينٌ.

﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾؛ أي: الخبرُ الذي لا شكَّ فيه، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ هذا إضافةُ الشَّيءِ إلى نفسِه، وامتَنَعَ عنه البصريُّونَ وقالوا: التَّقديرُ: حقُّ الأمرِ اليقينِ.

واليقينُ: علمٌ يحصلُ به ثَلَجُ الصَّدرِ، ويُسمَّى: بردَ اليقينِ.

وقيل: هو علمٌ يحصلُ بالدَّليلِ.

* * *

(٩٦) ـ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ اذكُرْه بأسمائِه العُلَى وصفاتِه الحسنَى. واللهُ أعلَمُ.

* * *

سُورَةُ الحَدِيدِ

سُورَةُ الحَدِيدِ

تسعٌ وعشرونَ آيةً، مدَنيَّةٌ عند الأكثرين.

قال الكلبيُّ: مكِّيةٌ[1].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بدأ سورةَ (بني إسرائيلَ) بلفظِ المصدرِ، وبدأ سورةَ (الحديدِ) و(الحشرِ) و(الصَّفِّ) بلفظِ الماضي، و(الجمعةَ) و(التَّغابنَ) بلفظِ المُستقبلِ، وسورةَ (الأعلى) بلفظِ الأمرِ؛ استيعابًا لهذه الكلمةِ من جميعِ جهاتِها، وهي أربعٌ: المصدرُ والماضي والمُستقبلُ وأمرُ المخاطَبِ فحسبُ.

والتَّسبيحُ يأتي بمعنى: الصَّلاةِ والتَّنزيهِ والتَّمجيدِ والتَّبرئةِ ورفعِ الصَّوتِ بالدُّعاءِ، فحمَلَه ابنُ عبّاسٍ في الآيةِ على الصَّلاةِ[2]، فيكونُ ﴿مَا﴾ بمعنى: مَن، وكذلك إنْ حُمِلَ على رفعِ الصَّوتِ بالدُّعاءِ.

وإنْ حمَلْتَه على التَّنزيهِ والتَّمجيدِ ففيه قولانِ:

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٨)، وابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٦٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١١).

أحدُهما: أنَّ ذلك عامٌّ في جميعِ ما خلقَه الله تعالى، يقوله قولًا إلَّا الكافر[١]؛ لقولِه: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ الآيةَ [الحج: ١٨].

والثَّاني: أنَّ ذلك بالدَّلالةِ على التَّوحيدِ وحملِ الغيرِ على التَّسبيحِ، وذلك مُطَّردٌ لا مثنويَّةَ فيه، وقد سبقَ.

وجاءَ: سبَّحَه، وسبَّحَ له، وسبَّح اسمَه، وسبَّح باسمِه، وسبَّحَ بحمدِه؛ فمعنَى سبَّحَه: نزَّهَه ومجَّدَه.

ومعنى سبَّحَ لله: سبَّحَ اللهَ لأجلِ استِحقاقِه التَّسبيحَ، أو صلَّى لله كما فسَّرَه ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما، أو رفعَ صوتَه بالدُّعاءِ لله.

ومعنى سبَّحَ اسمَه: جعلَ صفتَه ذاتَ براءةٍ ممَّا لا يليقُ به.

ومعنى سبَّحَ باسمِه: تلَفَّظَ بما يدُلُّ على براءتِه.

ومعنى سبَّحَ بحمدِه: سبَّحَ اللهَ بأنْ حمِدَه وأثنَى عليه وقالَ: الحمدُ لله. والله أعلَمُ.

وفي هذه السُّورةِ: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وكذلك آخِرَ (الحشرِ)، وفي سائرِها: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وهو القياسُ، لكنْ في هذه السُّورةِ نزَّلَ المكانَين منزلةَ مكانٍ واحدٍ، وجعلَ الخلقَ فيهما خلقًا واحدًا مُوافقةً لِـمَا بعدَه؛ لأنَّ في هذه الآياتِ الخمسِ أربعَ مرّاتٍ (السَّماوات والأرض)، فلذلك نزَّلَهما منزلةَ خَلْقٍ[٢] واحدٍ، وأمَّا آخرَ (الحشرِ) فقد تقدَّمَ ذكرُ ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤] فنزَّلَهما منزلةَ مكانٍ واحدٍ؛ لأنَّ ما فيهما منَ الخلقِ مُنَزَّلٌ منزلةَ خلقٍ واحدٍ؛ كأنَّه قالَ: خالقُ الخلقِ وباريهم، وليس كذلك سائرُ السُّورِ[٣]. والله أعلَمُ.

---

(١) في (ن): «الكافرين».

(٢) في (ن): «مكان».

(٣) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥٤)، و«البرهان» للمصنف (ص: ٢٣٣).

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في أمرِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في قضائِه.

وقيل: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في حجَّتِه وعُذرِه إلى عبادِه.

* * *

(٢) ـ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يملِكُهما غيرُه.

وقيل: خزائنُ المطرِ والنَّباتِ وسائرِ الرِّزقِ.

﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: في الدُّنيا.

وقيل: يُحيي في الآخرةِ، ويُميتُ في الدُّنيا.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ منَ الإحياءِ والإماتةِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادرٌ بالكمالِ.

* * *

(٣) ـ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ معنى ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ عندَ الجمهورِ: أنَّه قبلَ كلِّ شيءٍ.

﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾: هو الباقي بعدَ كلِّ شيءٍ.

وقيل: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: كانَ ولا شيءَ معه، ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾: يكونُ ولا شيءَ معه.

وقال المُحقِّقونَ: لا يُقالُ لله: أوَّلُ الأشياءِ، ولا: أوَّلُ كلِّ شيءٍ؛ لأنَّها لا تُوافقُه، ولا هو مثلُها، و(أفعَلُ) يضافُ إلى ما هو منه.

و(أوَّلُ) يأتي على ثلاثةِ أوجهٍ:

اسمٌ مُنصرِفٌ، تقولُ: ما تركتُ له أوَّلًا ولا آخِرًا؛ أي: لا قديمًا ولا حديثًا.

ويأتي صِفةً، ويلزمُه (من) أو الألفُ واللّامُ والإضافةُ كبابِ (أفعل مِن)، وقد

تُحذَفُ (مِن) وهي مُرادةٌ، كما تُحذَفُ من قولِه: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقولِه: ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

ويأتي ظَرفًا، نحو: ما رأيتُه مذ عامٍ أوّلُ، ويُبنَى على الضَّمِّ[١] كما يُبنَى على الغاياتِ.

والذي جاءَ في حقِّ الله هو الاسمُ لا الوصفُ، و﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: اسمٌ لمفردٍ سابقٍ، ووزنُه «أفعلُ»، وفاءُ فعلِه وعينُه واوانِ، وليس له في كلامِ العربِ نظيرٌ، ولا يُعرَفُ اشتقاقُه، وقولُ مَن قالَ[٢]: وزنُه: «فَوعَلُ» أو: «أفعلُ» من (آلَ يؤولُ)، مردودٌ عندَ النُّحاةِ.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ للظَّاهرِ ثلاثةُ تأويلاتٍ:

الغالبُ، من قولِه تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

والعالـمُ، من قولِ الشَّاعرِ:

ولقـد ظهَـرْتُ عـلى أمـورِك بعدَما ... قـد كان أمـرُكَ عندَنـا مجهـولا[٣]

والجليُّ الموجودُ، من ظُهورِ الشَّيءِ جدًّا.

﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ قيل: هو العالـمُ بما بطَنَ.

وقيل: الباطنُ عن إحساسِ خلقِه.

وقيـل: معنـى ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾؛ أي: علـى أمـرِه يكـونُ، وبه تتمُّ الأمورُ.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمورِ الدُّنيا والآخرةِ والظاهرِ والباطنِ ﴿عَلِيمٌ﴾.

* * *

(١) انظر: «الكتاب» (٣/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٤/ ١٣٢).

(٢) انظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص: ٢٠٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٣٢).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كلُّ يومٍ كألفِ سنةٍ ممَّا تعُدُّونَ[١].

الحسنُ: ستَّةُ أيامٍ منَ أيَّامِ الدُّنيا[٢]. ولو أرادَ أن يجعلَها في طرفةِ عينٍ كانَ قادرًا على ذلك.

وقيل: إنَّما خلقَه في ستَّةِ أيامٍ لتُشاهدَ الملائكةُ حدوثَه شيئًا بعد شيءٍ، والمُرادُ بـ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: مقدارُ ستَّةِ أيَّام.

وقيل: كانَ خلقُه في[٣] أقلَّ من ذلك على الحدِّ الذي هو مُركَّبٌ عليه مُستحيلًا؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى الجمعِ بينَ أضدادٍ[٤]، واللهُ سُبحانَه لا يُوصَفُ بالقدرةِ على المُستحيلِ[٥].

ابنُ بحرٍ: جمعَ اللهُ لنا في الإخبارِ عن مدَّةِ خلقِ العالَمِ في ستَّةِ أيَّامٍ عِلْمَ الحسابِ بتصييرِ السِّتَّةِ أصلًا له، إليها المرجعُ وعليها المَدارُ[٦].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾: علمُه محيطٌ بكم، لا يخفَى عليه شيءٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠٤).

(٢) ذكره ابن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (٢/ ٥٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٣٩)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ٢٤٢).

(٣) «في» من (ن).

(٤) في (ف): «أضداده».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٦)، وعده من العجائب، وقد ذكر نحوه في تفسير سورة (ق) الآية: ٣٨.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٩)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤٠٦).

وقيل: قُدرتُه معكم لا يُعجِزُه شيء.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فيُجازيكُم على أعمالِكم.

***

(٥) ـ ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ كرَّرَ لأنَّ المُرادَ بالأولى حالةُ الدُّنيا، والمُرادَ بالثّانيةِ الدّارُ الآخرةُ، ولهذا ختمَ بقولِه: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

***

(٦) ـ ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ قد سبق ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ سبق.

***

(٧) ـ ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ﴾ في الزَّكاةِ والجهادِ ووجوهِ البرِّ ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ﴾؛ أي: جعلَكُم خُلفاءَ في المالِ بالوراثةِ ممَّن قَبْلَكم.

وقيل: معناه: جعَلَكُم مملَّكينَ، وهو رزقُه وعطيَّتُه.

وقيل: استخَلَفَكُم بعدَ الذينَ كانوا قبلكم.

وقيل: جعلَكُم مُستخلَفين على القيامِ بأداءِ حقوقِه. حكاه الماورديُّ[١].

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ أي: باللهِ ورُسلِه ﴿وَأَنفَقُواْ﴾ من مالِه في الوجوهِ المندوبِ إليها ﴿لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٧١).

(٨) ـ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ أي: أيُّ عُذرٍ لكم في حالِ تركِكُم الإيمانَ ودُعاءُ الرَّسولِ إيَّاكم إلى الإيمانِ حاصلٌ موجودٌ؟

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ قيلَ: مِن قولِه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

وقيل: هو ما نُصِبَ منَ الأدلَّةِ ووُضِعَ في الجِبلَّةِ منَ العقلِ، فنُزِّلَ ذلك منزلةَ العهدِ وأخذِ الميثاقِ.

وقُرِئَ: ﴿أُخِذَ﴾ بالضَّمِّ ﴿ميثاقُكم﴾ رفعٌ[1]، والمعنيانِ واحدٌ.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مُقرِّين بذلك.

* * *

(٩) ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي﴾؛ أي: اللهُ الذي ﴿يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمَّدٍ ﷺ ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: القرآنَ، فيه نبأُ الأوَّلينَ والآخِرينَ.

وقيل: ذاتِ بيانٍ مُستقِلَّةٍ بأنفُسِها في الدَّلالةِ على ما جُعِلَتْ علامةً له ودَلالةً عليه، بخلافِ قولِ مَن قالَ: إنَّ معنى القرآنِ لا يتبيَّنُ من[2] لفظِه.

---

(١) هي قراءة أبي عمرو، والباقون بالمبني للمعلوم. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٢) في (ف): «عن».

﴿لِّيُخْرِجَكُم﴾؛ أي: اللهُ تعالى.

وقيل: محمَّدٌ ﷺ.

وقيل: القرآنُ، أيُّها المُخاطَبونَ ومَن بلغَه القرآنُ أو يبلُغُه.

﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفرِ والضَّلالِ والباطلِ، وقيل: ظُلُماتِ الجهلِ.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: نورِ الإيمانِ والهدى والحقِّ، وقيل: نورِ العلمِ.

﴿وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ الرَّأفةُ: أشدُّ الرَّحمة، ووزنُه: يَقُظٌ، ومَن أشبعَ[1] فوزنُه: صَبورٌ شَكورٌ.

* * *

(١٠) - ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ﴾: أيُّ شيءٍ لكم في تركِ الإنفاقِ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؟

وقيلَ: أيُّ شيءٍ يمنَعُكُم؟ فتكونُ (لا) زيادةً[2].

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الواوُ للحالِ، والمعنى: تصيرُ الأمورُ إلى الله بانقِراضِ مَن في السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: ملكُ السَّماواتِ والأرضِ.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾؛ أي: لا يستَوِيانِ

---

(١) قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي: (لرؤف) قصرًا، والباقون: ﴿لَرَءُوفٌ﴾ بالإشباع. انظر: «السبعة» (ص: ١٧١)، و«التيسير» (ص: ٧٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٤)، واستغربه.

في الثَّوابِ والمنزلةِ، فإنَّ السَّابقينَ أعظَمُ درجةً وأعلى رُتبةً؛ لأنَّه على حَسَبِ الأحوالِ تتفاضَلُ الأعمالُ.

والفتحُ فتحُ مكَّةَ، وقيل: فتحُ الحُدَيبيةِ.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ بعدَ الفتحِ.

﴿وَكُلًّا﴾: للسّابقِ واللّاحقِ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: الجنّةَ.

وقيل: قَبولَ الحسناتِ.

مَن نَصَبَ (كلًّا) جعلَه المفعولَ الأوّلَ لـ﴿وَعَدَ﴾، و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ المفعولُ الثّاني.

ومَن رفعَه[1] فعلى الابتداءِ[2]، وأُضمِرَ العائدُ وهو المفعولُ؛ أي: كلٌّ وعدَه.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيُجازيكُم بقَدْرِ أعمالِكم.

في سببِ النُّزولِ: أنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه[3].

وفي هذه الآيةِ دليلٌ واضحٌ وبرهانٌ لائحٌ على فضلِ أبي بكرٍ وتقديمِه؛ لأنَّه أوَّلُ مَن أسلَمَ.

وعن أمير المؤمنينَ[4] عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: سبقَ رسولُ الله ﷺ، وصلَّى[5] أبو بكرٍ، وثلَّثَ عمرُ، فلا أُوتَى برجلٍ فضَّلَني على أبي بكرٍ وعمرَ إلّا جلدْتُه جَلْدَ المُفتَري، وطَرْحَ الشَّهادةِ[6].

---

(١) هو ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٢) في (ف): «فبالابتداء».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٦) عن الكلبي.

(٤) «أمير المؤمنين» ليست في (ن).

(٥) في (ن): «وثنَّى»، ومعنى (صلّى) هنا: جاء ثانياً. انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ٣٢٢)، و«لسان العرب» (٢/ ١٢٣).

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٦) بلفظ المصنف، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٢٠)، =

(١١) - ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ استعارَ لفظَ القَرْضِ التِزامًا للجزاءِ، والقرضُ: هو الإنفاقُ في سبيلِ الله.

وقيل: التَّطوُّعُ بالعباداتِ.

وقيل: النَّفقةُ على الأهلِ والأولادِ.

وقيل: جميعُ أعمالِ الخيرِ.

وقيل: هو قولُ: سُبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ.

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ يَكتبُ له بالواحِدِ عشرًا.

وقيل: يُضاعِفُ ثوابَه أضعافًا مُضاعفةً.

﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: الجنَّةُ.

وقيل: يكرُمُ على مَن نالَه.

وقيل: كريمٌ لأنَّه لـم يُبْتَذَلْ في طلبِه.

وقيل: كريمٌ صاحبُه.

وقيل: يُخلِفُهُ الله في الدُّنيا.

قُرِئَ بالرَّفعِ والنَّصبِ(١)، وقد سبقَ.

= والحاكم في «المستدرك» (٤٤٢٦) وصححه، بلفظ: «سبق رسول الله ﷺ، وصلَّى أبو بكر، وثلَّث عمر، ثم خبطتنا فتنة فما شاء الله».

(١) قرأ ابن كثير: ﴿فيضعِّفُه له﴾ بتشديد العين ورفع الفاء، ومثله ابن عامر لكن بنصب الفاء، وقرأ عاصم: ﴿فيُضاعفَه﴾ بالألف ونصبِ الفاء، ومثله الباقون إلَّا أنَّهم رفعوا الفاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(١٢) - ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾: يمضي نورُهم ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، وهو أعمالُهم الصَّالحةُ.

قتادةُ: هو ضياءٌ يُكرَمونَ به في الآخرةِ يسعَى بينَ أيديهم[١].

﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾؛ أي: النُّورُ الذي يسعى بينَ أيديهم وبأيمانِهم.

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: نورُهم على قَدْرِ أعمالِـهم، يمرُّونَ على الصِّراطِ، ومنهم مَن نُورُه مِثْلُ الجبلِ، ومنهم مَن نورُه مثلُ النَّخلةِ، وأدناهُم نورًا مَن نورُه في إبهامِه يتَّقِدُ مرَّةً ويُطفَأُ أخرى[٢].

وقيل: ويُؤتَونَ كتبَهم بأيمانِهم.

وقيل: الباءُ بمعنى: في؛ أي: في أيمانِهم كتبُهم ومنها نورُهم.

وقيل: الباءُ بمعنى: عن، والتَّقديرُ: يسعى نورُهم بينَ أيديهم وعن أيمانِهم، يُريدُ: وعن شمائِلِهم، فاكتَفَى بذكرِ أحدِهما عن الآخرِ.

وقيل: ﴿بأيمانِهم﴾: بسببِ صدَقاتِهم التي أعطَوها بأيمانِهم[٣]؛ لأنَّ الغالبَ في إعطاءِ الصَّدقاتِ أن يكونَ بالأيمانِ.

وقيل: يسعى ثوابُ أعمالِـهم.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٧٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٤) وصححه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٥)، واستغربه.

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ يجوزُ أن يكونَ البُشرى اسمًا؛ أي: المُبشَّرُ به جنَّاتٌ.

ويجوزُ أن يكونَ مصدرًا، والتَّقديرُ: بُشراكُم اليومَ دخولُ جنَّاتٍ، فحُذِفَ المُضافُ.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

***

(١٣) - ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: يقولونَ لهم إذا رأَوهُم في ضياءٍ ونورٍ والمُنافقونَ خلفَهم في ظُلمةٍ لا يُبصِرونَ مواقعَ أقدامِهم: ﴿ٱنظُرُونَا﴾: انتَظِرونا.

ومَن قطعَ[1] فمعناه: أخِّرونا.

وقيل: انتَظِرونا.

﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾: نأخُذْ من نُورِكُم قبسًا سراجًا، أو شُعلةً.

وقيل: معنى ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾: نمشي فيه معَكُم[2].

﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾؛ أي: يقولُ لهم المُؤمنون، وقيل: تقولُ لهم الملائكةُ: ﴿ٱرْجِعُوا۟﴾ إلى الموضعِ الذي أخَذْنا منه النُّورَ فاطلُبوا منه النُّورَ.

ابنُ بحرٍ: هذا كما يقولُ للرَّجلِ إذا أرادَ منعَه: وراءَكَ أوسَعُ لك[3].

---

(١) قرأ حمزة: ﴿أَنْظِرونا﴾ بقطع الهمزة وكسر الظاء، والباقون بالألف موصولة وضم الظاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٥)، واستغربه.

وقيل: هذا استِهزاءٌ بهم جزاءً على استهزائهم في الدُّنيا.

وقيل: ﴿وَرَآءَكُمۡ﴾ هاهنا اسمٌ منَ الأسماءِ التي سُمِّيَتْ الأفعالُ بها، والمعنى: ارجِعوا ارجِعوا، وليس بظرفٍ؛ لأنَّ لفظَ ﴿ٱرۡجِعُواْ﴾ يُنبِئُ عن الوراءِ(١).

وقيل: يُؤيِسُهم بذلك من وجودِ النُّورِ.

ويحتمِلُ: ارجِعُوا إلى الدُّنيا؛ فإنَّ النُّورَ يُلتَمَسُ هناكَ بالإيمانِ والإخلاصِ.

﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ﴾ وفي بعضِ التَّفاسيرِ: فيرجِعونَ إذا قيلَ لهم: ﴿ٱرۡجِعُواْ﴾ فيُضرَبُ بينَهم بسورٍ، والباءُ زيادةٌ.

وقيل: الضَّربُ هاهنا ليس من «ضربتُ فلانًا»، وإنَّما هو بمعنَى: حيلَ بينَهم بسورٍ.

والسُّورُ: هو الأعرافُ في قولِه: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾ [الأعراف: ٤٦].

وقيل: هو حائطٌ بينَ الجنَّةِ والنّارِ سوى الأعرافِ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: عن عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ: أنَّه سورُ المسجدِ الشَّرقيُّ ـ يعني: بيتَ المقدسِ ـ ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ هو المسجدُ ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ يعني: وادي جهنَّمَ(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٥)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٧)، قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٨): «وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالاً لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم؛ فإن الجنة في السماوات في أعلى عليين، والنار في الدركات أسفل سافلين»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٦)، وعده من العجائب.

غيرُه: ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾: الجنّةُ، وقيل: النُّورُ، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ﴾: من قبلِ الظّاهرِ ﴿ٱلۡعَذَابُ﴾ يعني: جهنّمَ، وقيل: الظُّلمةَ.

الكعبيُّ: هذا مثَلٌ معروفٌ، يقولُ الرَّجلُ: «بيني وبينَكَ حجابٌ فما أسمَعُكَ ولا أراكَ» إذا أرادَ البراءةَ منه، قال: وقولُه: ﴿لَّهُۥ بَابُۢ﴾ مثلُ قولِكَ: بابٌ منَ العلمِ، وبابُ هذا الأمرِ كذا.

***

(١٤) ـ ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾.

﴿يُنَادُونَهُمۡ﴾؛ أي: يُنادي المُنافقونَ المؤمنينَ: ﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ أي: في حُكمِ الإسلامِ ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: المؤمنونَ: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ بإبطانِكُم النِّفاقَ.

وقيل: رجَعتُم عمَّا أَعطَيْتُم بألسنتِكُم.

وقيل: استعمَلْتُموها في الفتنةِ.

وقيل: بالمعاصي وبالشَّهواتِ.

﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ بمُحمَّدٍ ﷺ وبالمؤمنين الهلاكَ.

وقيل: تربَّصتُم بالتَّوبةِ.

﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: شككْتُم في التَّوحيدِ.

﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾: خدَعَتكُم الدُّنيا.

وقيل: اليومَ وغدًا.

وقيل: الطَّمعُ فيما لا مطمعَ فيه.

وقيل: هو قولُهم: سيُغفَرُ لنا.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: ظهورُ الإسلامِ.

وقيل: الموتُ.

وقيل: البَعثُ والنُّشورُ.

﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾: غرَّكم الشَّيطانُ؛ إذ أطمَعَكُم في بُطلانِ الإسلامِ، وأنْ لا بعثَ ولا حسابَ.

وقيل: الغرورُ: الدُّنيا.

وقيل: الباءُ في ﴿بِٱللَّهِ﴾ للقسَمِ تأكيدًا للكلامِ[١].

* * *

(١٥) ـ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ﴾ أيُّها المُنافقونَ ﴿فِدۡيَةٞ﴾: فِداءٌ ولا عِوَضٌ[٢].

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: منَ المُشركينَ.

﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾: مرجِعُكم ومَصيرُكم ﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾ جلُّ المُفسِّرين على أنَّ المعنى: هي أولى بكم، وهذا تأويلُه من حيثُ المعنى، وأمَّا اللَّفظُ فلا يُنبِئُ عن التَّفضيلِ[٣]؛ لأنَّه (مَفعَل) فيحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: المُتضمِّنُ لجزائِكم والقائمُ بأمرِكم النّارُ، ومنه: (المولى) لابنِ العمِّ.

ويجوزُ أيضًا أن يكونَ مصدرًا مُضافًا إلى المفعولِ؛ أي: النَّارُ تمسُّكم وتليكُم.

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ النّارُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٦)، وعده من العجائب.

(٢) في (ف): «فداء وعوض».

(٣) في النسختين: «التفصيل»، والصواب المثبت.

(١٦) ـ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الكلبيُّ ومُقاتلٌ: نزَلَتْ في المُنافقين[١]، والمعنى: أمَا حانَ وقتُ الإخلاصِ وقد ظهَرَتِ المُعجزةُ والآياتُ؟!

الزَّجَّاجُ: نزَلَتْ في فريقٍ منَ المُؤمنين استُعتِبُوا لتقصيرٍ كانَ منهم[٢].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المؤمنينَ قالوا: يا رسولَ الله، لو قصَصْتَ، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، وقالوا: لو حدَّثتَنا، فأنزَلَ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾، وقالوا: لو ذكَّرْتَنا، فأنزَلَ الله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[٣].

وقيل: كثُرَ في أصحابِ رسولِ الله ﷺ المِزاحُ والضَّحكُ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[٤].

مُقاتلُ بنُ حَيَّانَ: نزلَتْ في اليهودِ[٥].

الحسنُ: نزلَتْ في المُؤمنين، استَبْطَأهم الله تعالى، وهم أحبُّ الخلقِ إليه[٦].

---

(١) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٢٥) وفيه: «نزلت في طائفة من المؤمنين حُثوا على الرقة والرحمة والخشوع».

(٣) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٣٧٤)، والبزار في «مسنده» (١١٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١٩) وصححه، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧١٥) عن عبد العزيز بن أبي رواد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨) عن مقاتل بن حيان.

(٥) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٧٢) وفيه: «هو في مؤمني أهل الكتاب، حثهم على الإيمان بالرسول».

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٧٧).

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ما كانَ بين أنْ أسلَمْنا وبينَ أن عُوتِبْنا بهذه الآيةِ إلا أربعُ سنينَ، فجعَلَ بعضُنا ينظرُ إلى بعضٍ ويقولُ: ما أحدَثْنا[1]؟

ابنُ عبّاسٍ: استبطأَ قلوبَ المهاجرين [فعاتبهم] على رأسِ ثلاثَ عشرةَ سنةً لنُزولِ القرآنِ[2].

قولُه: ﴿يَأْنِ﴾ من «أَنَى يأني أَنْيًا وإِنًى» و«آنَ يئينُ» بمعناه، وقُرِئَ به في الشَّواذِ[3].

﴿أَن تَخْشَعَ﴾: تخضَعَ وتلينَ.

﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: القرآنِ. وقيل: خوفِ الله.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القرآنِ، وقيل: الهدى والحلالِ والحرامِ.

قُرِئَ بالتَّشديدِ؛ أي: نزَّلَه الله، و﴿ما﴾ بمعنى: الذي، ويجوزُ أن يكونَ للمصدرِ.

وقُرِئَ بالتَّخفيفِ[4]، و﴿ما﴾ بمعنى: الذي، وفي ﴿نَزَلَ﴾ ضميرٌ يعودُ إليه، ولا يجوزُ أن يكونَ للمصدرِ.

﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى، يجوزُ أن يكونَ عطفًا على ﴿أَن﴾ فيكونَ نصبًا، ويجوزُ أن يكونَ جزمًا على النَّهيِ كقراءةِ يعقوبَ بالتَّاءِ[5].

---

(١) رواه مسلم (٣٠٢٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٢٥٦)، وليس في رواية مسلم: «فجعل بعضنا...»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٧٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٩)، وما بين معكوفتين منهما.

(٣) أي: (ألم يَئِن) نسبت للحسن. انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٧٧)، و«البحر» (٢٠/ ٢١٧).

(٤) قرأ نافع وحفص: ﴿نَزَلَ﴾ بتخفيف الزاي، والباقون بتشديدها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٥) هي قراءة رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٤).

(١٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾: المُبالغونَ في الصِّدقِ ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: هم عُدولُ الآخرةِ كقولِه: ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

وذهبَ ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ إلى أنَّ الكلامَ تمَّ على قولِه: ﴿هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾[1]، ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، وهم الذين قُتِلوا في سبيلِ الله؛ لأنَّ الشَّهيدَ إذا أُطلِقَ تناولَ المقتولَ في سبيلِ الله.

وقيل: الشُّهداءُ هم الأنبياءُ.

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾: جزاءُ أعمالِهم ﴿وَنُورُهُمۡ﴾ الذي يسعى بينَ أيديهم يومَ القيامةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

***

(٢٠) ـ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: الأقربُ إلى الحيِّ ﴿لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ في الآيةِ إضمارٌ تقديرُه: متاعُ الحياةِ هذه الأشياءُ.

وقيلَ: الحياةُ الدُّنيا ونعيمُها مُنقسِمةٌ إلى هذه الأشياءِ[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤١٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٧٤)، والداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ٢١٢).

(٢) «وقيل الحياة ونعيمها منقسمة إلى هذه الأشياء»: ليس في (ف)، وهذا القول وإن كان مشابهاً لما بعده، لكنه مغاير له، وقد أوردهما المصنف كقولين في «غرائب التفسير».

وقيل: لذّةُ الحياةِ ونعيمُها مُنقسِمةٌ إلى هذه الأشياءِ.

الحسنُ: أهلُ الحياةِ الدُّنيا أهلُ لعبٍ ولهوٍ[١].

وقيل: أكثرُ أهلِ الحياةِ الدُّنيا، فأخرَجَه مُخرَجَ الأعمِّ.

﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؛ أي: يزولُ سريعًا ويفنَى.

وقيل: يُحبُّونَها كما يُحَبُّ اللَّعبُ واللَّهوُ.

﴿وَزِينَةٌ﴾: هي ما يكونُ في الملابسِ والمراكبِ[٢] والمنازلِ.

﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ يفخرُ البعضُ على البعضِ.

والتَّفاخرُ: ادِّعاءُ ما يُوجِبُ الرِّئاسةَ.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾؛ أي: مُباهاةٌ بهما.

والتَّكاثرُ: ادِّعاءُ الاستكثارِ منَ المنافعِ.

وقيل: اللَّعبُ: ما رغَّبَ في الدُّنيا، واللَّهوُ: ما ألهى عن الآخرةِ.

وقيل: اللعبُ: الاقتِناءُ، واللَّهوُ: النِّساءُ.

وقيل: لعبٌ كلعبِ الصِّبيانِ، ولهوٌ كلهوِ الشُّبَّانِ، وزينةٌ كزينةِ النِّسوانِ، وتفاخرٌ كتفاخُرِ الأقرانِ، وتكاثرٌ كتكاثُرِ السُّلطانِ. حكاه الثَّعلبيُّ[٣].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٠٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٨)، واستغربه.

(٢) في (ف): «والمواكب».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٧٩)، وفيه: «كتكاثر الدهقان» بدل «كتكاثر السلطان»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٨)، واستغربه.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾: مطرٍ ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ أي: الحُرّاثَ ﴿نَبَاتُهُۥ﴾: ما ينبُتُ بذلك الغيثِ، وهو قولُ الجمهورِ.

وقيل: هم الكفَّارُ المُشرِكونَ؛ لأنَّهم أكثرُ إعجابًا بالدُّنيا وأشدُّ حِرْصًا عليها.

وقيل: لأنَّ المؤمنَ يعرفُ مُوجِبَه فلا يُعجِبُه، والكافرَ لا يعرِفُ الموجِبَ فيُعجِبُه.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييْبَسُ ذلك النَّباتُ ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خُضرتِه.

وقيل: تهيجُ ريحٌ باردةٌ؛ أي: تهُبُّ، فتجعلُ الزَّرعَ مُصفرًّا، فتراه كذلك.

وقيل: يُسمَعُ له بدخولِ الرِّيحِ فيه صوتٌ.

﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾: مُتفتِّتًا؛ أي: فلا ينبَغي للعاقلِ أن يغترَّ بما هذا سبيلُه.

والجمهورُ على أنَّ الكلامَ تمَّ، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ للكفّارِ ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾؛ أي: للمؤمنين؛ أي: إمَّا هذا وإما ذاكَ.

وقيل: ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ متَّصلٌ بالأوَّلِ، و﴿مغفرةٌ منَ الله﴾ مُبتدأٌ، ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ عطفٌ عليه، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: خيرٌ من ذلك.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي: ملاذُّها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ سريع الفناء سريعُ الانقضاءِ.

ابنُ بحرٍ: الغُرورُ: جمعُ (غِرِّ الثَّوبِ) وهو طيُّه؛ أي: متاعًا ينطَوي وينقَضي سريعًا[1].

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٨)، وعده من العجائب.

(٢١) ـ ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿سَابِقُوٓاْ﴾: بادِرُوا في السَّبقِ واجتَهِدوا كلَّ الجهدِ، وسابَقَ: طلَبَ ذلك مع طلَبِ غيرِه له.

﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ يعني: إلى محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: إلى التَّوبةِ.

وقيل: إلى التَّكبيرةِ الأولى مع الإمامِ.

وقيل: إلى الصَّفِّ الأوّلِ.

﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: عَرضُها كجميعِ السَّماواتِ والأرضِ مبسوطاتٍ كلٌّ واحدةٍ إلى صاحبتِها.

وخُصَّ العَرضُ بالذِّكرِ دونَ الطُّولِ؛ لأنَّ العادةَ جرَتْ بأنَّ العرضَ أقلُّ منَ الطُّولِ، فإذا كانَ العرضُ على هذا فما ظنُّكَ بالطُّولِ؟

وقيل: العرضُ ثَـمَنُها وما يُقابلُها، وقد سبقَ في (آلِ عمرانَ).

﴿أُعِدَّتۡ﴾ الإعدادُ: وضعُ الشَّيءِ للحاجةِ إليه في المُستأنَفِ، وهذا دليلٌ على أنَّها مخلوقةٌ، وهو المَذهَبُ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّها لـم تُخلَقْ بعدُ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الجنَّةَ في السَّماءِ الرّابعةِ، والتي في إحدى السَّماواتِ لا تكونُ في عرضِ السَّماواتِ والأرضِ، قالوا: فالله تعالى يُفْنيها ثمَّ يُعيدُها في الآخرةِ، ويزيدُ في طولِـها وعرضِها.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الجنَّةَ والنّارَ خَلْقَينِ مُفردَينِ منَ السَّماءِ والأرضِ.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ذلك الجزاءُ تفضُّلٌ منه.

وقيل: التَّوفيقُ لذلك فضلُ الله ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ منَ المُؤمنين.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الدِّينِ ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ من عبادِه(١).

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

* * *

(٢٢) - ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ﴾؛ أي: لم يُصِبْ ولا يُصيبُ مُصيبةٌ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ منَ الغلاءِ والقَحْطِ والجوائحِ.

﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: في الدُّنيا والدِّينِ(٢).

وقيل: الأمراضُ والأوصابُ وضيقُ المعاشِ وموتُ الأولادِ.

وقيل: إقامةُ الحدودِ.

وقولُه: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ظرفٌ لـ﴿أَصَابَ﴾، وقيل: ظرفٌ لـ﴿مُّصِيبَةٖ﴾.

وقيل: صفةٌ لـ﴿مُّصِيبَةٖ﴾، وهذا ضعيفٌ لمكانِ ﴿لا﴾، أو يُقالُ: ﴿لا﴾ زيادةٌ.

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ يعني: اللَّوحَ المحفوظَ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾: نخلُقَ المُصيبةَ.

وقيل: نخلقَ الأرضَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٣٢) بلفظ: «الفضل: الدين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢٠).

وقيل: النَّفسَ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: علمَ ما سيكونُ، وقيل: كَتْبَ ذلك في اللَّوحِ المحفوظِ.

﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: سهلٌ هيِّنٌ.

***

(٢٣) ـ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

﴿لِّكَيْلَا﴾؛ أي: كَتَبَ لكيلا، وقيل: عرَّفَكُم ذلك لكيلا ﴿تَأْسَوْاْ﴾: تحزَنُوا حُزنًا يُؤدِّي إلى تركِ الشُّكرِ.

﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ منَ الدُّنيا وخِصْبِها، أو منَ العافيةِ وصحَّتِها.

﴿وَلَا تَفْرَحُواْ﴾ فرحَ الخُيلاءِ؛ أي: لا تَأْشَروا ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: أعطاكُم الله منَ الدُّنيا.

وقُرِئَ: ﴿أتاكُمْ﴾[1]؛ أي: جاءَكُم منَ الله.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ يستطيلُ لنِعَمِه ﴿فَخُورٍ﴾ بعد ذلك احتقارًا للغيرِ.

***

(٢٤) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾؛ أي: يبخلونَ بالإنفاقِ المأمورِ في السُّورةِ، ويحضُّونَ غيرَهم على البُخلِ.

---

(١) بقصر الهمزة قراءة أبي عمرو، والباقون بمدها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

وقيل: هم اليهودُ بخِلُوا بتعريفِ النَّاسِ ما كانَ في التَّوراةِ من صفةِ محمَّدٍ ﷺ، ويحثُّونَ النّاسَ على كتمانِه.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بالعلمِ ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أنْ لا يُعلِّموا أحدًا شيئًا.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يُعرِضْ عنِ الإنفاقِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾؛ أي: ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن إنفاقِهم ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ على أفعالِه.

وقُرِئَ بغيرِ ﴿هُوَ﴾ لأنَّه كان فصلًا وعمادًا، فجازَ حذفُه(١).

***

(٢٥) ـ ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾.

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: أرسَلْنا الأنبياءَ بالمُعجِزاتِ الدَّالَّةِ على صدقِهم ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ أي: مع الأنبياءِ الكتبَ التي تتضمَّنُ مصالحَ دينِهم ودُنياهم.

وقيل: الرُّسلُ هاهنا: الملائكةُ؛ لقولِه: ﴿مَعَهُمُ﴾، ولأنَّ الأنبياءَ ينزلُ عليهم وإليهم.

﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنزَلَ عينَ الميزانِ زمنَ نوحٍ عليه السَّلامُ، وقيل: على آدمَ عليه السَّلامُ.

والثّاني: أنزَلَ عليهم وَضْعَه(٢)، وعرَّفَهم كيفَ يتَّخِذونَه.

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

(٢) في (ن): «وضفه»، ولعلها: «وصفه» ولها وجه.

والثّالثُ: الميزانُ: هو العَدلُ، بدليلِ قولِه: ﴿مَعَهُمُ﴾ بلفظِ الجمعِ[١]؛ فإنَّ الميزانَ الذي يُتعامَلُ عليه إنَّما نزلَ على واحدٍ منهم، والأمرُ بالعدلِ مع جميعِ الأنبياءِ.

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾؛ أي: بالعدلِ في مُعاملاتِهم إيفاءً واستيفاءً، ولا يَظلمَ أحدٌ أحدًا في ذلك[٢].

﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾ جمهورُ المُفسِّرينَ على أنَّ آدمَ عليه السَّلامُ هبطَ بالعَلاةِ والمِطرَقةِ والكلبتَينِ[٣].

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ مع آدمَ عليه السَّلامُ ثلاثةُ أشياءَ: الحجرُ الأسودُ وكان أشدَّ بياضًا منَ الثَّلجِ، وعَصا موسى عليه السَّلامُ وكانت من آسِ الجنَّةِ طولُها عشرةُ أذرُعٍ، والحديدُ[٤].

ورَوَى ابنُ عمرَ رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أنزَلَ الله تعالى أربعَ بركاتٍ منَ السَّماءِ: الحديدُ والنّارُ والماءُ والملحُ»[٥].

وقيل: معنى (أنزَلَ): خَلَقَ وأظهرَ، كقولِه: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الزمر: ٦].

---

(١) في (ف): «الجميع».

(٢) «في ذلك»: ليس في (ف).

(٣) ذكره دون عزو ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٥٤)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٢٩)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤١٠)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٧٨). الكلبتان: ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى. قال الزجاج: «والعلاة هي التي يسميها الحدادونَ السِّنْدَانَ».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٣).

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٩٥)، قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٤): «في إسناده من لا أعرفه».

وقيل: وأنزَلَ: هيَّأ[١] منَ النُّزلِ[٢]، تقولُ: أنزَلَ الأميرُ لفُلانٍ نُزلًا حسنًا[٣].

وقيل: أنزَلَ الماءَ فانعقَدَ به جوهرُ الحديدِ[٤]، فأصلُه منَ الماءِ، وهو مُنزلٌ.

والقولُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّه لولا ذلك لَمَا تهيَّأَ استِخراجُ شيءٍ منَ المعادنِ واتِّخاذُ شيءٍ منَ الآلاتِ؛ لأنَّه لا يُستغنَى في شيءٍ من ذلك عن الحديدِ، والحديدُ لا يُعملُ إلَّا بالحديدِ.

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾؛ أي يُتَحَصَّنُ به عن العدوِّ باتِّخاذِ الدِّرعِ والمِغْفَرِ وغيرِ ذلك منه، ويُقتَلُ به العدوُّ باتِّخاذِ السَّيفِ والسِّنانِ والزُّجِّ وغيرِ ذلك منه.

﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ في الحرثِ والحصدِ وسائرِ الصِّناعاتِ.

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ قيل: أنزَلَ الحديدَ لينصُرَ عبادُه ربَّهم ورسلَه وأولياءَه بهذا الحديدِ.

الزَّجّاجُ: ليعلَمَ من يُقاتلُ في سبيلِه[٥].

وقيل: أنزلَ الكتبَ والميزانَ وأرسلَ الرُّسلَ ليختبرَ النّاسَ بذلك، فيعلمَ وُقوعَ الفعلِ في نُصرتِهم.

ويحتمِلُ: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ فَعَلَ ما فَعَلَ[٦].

---

(١) في (ن): «هنا»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير».

(٢) في (ن): «النزول... لفلان نزولاً».

(٣) عده المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٩) من العجائب، ولفظه: «العجيب: أنزل بمعنى: هيأ، من نُزُلِ الضيف».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٩)، واستغربه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٢٩).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٨٩)، واستغربه.

ومعنى (يعلم الله) قد سبقَ[١].

وقولُه: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ متعلِّقٌ بقولِه: ﴿يَنصُرُهُۥ﴾، وقولُه: ﴿وَرُسُلَهُۥ﴾ عطفٌ على الهاءِ.

ولا يجوزُ في العربيَّةِ أن يكونَ عطفًا على ﴿مَن﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾؛ أي: ﴿قَوِىٌّ﴾ على الامتناعِ ﴿عَزِيزٌ﴾ عن الاعتراضِ عليه.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ خُصّا بالذِّكرِ لأنَّهما أبَوانِ للأنبياءِ عليهم السَّلامُ ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا﴾: أولادِهما ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: الكتبَ، فهو للجنسِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: الخطُّ بالقلمِ[٢].

﴿فَمِنْهُم﴾: مِنَ الذُّرِّيةِ، ﴿مُّهْتَدٍ﴾: مَن اهتدَى باتِّباعِ الرُّسلِ ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارِجُونَ عن الإيمانِ والطّاعةِ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾؛ أي: أرسَلْنا رسولًا بعد رسولٍ على إثرِ نوحٍ

---

(١) انظر تفسير الآية (١٤٠) من (آل عمران).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٠)، واستغربه.

وإبراهيمَ عليهما السَّلامُ ومَن مضى منَ الأنبياءِ، ولا يعودُ الضَّميرُ إلى الذُّرِّيةِ لأنَّ الذُّرِّيةَ باقيةٌ بعدُ.

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾: أتبَعْناهُم جميعًا عيسى ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ قيل: جاءَه دفعةً واحدةً ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: سارُوا بسيرتِه واتَّبعوا منهاجَه ﴿رَأْفَةً﴾: مودَّةً ولينًا ﴿وَرَحْمَةً﴾: شفقةً وعطفًا؛ أي: أمَرْناهُم بالرَّحمةِ فيما بينَهم.

وقيل: أُمِروا بالصَّفحِ عن أذى النّاسِ، وقيل لهم: مَن لطَمَ خدَّكَ الأيمنَ فولِّه خدَّكَ الأيسرَ، ومَن سلَبَ رِداءَكَ فأعطِه قميصَكَ، وُصِفُوا بالرَّحمةِ خلافَ اليهودِ الذين وُصِفُوا بالقسوةِ[١].

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾؛ أي: ابتَدَعُوا رهبانيَّةً ابتدَعُوها، فهي منصوبةٌ بفعلٍ دلَّ عليه ما بعدَه.

والرَّهبانيَّةُ منَ الرَّهبةِ، ومعناها: البلوغُ في النُّسكِ أعلى المبالغِ مع الانقطاعِ عن النّاسِ وملاذِّ الدُّنيا.

وقيل: هي التَّبتُّلُ والخلوةُ بالعبادةِ.

﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ من تلقاءِ أنفُسِهم لم يؤمَروا[٢] بها.

والابتداعُ: إحداثُ شيءٍ على غيرِ مثالٍ سابقٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هم قومٌ رأَوا المُنكرَ فلم يقدرُوا على تغييرِه، فساحُوا في الأرضِ، ولزِمُوا البراريَ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٠)، وعده من العجائب.

(٢) في (ن): «يأمرهم».

(٣) رواه النسائي (٥٤٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفًا من حديث طويل، وفيه: «كانت ملوك بعد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون =

قتادةُ: رفَضُوا النِّساءَ، واتَّخذوا الصَّوامعَ[(١)].

﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾: لم نأمُرْهم بها، ولم نُوجِبْها عليهم.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما كتَبْناها عليهم ولم يفعَلُوها إلَّا ابتغاءَ مرضاتِ الله، فهو نصبٌ على أنَّها مفعولٌ له.

الزَّجَّاجُ: هو بدلٌ منَ الهاءِ في قولِه: ﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا﴾، والتَّقديرُ: ما كتَبْنا عليهم إلَّا ابتغاءَ رضوانِ الله، فيكونُ مفعولًا به[(٢)].

الحسنُ: تطوَّعُوا بابتداعِها، ثمَّ كُتِبَتْ بعد ذلك عليهم[(٣)].

وقيل: ذلك كالتَّطوُّعِ مَن التزَمَه لزِمَه، ولهذا ذمَّهم الله فقالَ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾؛ أي: ما قامُوا بها حقَّ القيامِ بها، بل قصَّرُوا فيها.

وقيل: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ إذ بدَّلوا دينَهم.

= التوراة، قيل لملوكهم: ما نجد شتماً أشدَّ مِن شتمٍ يَشتِمونا هؤلاء، إنهم يقرءون: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهؤلاء الآيات مع ما يعيبونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرؤوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم، فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل، إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك، دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا. وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دوراً في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونحترث البقول، فلا نرد عليكم، ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال: ففعلوا ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾...».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٣٠).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٥).

وقيل: إذ لـم يُؤمِنُوا بمحمَّدٍ ﷺ، فيكونُ المُرادُ بهم مَن كانَ منهم في زمنِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ.

﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾ ولـم يُبدِّلوا دينَهم.

وقيل: آمَنُوا بمحمَّدٍ ﷺ.

﴿أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾: كافِرونَ.

***

(٢٨) - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الخطـابُ لأهـلِ الكتـابِ ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ولا تُشـرِكُوا بـه، ﴿وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمَّدٍ ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾: نصيبَينِ ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾؛ كِفْلًا بإيمانِكُم بنبيِّكـم الأوَّلِ، وكِفْلًا بإيمانِكُـم بمحمَّدٍ ﷺ حينَ بُعِثَ.

وقيل: الكِفْلُ: الضِّعْفُ.

وقيل: الكِفْلُ: الأجرُ.

الزَّجَّاجُ وغيرُه: الكِفْلُ في الأصلِ: الكِساءُ الذي يجعلُه الرّاكبُ حولَه إذا ارتدَفَ ليحفظَه عنِ السُّقوطِ[١].

الفرَّاءُ: يُحصِّنُكم هذا الفعلُ من عذابِ الله كما يُحصِّنُ الكِفْلُ مَن يتكفَّلُ به منَ السُّقوطِ[٢].

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ من قولِه: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٣١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٧).

وقيل: ضياءً يومَ القيامةِ.

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: النُّورُ: القرآنُ[١].

وقيل: النُّورُ: الهدى.

وقيل: ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ في النّاسِ تدعُونَهم به إلى الله.

وقيل: تمشُونَ به إلى الجنّةِ.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

***

(٢٩) ـ ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: جعَلْنا لمُؤمني أهلِ الكتابِ كِفْلَينِ منَ الأجرِ؛ ليعلمَ أهلُ الكتابِ ـ وهم الذين لـم يُؤمِنُوا وحسَدُوا مَن آمنَ منهم ـ ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا ينالُونَ رحمةً وجنّةً، و(لا) صلةٌ عندَ الجمهورِ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ رضيَ الله عنه: (ليعلَمَ)[٢].

الفرَّاءُ: العربُ تزيدُ (لا) في كلِّ كلامٍ دخلَ في آخرِه أو أوَّلِه جحدٌ[٣].

وقيل: (لا) الأخيرةُ زيادةٌ، والتَّقديرُ: لئَلّا يعلمَ أهلُ الكتابِ أنَّهم يقدرونَ على شيءٍ من فضلِ الله بغيرِ إيمانِ محمَّدٍ ﷺ، فلمَّا خُفِّفَ (أنَّ) زيدَ (لا) ليصيرَ حائلًا بينَه وبينَ الفعلِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٢)، وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٧).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٧).

وقيل: كلاهما واقعانِ موقعَهما، ولكنَّ الضَّميرَ في ﴿يَقْدِرُونَ﴾ يعودُ إلى مَن آمنَ منهم.

الزَّجَّاجُ: الآيةُ خطابٌ لأصحابِ النَّبيِّ ﷺ، أمرَهُم بالثَّباتِ على الإيمانِ[1].

وقيل: يا أيُّها الذينَ آمَنُوا بعيسى آمِنُوا بمحمَّدٍ عليهما السلام ليعلَمَ أهلُ التَّوراةِ.

قولُه: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ عطفٌ على اللّامِ؛ أي: لئلّا يعلَمَ ولأنَّ الفضلَ.

وقيل: عطفٌ على أنَّهم لا يقدرونَ، والمعنى: وأنَّ القرآنَ والأجرَ والنُّبوّةَ والرِّزقَ بيدِ الله، يملكُه دونَهم، يُؤتيه مَن يشاءُ، يُعطيه مَن هو أهلٌ لذلك.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: ذو الإفضالِ على مَن يشاءُ من عبادِه المؤمنينَ. والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٣١)، وفيه: «المعنى: فعل الله بكم ذلك كما فعل بمن آمن من أهل الكتاب لأن يعلموا».

جزء قد سمع

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

اثنتانِ وعشرونَ آيةً[1]، مدنيَّةٌ.

الكلبيُّ: مدنيةٌ إلّا قولَه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾؛ فإنَّها نزلَتْ بمكّةَ[2].

عَطاءٌ: العشرُ الأوَّلُ منها مدَنيٌّ، والباقي مكِّيٌّ[3].

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ جُلُّ المُفسِّرينَ على أنَّ هذه الآياتِ نزلَتْ في خولةَ، وقيل: خُوَيلةَ، بالتَّصغيرِ.

وقيل: اسمُها: جميلةُ بنتُ ثعلبةَ.

وقيل: بنتُ خُوَيلدٍ.

وقيل: ثعلبةُ وخُوَيلدٌ، أحدُهما أبوها، والآخَرُ جدُّها.

وزوجُها: أوسُ بنُ الصَّامتِ، أخو عبادةَ بنِ الصَّامتِ.

---

(١) «اثنان وعشرون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٤١).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٤١).

وقيل: نزلَتْ في سلمةَ بنِ صخرٍ وامرأةٍ له. والصَّحيحُ الأوَّلُ.

وكان أوسُ بنُ الصَّامتِ رجلًا فيه سرعةٌ ولَـمَمٌ، فغضبَ ذاتَ يومٍ عليها، وقال لها: أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي، وكانَ ذلك أوَّلَ ظِهارٍ في الإسلامِ، وكان طلاقُ الجاهليّةِ الظِّهارَ والإيلاءَ.

ثمَّ ندِمَ على ما قالَ، فقالَ لها: ما أظُنُّكِ إلّا حَرُمْتِ عليَّ، قالت: لا تقُلْ ذاك، وَأْتِ رسولَ الله ﷺ فسَلْه، فقال: إنِّي أجِدُني أستحيي منه أن أسألَه عن هذا، قالت: فدَعْني أسألْه، قال: سليه.

فـأتتِ النَّبيَّ علـيه السَّلامُ وعائـشةُ رضـي الله عنها تغسلُ رأسَه، فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ زوجي أوسَ بنَ الصّامتِ تزوَّجَني وأنا شابّةٌ غنيّةٌ ذاتُ مالٍ وأهلٍ، حتَّى إذا أكلَ مالي وأفنَى شبابي، ونفضْتُ[1] له بطني، وتفرَّقَ أهلي، وكبِرَتْ سِنِّي، ظاهرَ منِّي، فقال عليه السَّلامُ: «حرُمْتِ عليه»، فقالت: أشكو إلى الله فَقري وفاقَتي وضَعْفي ووحدَتي، وصِبيةً صِغارًا، إنْ ضمَمْتُهم إليه ضاعُوا، وإنْ ضمَمْتُهم إليَّ جاعُوا، فقال عليه السَّلامُ: «ما أراكِ إلّا حرُمْتِ عليه»، فجعلَتْ ترفعُ صوتَها وتقولُ: اللهُمَّ إنِّي أشكو إليكَ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ الآيات، فدَعا أوسَ بنَ الصّامتِ فتلا عليه: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾، وحُكمَ الظِّهارِ، وبيانَ الكفّارةِ[2].

---

(١) في (ن): «ونقضت».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٢٥٧)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٣٣)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٢٦)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦ ـ ٤٥١) في هذا المعنى روايات عن ابن عباس وقتادة وأبي العالية ومحمد بن كعب القرظي، أقربها إلى لفظ المصنف ما رواه عن محمد بن كعب، وروى بعضه ابن ماجه (٢٠٦٣) عن عائشة رضي الله عنها.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: تبارَكَ الله، وسِعَ سمعُه كلَّ شيءٍ، إنِّي لأسمعُ كلامَ خولةَ وخفِيَ عليَّ بعضُه وهي تُحاوِرُ رسولَ الله ﷺ، فما برِحَتْ حتَّى جاءَ جبريلُ بهذه الآياتِ[١].

فقال له رسولُ الله ﷺ: «أعتِقْ رقبةً»، قال: ما لي بذاك يدانِ، قال: «فصُمْ شهرَينِ مُتَتابعَينِ»، قال: أمَا إنِّي إذا أخطأَ أن آكُلَ في اليومِ مرَّتَينِ كَلَّ بصرِي، قال: «فأطعِمْ ستِّينَ مِسكينًا»، قال: لا أجِدُ إلّا أن تُعينَني منكَ بعونٍ وصلةٍ، فأعانَه رسولُ الله ﷺ بخمسةَ عشرَ صاعًا، حتَّى جمعَ الله له، وكانوا يرَونَ أنَّ عندَه مثلَها، وذلك لستِّين مسكينًا[٢].

قولُه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ وفي بعضِ المصاحفِ: (قد يسمَعُ الله)[٣].

﴿قَوْلَ ٱلَّتِى﴾؛ أي: المرأةِ التي ﴿تُجَٰدِلُكَ﴾: تُخاصِمُكَ ﴿فِى زَوْجِهَا﴾: في أمرِ زوجِها، فحُذِفَ المُضافُ.

﴿وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: تُظهِرُ ما بها منَ المكروهِ، والاشتِكاءُ: إظهارُ ما بالإنسانِ منَ المكروهِ، والشَّكوَى: إظهارُ ما يصنعُه به غيرُه.

﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾: مُراجعَتَكما الكلامَ، من (حارَ): إذا رجعَ، وليس هذا تكرارًا؛ لأنَّ الأوَّلَ لِمَا حكَتْه من زَوجِها، والثّانيَ لِمَا كانَ يجري بينَها وبينَ رسولِ الله، ولأنَّ الأوَّلَ ماضٍ، والثَّانيَ مُستقبلٌ.

---

(١) رواه النسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨)، وذكره البخاري معلقًا قبل حديث: (٧٣٨٦).

(٢) روى نحوه أبو داود (٢٢١٤) عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة، وذكر عدة روايات أخرى (٢٢١٥ ـ ٢٢١٨)، ورواه الدارقطني في «سننه» (٤/ ٤٨٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٩) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) نسب لمصحف عبد الله. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٨)، و«إعراب القراءات السبع» لابن خالويه (ص: ٤٣٦).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكلامِها ﴿بَصِيرٌ﴾ بحالِـها.

***

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ﴾ هذا فعلٌ مُشتَقٌّ من اسمٍ، نحوَ ما تقولُ: رأستُه، وبطَنْتُه، ورجَلتُه، وكذلك (ظاهَرَ)؛ أي: قال لها: أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي.

وقيل: هو منَ الظَّهرِ الذي يُذْكرُ والمُرادُ به المركوبُ؛ أي: حرُمَ عليَّ ركوبُكِ كما حرُمَ عليَّ رُكوبُ أمِّي.

وقيل: هو منَ الظَّهرِ الذي هو العلوُّ والغلبةُ، من قولِه: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]؛ أي: عُلوِّي عليكِ حرامٌ كعُلوِّي على أُمِّي.

وهذانِ الوجهانِ أولى منَ الأوَّلِ؛ ليدخُلَ فيه البطنُ والفخِذُ والفرجُ وغيرُها.

وفيه لغاتٌ: ظاهرَ وتظاهرَ وتظهَّرَ واظَّاهرَ واظَّهَّرَ، وبكلٍّ قُرِئَ(١).

﴿مِنكُم﴾؛ أي: حكمُ الظِّهارِ بين المسلمينَ دونَ غيرِهم.

﴿مِّن نِّسَآئِهِم﴾: زوجاتِهم.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾؛ أي: لـم يجعلِ الأزواجَ كالأمَّهاتِ في شيءٍ منَ الأحكامِ.

﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: ما أمَّهاتُهم ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾: خرَجُوا من بُطونِهنَّ.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عَمرو ونافع: ﴿يَظَّهَّرون﴾ بفتح الياء وتشديد الظاء من غير الألف من: اظَّهَّر، بمعنى: تَظَهَّر، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائيُّ: ﴿يَظَّاهَرون﴾ بتشديد الظاء وزيادة الألف بفتح الياء من: اظَّاهَرَ، بمعنى: تَظَاهَرَ، وقرأ عاصم: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾ من: ظَاهَر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٨).

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ﴾ بالظِّهارِ ﴿مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: لا يُعرَفُ ﴿وَزُورًا﴾: كذِبًا.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ لِمَا مضَى ﴿غَفُورٌ﴾: لـمَنْ تابَ.

* * *

(٣) - ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ بيَّنَ في الآيةِ الأولى أنَّ[1] ذلك من قائليه مُنكَرٌ وزورٌ، وبيَّنَ في الثَّانيةِ حكمَ مَن قالَ ذلك، ولـم يقُلْ: «منكم» في هذه الآيةِ؛ لأنَّه بيانٌ للأوَّلِ.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ حملَه بعضُهم على معنى القولِ، وبعضُهم على عينِ القولِ.

فمَن حملَه على معنى القولِ قالوا: تقديرُه: يعودون لنَقْضِ ما قالوا وإفسادِه.

وقيل: يعودُونَ إلى ما قالوا وفيما قالوا منَ التَّحريمِ.

وقيل: يرجِعُونَ عمَّا قالوا.

ثمَّ اختلَفُوا على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ العودَ إنَّما يكونُ بالعزمِ على الوَطْءِ، فيلزمُه الكفَّارةُ بالعزمِ.

والثَّاني: أنَّ العودَ يكونُ بالإمساكِ، ويلزَمُه الكفَّارةُ بالإمساكِ.

والثَّالثُ: أنَّ العودَ يكونُ بالوَطْءِ، فيلزَمُه الكفَّارةُ بالوطءِ.

ومَن حملَه على ظاهرِ القولِ وعينِه اختلَفُوا على قولَينِ:

أحدُهما: أنَّ العودَ إنَّما يكونُ بتكرارِ اللَّفظِ، وهو أن يقولَ: أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي، أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي، فإذا قالَـها مرَّتَينِ صارَ مُظاهِرًا، ولزِمَه الكفَّارةُ لتكرارِه اللَّفظَ.

---

(١) أُلحقت في هامش (ن): «ما» قبل «أنَّ»، وعدم الإلحاق أولى.

والثّاني: أنّهم كانوا في الجاهليّةِ يقولونَ للنِّساءِ إذا أرادوا الطَّلاقَ: أنتِ عليَّ كظهرِ أمِّي، فإذا عادَ في الإسلامِ إلى مثلِ ذلك القولِ لزِمَه الكفَّارةُ، فعلى هذا يلزمُه الكفَّارةُ بمُجرَّدِ الظِّهارِ.

الأخفشُ: تقديرُ الآيةِ: الذينَ يُظاهِرونَ من نسائِهم فتحريرُ رقبةٍ لِـمَا قالوا، ثمَّ يعودُونَ[1].

أبو عليٍّ: (ما قالوا) في تقديرِ مصدرٍ وقعَ موقعَ المفعولِ؛ أي: يعودونَ في القولِ فيه[2].

ابنُ بحرٍ: الظِّهارُ يمينٌ يلزَمُه الكفَّارةُ بالحِنثِ[3]. والله أعلَمُ.

﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾؛ أي: فعليه إعتاقُ رقبةٍ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾: يُجامعَها.

وقيل: عنَى به كلَّ أنواع المسيسِ[4]؛ لأنَّ اللَّفظَ عامٌّ.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إشارةٌ إلى الكفّارةِ ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ فلا تأتونَ ما هو مُنكرٌ وزورٌ، ولا تُطلِّقونَ إلا على الوجهِ المشروعِ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٤٨)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٣٩)، و«البسيط» للواحدي (٢١/ ٣٣٤) واللفظ له، وهو معنى كلام الأخفش كما أشار أبو علي في «الحجة» (٢/ ١٤٢).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ١٤٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٢)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٢)، واستغربه.

(٤) ـ ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾؛ أي: الرَّقبةَ ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾؛ أي: فعلَيه صيامُ شهرَينِ ﴿مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ فإنْ أفطرَ بينَهما لغيرِ عذرٍ فعلَيه الاستئنافُ، وإنْ أفطرَ لعُذرٍ ففيه خلافٌ.

﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾؛ أي: الصَّومَ ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾؛ أي: فعليه إطعامُ ستِّينَ مسكينًا، لكلِّ مسكينٍ مُدٌّ، وقيل: نصفُ صاعٍ.

وجوَّزَ بعضُهم في الإطعامِ أن يكونَ بعد أن يتماسَّا[1]؛ لأنَّه لـم يُشترَطْ في الآيةِ كما اشتُرطَ مع الرَّقبةِ ومع الصَّومِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الصَّومِ والإطعامِ، وقيل: يعودُ إلى الكلِّ.

﴿لِتُؤْمِنُوا﴾؛ أي: فُرِضَ ذلك لتؤمِنُوا ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ولا تستعمِلُوا أحكامَ الجاهليَّةِ.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: أوامرُه ونواهيه ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

* * *

(٥) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يُعادُونَ ويُخالفونَ، وأصلُه عنـدَ النُّحاةِ منَ (الحدِّ)؛ أي: يصيرونَ في حدٍّ غيرِ حدِّه، وكذلك (يُشاقُّونَ الله) و(يُعادُونَ) منَ (الشّقِّ) و(عُدوةِ الوادي)، وقد سبقَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٢)، واستغربه.

ابنُ جريرٍ: يُخالفونَ في حدودِ الله وفرائضِه فيضَعونَ حدودًا غيرَ حدودِه[١].

ابنُ بحرٍ: ﴿يُحَآدُّونَ﴾: يُفاعِلُونَ منَ الحديدِ؛ أي: يُقاتلونَ[٢].

﴿كُبِتُوا۟﴾: أُخِّروا، وقيل: أُهلِكُوا وأُذِلُّوا. وقيل: كُسِروا.

وقيل: بمعنى: كُبُّوا على وُجوهِهم.

النَّقَّاشُ: أصلُه: كُبِدُوا؛ أي: أُصيبُوا في أكبادِهم، قُلِبَ الدَّالُ تاءً[٣].

﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: كفارُ الأممِ الخاليةِ.

وقيل: يومَ بدرٍ.

﴿وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ قيل: هي القرآنُ.

وقيل: مُعجِزاتُ النَّبيِّ ﷺ.

وقيل: الدَّلالاتُ العقليَّاتُ.

قال صاحبُ «النَّظمِ»: تقديرُه: آياتٍ في المُحادِّين؛ ليكونَ بينَهما اتِّصالٌ.

﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾؛ أي: النَّارُ.

* * *

(٦) - ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾.

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ﴾؛ أي: يُجازَون يومَ يبعثهم[٤] ﴿ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾ منَ الأرضِ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٤٦٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٣)، واستغربه.

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٤٩) عن بعض أهل اللغة، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧٣٥٨) عن أبي عبيدة.

(٤) في (ن): «أي يجازون بالعذاب».

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ تقريرًا على ما يستحِقُّونَ.

﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أحصى ما عمِلُوا إحصاءَ عددٍ وإحاطةٍ به.

﴿وَنَسُوهُ﴾ لكثرتِه وطُولِ الزَّمانِ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ لا يغيبُ عنه شيءٌ.

وقيل: يشهدُ عليهم فلا يستطيعونَ ردَّها دفعًا وإنكارًا.

* * *

(٧) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلَمْ؟

وقيل: ترَ رُؤيةَ العينِ؛ أي: ألم ترَ الدَّلائلَ على أنَّه عالِمٌ؟

وقيل: معناه: تنبَّهْ.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ﴾: ما يقعُ ﴿مِن نَّجْوَىٰ﴾: من مُناجاةِ ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ النَّجوَى: السَّرائرُ، مصدرٌ على وزنِ (فَعْلَى) مُشتقٌّ منَ النَّجوةِ، وهي الارتفاعُ؛ لبُعدِ الحاضرينَ عنها.

ابنُ سماعةَ: لا يكونُ إلَّا بينَ ثلاثةٍ، حكاه أقضَى القُضاةِ[1].

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٤٩٠)، وتصحف اسم (ابن سماعة) في المطبوع منه إلى (سراقة)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٣)، وعده من العجائب. وابنُ سَمَاعةَ هو قاضي بغداد، العلَّامةُ أبو عبد الله محمدُ بنُ سماعةَ بنِ عُبيد الله التَّيْمِيُّ الكوفيُّ، صاحبُ أبي يوسف ومحمد، حَدَّث عن: الليثِ والمسيَّبِ بن شَرِيكٍ وصنَّف التصانيفَ. وقال عنه ابن مَعين: لو =

النقَّاشُ: النَّجوَى: الكلامُ يكونُ بينَ القليلِ والكثيرِ.

وقيل: النَّجوَى: المُتَناجُونَ، كقولِه: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾، و﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ بدلٌ[1]، ويجوزُ أن يكونَ مضافًا إليه.

﴿إِلَّا هُوَ﴾: إلا اللهُ ﴿رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾، الرّابعُ هاهنا اسمٌ للفاعلِ، وكذلك السَّادِسُ.

وأمَّا رابعُ أربعةٍ، وخامسُ خمسةٍ، وسادسُ ستَّةٍ؛ فأسماءٌ بمعنَى: واحدٌ من أربعةٍ.

ويجوزُ في الأوَّلِ التَّنوينُ ونصبُ ما بعدَه، ولا يجوزُ في الثّاني.

﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ولا أقلَّ منَ الثَّلاثةِ ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ أي: منَ الخمسةِ.

﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعلمُ ما يأتُونَ كما يعلَمُ مَن هو معَهم.

﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ منَ السَّماءِ والأرضِ.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: يُخبِرُهم فيُجازيهم عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

* * *

(٨) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال ابنُ عبّاسٍ ومجاهدٌ: نزلَتْ

= أن المحدِّثين يَصدُقُون في الحديث كما يَصْدُقُ ابنُ سماعةَ في الفقه لكانوا فيه على نهايةٍ. توفي سنة (٢٣٣هـ)، وقد تجاوز المئة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٤٦).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٣)، واستغربه.

في اليهودِ والمُنافقينَ، كانوا يتناجَونَ فيما بينَهم وينظُرونَ إلى المؤمنين، ويتغامَزُونَ بأعيُنِهم، فإذا رأى المُؤمنونَ ذلك قالوا: ما نَراهُم إلّا وقد بلَغَهم عن إخوانِنا وأقربائِنا الذين خرَجُوا في السَّرايا قتلٌ أو مُصيبةٌ أو هزيمةٌ، فيقعُ ذلك في قلوبِهم ويُحزِنُهم، فلمَّا طالَ ذلك شكَوا إلى رسولِ الله، فأمرَهُم أنْ لا يتناجَوا دونَ المسلمينَ، فلم ينتَهُوا وعادوا إلى مُناجاتِهم، فأنزَلَ الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾[1].

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ لأنَّ المسلمينَ كانوا يحزَنُونَ ويخافُونَ من ذلك، فكان ذلك إثمًا وعُدوانًا منهم.

﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾؛ أي: وبما يصيرُونَ عاصينَ للرَّسولِ؛ إذ كانَ نهاهُم عن ذلك.

﴿يتَناجَونَ﴾ و﴿يَنْتَجونَ﴾[2] بمعنًى، نحو: تعاوَنُوا واعتَوَنُوا.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يريدُ: اليهودَ؛ فإنَّهم كانوا إذا دخلوا على رسولِ الله ﷺ قالوا: السَّامُ عليك، وكانَ ﷺ يقولُ لهم: «وعليكم»، فسمِعَتْ عائشةُ رضي الله عنها يومًا، فقالَتْ: عليكم السَّامُ والذَّامُ، فقالَ عليه السَّلامُ: «يا عائشةُ، إنَّ الله يُحِبُّ الرِّفقَ، ويكرَهُ الفُحْشَ والتَّفَحُّشَ»، فقالت: يا رسولَ الله، ألستَ ترى ما يقولون؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «ألستِ تَرينَ ما أردُّ عليهم؟» ثمَّ قال: «إذا سلَّمَ عليكم كتابيٌّ فقولوا: وعليكَ»؛ أي: عليكَ ما قُلتَ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[3].

---

(١) ذكره عن ابن عباس ومجاهد الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٩) عن مجاهد في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾ قال: اليهود.

(٢) قرأ حمزة (ويَنْتَجون) بغير ألف، والباقون ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ﴾ بألف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٨).

(٣) جمع المصنف بين حديثين:

الأول: ما رواه البخاري (٦٠٣٠) واللفظ له، ومسلم (٢١٦٥) عن عائشة رضي الله عنها أن يهود =

قال المُفسِّرونَ: السّامُ: الموتُ.

وقيل: السَّيفُ.

وقيل: معناه: ستَسأَمُونَ دينكم.

ابنُ بحرٍ: كانوا يُحيُّونَه بتحيَّةِ الجاهليّةِ: أنعِمْ صباحًا، وأمثالِه، واللهُ أمرَ بالتَّسليمِ عليه والصَّلاةِ.

وقيل: السّامُ: الموتُ بلغةِ اليهودِ، وهي في لغةِ العربِ: عُروقُ الذَّهبِ والفِضّةِ.

ويحتمِلُ أنَّهم كانوا يقولونَ لعنَهم الله: السَّامُّ ـ بالتَّشديدِ ـ من (سَمِّ الموتِ).

﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾؛ أي: يقولونَ فيما بينَهم: لو كان نبيًّا لعاقَبَنا الله بما نقولُ.

وقيل: لو كانَ محمَّدٌ نبيًّا لاستُجيبَ دُعاؤُه علينا بقولِه: «وعليكم».

فقالَ الله: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: فيما أُعدَّ لهم في الآخرِة كفايةٌ عن عذابِ الدُّنيا ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾: يدخُلونها ويلزَمُونَها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: المرجعُ جهنَّمُ.

ثمَّ خاطبَ المُؤمنينَ فقالَ:

= أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. قال: «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش» قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: «أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيَّ».

والثاني: ما رواه البخاري (٦٩٢٦)، والترمذي (٣٣٠١) واللفظ له عن أنس رضي الله عنه: أن يهوديًا أتى على النبي ﷺ وأصحابه فقال: السام عليكم، فرد عليه القوم، فقال نبي الله ﷺ: «هل تدرون ما قال هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، سلَّم يا نبي الله. قال: «لا، ولكنه قال كذا وكذا، ردوه عليَّ»، فردوه قال: «قلت: السام عليكم؟» قال: نعم. قال نبي الله ﷺ عند ذلك: « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: عليك ما قلت»، قال: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾.

ورواه مسلم (٢١٦٤) عن ابن عمر رضي الله عنه بلفظ قريب.

(٩) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ فِعْلَ المُنافقينَ واليهودِ ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾: بالطّاعةِ والخيرِ، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: إلى جزائِه ﴿تُحۡشَرُونَ﴾.

وقيل: هذا خطابٌ للمُنافقينَ، يُريدُ: يا أيُّها الذينَ آمَنُوا في الظّاهرِ.

* * *

(١٠) ـ ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾.

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾؛ أي: النَّجوَى بالإثمِ والعُدوانِ من فعلِ الشَّيطانِ ﴿لِيَحۡزُنَ ﴾ قيل: الشَّيطانُ. وقيل: النَّجوى[1].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بما يتوهَّمُونَه أنَّه لوقوعِ[2] بليَّةٍ ومُصيبةٍ.

﴿وَلَيۡسَ ﴾ الشَّيطانُ أو النَّجوَى ﴿بِضَآرِّهِمۡ ﴾؛ أي: المُؤمنين ﴿شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: بعلمِه وقضائِه وقَدَرِه.

وقيل: لا يضرُّهم شيئًا إلّا ما أرادَ الله.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾: فلْيُفوِّضُوا أمورَهم إليه، ولْيثِقُوا به.

ابنُ بحرٍ: أمرَ الله بالتَّوكُّلِ، ومَن لم يتوكَّلْ عليه فقد أذِنَ الله أن يَحْزنَ عقوبةً له.

---

(١) في (ف) زيادة: «ليحزن».

(٢) في (ف): «كوقوع».

وقيل في معنى قولِه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: هو أحلامُ النَّومِ التي يراها الإنسانُ في نومِه فتُحزِنُه(١).

* * *

(١١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن المُقاتِلَين(٢): كانَ النَّبيُّ ﷺ في الصُّفَّةِ، وفي المكانِ ضِيقٌ، وكان يومَ جمعةٍ، فجاء ناسٌ من أهلِ بدرٍ، وقد سُبِقُوا إلى المجلسِ، فقامُوا حيالَ رسولِ الله ﷺ على أرجُلِهم ينتَظِرونَ أن يُوسَّعَ لهم، فلم يفسَحُوا لهم، وشقَّ ذلك على رسولِ الله؛ لأنَّه كانَ يُكرِمُ أهلَ بدرٍ منَ المهاجِرينَ والأنصارِ، فقال لمَن حولَه من غيرِ أهلِ بدرٍ: «قُمْ يا فُلانُ، وأنتَ يا فُلانُ»، فأقامَ منَ المجلسِ بقَدْرِ القومِ الذين قامُوا بينَ يدَيه من أهلِ بدرٍ، فشقَّ ذلك على مَن أُقيمَ من مجلِسِه، وعرفَ رسولُ الله ﷺ الكراهةَ في وُجوهِهم، وقال المُنافقونَ للمُسلمينَ: ألستُمْ تزعُمونَ أنَّ صاحبَكُم يعدلُ بينَ النّاسِ؟ فوالله ما عدَلَ على هؤلاءِ القومِ، أخذُوا مجالسَهم، وأحبُّوا القُربَ من نبيِّهم، فأقامَهم وأجلَسَ مَن أبطأَ عنهم مكانَهم، فأنزلَ الله تعالى هذه الآيةَ(٣).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٤)، وعده من العجائب.

(٢) في هامش (ن): «مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٦٢)، وذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن مقاتل بن حيان، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٢) عن مقاتل ولم يعيِّن.

الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلَتْ في ثابتِ بنِ قيسٍ، وقد سبقَ في سورةِ (الحجُراتِ)[1].

مجاهدٌ: هذا في مجلسِ النَّبيِّ خاصّةً[2].

وقيل: عامٌّ في مجالسِ الخيرِ كلِّها.

الحسنُ: ذلك في الغَزْوِ[3].

﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ ذلك المجلسَ بإزالةِ وحشةِ التَّضايقِ وتطييبِ النُّفوسِ به.

وقيل: ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ في الجنّةِ.

وقيل: ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ في القبرِ.

وقيل: ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾[4] بأن يخلُقَ هناك سعةً تسعُكم.

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾: ارتفعُوا في المجلسِ.

وقيل: ذلك عند النُّهوضِ منَ المجلسِ، ومعناه: قومُوا.

وقيل: هو عندَ الدُّعاءِ إلى كلِّ خيرٍ.

وقيل: هو الصَّلاةُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٦)، ورواه عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨١).

(٣) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨١)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٥٧٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤١٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٩٢).

(٤) «وقيل يفسح الله لكم»: ليس في (ف).

وقيل: ذلك عندَ القتالِ مع رسولِ الله ﷺ خاصّةً.

﴿فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ ذهبَ بعضُهم إلى أنَّ الدَّرجاتِ لأُولي العلمِ خاصَّةً؛ أي: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ ويرفعِ الذين أوتوا العلمَ درجاتٍ.

ورَوَى الزَّجَّاجُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «عبادةُ العالـمِ يومًا تعدِلُ عبادةَ العابدِ أربعينَ سنةً»(١).

وقيل: تقديرُه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ لإيمانِه وطاعتِه درجةً ومنزلةً، ويرفعِ الذين أوتُوا العلمَ منَ المُؤمنينَ على مَن ليس بعالـمٍ درجاتٍ.

وفي الدَّرجاتِ قولانِ:

أحدُهما: في الدُّنيا بالمرتبةِ والشَّرفِ والقُربِ منَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ؛ ليتبيَّنَ أهلُ العلمِ والحلمِ والنُّهَى من غيرِهم.

وقيل: الدَّرجاتُ في الجنّةِ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ فيه تهديدٌ؛ أي: امتَثِلُوا أوامرَه ونواهيَه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٣٩)، ولم أقف عليه مسندًا بهذا اللفظ، وروى ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٥٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: «فضل العالم على العابد سبعون درجة».

ورواه الدارقطني في «علله» (٩/ ٢٦٧) مرسلًا ومسندًا، وقال: «والمرسل أصح».

وفي فضل العالم على العابد أحاديث: منها: ما رواه أبو داود (٢٢٣) و(٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨١)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وفيه: «وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

وروى نحوه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٩٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة».

(١٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال مقاتلُ بنُ حيّانَ: نزلَتِ الآيةُ في الأغنياءِ، وذلك أنَّهم كانُوا يأتونَ النَّبيَّ ﷺ فيُكثِرونَ مُناجاتِه ويغلبونَ على المجالسِ، حتَّى كرِهَ رسولُ الله ﷺ ذلك من طولِ جُلوسِهم ومُناجاتِهم، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ، وأمرَ بالصَّدقةِ عندَ المُناجاةِ، فأمَّا أهلُ العسرةِ فلم يجِدُوا شيئًا، وأمَّا أهلُ الميسرةِ فبخِلُوا، واشتدَّ ذلك على أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، فنزلَتِ الرُّخصةُ[1].

قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: إنَّ في كتابِ الله لآيةً ما عمِلَ بها أحدٌ قبلي ولا يعملُ بها أحدٌ بعدي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾، كان لي دينارٌ فبِعتُه بدراهمَ، وكنتُ إذا ناجَيتُ الرَّسولَ تصدَّقتُ بدرهمٍ حتَّى نَفَدَ، فنُسِخَتْ بالآيةِ الأُخرَى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾[2].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أيضًا قال: لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ دَعاني رسولُ الله ﷺ فقالَ لي: «ما ترَى؟ ترَى دينارًا؟» قلتُ: لا يُطيقُونَه، قال: «كم؟» قلتُ: حبَّةً أو شعيرةً، قال لي: «إنَّكَ لزَهيدٌ»[3]، فنزلَتِ الآيةُ الثَّانيةُ[4].

---

(١) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٢٦٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٥٤)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٣) عن مقاتل بن حيان، وكذا رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٧٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢١٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٤) وصححه.

(٣) في هامش (ن): «زهيد في القول؛ أي: قليل».

(٤) رواه الترمذي (٣٣٠٠)، وقال: «هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، ومعنى قوله شعيرة: يعني وزن شعيرة من ذهب».

قولُه: ﴿إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ﴾؛ أي: إذا أردتُم أن تُناجُوا رسولَ الله ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾: أعطُوا أمامَ مُناجاتِكم الفقراءَ ﴿صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: التَّصدُّقُ ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ منَ البُخلِ ﴿وَأَطۡهَرُ﴾ أي: لأنفُسِكُم وأزكَى لها.

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ ما تتصدَّقُونَه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمَن لا يجدُ ﴿رَّحِيمٌ﴾: رخَّصَ له في المُناجاةِ من غيرِ صدقةٍ يُقدِّمُها.

وقيل: إنْ لـم تجِدُوا فإنَّ الرُّخصةَ فيه كالمغفرةِ رحمةً منه لكم، فدلَّ بالصِّفةِ على هذا المعنى، قالَه ابنُ عيسى.

ثمَّ نُسِخَ؛ فقالَ بعضُهم: عملَ النّاسُ بهذا الفرضِ أيّامًا ثمَّ نُسِخَ.

وقيل: إنَّه كانَ ساعةً من نهارٍ ثمَّ نُسِخَ.

واتِّصالُه بالآيةِ لا يمنعُ من حصولِ التَّراخي.

* * *

(١٣) ـ ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾؛ أي: أخشيتُم الفقرَ والفاقةَ من هذه الصَّدقةِ وعصَيتُم الله بأنْ لـم تفعلُوا ما أمرَكُم به، ثمَّ قالَ:

﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ مـن هـذه المعصيـةِ وأسـقطَ عنكـم هـذا الفرضَ ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضـةَ في مالِكم؛ فإنَّ هذا لا يُوضَعُ عنكم بوجهٍ، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

* * *

(١٤) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا﴾ في «صحيحِ البخاريِّ» عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ في ظلِّ حجرةٍ من حُجَرِه، وعندَه نفرٌ منَ المسلمينَ قد كادَ الظِّلُّ يَقلِصُ عنهم، فقال لهم: «إنَّه سيأتيكُم إنسانٌ ينظرُ إليكم بعينِ شيطانٍ، فإذا أتاكُم فلا تُكلِّمُوه»، فجاءَ عبدُ الله بنُ نَبْتَلٍ، وكانَ أزرقَ، فدَعاه رسولُ الله ﷺ فكلَّمَه، فقالَ: «علامَ تشتُمُني أنتَ وفلانٌ وفلانٌ»، نفرٌ سمَّاهم(١) بأسمائِهم، فانطلقَ فدَعاهم فحلَفُوا بالله واعتَذَرُوا إليه، فأنزَلَ الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾(٢)؛ أي: يُوالونَ اليهودَ، وهم المغضوبُ عليهم.

﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ كقولِه: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٤٣]، بل هم مُنافقونَ

---

(١) في (ف): «فسماهم».

(٢) لم أقف عليه في صحيح البخاري، والحديث ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٦٠) عن السدي ومقاتل.

وروى نحوه الإمام أحمد في «مسنده» (٢١٤٧) (٢٤٠٧) (٣٢٧٧)، والبزار في «مسنده» (٥٠١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٢): «رواه أحمد والبزار، ورجال الجميع رجال الصحيح».

ولفظ الإمام أحمد: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل حجرته فقال لأصحابه: «يجيئكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه»، فجاء رجل أزرق، فلمَّا رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: «علامَ تشتمني أنت وأصحابك؟» قال: كما أنت حتى آتيك بهم، قال: فذهب، فجاء بهم، فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا، وما فعلوا، وأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ أنَّهم ليسوا مُنافقين ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم كاذبونَ[1] مُنافقونَ.

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٥ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٥ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ الكاذبةَ ﴿جُنَّةً﴾: وقايةً دونَ دمائِهم وأموالِـهم ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن طاعتِه والإيمانِ به.

وقيل: صَدُّوا المؤمنينَ عن سبيلِ حُكمِه منَ القتلِ في أمثالِـهم الكفرةِ.

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

* * *

(١٧) ـ ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿لَّن تُغْنِىَ﴾: لن تدفعَ ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

* * *

(١٨) ـ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾: لله في الآخرةِ: إنَّهم كانوا مُخلِصينَ في الدُّنيا غيرَ مُنافقين ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدُّنيا.

وقيل: هو قولُـهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

---

(١) في (ن): «يكذبون».

﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ﴾ في الدُّنيا ﴿عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾.

وقيل: ليس في القيامةِ كذبٌ، وإنَّهم يحلفُونَ أنَّهم لم يكونوا كفَّارًا عندَ أنفُسِهم.

الحسنُ: في مواطنَ يُدهَشُونَ فيكذبُونَ كما يكذبُ الصَّبيُّ، ثمَّ يعرفُونَ قُبحَ الكذبِ فيترُكونَ(١).

وقيل: هو من قولِه: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]؛ أي: يتكلَّمونَ بمثلِ ما كانوا يتكلَّمونَ في الدُّنيا.

* * *

(١٩) ـ ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: استولَى وغلَبَ، من قولِ العربِ: حُذْتُ الإبلَ وحُزْتُها؛ إذا استَولى عليها، ورجلٌ أحوذيٌّ: نافذٌ في الأمورِ، والاستِيحاذُ: الاستيلاءُ، وشذَّ عن القياسِ؛ لأنَّهم لـم يستعمِلوهُ إلا بزيادةٍ.

﴿فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِ﴾: الإيمانَ به، وقيل: الأمرَ والنَّهيَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: جنودُه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

* * *

(٢٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾: الأسفَلين الصَّاغِرين في الدُّنيا بالقتلِ والسَّبْيِ، وفي الآخرةِ بالعذابِ والنَّارِ.

---

(١) في (ف): «فيقولون». والخبر ذكر الثعلبي نحوه في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢).

(٢١) ـ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾: قضَى وحكمَ.

وقيل: مضَى حكمُه.

وقيل: أوجَبَ ذلك.

وقيل: كتَبَ الله في اللَّوحِ المحفوظِ أنَّ رُسلَه غالبونَ وأخبرَ به، فهو كذلك لا محالةَ.

ويحتمِلُ: أنَّ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ بمعنَى: أقسمَ، ولهذا وقعَ بعدَه اللّامُ ونونُ التَّأكيدِ، وهذا ظاهرٌ.

والمعنى: لأغلِبَنَّ أنا، وتَغْلِبُ رُسُلي بالسَّيفِ والحجَّةِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ لا يمتنعُ عليه ما يُريدُ ﴿عَزِيزٞ﴾: غالبٌ غيرُ مغلوبٍ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: لا يُوادُّونَ أعداءَ الله ولو كانَ ذلك العدوُّ أقربَ النَّاسِ إليهم.

ابنُ جُرَيجٍ: نزَلَتْ في أبي بكرٍ؛ سبَّ أبو قُحافةَ رسولَ الله ﷺ فصكَّه[1] أبو بكرٍ صكَّةً شديدةً سقطَ منها، ثمَّ ذكرَ ذلك للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، فقالَ: «أوَفعَلْتَه؟» قال:

(١) في هامش (ن): «أي: ضربه».

نعم، قال: «فلا تعُدْ إليه»، فقال أبو بكرٍ رضيَ الله عنه: والله لو كانَ السَّيفُ حاضرًا لضربتُه به[١].

وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه: أنَّها نزلَتْ في أبي عُبيدةَ بنِ الجرَّاحِ، قتلَ أباه يومَ أُحدٍ[٢].

وفي أبي بكرٍ دعا ابنَه يومَ بدرٍ إلى البرازِ، وقال: يا رسولَ الله، دَعْني أكُنْ في الرَّعْلةِ[٣] الأولى، فقال له رسولُ الله ﷺ: «متِّعْنا بنفسِكَ يا أبا بكرٍ، أما تعلَمُ أنَّكَ عندي بمنزلةِ سمعي وبصري».

وفي مصعبِ بنِ عُميرٍ قتلَ أخاه عُبيدَ بنَ عُمَيرٍ يومَ أحدٍ.

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٦٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٤). وإسناده ضعيف لإرساله.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٦٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٤)، قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٦٦): هو في «تفسير مقاتل بن حيّان» عن مرَّة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود، وذكره الثعلبي عن تفسير مقاتل.

وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٥٨) من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكونه قتل أباه منظور فيه، فقد قال الواقدي كما ذكر الثعلبي: كذلك يقول أهل الشام، ولقد سألت رجالًا من بني الحارث بن فهر فقالوا: توفي أبوه من قبل الإسلام.

وكون ذلك يوم أحد ورد ما يخالفه، فقد روى الطبراني في «الكبير» (٣٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٥١٥٢)، عن عبد الله بنِ شَوْذَبٍ أن ذلك حدث يوم بدر، لكنه ضعيف لإرساله، وقال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٠٢): «هذا معضل، وكان الواقدي ينكره...».

(٣) في هامش (ن): «أي الجيش». والرعلة: القطعة من الفرسان، وجماعة الخيل. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٤٨٣)، و«المنتخب» لكراع النمل (ص: ٢٩٠)، و«شرح كفاية المتحفظ» للفاسي (ص: ٢٩٩).

وفي عمرَ رضيَ الله عنه قتلَ خالَه العاصَ بنَ هشامٍ.

وفي عليٍّ وحمزةَ وعُبيدةَ قتلُوا عُتبةَ وشيبةَ ابنَي ربيعةَ والوليدَ بنَ عتبةَ يومَ بدرٍ[1].

وذلك قولُه: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾، قيل: خرجَ مخرجَ المدحِ. وقيل: خرجَ مخرجَ النَّهيِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾؛ أي: أثبتَه، فيكونُ ﴿فِى﴾ من صلةِ ﴿كَتَبَ﴾.

وقيل: كتَبَ في اللَّوحِ المحفوظِ في قلوبِهم الإيمانَ، فيكونُ مُتعلِّقًا بالإيمانِ، وفيه نظرٌ.

وقيل: حكمَ الله.

وقيل: حكمَ بذلك وأوجَبَ.

وقيل: قضى، و﴿فِى﴾ بمعنى: اللّامِ، والمُرادُ بالقلوبِ أصحابُها.

وقيل: كتبَ في قُلوبِهم علامةَ الإيمانِ، بخلافِ الطَّبعِ على القلبِ[2].

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ قيل: القرآنُ.

وقيل: جبريلُ.

وقيل: بنورِ القلبِ.

وقيل: بشرحِ الصُّدورِ.

---

(١) كل هذا ورد في خبر ابن مسعود رضي الله عنه المتقدم الذي رواه مقاتل وأورده الثعلبي والواحدي.
وخبر ابن عباس رضي الله عنها المتقدم أيضاً الذي ذكره الواحدي.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٥)، واستغربه.

وقيل: برحمةٍ منه.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: في الدُّنيا بطاعاتِهِم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ في الآخرةِ بالجنَّةِ والثَّوابِ.

وقيل: رضُوا عنه بما قضَى عليهم في الدُّنيا من غيرِ كراهةٍ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾: أنصارُ حقِّه ودُعاةُ خلقِه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الباقونَ في النَّعيمِ المُقيمِ.

والحمدُ لله حقَّ حمدِه[1].

* * *

(١) «والحمد لله حق حمده» من (ف).

سُورَةُ الحَشْرِ

أربعٌ وعشرونَ آيةً[1]، مدَنيَّةٌ بالإجماعِ.

بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ سبقَ أوَّلَ سورةِ (الحديدِ).

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّ هذه السُّورةَ نزلَتْ بأسرِها في بني النَّضيرِ، وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ لـمَّا قدِمَ المدينةَ صالحَه بنو النَّضيرِ على أن لا يُقاتِلوه ولا يُقاتِلوا معَه، وقبِلَ رسولُ الله ﷺ ذلك منهم، فلمَّا غزا رسولُ الله ﷺ بدرًا وظهرَ على المُشركين، قالَتْ بنو النَّضيرِ: إنَّه النَّبيُّ الذي وجَدْنا نعتَه في التَّوراةِ لا تُرَدُّ له رايةٌ، فلمَّا غزا أُحدًا وهُزِمَ المسلمونَ، نقَضُوا العهدَ، وأظهَرُوا العداوةَ لرسولِ الله ﷺ والمُؤمنينَ.

فحاصرَهُم رسولُ الله ﷺ، ثمَّ صالحَهم على الجلاءِ منَ المدينةِ، وعلى أنَّ لهم ما أقلَّتِ الإبلُ إلَّا الحَلْقةَ، وهي السِّلاحُ ـ وفي روايةٍ: إلا السِّلاحَ والذَّهبَ والفِضَّةَ ـ

---

(١) في (ن): «تسع وعشرون آية»، وليس في (ف). والصواب المثبت، قال الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٤٣): «وهي عشرون وأربع آيات في جميع العدَد ليس فيها اختلاف».

وكانوا يُخرِّبون بُيوتَهم فيأخُذونَ منها ما وافَقَهم من خشَبِها، فأنزلَ الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ حتَّى بلغَ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

***

(٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: بني النَّضيرِ ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ التي كانُوا فيها بأرضِ المدينةِ ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ قيل: اللَّامُ للعلَّةِ، والمعنى: أُخرِجُوا ليكونَ حشرُهم إلى الشَّامِ أوَّلَ الحشرِ.

وقيل: هو بمعنى: في.

واختلَفُوا في أوَّلِ الحشرِ:

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: مَن شكَّ أنَّ المحشرَ بالشَّامِ فليقرَأْ هذه الآيةَ[2]، فهو الحشرُ الأوَّلُ، وسائرُ النَّاسِ الحشرُ الثّاني.

الحسنُ: قال لهم رسولُ الله ﷺ لـمَّا خرَجُوا: «امضُوا فإنَّكم أوَّلُ الحشرِ ونحنُ على الأثرِ»[3].

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٦٤ ـ ٣٧٦)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٩٠ ـ ١٩٣)، و«السيرة النبوية» لابن حبان (١/ ٢٣٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ١٨٥).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٤٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٥)، وهو مرسل.

قتادةُ: إذا كانَ آخرُ الزَّمانِ جاءَتْ نارٌ من قِبَلِ المشرقِ، فحشرَتِ النّاسَ إلى أرضِ الشّامِ، وبها تقومُ عليهم القيامةُ، وبنو النَّضيرِ لـمَّا حُشِروا إلى الشّامِ قبلَ سائرِ النّاسِ كانُوا أُخرِجُوا لأوَّلِ الحشرِ[١]، وإليه ذهبَ الزُّهريُّ[٢].

وذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ المعنى: هم أوَّلُ مَن أُجلِيَ من جزيرةِ العربِ.

الخليلُ بنُ أحمدَ: مبدَؤُها من حَفْرِ أبي موسى إلى اليمنِ في الطُّولِ، ومِن رملِ يَبْرِيْنَ إلى مُنقطَعِ السَّماوةِ في العرضِ[٣].

وسُمِّيت جزيرةً لأنَّ بحرَ الحَبَشِ وبحرَ فارسَ ودجلةَ والفراتَ قد أحاطَتْ بها[٤].

وقيل: كانَ هذا أوَّلَ الحشرِ منَ المدينةِ، والحشرُ الثّاني من خيبرَ وجميعِ جزيرةِ العربِ إلى أذرعاتٍ وأريحا منَ الشّامِ في أيّامِ عمرَ رضي الله عنه، وعلى[٥] يدَيه، وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في مرضِه: «لا يكونَنَّ في جزيرةِ العربِ دينانِ»[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٦٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٧)، واستغربه. وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩٩) عن قتادة قال: «تجيء نار من مشرق الأرض، تحشر الناس إلى مغاربها، فتبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل من تخلف».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩٨) بلفظ: «كان جلاؤهم أول الحشر في الدنيا إلى الشام».

(٣) لم أقف عليه عن الخليل. وقاله أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ٦٧)، وابن قتيبة في «المعارف» (١/ ٥٦٦).

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٤٤) عن الخليل، وذكر القول السابق في تحديد الجزيرة عن أبي عبيدة، وكذا في «إكمال المعلم» (٨/ ٤٤٠)، و«المغني» لابن قدامة (١٣/ ٢٤٣).

(٥) في (ن): «فتح على».

(٦) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٢) عن ابن شهاب، وقال: قال ابن شهاب: ففحص عن =

وقال يمانٌ: إنَّما قالَ: أول الحشر لأنَّ الله فتحَ على نبيِّه أوَّلَ ما قاتلَهم. حكاه الثَّعلبيُّ[١].

ابنُ بحرٍ: الحشرُ والإخراجُ واحدٌ، لكنَّ الحشرَ لا يُقالُ إلّا في الكثيرِ[٢].

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾ لعِزَّتهم ومنَعَتِهم.

﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ﴾؛ أي: تمنَعُهم ﴿حُصُونُهُم﴾ وارتفاعُها بكونِها فاعلةً لا بالابتداءِ.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من أمرِه وقضائِه. ويحتمِلُ: من رسولِ الله.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾: أتاهُم أمرُه وعقابُه ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ بقتلِ كعبِ بنِ الأشرفِ، وقالَ ﷺ: «نُصِرْتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهرٍ»[٣].

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ كانوا ينقُضونَ الدُّورَ المبنيَّةَ بالآجُرِّ ليرمُوا المؤمنينَ بالحجارةِ.

الزَّجَّاجُ: يُخرِبونَ ليسُدُّوا أبوابَ أزِقَّتِهم[٤].

وقيل: كانَ يُعجِبُهم البابُ أو الخشبةُ فيقلعُونَها ليحمِلُوها معَهم. وقد سبقَ.

= ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلَج واليقين: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»، فأجلى يهود خيبر، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٣٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها، وروى البخاري (٣٠٥٣)، ومسلم (١٦٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب».

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٦/ ١٨٧).

(٢) في (ف): «الكبير».

(٣) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، عن جابر رضي الله عنه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٤٤).

﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وكان المؤمنونَ يُخرِبُونَها ليتَّسِعَ لهم موضعُ القتالِ، وأضافَ التَّخريبَ بالأيدي إليهم لأنَّهم مكَّنُوهم وتسبَّبوا له.

وقيل ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ لنقضِ العهدِ ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالقتالِ.

وقيل: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ في تركِها ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في إجلائِهم.

والتَّخريبُ والإخرابُ بمعنًى، وهو الهدمُ والنَّقضُ.

وفرَّقَ أبو عمرٍو فقالَ: الإخرابُ: التَّعطيلُ، والتَّخريبُ: الهدمُ[1].

﴿فَٱعْتَبِرُوا۟﴾: اتَّعِظُوا، واعبُروا منَ الشَّكِّ إلى اليقينِ.

وقيل: معنى (اعتَبِروا): تبيَّنُوا، واعتبَرْتُ[2] الشَّيءَ: طلبْتُ بيانَه، وعبَّرْتُ الدِّرهمَ: تعرَّفتُ[3] وزنَه.

﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: يا ذَوي العقولِ.

وقيل: يا مَن رأى ذلك بعينِه.

***

(٣) ـ ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾: الخروجَ منَ الوطنِ معَ الأهلِ والولدِ.

وقيل: الفناءَ. حكاه الماورديُّ[4].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٠٣)، و«تفسير الثعلبي» (٢٦/ ١٨٩)، وقد قرأ أبو عمرو بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

(٢) في (ن): «واعبرت».

(٣) في (ن): «فعرفت».

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٠)، وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٨) كون الجلاء بمعنى الهلاك، واستغربه.

﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتلِ والسَّبْيِ.

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ استئنافُ كلامٍ، وليس بعطفٍ على جوابِ (لولا).

* * *

(٤) ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: أصابَهم ذلك بسببِ أنهم ﴿شَاقُّوا اللَّهَ﴾: خالَفُوا اللهَ ﴿وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ينالُه العذابُ الأليمُ.

* * *

(٥) ـ ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ بقطعِ نخلِهم لـمَّا تحصَّنُوا، فجَزِعُوا عندَ ذلك وقالوا: زعمْتَ أنَّك تُريُد الصَّلاحَ، وقَطعُ الشَّجرةِ المُثمرةِ وعقرُ النَّخيلِ فسادٌ في الأرضِ، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾[1].

﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بإذنِ الله قَطعُها وتَركُها، أذِنَ لكم في ذلك وأمرَكُم به على لسانِ نبيِّكم، وما كان بأمرِه يكونُ صلاحًا لا فسادًا.

﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾؛ أي: فعلتُم ذلك لأنَّ الله أذِنَ فيه، ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾: يُذِلَّهم ويفضَحَهم.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٢٧٧)، و«النكت والعيون» (٥/ ٥٠١)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣٥٨) عن مقاتل بن حيان، وروى البخاري (٤٨٨٤)، ومسلم (١٧٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً﴾.

وقيل: ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أذِنَ فيه.

واللِّينةُ: النَّخلةُ، وجمعُها: ألوانٌ، من ألوانِ النَّخلِ، وأصلُه: لِوْنَةٌ، قُلِبت ياءً لانكسارِ ما قبلَها.

وقيل: لينةٌ، من لانَ يلينُ، وجمعُها: أليانٌ، والأوَّلُ أصحُّ.

وقيلَ: اللِّينةُ: كرامُ النَّخلِ.

وقيل: البَرْنيُّ والعجوةُ لا يُسمَّيانِ لينةً، وما سِواهما لينةٌ.

***

(٦) - ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: أعادَه عليه، والفَيءُ كالعودِ والرُّجوعِ يُستعملُ بمعنى المصيرِ وإنْ لم يتقدَّمْ ذلك.

قولُه: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من مالِ بني النَّضيرِ.

وقيل: نُزِّلَ ما في أيدي المُشركين تنزيلَ شيءٍ غلبُوا[1] عليه، فردَّه الله على[2] المُسلمينَ.

﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: لم تسيروا إليها على خيلٍ ولا إبلٍ، إنَّما كانَت[3] ناحيةً منَ المدينةِ، مشَوا إليها مشيًا.

وقيل: على ميلَينِ منَ المدينةِ، وكانَ رسولُ الله ﷺ راكبًا على حمارٍ فحَسْبُ.

والإيجافُ: الحملُ على الوَجيفِ، وهو السَّيرُ الشَّديدُ، مثلُ الإيضاعِ.

---

(١) ضبطت في النسختين بالمبني للمجهول، والبناء للمعلوم أظهر فيه.

(٢) في (ف): «إلى».

(٣) في (ن): «كان».

وقيل: الإيجافُ للخيلِ، والإيضاعُ للرِّكابِ.

والرِّكابُ: الإبلُ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يُمكِّنُهم من عدوِّهم من غيرِ قتالٍ، ويقذفُ في قلوبِ أعدائِهم الرُّعبَ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فجعلَ ما أخذُوا من بني النَّضيرِ خالصًا لرسولِه يضَعُه حيثُ يشاءُ، فقسمَه النَّبيُّ عليه السَّلامُ بينَ المُهاجِرينَ، إلّا أبا دُجانةَ وسُهَيلَ ابنَ حنيفٍ، فإنَّهما شكَوا فقرًا، فأعطاهُما(١).

* * *

(٧) ـ ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ في هذه الآيةِ ستَّةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ هذه الآيةَ تفسيرٌ للأولى، وزيَّفَ هذا القولَ بعضٌ منَ المُفسِّرين، فقالَ: الآيةُ الأولى نزلَتْ في أموالِ بني النَّضيرِ، وقد جعلَها الله تعالى لرسولِه خاصّةً، والآيةُ الثّانيةُ لأصنافٍ بعينِهم، فلا تكونُ الأولى.

والثّاني: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ هو الجزيةُ والخراجُ.

والثّالثُ: قال قتادةُ: هي منسوخةٌ، والفَيءُ والغَنيمةُ واحدٌ، وكانَ في بدءِ الإسلامِ تُقسَمُ الغنيمةُ على هذه الأصنافِ، ولم يكُنْ لمَن قاتلَ عليها شيءٌ، إلا أن يكونَ من هذه الأصنافِ، ثمَّ نُسِخَ بما في (الأنفالِ)، فجُعِلَ لهؤلاءِ الخمُسُ،

---

(١) في هامش (ن): «وفي «الوسيط» أعطى عليه السَّلامُ أبا دجانة، وسهيل بن حنيف، والحارث بن الصمة»، وانظر: «الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٧٢).

وجُعِلَ الأربعةُ الأخماسِ لمَن حارَبَ فقالَ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية[1].

والرّابعُ: قال سُفيانُ الثَّوريُّ: الفَيءُ خلافُ الغنيمةِ، والغنيمةُ: ما أُخِذَ عَنْوةً بالغلبةِ والحربِ فيكونُ خمسُه لهذه الأصنافِ، وأربعةُ أخماسِه للَّذين قاتلُوا عليه، والفيءُ: ما صولحَ[2] أهلُ الحربِ عليه، فيكونُ مقسومًا في هذه الأربعةِ الأصنافِ، ولا يُخمَّسُ[3].

والخامسُ: ذهبَ بعضُ الفُقهاءِ إلى أنَّ الفيءَ غيرُ الغنيمةِ أيضًا، وهو ما صُولِحَ[4] عليه، إلّا أنَّه يُخرَجُ خمسُه في هذه الأصنافِ، فيكونُ أربعةُ أخماسِه خارجةً في صلاحِ المُسلمين.

والسّادسُ: قالَ يزيدُ بنُ رومانَ: الفيءُ: ما قُوتِلَ عليه، وأُوجِفَ عليه بالخيلِ والرِّكابِ[5]. والله أعلَمُ.

قولُه: ﴿فَلِلَّهِ﴾ بدأ بذكرِه تعظيمًا كقولِه: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾، وكذلك: ﴿ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ﴾، وقد سبق.

وقيل: أصولُ الأشياءِ لله.

وقيل: معناه: أنَّه باقٍ على مِلْكيَّتِه.

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لقتادة (ص: ٤٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٨٥).

(٢) في (ن): «صالح».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٨٥)، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٠٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ١٠٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣١٩).

(٤) في (ف): «صولحوا».

(٥) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٠٤).

وقيل: معناه: فلِلَّه أن يأمُرَكم فيه بما أحبَّ.

وقيل: للهِ سهمٌ يُصرَفُ إلى عمارةِ الكعبةِ والمساجدِ.

﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ قيل[1]: ذِكْرُه أيضًا للتيمُّنِ والتَّبرُّكِ كذكرِ الله.

وقيل: أضافَ توليةَ القسمةِ إليه.

وقيل: له سهمٌ يُصرَفُ إلى الخليفةِ بعدَه.

وقيل: يُصرَفُ إلى الكُراعِ والسِّلاحِ ومصالحِ المسلمين.

﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القرابةِ من رسولِ الله ﷺ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه سقطَ سهمُهم بموتِه ﷺ، وهم في ذلك كسائرِ المسلمينَ، ومنهم مَن ذهبَ إلى أنَّه ثابتٌ كما كانَ.

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾؛ أي: المُحتاجينَ منهم.

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾؛ أي: المُحتاجين.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُسافرِ المُنقطِعِ عن مالِه.

﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾: كي لا يغلبَ الأغنياءُ الفقراءَ على الفيءِ فيقسِمُوه بينَهم.

ابنُ عيسى: الدَّولةُ: المرَّةُ منَ الاستيلاءِ، والدُّولةُ بالضَّمِّ: نُقْلةُ النِّعمةِ من قومٍ إلى قومٍ.

وقيل: الدَّولة في الحربِ، والدُّولةُ في المالِ[2].

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾؛ أي: وما أعطاكُم من مالِ الفيءِ فخُذوه واقبَلُوه.

---

(١) «قيل» من (ف).

(٢) انظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ١٨٨).

﴿وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾: ما يمنَعُكم منه ﴿فَٱنتَهُواْ﴾ ولا تطلُبُوه.

وقيل: هو عامٌّ في جميعِ أوامرِه ونواهيه.

الكلبيُّ: نزلَتْ في رُؤساءِ المُسلمينَ، قالوا فيما ظهرَ عليه رسولُ الله ﷺ من أموالِ المُشركينَ: يا رسولَ الله، خُذْ صفيَّتَكَ والرُّبعَ، ودَعْنا والباقيَ كما كنَّا نفعلُ في الجاهليَّةِ، وأنشَدُوا:

لَــكَ المِربــاعُ منهــا والصَّـفــايا ... وحُكمُكَ والنَّشـيطةُ والفُضُــولُ[1]

فنزلَتْ هذه الآيةُ، فقالوا: سمعًا وطاعةً لأمرِ الله وأمرِ رسولِه[2].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مُخالفةِ رسولِه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

* * *

(٨) ـ ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ بدلٌ منَ ﴿المساكينِ﴾، وأعادَ اللّامَ لأنَّ العاملَ في البدلِ غيرُ العاملِ في المُبدَلِ، كقولِه: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ [الأعراف: ٧٥].

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾: هم الذين هجَروا أوطانَهم بمكَّةَ وقومَهم واختارُوا النَّبيَّ ﷺ والإسلامَ.

---

(١) البيت لعبد الله بن عنمة الضبي. انظر: «شرح نقائض جرير والفرزدق» (٢/ ٤١٠)، و«الأصمعيات» (ص: ٣٧)، و«البيان والتبيين» (١: ٣٠٢)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٩٤٩) وفيه: المرباع: ربع الغنيمة، والصفايا: ما يصطفيه الرئيس لنفسه، والنشيطة: ما أخذوه في قَفْلهم، والفضول: ما فضَل عن القَسْم، هذه كانت تُجعل للرئيس في غزواتهم.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٤).

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: يطلُبونَ الجنّةَ ورِضا الله لم يقصِدُوا سوى هذَين.

﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانِهم.

فهؤلاءِ هم[١] المُهاجِرون، ثمَّ ذكَرَ الأنصارَ فقالَ:

* * *

(٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾: لزِمُوا المدينةَ ودُورَهم بها ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ وقبِلُوا الإيمانَ وآثَرُوه، فهو منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ.

وقيل: مواضعَ الإيمانِ.

وقيل: هذا مجازٌ ومَثَلٌ؛ كما تقولُ: تبوَّأَ أشرفَ المنزلةِ.

وذكرَ النَّقَّاشُ: أنَّ الإيمانَ اسمُ المدينةِ، سمَّاها النَّبيُّ ﷺ بها[٢].

﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: قبلَ المُهاجرينَ، والأكثَرون على أنَّ الأنصارَ آمنُوا قبلَ المُهاجِرينَ استدلالًا بهذه الآيةِ.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُه: تبوَّؤوا الدّارَ من قبلِهم، وقبِلُوا الإيمانَ من بعدِهم[٣].

---

(١) «هم»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٨)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٨)، واستغربه.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: يُحبُّ الأنصارُ المُهاجِرينَ بقُلوبِهم حتَّى شاطَرُوهم أموالَهم وأنزَلُوهم مساكِنَهم، ومَن كانت عندَه امرأتانِ نزلَ عن واحدةٍ منهما لواحدٍ منهم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾؛ أي: حسَدًا وحزازةً على ما أعطَى النَّبيُّ عليه السَّلامُ المُهاجرينَ وخصَّهُم به.

وقيل: ممَّا أُعطُوا منَ الفضلِ والتَّقدُّمِ عليهم.

وقيل: ضيقًا لِـمَا يُنفِقُونَ عليهم.

وقيل: معناه: هم راضُونَ بما أوتوا؛ أي: من جهةِ قناعتِهم بما أوتوا لا من جهةِ كثرةِ أموالِهم.

وقيل: لا يجِدُونَ في أنفُسِهم مِساسَ حاجةٍ مِن فَقْدِ ما أُوتوا، فحُذِفَ المُضافان(١).

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: يُقدِّمونَ المُهاجرينَ على أنفُسِهم.

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: وإن كانوا فقراءَ، وأصلُ(٢) الخَصاصةِ: منَ الخَصاصِ، وهي: الفُرَجُ يتخَلَّلُها البَصَرُ، والخُصُّ: البيتُ منَ القصَبِ لتخلُّلِ(٣) الهواءِ إيَّاه، وأصلُ الاختصاصِ منَ الانفرادِ بالأمرِ، والخَصاصةُ(٤): الانفرادُ عمَّا يَحتاجُ إليه، والخاصَّةُ: انفرادُ المعنى، والخُصُّ: لانفرادِ كلِّ قصبةٍ عن الأُخرى.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: يَدفعُ ويمنَعُ ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٩٩)، واستغربه.

(٢) «وإن كانوا فقراء، وأصل» من (ف).

(٣) في (ف): «يتخلل».

(٤) «من الانفراد بالأمر والخصاصة»: ليس في (ف).

الشُّحُّ: منعُ الواجبِ، وقيل: أكلُ مالِ الغيرِ ظُلمًا، وقال ﷺ: «بريءٌ منَ الشُّحِّ مَن آتى الزَّكاةِ، وقَرَى الضَّيفَ، وأعطَى في النَّائبةِ»(١).

وقيل: الشُّحُّ: أن تطمحَ عينُ الرَّجلِ إلى ما ليس له(٢)، فقال ﷺ: «منَ الشُّحِّ نظرُكَ إلى امرأةِ غيرِك»(٣).

الحسنُ: هو العملُ بمعاصي الله(٤).

طاوسٌ: الشُّحُّ بما في يدِ غيرِك، والبخلُ بما في يدِك(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

ورواه ابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢٠٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٩٦)، من حديث خالد بن زيد الأنصاري. وقال الحافظ في «الإصابة» (٢/ ٢٣٦): «إسناده حسن، لكن ذكره (أي: خالد بن زيد) البخاري وابن حبان في التابعين» يريد الحافظ أن في كونه صحابيًّا خلافاً، فإن كان تابعيًّا فهذه الرواية مرسلة.

ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١٢٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٦٨): «فيه زكريا بن يحيى الوقار، وهو ضعيف».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥١٣) من قول ابن عمر رضي الله عنهما، وكذا رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٠٨) من قول ابن عمر رضي الله عنهما، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٥١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٠٨) من قول الحسن بلفظ: «النظر إلى المرأة لا يملكها من الشح».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٧).

(٥) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٠٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٣٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٧).

قيل: محلُّ ﴿الذين﴾ رفعٌ بالابتداءِ؛ لأنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ لـم يُعطِهم الفيءَ إلّا الرَّجلَينِ تقدَّما؛ أعطاهما منها أرضًا.

والأظهرُ أنَّه جرٌّ بالعطفِ على (الفقراءِ)، وكذلك الذي بعدَه وهو قولُه:

(١٠) ـ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وإلى هذا ذهبَ عمرُ رضي الله عنه، فقال: استوعبَتْ هذه الآيةُ النّاسَ، ولم يبقَ أحدٌ من المسلمين إلّا وله في الفيءِ حقٌّ إلا بعضُ مَن تملكونَ، وإن عشتُ ليأتيَنَّ كلَّ مسلمٍ حظَّه(١).

قولُه: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ قيل: بعدَ المُهاجرينَ والأنصارِ، وهم التَّابعون، ولفظُ ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يدلُّ عليه.

وقيل: هم مَن هاجرَ بعدَ المُهاجِرينَ الأوَّلين.

وقيل: هم المُؤمنونَ إلى يومِ القيامةِ كما سبقَ، والصِّفةُ تدلُّ على ذلك، وهي قولُه:

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾؛ أي: من هذه الأمّةِ.

وقيل: ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾: المُهاجرونَ والأنصارُ.

وقيل: مُؤمِنُو أهلِ الكتابِ.

والقولُ هو الأوَّلُ، ومعنى ﴿سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾: سبقُونا إلى الإسلامِ بأن آمَنُوا قبلَ إيمانِنا.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٩٠)، وابن زنجويه في «الأموال» (١/ ١٠٨)، وابن المنذر في «الإقناع» (٢/ ٥٠١).

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾: غِشًّا وبُغضًا وحقدًا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾.

***

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ ثمَّ عجَّبَ نبيَّه فقالَ: ألـم ترَ يا محمَّدُ إلى عبدِ الله بنِ أبيٍّ ابنِ سلولَ وأشياعِه ﴿يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قيل: هم بنو النَّضيرِ، والآيةُ نزلَتْ قبلَ إجلائِهم، راسَلُوا إليهم[1] بما في الآيةِ[2].

الحسنُ: ضمِنُوا من جميعِ اليهودِ[3].

وسمَّاهم إخوانَهم لمُوافقتِهم[4] في مقاصدِ الكفرِ وعداوةِ محمَّدٍ ﷺ.

﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ﴾؛ أي: من ديارِكم ﴿لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ؛ أي: لا نمتثِلُ أمرَه في إيذائِكم.

﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ﴾؛ أي: قاتلَكُم محمَّدٌ عليه السَّلامُ ﴿لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾: لنُعاوِنَنَّكم أحسنَ المُعاونةِ.

﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ سمَّاهم كاذِبين بما آلَ إليه أمرُهم؛ فإنَّ الكذبَ يكونُ في الماضي، والحَلِفَ يكونُ في المستقبلِ.

---

(١) كذا في النسختين، والمعروف «راسلهم» أو «أرسل إليهم».

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٦٣).

(٣) انظر: «تفسير ابن أبي زمنين» (٤/ ٣٧٠)، وفيه: «تفسير الحسن: يعني قريظة والنضير».

(٤) في (ف): «بموافقتهم».

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؛ أي: هم لا يَفُونَ بما عاهَدُوا.

واللّامُ الأوَّلُ لامُ توطئةِ القسمِ، والثّاني لامُ القسمِ[١]، وصارَ الحكمُ للقسمِ دونَ جزاءِ الشَّرطِ، وقد يُحذَفُ لامُ توطئةِ القسمِ[٢] اكتفاءً بدلالةِ جوابِ القسمِ عليه، كقولِه: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ أراد: ولَئِنْ قُوتلتُم.

وفي قولِه: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ بعدَ قولِه: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ أقوالٌ؛ فإنَّ الله تعالى إذا أخبرَ عن شيءٍ لم يُوجدِ المُخبَرُ بخلافِ ما أخبرَ به:

أحدُها: أي: إن تعاطَوا نصرَهم ما نصرُوهم.

وقيل: إذا نصرُوهم ووَلَّوا الأدبارَ يكونُ خُذْلانًا لا نصرًا؛ لأنَّ النَّصرَ صدقُ المُعاونةِ وإجمالُ المُظاهرةِ.

وقيل: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؛ أي: لا يدومونَ على النَّصرِ.

وقيل: لا ينصُرونَهم طائعينَ وإنْ نصرُوهم كارِهين.

وقيل: الفعلُ في قولِه: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ لغيرِ الذين أخبرَ أنَّهم لا ينصرونَهم.

وقيل: ولَئِنْ نصرَ اليهودُ المنافقينَ، والضَّميرانِ مُختلفانِ.

وقيل: أخبرَ عمَّا لم يكُنْ بأنه لو كانَ كيفَ كانَ.

* * *

(١٣) ـ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾؛ أي: من رهبةِ الله، فحُذِفَ المُضافُ؛ أي: أوقعَ اللهُ الرُّعبَ في قلوبِهم.

---

(١) الأول هو اللام في ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾، والثاني هو اللام في ﴿لَنَخْرُجَنَّ﴾.

(٢) في (ف): «لام التوطئة».

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ فإنَّ الفقهَ هو: العلمُ بمفهومِ الكلامِ وظاهرِه الجليِّ وغامضِه الخفيِّ بسرعةِ فطنةٍ وجودةِ قريحةٍ، وهؤلاءِ لو فقِهُوا لعلِمُوا أنَّ قوّةَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ بقوَّةِ الله.

ثمَّ أُخرِجَ بنو النَّضيرِ فلم يخرُجوا معهم، وقُوتِلَ قُريظةُ فلم ينصُرْهم منافقٌ.

***

(١٤) ـ ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾؛ أي: مُؤتَلِفِينَ مُجتَمِعِينَ ﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾؛ أي: إذا اجتمَعُوا لقتالِكم لم يجرُؤوا[1] على البروزِ، وإنَّما يُقاتِلونكم وراءَ حُصونِهم المُحصَّنةِ بالسُّورِ.

﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ بالنَّبلِ والحجرِ.

مَن وحَّدَ حملَ على الجنسِ، ومَن جمعَ[2] فلجمعِ[3] القُرى.

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾؛ أي: هم مُتعادُونَ مُحتنِقُونَ، شديدٌ بعضُهم على بعضٍ.

وقيل: نِكايتُهم فيما بينَهم شديدٌ[4] إذا تحارَبُوا، فأمَّا معكُم فاللهُ تعالى أرهبَهم منكم، ولا يُغنُون شيئًا.

وقيل: هذا امتنانٌ منَ الله؛ أي: هم مع قُوَّتِهم وشِدَّتِهم يخافُونَ منكم.

---

(١) في (ف): «لم يجسروا».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿جِدَارٍ﴾ بألف على التوحيد، والباقون: ﴿جُدُرٍ﴾ على الجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

(٣) في (ن): «فلم يجمع»، وهو تحريف.

(٤) كذا في النسختين، والجادة: «شديدة».

﴿تَحْسَبُهُمْ﴾ أي: اليهودَ والمُنافقينَ ﴿جَمِيعًا﴾: مُجتَمعينَ في الرَّأيِ ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: مختلفةٌ مُتفرِّقةٌ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ فإنَّ العداوةَ لا تقعُ بين العُقلاءِ.

ابنُ بحرٍ: المعنى: ألقى الله في قلوبِهم اليأسَ(١) الشَّديدَ فتفرَّقُوا خلافَ ما فعلَ بالمُؤمنين من قولِه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أمرَه ونهيَه.

***

(١٥) ـ ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: مَثَلُ اليهودِ كمَثَلِ الذينَ من قبلِهم ﴿قَرِيبًا﴾:

قيل: هم أهلُ بدرٍ.

وقيل: بني قينُقاع، وكانَ رسولُ الله ﷺ أخرجَهم قبلَ النَّضيرِ، وهذا قولُ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما(٢).

وقيل: كمَثلِ مَن أَهْلَكَ اللهُ منَ الأُممِ.

وقيل: تقديرُه: ولَئِنْ نَصروهُم لَيُوَلُّنَّ الأدبارَ كمثَلِ الذينَ من قبلِهم(٣) يومَ بدرٍ.

﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: عقوبةَ كُفرِهم في الدُّنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مع ذلك في النّارِ.

***

(١٦) ـ ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾؛ أي: ومثَلُهم أيضًا كمثَلِ الشَّيطانِ ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾

---

(١) في النسختين: «البأس»، وهو تحريف، والصواب المثبت.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٩)، وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٦٤).

(٣) في (ف) زيادة: «قريبًا».

قيل: المُرادُ به هاهنا ما قالَه إبليسُ لأبي جهلٍ يومَ بدرٍ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨][1].

وقيل: هذا عامٌّ في جميعِ الكفَّارِ في دُعائِه إيَّاهم إلى الكفرِ والمعاصي ووعدِه لهم بالغُرورِ.

وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّ هذا الإنسانَ راهبٌ يُقالُ له: بَرْصِيْصا، تَعَبَّدَ ستِّينَ سنةً في صومعةٍ، فأرادَه الشَّيطانُ فأعياه، فعمدَ إلى امرأةٍ فأَجَنَّها[2]، وقال لإخوةٍ لها: عليكم بهذا القَسِّ[3] فيُداويها، فجاؤوا بها إليه فداواها، فلمَّا عادَ إليها جمالُها أعجبَتْه، فأتاها فأحبَلَها ثمَّ قتلَها ودفنَها مخافةَ الشُّنْعةِ، فلمَّا عُثِرَ على صنيعِه قال له الشَّيطانُ: أنا أوقَعْتُك فيما أنتَ فيه ولا أُنجيكَ[4] إلا أن تسجدَ لي، فسجدَ له، ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فلمَّا فعل قال: إنِّي بريءٌ منك[5] فصُلِبَ وماتَ[6].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٦١).

(٢) في (ن): «فأمرضها»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(٣) في هامش (ف): «القس بفتح القاف وتشديد السين: القسيس؛ يعني: الرهبان».

(٤) في (ف): «فلا ينجيك».

(٥) «قال: إني بريء منك» من (ن).

(٦) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤١) عن علي رضي الله عنه موقوفاً، وبنحوه عن علي رضي الله عنه رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٩٤)، ومن طريقه ابن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٧٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٠١) وصححه، ولفظه عندهم: «كان راهب يتعبد في صومعة، وإن امرأة كان لها إخوةٌ فعَرَضَ لها شيءٌ فأتَوه بها، فزينت له نفسها فوقع عليها فحملت، فجاءه الشيطان فقال: اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتُضِحتَ، فقتلها فدفنها، فجاءوه فأخذوه فذهبوا به، فبينما هم يمشون إذ جاءه الشيطان، فقال: أنا الذي زينت لك فاسجد لي سجدة أنجيك، فسجد له، فأنزل الله عز وجل: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ﴾». =

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّها كانتِ امرأةً ترعى الغنمَ، وتأوي إلى صومعةِ هذا القَسِّ، ففعلَ بها ذلك، فأرى الله تعالى إخوةً لها في المنامِ[1].

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: هي امرأةٌ مرِضَتْ، واتَّفقَ لإخوتِها سفرٌ، فجاؤوا إلى الرّاهبِ بها وقالوا: إنْ ماتَتْ فادفِنْها، وإنْ عاشَتْ فاحفَظْها إلى أن نعودَ، ففعلَ بها ما سبقَ ذِكرُه[2].

* * *

(١٧) ـ ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ عاقبةَ هذا الإنسانِ والشَّيطانِ ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* * *

(١٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: تُوبُوا إليه واجتَنِبُوا المعاصيَ ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يعني: يومَ القيامةِ، ووحَّدَ بعدَ الجمعِ؛ أي: اتَّقوا الله مُجتَمعينَ وفُرادى، وأصلُ غدٍ: غَدْوٌ.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ التَّكرارُ[3] للتَّأكيدِ، وقيل: دومُوا عليها في المُستأنفِ.

= ورواه بنحو هذا ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٦٦) عن عبيد بن رفاعة الزرقيِّ يَبْلُغُ به النبيَّ ﷺ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٢).

(٢) رواه مطولًا الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٨).

(٣) في (ف): «تكرار».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: تركُوا أمرَ الله وذِكرَه ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ أن يعمَلُوا لها خيرًا.

وقيل: نسُوا الله عند الذُّنوبِ، فأنساهُم أنفُسَهم عند التَّوبةِ.

وقيل: أنساهُم حظوظَ أنفُسِهم، فحُذِفَ المُضافُ.

وقيل: ترَكَ ذِكرَهم بالرَّحمةِ والتَّوفيقِ.

وقيل: أنزَلَ بهم منَ العذابِ ما نسيَ به بعضُهم بعضًا؛ لِمَا شُغِلَ به كلٌّ واحدٍ منَ العذابِ؛ كقولِه: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النور: ٦١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: الكاذِبون العاصونَ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾.

﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ لأنَّهم في النَّعيمِ المُقيمِ، وهم في العذابِ الأليمِ.

وقيل: لا يستَويانِ عندَ الله؛ لأنَّهم أولياؤُه، وأصحابُ النّارِ أعداؤُه.

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾: المُقرَّبون المُكرَمون النَّاجونَ منَ النّارِ.

* * *

(٢١) ـ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ مع أمرِه ونهيِه ووعدِه ووعيدِه وكثرةِ عجائبه ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ مع شدَّتِه وغِلظَتِه ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾: خاضِعًا مُنقادًا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾: من فَرَقِ عذابِه، وإنَّ قلوبَ بني آدمَ لم تلِنْ ولم ترِقَّ.

وقيل: الجبلُ: الأمَمُ الخاليةُ، ولعلَّ هذا القائلَ أخذَه من قولِه: ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤]، وفيه ضعفٌ[١].

وقيل: هذا امتنانٌ على النَّبيِّ ﷺ؛ أي: لو أنزَلْنا هذا القرآنَ على جبلٍ لَمَا ثبتَ له، وتصدَّعَ لنُزولِه عليه، وقد أنزَلْناه عليك وثبَّتناكَ له. حكاه الماورديُّ[٢].

قال الزَّجَّاجُ: لو أُنزلَ هذا القرآنُ على جبلٍ، وجُعِلَ فيه تمييزٌ؛ لرأيتَه خاشعًا، وهذا على وجهِ المثَلِ[٣]. ثم قال[٤]: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في أمثالِ الله.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قيل: هذه الآيةُ ترجعُ إلى أوَّلِ السُّورةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٥١٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٠)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٥٠).

(٤) «ثم قال»، من (ن).

المُبرِّدُ: ترجعُ إلى قولِه: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ ﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقيل: هو جوابٌ لمَن شبَّهَه بخلقِه.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: السرِّ والعلانيةِ.

وقيل: الآخرةِ والدُّنيا.

وقيل: الغيبُ: ما لـم يكُنْ، والشَّهادةُ: ما كانَ.

وقيل: الغيبُ: ما لـم يرَوه، والشَّهادةُ: ما رأَوهُ.

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾: الطّاهرُ، ومنه: القدُسُ: لِمَا يُتطهَّرُ منه.

وقيل: تُقدِّسُه الملائكةُ.

وقيل: المُباركُ.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ مصدرٌ؛ أي: ذو السلامِ، والمعنى: سلِمَ منَ الأوصافِ التي لا تليقُ به.

وقيلَ: سلِمَ عبادُه من ظُلمِه.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: مُؤمنٌ عبادَه منَ الخوفِ.

وقيل: يُصَدِّقُهم وعدَه، وقيل: رسلَه بإظهارِ معجزاتهم لهم[١].

وقيل: الدّاعي إلى الإيمانِ.

---

(١) قوله: «وقيل يصدقهم وعده وقيل رسله بإظهار معجزاتهم لهم» من (ف)، وكلمة «يُصَدِّقهم» هكذا ضبطت فيها.

الزَّجَّاجُ: الذي وحَّدَ نفسَه بقولِه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[١].

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾: الأمينُ.

وقيل: الشَّهيدُ.

وقيل: المُصدِّقُ كالمُؤمِنِ.

وقيل: اسمٌ من أسماءِ الله تعالى في الكتبِ اللهُ أعلَمُ بتأويلِه، وكذلك القُدُّوسُ فيها قِدِّيشا[٢].

وقيل: أصلُه: مُؤَيمِنٌ[٣]، منَ الأمنِ والأمانةِ، قُلِبَت الهمزةُ هاءً.

وقيل: مأمونٌ على خلقِه.

وقيل: الرَّقيبُ.

وقيل: المُطَّلعُ.

وقيل: القاضي.

وقيل الحَدِبُ.

وقيل: الدَّالُّ.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالبُ غيرُ المغلوبِ.

وقيل: لا يُرامُ، ولا يَمتنِعُ عليه ما يَرومُ.

﴿ٱلْجَبَّارُ ﴾: العظيمُ، وجبَروتُه: عظَمتُه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٥٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٢٦٥) عن ابن كيسان، وذكره في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٠)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره ابن دريد في «جمهرة اللغة» (٣/ ١٢٧٢)، وأبو القاسم الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» (ص: ٢٢٧)، وذكره في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٠)، وعده من العجائب أيضاً.

وقيل: الجبَّارُ مِن أجبرَ؛ أي: (أجبرَ) خلقَه على ما أرادَ منهم، أجبرَ فهو جبَّارٌ، وأدرَكَ فهو درَّاكٌ.

وقيل: منَ الجبرِ؛ أي: يَجْبُرُ أحوالَ عبادِه ويُصلِحُ أمورَ خَلْقِه.

وقيل: لا يُنالُ ولا يُقهَرُ، ومنه: جبَّارُ النَّخلِ؛ لا يلحقُه كلُّ أحدٍ.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾: تكبَّرَ عن كلِّ سوءٍ.

وقيل: تكبَّرَ وتعالى وتنزَّه بمعنًى.

وقيل: المُستحِقُّ لصفاتِ التَّعظيمِ.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

* * *

(٢٤) - ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾: المُوجِدُ للأشياءِ.

وقيل: الذي يَفعلُ على مقدارٍ تقتَضيه الحكمةُ.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾: المُنشِئُ للأعيانِ منَ العدَمِ إلى الوجودِ.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: الذي يجعلُ لكلِّ ما يخلقُ هيئةً وشكلًا يتميَّزُ بها البعضُ عنِ البعضِ.

وقيل: هو الذي يُغيِّرُه من حالٍ إلى حالٍ، نُطفةٍ ثمَّ علقةٍ إلى تمامِ خلقِه.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنَّها مُشتقَّةٌ من أفعالٍ كلُّها حسنةٌ.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: يُنزِّهُه عمَّا لا يليقُ به.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ختمَ السُّورةَ بما فتَحَها به، فسُبحانَ الله على كلِّ حالٍ.

* * *

سُورَةُ المُمتَحنَة

ثلاثَ عَشْرةَ آيةً[1]، مدَنيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ رَوَى البخـاريُّ ومسـلمٌ فـي صحيحَيهمـا أنَّ هـذه الآيـاتِ نزلَـتْ فـي حاطـبِ بـنِ أبـي بَلتَعـةَ.

وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا أرادَ أن يغزُوَ أهلَ مكّةَ قدِمَتْ عليه امرأةٌ يُقالُ لها: سارةُ، من موالي بني المُطَّلبِ، فحثَّ رسولُ الله ﷺ بني عبدِ المُطَّلبِ فكَسَوها وأعطَوْها، فلمَّا أرادتِ الانصرافَ أتاها حاطبٌ وكتَبَ معها كتابًا إلى أهلِ مكّةَ، في الكتابِ: مِن حاطبٍ إلى أهلِ مكّةَ، إنَّ رسولَ الله يُريدُكم فخُذوا حِذْرَكم، وأعطاها عشرةَ دنانيرَ على أن تُوصِلَ الكتابَ إلى أهلِ مكّةَ، فخرجَتْ سارةُ، ونزلَ جبريلُ وأخبرَ النَّبيَّ ﷺ بما فعلَ حاطبٌ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ عليًّا وعمّارًا والزُّبيرَ وطلحةَ

---

(١) «ثلاث عشر آية»: ليس في (ف).

والمقدادَ بنَ الأسودِ وأبا مرثدٍ رضي الله عنهم، وكانوا كلُّهم فُرسانًا، وقال لهم: «انطلِقُوا حتَّى تأتوا روضةَ خاخٍ[1]؛ فإنَّ بها ظعينةً[2] معها كتابٌ من حاطبٍ إلى المشركين، فخُذوه منها، وخلُّوا سبيلَها، فإنْ لـم تدفَعْ إليكم فاضرِبُوا عنُقَها».

فخرَجُوا حتَّى أدرَكُوها في ذلك المكانِ، فقالوا لها: أين الكتابُ؟ فحلَفَتْ ما معَها كتابٌ، فلمَّا رأتِ الجدَّ أخرجَتْه من ذُؤابتِها، فخَلَّوا سبيلَها، ورجعُوا بالكتابِ إلى رسولِ الله ﷺ، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى حاطبٍ فأتاه، فقال: «ما حمَلَكَ على ما صنَعْتَ؟» قال: يا رسولَ الله، والله ما كفرتُ منذ أسلَمْتُ، ولا غشَشْتُكَ منذ نصحتُك، ولكنْ حملَني على ذلك أنِّي كنتُ مُلصَقًا في القومِ، وليس في أصحابِك إلَّا مَن له في[3] أقربائِه مَن يذُبُّ عن عيالِه، فأحبَبْتُ أن أتَّخِذَ عندَهم يدًا، وقد علمتُ أنَّ الله يُنزِلُ بهم بأسَه، وأنَّ كتابي لا يُغني عنهم شيئًا، فصدَّقَه رسولُ الله وعذَرَه، فقال عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه: دَعْني يا رسولَ الله أضرِبْ عنُقَ هذا المُنافقِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «وما يُدريكَ يا عمرُ؟ لعلَّ الله قد اطَّلعَ على أهلِ بدرٍ فقالَ لهم: اعمَلُوا ما شئتُم فقد غفَرْتُ لكم». ونزلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فسمَّاه مُؤمِنًا[4].

﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: لا تتَّخِذوا الكافرينَ أعوانًا وأنصارًا.

---

(١) في هامش (ن): «موضع».

(٢) في هامش (ن): «وفي القاموس: الظعينة: الهودج فيه امرأة أم لا، والمرأة ما دامت في الهودج، وهنا يجوز كلاهما أن يكون مراداً».

(٣) في (ف): «من».

(٤) رواه بنحوه البخاري (٣٠٠٧) و(٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. واللفظ الذي ساقه المصنف قريب مما ساقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢١).

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم﴾: تكتُبون وتبعَثُون، فالجملةُ صفةٌ لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾.

وقيل: حالٌ للمُخاطَبين.

وقيل: استِئنافٌ؛ أي: أنتم تُلقونَ إليهم ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[١].

وقيل: الاستفهامُ مُقدَّرٌ؛ أي: أتُلقُونَ إليهم بالمودّةِ[٢]؟

الأخفشُ: الباءُ زيادةٌ[٣].

المُبرِّدُ: ألقَيتُ إليه المودَّةَ وبالمودَّةِ، لغتانِ.

وقيل: الباءُ للسَّببِ؛ أي: بسببِ أن تَوَدُّوا.

الزَّجَّاجُ: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم﴾ أخبارَ النَّبيِّ ﷺ وسرَّه ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ التي بينكم وبينَهم[٤].

﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني: النَّبيَّ ﷺ والقرآنَ.

﴿يُخْرِجُونَ﴾ حالٌ منَ المُضمَرين في ﴿كَفَرُوا۟﴾.

﴿ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ أي: من مكّةَ ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾: بأنْ، ولأَنْ؛ أي: بسببِ إيمانِكم، ولأجلِ إيمانِكم، وذُكِرَ بلفظِ المُستقبلِ؛ أي: لأنَّكم الساعةَ تُؤمِنُونَ به.

﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا﴾؛ أي: خرَجْتُم من أوطانِكُم للجهادِ ﴿فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ هذا مُؤخَّرٌ في اللَّفظِ مُقدَّمٌ في المعنى، والتَّقديرُ: إنْ كنتُم خرجتُم للجهادِ ولطلبِ مرضاةِ الله فلا تتَّخِذُوا عدوِّي وعدوَّكم أولياءَ.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ بدلٌ من قولِه: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٣)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٣)، واستغربه، وجعله من الاستفهام الإنكاري.

(٣) ذكره المصنف في «البرهان» (ص: ٢٣٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٥٥).

﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ﴾، قيل: الباءُ زيادةٌ؛ أي: أعلمُ إظهارَكم المودَّةَ وإسرارَكم إيّاها[1].

وقيل: ما أخفَيتُم المودَّةَ وما أعلنتُم الإيمانَ.

وقيل: ﴿أَعۡلَمُ﴾ للتَّفضيلِ، وهو الأظهرُ.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ﴾؛ أي: الاتِّخاذَ المنهيَّ عنه بعد النَّهيِ، ﴿فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أخطأَ طريقَ الرَّشادِ، وبَعُدَ عنِ الصِّراطِ[2] المستقيمِ.

***

(٢) ـ ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾.

﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾: يأخُذوكُم، ويأسِرُوكم، ويظفَرُوا بكم.

﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ ولا ينفعُكم إلقاءُ المودَّةِ إليهم.

﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾ بالقتلِ والضَّربِ ﴿وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالشَّتمِ والسَّبِّ.

﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾: ويتمَنَّوا أن تكونُوا كفّارًا مثلَهم، وجازَ وقوعُ الماضي موقعَ المُستقبلِ بمعنَى الشَّرطِ.

وقيل: هو عطفٌ على ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ﴾؛ أي: كفَروا ووَدُّوا لو تكفُرون[3].

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٤)، وعده من العجائب، و﴿أَعۡلَمُ﴾ على هذا القول فعل مضارع.

(٢) في (ف): «الطريق».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٤)، واستغربه.

(٣) ـ ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ فلا تُهلِكُوا أنفُسَكم بسببِ مَن لا ينفعُكم.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: يُفرِّقُ بين الوالدِ وولدِه، وبينَ القريبِ والقريبِ.

وقيل: يحكمُ بينكم.

ويجوزُ أن يتعلَّقَ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بقولِه: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾.

وقُرِئَ ﴿يَفْصِلُ﴾ على وجوهٍ[1] كلُّها ظاهرٌ، ومَن قرأ بلفظِ المجهولِ فالظَّرفُ أُقيمَ مُقامَ الفاعلِ، ومثلُه: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وكذلك: ﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١]، ذكرَه في «الحجّةِ»[2].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازيكُم بأعمالِكم[3].

* * *

(٤) ـ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ﴾: قدوةٌ وسُنَّةٌ ﴿حَسَنَةٌ﴾، والضَّمُّ[4] فيها لغةٌ.

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿يُفْصَلُ﴾ بضم الياء والصاد مخفَّفة مفتوحة على البناء للمفعول، وعاصم: ﴿يَفْصِلُ﴾ بفتح الياء والصاد مخفَّفة مكسورة على البناء للفاعل، وابن عامر: ﴿يُفَصَّل﴾ بضم الياء والصاد مشدَّدة مفتوحة، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يُفَصِّل﴾ بضم الياء والصاد مشدَّدة مكسورة. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ٢٨٥).

(٣) في (ف): «أعمالكم».

(٤) قرأ عاصم بضمِّ الألف، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾؛ أي: في أقوالِه ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ منَ المُؤمنين.

وقيل: كانوا أنبياءَ.

﴿إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ﴾؛ أي: للكافرينَ[1] منهم.

﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ﴾: جمعُ بريءٍ؛ كظَريفٍ وظُرَفاء؛ أي: من قرابتِكُم.

﴿وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مُعبودِكم.

﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾: تبرَّأنا منكم ﴿وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا﴾ بالسَّيفِ والغلَبةِ[2].

﴿حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾؛ أي: تُؤمِنُوا باللهِ[3] بأنَّه واحدٌ لا شريكَ له، فحينَئذٍ نتركُ عداوتَكُم ونُواليكم، والمعنَى: هلَّا قُلتَ يا حاطِبُ كما قالَ إبراهيمُ ومَن كانَ معه.

قولُه: ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ وذلك لموعدةٍ وعدَها إيَّاه، وقد سبقَ.

﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾: من عذابٍ.

وقيل: من هدايةٍ ومعرفةٍ وتوفيقٍ.

والاستثناءُ منَ المُضمرِ مع إبراهيمَ وهو: أقوالُه[4].

وقيل: الاستثناءُ مُنقطعٌ؛ أي: لكنْ قولُ إبراهيمَ لأبيه فليسَ لكم به أسوةٌ.

---

(١) في (ف): «أي الكافرون».

(٢) في (ف): «والغلب».

(٣) «بالله» من (ف).

(٤) أي: أنه استثناءٌ متصلٌ من قوله: ﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ولكنْ لا بُدَّ مِن حذفِ مضافٍ ليصحَّ الكلامُ، تقديرُه: في أقوال إبراهيم إلا قولَه كيت وكيت.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾: فوَّضْنا إليكَ أُمورَنا.

قيل: هذا من تمامِ كلامِ إبراهيمَ[(١)].

وقيل: استئنافٌ؛ أي: قُولُوا.

وقيل: خطابٌ لحاطبٍ؛ أي: لو قلتَ هذا فلمْ تحتَجْ إلى ما فعلتَ[(٢)].

﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾: أقبلْنا ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجِعُ.

* * *

(٥) ـ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: لا تُسلِّطْهم علينا فيفتِنُونا بعذابٍ لا طاقةَ لنا به.

وقيل: لا تُعذِّبْنا بعذابٍ من عندِك.

وقيل: لا تُرِهم ما يشمَتُونَ له بنا.

وقيل: لا تُظفِرْهُم علينا، فيظُنُّوا أنَّهم على الحقِّ ونحنُ على الباطلِ.

وقيل: احفَظْنا منَ الشَّيطانِ، لا نتَّبِعهم فنصيرَ فتنةً لهم.

﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٤)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٥)، واستغربه.

(٦) ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قيل: فـي إبراهيمَ وقومِه.

وكُرِّرَ لأنَّ الأوَّلَ أسوةٌ بأقوالِه، والثَّانيَ بأفعالِه.

وقيل: في محمَّدٍ عليه السَّلامُ والمُؤمنين.

﴿لِّمَن كَانَ﴾ بدلٌ من ﴿لَكُمْ﴾.

﴿يَرْجُوا اللَّهَ﴾؛ أي: ثوابَه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وما يُعطي اللهُ في ذلك اليومِ أولياءَه[1].

وقيل: يخشَى اللهَ واليومَ الآخرَ.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن أمرِنا ووالى الكفّارَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عنِ الخلقِ ﴿الْحَمِيدُ﴾: المُستحِقُّ للحمدِ.

وقيل: المحمودُ.

* * *

(٧) ـ ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ لمَّا نزلَ ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ عادَى المُؤمنونَ أقارِبَهم المُشركينَ، وأظهَرُوا لهم العداوةَ والبراءةَ، وعلِمَ اللهُ شدَّةَ وَجْدِ المُؤمنينَ بذلك، فأنزَلَ: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ فأسلَمَ كثيرٌ منهم وصارُوا لهم أولياءَ وإخوانًا، وخالَطُوهم وناكَحُوهم[2].

---

(١) «أولياءه» من (ف).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٣).

وتزوَّجَ رسولُ الله ﷺ أمَّ حبيبةَ بنتَ أبي سُفيانَ، فلانَ لهم أبو سفيانَ وبلغَه ذلك وهو مشركٌ فقالَ: ذلك الفحلُ لا يُقرَعُ أنفُه(١).

وقيل: المُرادُ به أهلُ مكّةَ حينَ أسلَمُوا عامَ الفتحِ.

وقيل: المُرادُ به إسلامُ أبي سفيانَ.

وقال الزُّهريُّ: هو أنَّ أبا سفيانَ استعملَه ﷺ على بعضِ اليمنِ، فلما قُبِضَ عليه السَّلامُ أقبلَ ذو الخمارِ مُرتدًّا فقاتلَه، وكانَ أوَّلَ مَن قاتلَ في الرِّدّةِ وجاهدَ في الدِّين(٢).

و﴿عَسَى﴾ منَ الله واجبٌ، والمعنى: ليجعَلَ.

وقيل: معناه: كونُوا على رجاءٍ وطمعٍ.

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

* * *

(٨) - ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ في سببِ النُّزولِ: قدِمَتْ قُتَيلةُ بنتُ عبدِ العُزَّى على أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما منَ الباديةِ بهدايا سَمْنٍ وأقِطٍ وضِبابٍ(٣)، وقيل: سمنٌ وتمرٌ وقَرَظٌ، فلم تقبَلْ هداياها، ولم تُدخِلْها بيتَها، فسألَتْ لها عائشةُ النَّبيَّ عليه السَّلامُ عن ذلك، فأنزَلَ الله هذه

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٧٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٩)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥١٩).

(٣) في هامش (ن): «الضباب: جمع ضب».

الآيَةَ، فأدخَلَتْها منزِلَـها وقبِلَتْ منها هداياها، وكان أبو بكرٍ رضي الله عنه طلَّقَها في الجاهليّةِ(١).

قتادةُ: الآيةُ منسوخةٌ بقولِه: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥](٢).

مجاهدٌ: الذين لـم يُقاتِلُوكم في الدِّينِ هم الذين آمَنُوا وأقامُوا بمكَّةَ ولـم يُهاجِرُوا(٣).

الحسنُ: هم خُزاعةُ وبنو الحارثِ، أمرَهم بأنْ يُوفُوا لهم بالعهدِ الذي كانَ(٤) بينَهم(٥).

وقيل: هم النِّساءُ والصِّبيانُ.

وقيل: عامّةٌ مُحكمةٌ، وسببُ النُّزولِ يدلُّ على هذا.

قولُه: ﴿أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾: تُحسِنُوا إليهم بالقولِ والفعلِ، ومحلُّ ﴿أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾ جرٌّ بالبدلِ عن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلَ الاشتمالِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٠٤)، ورواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (١٦١١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٠٤) وصححه، من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما. وأصل الحديث رواه مسلم (١٠٠٣) من حديث أسماء رضي الله عنها.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٣)، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧١١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٢)، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧١١).

(٤) «كان»: ليس في (ف).

(٥) ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧١١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٤٢٢).

﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾: تُحسِنُوا إليهم، وتُعطُوهم ممَّا تملِكُونَ من طعامٍ وغيرِه قسطًا.

والإقساطُ: أن تُعطُوهم مثلَ ما يُعطون، تقولُ: أقسَطَ: إذا عدَلَ وسُلِبَ القِسْطَ، وهو الجَورُ.

وقيل: أقسطَ: أعطى قِسْطَه، وأنصَفَ: أعطى نصفَه؛ أي: نصيبَه، وعُدِّي بـ(إلى) لتضمُّنِه معنى الإحسانِ.

وقيل: انتَهوا إليهم بالقِسطِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

***

(٩) ـ ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾: هم أهلُ الحربِ؛ أي: ينهاكُم عن برِّهم ﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾؛ أي: المُشركينَ ﴿وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾.

﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدلٌ عن ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والمعنى: تُناصِحُوهم.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الذينَ وضَعوا الولايةَ غيرَ موضِعِها.

***

(١٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ﴾ قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ مُشركي مكَّةَ صالَحوا رسولَ الله ﷺ عامَ الحُدَيبيةِ على أنَّ مَن أتاهُ من أهلِ مكَّةَ ردَّه إليهم، ومَن أتاهُم من أصحابِه فهو لهم، وكتبُوا بذلك كتابًا وختَمُوه، فجاءتْ سبيعةُ بنتُ الحارثِ ـ وقيل: سعيدةُ، وقيل: أمُّ كلثومٍ، والصَّحيحُ: سبيعةُ ـ بعدَ الفراغِ منَ الكتابِ والنَّبيُّ عليه السَّلامُ بالحديبيةِ، فأقبلَ زوجُها ـ واسمُه: مسافرٌ ـ وكانَ كافِرًا، فقال: يا محمَّدُ اردُدْ عليَّ امرأتي؛ فإنَّك شرطْتَ لنا أن تَرُدَّ علينا مَن أتاك منَّا، وهذه طِينةُ الكتابِ لـم تجِفَّ بعدُ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[1] تُبيِّنُ أنَّ ذلك في الرِّجالِ لا في النِّساءِ؛ لأنَّ المسلمةَ لا تحلُّ لكافرٍ بوجهٍ مّا.

وقيل: لـمَّا نزلَتْ صارَ ذلك في الرِّجالِ دونَ النِّساءِ.

وقيل: نسخَتْ هذه الآيةُ الحكمَ الأوَّلَ[2].

قولُـه: ﴿جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ﴾ فسـمَّاهُنَّ مُؤمنـاتٍ بمُجـرَّدِ الهجـرةِ، ثـمَّ قـالَ: ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ﴾؛ أي: اختَبِروهُنَّ.

وقيل: سلُوهُنَّ.

وقيل: حلِّفُوهُنَّ ما خرَجْنَ إلا حِرْصًا على الإسلامِ، وطلبًا لِرضا الله تعالى ورسولِه، لا بُغضًا للزَّوجِ، ولا رغبةً في الدُّنيا.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: امتِحانُها أن تقولَ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله[3].

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٥/ ٤٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٤).

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٧١٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٦)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٣٤).

وعن عائشةَ رضي الله عنها: امتِحانُها بما في الآيةِ الأُخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[1].

وقيل: امتِحانُها في ردِّها مهرَ زوجِها.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ فإنَّكم تعلَمونَ الظّاهرَ، واللهُ يتولَّى السَّرائرَ.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾؛ أي: بغالبِ الظَّنِّ ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾: لا تردُّوهُنَّ ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ تكرارٌ للازدِواجِ والمُطابقةِ، والمعنى: وقعتِ الفرقةُ بينَهما بخُروجِها مسلمةً، وليس عليها العِدَّةُ عند بعضِهم، وعند بعضِهم عليها العِدّةُ.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ يعني: المهرَ الذي أعطاها الحربيُّ.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾؛ أي: لا جُناحَ في نكاحِ المُهاجراتِ ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورَهُنَّ.

﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾؛ أي: ولا تُبقوا نكاحَ الكافراتِ، بل طلِّقوهُنَّ إن لم يُؤمِنَّ.

وأمسَكَ ومَسَّكَ بمعنًى[2]، والباءُ صلةٌ.

والعِصَمُ: جمعُ عِصمةٍ، وهي: الحَبْلُ؛ أي: حَبْلُ النِّكاحِ، وهو العَقْدُ.

والكوافرُ: جمعُ كافرةٍ، وهي التي بقيَتْ في دارِ الحربِ، أو هرَبَتْ منكم إلى دارِ الحربِ.

وقالَ بعضُهم: معناه: لا خطرَ عليكم في نكاحِ المُهاجرةِ لعصمةِ زوجِها[3]، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ (الكوافرَ) جمعُ (كافرةٍ) كما سبقَ، لا (كافرٍ)، ولا يُحمَلُ على الشُّذوذِ.

---

(١) رواه البخاري (٤١٨٢)، ومسلم (١٨٦٦).

(٢) قرأ أبو عمرو ويعقوب (ولا تَمَسَّكوا)، والباقون ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٤)، و«المبسوط» (ص: ٤٣٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٥)، وعده من العجائب.

ولمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ طلَّقَ عمرُ رضي الله عنه امرأتَين له[١]، وطلَّقَ طلحةُ امرأةً له[٢]، بقينَ في دارِ الحربِ.

﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾؛ أي: إنْ ذهبَ بعضُ أزواجِكم إلى الكفَّارِ الذينَ بينكم وبينَهم عهدٌ فاسألوهُم أن يُعطوكُم[٣] ما أعطيتُموهُنَّ منَ المهرِ، كما يأخذونَ منكم ما أَعطَوا نساءَهم منَ المهرِ إذا صِرْنَ إليكم مُؤمناتٍ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾؛ أي: ما تقدَّمَ ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وهو منسوخٌ على ما سبقَ، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

***

(١١) - ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾؛ أي: واحدةٌ منهنَّ، وهكذا هو في حرفِ ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه[٤].

﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾؛ أي: مَن[٥] فاتَتْه زوجتُه بأنْ كفرَتْ ولحقَتْ بالمُشركين ولم يصِلْ إليه مهرُها من جهتِهم.

﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: اقتصَصْتُم.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٨٤) عن الزهري، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٠) عن طلحة رضي الله عنه.

(٣) في (ف): «يعطوهم».

(٤) أي: قرأ ابن مسعود: (وإن فاتكم أحد من أزواجكم). انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٧٤).

(٥) في (ف): «أي إن».

وقيل: فيكونُ لكم منهم عُقبَى؛ أي: ظفرٌ وغنيمةٌ.

وقيل: معناه: غزَوتُم مرّةً بعدَ أُخرى.

وقيل: عاقَبْتُم: غنِمْتُم.

وقيل: عاقَبْتُم: فعَلْتُم بهم مثلَ ما فعلُوا بكم.

وعاقَبَ وعقَّبَ واعتَقَبَ وأَعْقَبَ[١] وتعقَّبَ وعَقَبَ كلُّه بمعنى: كانتِ العاقبةُ له.

﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم﴾؛ أي: ارتدَّتْ ولحقَتْ بالمُشركين.

وقيل: لَحِقَتْ بأهلِ الهدنةِ من قُريشٍ.

﴿مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾ يعني: مهرَ زوجتِه منَ الغنيمةِ.

قيل: منَ الخُمسِ.

وقيل: منَ الفيءِ.

وقيل: من صَداقِ مَن أسلمَتْ منهُنَّ عن زوجٍ كافرٍ، فيكونُ معنى ﴿فَعَاقَبۡتُمۡ﴾: بمصيرِ أزواجِهم إليكُم مُؤمناتٍ، أو من جهةِ السَّبيِ[٢].

ابنُ بحرٍ: أي: عاقَبْتُم المُرتدَّةَ فقتلتُموها، فأعطُوا زوجَها[٣] منَ الغنيمةِ صداقَها، فجعلَ (عاقَبْتُم) منَ العقوبةِ، وفيه بُعدٌ.

وهذا أيضًا منسوخٌ، وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ هذه أحكامٌ تبِعَتِ الهجرةَ والهدنةَ التي كانت بينَهم، فلمَّا انقَضَتْ زالَتْ تلك الأحكامُ.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾.

---

(١) «وأعقب» من (ف).

(٢) في (ف): «سبي».

(٣) في (ن): «أزواجها»، ولا يصحُّ.

(١٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ الجمهورُ على أنَّ هذه المُبايعةَ كانت قبلَ فتحِ مكَّةَ[١]، بايعَهُنَّ ﷺ بنفسِه وعلى يدِه صلى الله عليه ثوبٌ[٢].

وقيل: وضعَ بينَ يدَيه قَعْبًا[٣] فيه ماءٌ، وغمسَ يدَه فيه، وأمرَهُنَّ أن يغمِسْنَ أيديَهُنَّ فيه[٤].

وقيل: قال ﷺ: «إنِّي لا أُصافِحُ النِّساءَ، وإنِّي آخذٌ على مائةٍ بأخْذي على واحدةٍ»[٥].

---

(١) في هامش (ن): «الثعلبي ذكر في تفسيره أن هذه المبايعة يوم فتح مكة لما فرغ النبي عليه السَّلامُ من بيعة الرجال». انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٣١٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٢) عن إبراهيم النخعي، ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٥)، وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٤٠) عن الشعبي.

(٣) في هامش (ن): «القعب: الصحن». والقعب: ما يروي الرجل الواحد، والصحن أكبر منه يروي قرابة العشرين رجلاً. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٤٦٨).

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١١)، وفيه شيخه الواقدي، وهو متروك. ورواه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٩) عن عروة بن مسعود الثقفي، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٩): «فيه عبد الله بن حكيم، أبو بكر الداهري، وهو ضعيف».

(٥) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٨٢)، والترمذي (١٥٩٧)، والنسائي (٤١٨١)، وابن ماجه (٢٨٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٦٩٤٦)، من حديث أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها. قال الترمذي: «حسن صحيح».

قـال مُقاتـلٌ: جلسَ ﷺ علـى الصَّفا، وعمـرُ بنُ الخطّـابِ رضـي الله عنه دونَ الصَّفا، فأمـرَه أن يُبايعَ النِّسـاءَ(١).

وقيل: أمرَ أُختَ خديجةَ خالةَ فاطمةَ فبايعتِ النِّساءَ(٢).

قولُه: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ جاء في التَّفاسيرِ: وكانَتْ في جُملتِهنَّ هندُ امرأةُ أبي سفيانَ، فقالت: إنِّي لأُصبتُ من أبي سفيانَ الـهَنةَ ما أدري أيحِلُّ لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبتِ من شيءٍ مضى أو بقيَ فهو لكِ حلالٌ، فضحِكَ رسولُ الله وعرَفَها، فقال: «أنتِ هندٌ»، قالت: اعفُ عنِّي ما سلفَ عفا الله عنك؛ تريدُ ما صنعَتْ بحمزةَ.

ثمَّ قالَ: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ فقالَتْ هندٌ: وهل تزني الحرّةُ؟ فقال عليه السَّلامُ: «لا والله ما تزني الحرّةُ».

﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ يُريدُ: وَأْدَ البناتِ، فقالَتْ هندٌ: نحنُ ربَّيناهُم صغارًا وأنتم قتلتُموهم كبارًا ـ تريدُ: يومَ بدرٍ ـ وأنتم وهم أعلَمُ، فضحكَ عمرُ رضي الله عنه حتَّى استلقَى(٣).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٦)، وفيه: «لما فرغ النبي ﷺ من بيعة الرجال، وهو جالس على الصفا، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه، فقال النبي ﷺ: أبايعكن....».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٢٤)، وسماها: أميمة، وأميمة هذه هي بنت رقيقة، ورقيقة هي بنت خويلد أخت خديجة. انظر: «الإصابة» (٧/ ٥١٠) ترجمة أميمة بنت رقيقة. ولعل هذا القول مبني على حديث أميمة المتقدم قريباً.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٦)، ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٦) عن الشعبي، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد ضعيف.

ورواه بنحوه أبو يعلى في «مسنده» (٤٧٥٤)، ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٣٥/ ٢٤٥)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٨/ ٥٩٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وإسناده ضعيف أيضاً، قال ابن الملقن: «وفي إسناده نسوة لا يعرفن».

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: فضحِكَ عمرُ رضي الله عنه حينَ قالت هندٌ: هل تزني الحرّةُ[(١)]؟

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها: لا يُلحِقْنَ بأزواجهنَّ غيرَ أولادِهم، وهو على وجهين:

أحدُهما ـ كانتِ المرأةُ تأتي باللُّقطةِ فتضعُها بينَ يدَيها ورِجلَيها فتقولُ: هذا ولدُكَ ولدتُه منكَ، وليس الولدُ له، ولا حملَتْ به.

والثَّاني ـ أن تحبلَ بالولدِ من غيرِ زوجِها فتُلحِقَه به.

وقيل: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ عبارةٌ عنِ اللُّقطةِ، ﴿وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ عبارةٌ عن الولدِ منَ الزِّنى.

وقيل: البُهتانُ في الآيةِ الكذبُ والنَّميمةُ والمشيُ بالسِّعايةِ يختلِقْنَه من تلقاءِ أنفُسِهنَّ.

وقيل: قذفُ المُحصَنين والمُحصَناتِ، والكذبُ على النّاسِ.

وقيل: البُهتانُ: السِّحرُ والتَّمويهُ.

ورُوِيَ أنَّ هندًا قالت: والله إنَّ البُهتانَ لأمرٌ قبيحٌ، وما تأمرُ إلَّا بالأرشدِ ومكارمِ الأخلاقِ[(٢)].

ورُوِيَ أيضًا أنَّها قالَت: أمَّا ولي ضرَّةٌ فلا أدَعُ البهتَ[(٣)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٢)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٤٤٠).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٦)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٤٤٠)، و«تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٣١٩)، و«النكت والعيون» (٥/ ٥٢٥)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٨٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٦)، واستغربه.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ جميعُ ما أمرَ رسولُ الله ﷺ أو نهى عنه معروفٌ، يقبلُه العقلُ ويعرِفُه ويدعو إليه.

وقيل: أُمِرْنَ أن لا يعصينَه في تركِ النَّوحِ، وخَدْشِ الوجهِ، وقطعِ الشَّعرِ.

ورُوِيَ أنَّ هندًا قالت: ما جلَسْنا هذا المجلسَ وفي أنفُسِنا أن نعصيَكَ في شيءٍ[1].

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾: اضمَنْ لهنَّ الجنَّةَ بشرطِ الوفاءِ بهذه الأشياءِ إلى المماتِ.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾ عمَّا مضى ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

* * *

(١٣) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ في القومِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّهم اليهود ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ فيه وجوهٌ:

أحدُها: أنَّهم وصفُوها بغيرِ ما وصفَها الله به منَ الطَّعامِ والشَّرابِ والنِّساءِ في الجنَّةِ، ومنَ العذابِ والنَّكالِ في النَّارِ، فصاروا كالكفَّارِ الذين أنكَرُوها أصلًا، وقولُه: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ صفةٌ للكفَّارِ؛ أي: في الحكمِ كالموتَى.

الوجهُ الثَّاني: أنَّهم يئِسُوا من ثوابِها لِمَا أتوا في شأنِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ من

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٧)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٤٤٠)، و«تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٣١٩).

إنكارِهم نعتَه وتغييرِهم وصفَه[١]، فصارُوا كالكفَّارِ الذين يئسُوا من رجوعِ أصحابِ القُبورِ إليهم.

الجاحظُ: أي: لا حظَّ لهم في الآخرةِ وإنْ كانوا منها على طمعٍ، كما لا حظَّ لمن ماتَ كافرًا[٢].

وقيل: يئسَ اليهودُ عن الثَّوابِ كما يئسَ موتى الكفَّارِ؛ لأنَّهم علموا بعدَ موتِهم أنْ لا حظَّ لهم في نعيمِ الآخرةِ.

والقولُ الثّاني: أنَّ القومَ هم الكفَّارُ ﴿يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لأنَّهم يُنكِرونَ البعثَ والنُّشورَ ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾؛ أي: كما يئسُوا من أن ينالَهم من أهلِ القبورِ خيرٌ، فوُضِعَ الظّاهرُ موضعَ الضَّميرِ.

***

---

(١) في (ف): «صفته».

(٢) لم أقف عليه عن الجاحظ، وذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٦١).

سُورَةُ الصَّفِّ

ويقالُ لها: سورةُ عيسى عليه السَّلامُ[1].

ويقالُ لها: سورةُ الحواريِّين[2].

أربعَ عشرةَ آيةً[3]، مدَنيَّةٌ.

بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ سبقَ، بدأ بالتَّسبيحِ لحسنِ الاستفتاحِ، كما بدأ بـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ للتَّيمُّنِ والتَّبرُّكِ.

***

(٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: كان المسلمونَ يقولون: لو نعلمُ أحبَّ الأعمالِ إلى الله لبذَلْنا فيه أموالَنا وأنفُسَنا، فدلَّهم الله على

---

(١) وردت تسميتها بذلك في بعض الكتب التي ذكرت حديث أبي بن كعب رضي الله عنه المعروف في فضائل السور، وهو حديث موضوع. انظر: «الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٩٠).

(٢) انظر: «زاد المسير» (٤/ ٢٧٦)، و«فتح الباري» (٨/ ٦٤١)، و«الإتقان في علوم القرآن» (١/ ١٩٥).

(٣) «أربع عشر آية»: ليس في (ف).

أحبِّ الأعمالِ إليه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ الآية، فابتُلوا يومَ أحدٍ بذلك فولَّوا مُدبِرينَ، فأنزَلَ الله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾(١).

ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في قومٍ قالوا: لو علِمْنا أحبَّ الأعمالِ إلى الله سارَعْنا إليه، فلمَّا نزلَ فرضُ الجهادِ تثاقَلُوا عنه(٢).

عِكرمةُ: نزلَتْ في قومٍ كانَ الرَّجلُ منهم يقولُ: قاتلتُ ولم يُقاتِلْ، وطَعنْتُ ولم يَطْعَنْ، وضرَبْتُ ولم يَضرِبْ، وصبَرْتُ ولم يَصبِرْ(٣).

الحسنُ: نزلَتْ في المُنافقين(٤)، وسمَّاهُم مؤمنينَ بزعمِهم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٤) عن مقاتل بن حيان. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه من حديث ابن عباس عبد بن حميد وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٤٦)، لكن فيه بدل «فابتُلوا يومَ أحدٍ بذلك فولَّوا مُدبِرينَ»: «فكرهوا ذلك». وبنحو هذا رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٧) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وعطية ضعيف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وروى نحوه الترمذي (٣٣٠٩) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ولفظه: «قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾، قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ، قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سلام، قال يحيى: فقرأها علينا أبو سلمة، قال ابن كثير: فقرأها علينا الأوزاعي، قال عبد الله: فقرأها علينا ابن كثير»، وهو الحديث المعروف بالمسلسل بسورة (الصف).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٢٧).

(٤) ذكره عن الحسن ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٣٨٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٩) عن ابن زيد.

وقال أبو موسى: لقد نزلَتْ سورةٌ كنَّا نُسمِّيها المُسبِّحاتِ، أوَّلُـها: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾، حفِظْتُ منها: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، فتُكتَبُ شهادةً في أعناقِكُم، ثمَّ عنها يومَ القيامةِ تُسألونَ(١).

قال الماورديُّ: الآيةُ وإنْ كانَ ظاهرُها الإنكارَ لمَن قالَ ما لا يفعلُ، فالمُرادُ به الإنكارُ لمَن لـم يفعَلْ ما قالَ؛ لأنَّ المقصودَ بها الالتزامُ دونَ الإسقاطِ(٢).

وعن سفيانَ بنِ عُيينةَ: إنَّ المعنى: لِـمَ تقولونَ ما ليس الأمرُ فيه إليكم، فلا تدرونَ هل تفعَلُونَ أم لا تفعَلُونَ(٣)؟

وأصلُ ﴿لِمَ﴾: لِـمَا، فحُذِفَ الألفُ في الاستفهامِ، وتقولُ في الوقفِ: ﴿لِمْ﴾، وإن شئتَ: (لِمَهْ)، وهي قراءةُ يعقوبَ(٤).

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ﴾؛ أي: بُغضًا، ومَن مقتَه الله فله النَّارُ، كما أنَّ مَن أحبَّه الله فله الجنَّةُ.

﴿أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ تقديـرُه عنـدَ النُّحـاةِ: كَبُـرَ المقـتُ مقتـاً عند الله أن تقولـوا، فهـو فـي محلِّ رفـعٍ بالابتـداءِ، و﴿مَقْتًا﴾ نصـبٌ علـى التَّمييزِ، نحـو: نِعْمَ الرَّجـلُ رجـلًا زيدٌ.

وقال بعضُهم: كبُرَ مقتُهم مقتًا هو أنْ تقولوا ما لا تفعلونَ. والأوَّلُ أولى.

* * *

(١) رواه مسلم (١٠٥٠).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٥٢٧).

(٣) ذكره التستري في «تفسيره» (ص: ١٦٧)، وفيه: «فلا تدرون تفعلون أم لا تفعلون»، وفي عبارة المصنف إشكال من جهة دخول (أم) المعادلة بعد (هل). انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٤٢١).

(٤) قرأ بها يعقوب والبزي عن ابن كثير بخلف. انظر: «النشر» (٢/ ١٣٤).

(٤) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾؛ أي: مُصطَفِّينَ، مصدرٌ وقعَ موقعَ الحالِ.

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾: شديدُ اللُّصوقِ، مِن (رَصِّ البناءِ)، وهو إحكامُه في اتِّصالٍ واستقامةٍ.

وقيل: ﴿بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾: بُنِيَ بالرَّصاصِ، والمعنى: لاصِقٌ بعضُه إلى بعضٍ لا يُغادِرُ شيءٌ منه شيئًا.

وقيل: يريدُ استواءَ نيَّاتِهم في حربِ عدوِّهم، حتَّى يكونوا لاجتماعِ كلمتِهم كالبناءِ لا خلَلَ فيه ولا فُرَجَ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: وكانَ بعضُهم يُؤثِرُ القتالَ راجلًا على القتالِ راكبًا؛ لأنَّ الفرسانَ لا يصطَفُّونَ، وأنَّ ذلك من وصفِ الرَّجَّالةِ[1].

* * *

(٥) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ بما جئتُكم منَ المُعجِزاتِ.

وما آذَوا به موسى سبَقَ في قولِه: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وفي

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦١٢) عن أبي بحرية قال: «كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض؛ لقول الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾.

الآية تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ أي: إذا آذاكَ المُنافقون فتذكَّرْ موسى وإيذاءَ قومِه إيَّاه.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾: عدَلُوا ومالُوا عن الحقِّ[1].

وقيل: شكُّوا بعدَما أيقنُوا، يريدُ قومَ موسى الذين آذَوه.

وقيل: كانَ في قومِه أيضًا مُنافِقونَ.

وقيل: هم الخوارجُ.

﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: أضلَّهم وصرَفَ قلوبهم وخذَلَهم.

وقيل: أزاغَهم عنِ الثَّوابِ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: لا يُرشِدُهم.

وقيل: لا يهديهم إلى الجنّةِ.

***

(٦) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: وتذكَّرْ أيضًا عيسى ابنَ مريمَ إذ قالَ لقومِه: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ أي: بحَضْرتي وقُدَّامي، وتصديقُه لها: إقرارُه بأنَّها حقٌّ.

وقيل: تصديقُه لها: أنَّ في التوراةِ حديثَ عيسى[2]، ووقوعُ المُخبَرِ به يُصدِّقُ المُخبِرَ المُتقدِّمَ.

---

(١) في (ن): «الطريق المستقيم» بدل «الحق»، وفي هامشها: «في نسخة: الحق»، وهي كذلك في (ف).

(٢) في (ن): «موسى»، ولا يصحُّ.

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ، سمَّاه الله أحمدَ ومحمَّدًا، ولهذا قالَ ﷺ: «أنا دعوةُ إبراهيمَ، وبُشرى عيسى»[١]. وأرادَ بدعوةِ إبراهيمَ قولَه تعالى حاكيًا عن إبراهيمَ عليه السَّلامُ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾[البقرة: ١٢٩]، وقد سبق. وتقديرُه: اسمُه قولُ أحمَدَ[٢]، فحُذِفَ المُضافُ.

القفَّالُ والنَّقَّاشُ: اسمُه في الإنجيلِ فارقليطا؛ أي: ليس بمذمومٍ[٣].

وقالَ ابنُ هيضمٍ: اسمُه في الإنجيلِ فارقطيطا، وفي التَّوراةِ بمادماد[٤].

وزعموا أنَّ المُرادَ به ما يُوافقُ منَ الأسماءِ هذه العِدَّةَ من حسابِ الجُمَّلِ، فالميمانِ في مُقابلةِ الميمَينِ من محمَّدٍ، وإحدى الدّالَينِ في مُقابلةِ الدّالِ من محمَّدٍ، وبقيَ ألفانِ وباءٌ ودالٌ ومجموعُها ثمانيةٌ، والحاءُ في محمَّدٍ ثمانيةٌ. والله أعلَمُ.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني: جاءَهم عيسى عليه السَّلامُ بالمُعجِزاتِ.

وقيل: جاءَهم محمَّدٌ ﷺ.

﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾؛ أي: ما جاء به سحرٌ، ومَن قرأ بالألفِ[٥]؛ أي: عيسى ساحرٌ مُبينٌ.

***

(٧) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾؛ أي: نسَبَ النبيَّ إلى السِّحرَ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧١٥٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٦٦) وصححه.

(٢) وذلك لأن (أحمد) عبارة عن الشخص، والاسم قول، والقول لا يكون الشخص. انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ٢٨٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٨).

(٤) في (ف): «مادمابد»، والمثبت من (ن)، وهو موافق لما في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٨).

(٥) أي: ﴿ساحر﴾ قراءة حمزة والكسائي، والباقون: ﴿سِحْرٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾: وهو يدعوه النَّبيُّ إلى الإسلامِ، والمعنى: لا أحدَ أظلَمُ منه.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا يُرشِدُهم.

وذكرَ الكذبَ مُعرَّفًا وفي أمثالِه منَ القرآنِ مُنكَّرًا لأنَّه أشارَ به إلى كذبِ اليهودِ والنَّصارَى، وقد تقدَّمَ ذِكرُهما[1].

***

(٨) - ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ هذا مثلٌ ضربَه الله؛ أي: مَن أرادَ إطفاءَ نورِ الشَّمسِ بفيه كما يُطفَأُ السِّراجُ وجدَ مطلوبَه مُستحيلًا، كذلك مَن أرادَ إبطالَ الحقِّ.

وقيل: يُريدونَ إبطالَ نورِ الله، وهو القرآنُ.

وقيل: محمَّدٌ صلى الله عليه.

وقيل: الإسلامُ.

وقيل: حُجَجُ الله.

﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بكلامِهم وإنكارِهم ذلك.

واللَّامُ في ﴿لِيُطْفِـُٔوا۟﴾ بمعنى (أنْ) عند بعضِ المُفسِّرين[2]، وعندَ بعضِهم زائدةٌ، و(أنْ) مُقدَّرةٌ بعدها.

وقيل: محمولٌ على المصدرِ.

والصَّحيحُ: أنَّ المفعولَ محذوفٌ، واللَّامَ للعلَّةِ، والتَّقديرُ: يُريدونَ الكذبَ ليُطفِئُوا نورَ الله.

---

(١) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٢٧٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٨)، واستغربه.

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ قُرِئَ بالتَّنوينِ وبالإضافةِ(١)، وحقُّ ما وقعَ الإضافةُ، وحقُّ ما لـم يقعِ التَّنوينُ، والمعنى: أتمَّ نورَه ويُتمُّه أبدًا.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أبطأ الوحيُ عن النَّبيِّ ﷺ أربعينَ يومًا، فقال كعبُ بنُ الأشرفِ لليهودِ: أبشِرُوا فقد أطفأ اللهُ نورَ محمَّدٍ ممَّا كان ينزلُ عليه، وما كانَ الله ليُتِمَّ نورَه، فحزنَ رسولُ الله ﷺ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ، ثمَّ اتَّصلَ الوحيُ(٢).

***

(٩) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾؛ أي: بالقرآنِ ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾: الإسلامِ، و﴿ٱلۡحَقِّ﴾: صفتُه.

وقيل: الحقُّ هو الله تعالى(٣).

﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾؛ أي: يُظهِرَه بالغلبةِ والاستعلاءِ، وقد حصلَ لأنَّ الإسلامَ ما لقيَ دينًا إلا غلبَه وعَلاه.

وقيل: ليُظهِرَه بالحُجَجِ والبيِّناتِ.

وقيل: ليُطلِعَه على جميعِ الأديانِ، وما خالفَ أهلُها فيه رسلَهم، حتَّى يكونَ عالـمًا بذلك.

وقيل: ليُظهِرَه على الدِّينِ كلِّه بنزولِ عيسى عليه السَّلامُ ودخولِ أهلِ

---

(١) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية حفص: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ بالإضافة، والباقون: ﴿مُتِمٌّ نُورَهُۥ﴾ بالتنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٣٠).

(٣) و﴿ٱلۡحَقِّ﴾ على هذا مضاف إليه.

الأرضِ قاطبـةً فـي الإسـلامِ، قالـه أبـو هريـرةَ رضـيَ الله عنـه[١].

* * *

(١٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ النِّداءُ للمُخاطبين.

وقيل: عامٌّ كما في أوَّلِ السُّورةِ.

وقيل: هذا وإن تأخَّرَ في التِّلاوةِ فهو أوَّلُ نُزولًا.

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ استفهامٌ في اللَّفظِ إيجابٌ في المعنى، والتِّجارةُ: طلبُ الرِّبحِ بالمُبايعةِ، والمُراد بها هاهنا: طاعةُ الله.

﴿تُنجِيكُم﴾: تُخلِّصُكم وتُبعِدُكم ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ و﴿تُنجِّيكُم﴾ بالتَّشديدِ[٢] بمعناه.

* * *

(١١) - ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: تثبُتونَ على إيمانِكم ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ﴾ أي: الإيمانُ والجهادُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قيلَ: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ بدلٌ منَ التِّجارةِ؛ أي: هي أن تُؤمِنُوا، فلمَّا حُذِفَ (أنْ) رُفِعَ، وكذلك ﴿تُجاهِدونَ﴾، وعندَ سيبويهِ ﴿تُؤْمِنُونَ... وَتُجَٰهِدُونَ﴾ واقعانِ موقعَ (آمِنُوا... وجاهِدوا)[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٢٣) و(٢٢/ ٦١٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٥٥).

(٢) قرأ بها ابن عامر، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ٩٤).

(١٢) ـ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مجزومٌ عندَ الفرَّاءِ لأنَّه جوابٌ للاستفهامِ(١)، وفيه بُعدٌ عندَ البصريِّينَ، وعندَ سيبويهِ مجزومٌ على أنَّه جوابُ الأمرِ(٢)، وكذلك ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ سبقَ.

***

(١٣) ـ ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ﴾ قيل: ولكم خلَّةٌ أخرى، ثمَّ فسَّرَها فقال: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ﴾ يعني: فتحَ مكَّةَ، وقيل: فارسَ والرُّومِ.

وقيل: عطفٌ على (التِّجارةِ)؛ أي: وأدلُّكم على تجارةٍ أُخرى تُحبُّونَها؛ أي: محبوبةٍ في الجبلَّةِ، ثمَّ فسَّرَها فقال: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ﴾ يفتحُ لكم البلادَ والأمصارَ.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذَين الثَّوابَين عاجلًا وآجلًا.

***

(١٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾(٣) الخطابُ لأهلِ المدينةِ، وهم الأنصارُ،

---

(١) في (ف): «الاستفهام». انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٤).

(٢) انظر: «الكتاب» (٣/ ٩٤).

(٣) ضُبطت بالإضافة في (ف)، وبالإضافة والتنوين في (ن).

وكانوا سبعينَ نفرًا بايعوا[١] النَّبيَّ عليه السَّلامُ ليلةَ العقبةِ[٢].

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ قيل: معناه: إنِّي أدعوكُم إلى هذا كما دعا عيسى عليه السَّلامُ قومَه فقال: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وقيل: انصُروا اللهَ مثلَ نُصرةِ الحواريِّينَ لدينِ الله.

قُرِئَ ﴿أنصارًا لله﴾ بالتَّنوينِ؛ أي: دومُوا واثبُتوا أنصارًا.

وقُرِئَ بالإضافةِ[٣] قياسًا على قولِه: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾.

والحواريُّونَ أصحابُ عيسى عليه السَّلامُ، وكانوا اثنَي عشرَ رجلًا، أوَّلُ مَن آمنَ به، وقد سبقَ[٤].

وفي بعضِ التَّفاسيرِ[٥]: الغَسَّالُ بلغةِ النبطيّةِ حوارِيٌّ[٦].

ومعنى ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ عندَ بعضِهم: مع الله، كما جاءَ: الذَّودُ إلى الذَّودِ إبلٌ[٧].

وقيل: معناه: مَن يضُمُّ نُصرةً إلى نُصرةِ[٨] الله.

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أنصارُ الحقِّ.

---

(١) في (ن): «تابعوا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٢٠) عن قتادة.

(٣) قرأ بها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي، والباقون بالتنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٠).

(٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ الآية [آل عمران: ٥٢].

(٥) في (ف): «التفسير».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٢١) عن الضحاك.

(٧) من أمثال العرب، ومعناه: أن القليل إذا جمع إلى القليل كثر، والذود ما بين الثلاث إلى العشر من إناث الإبل. انظر: «جمهرة الأمثال» (١/ ٤٦٢).

(٨) في (ف): «نصر».

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: بعيسى ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾: قوَّيناهُم ونصرناهُم ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾: غالِبينَ.

قيل: قاتلَ أصحابُ عيسى بعدَ عيسى عليه السَّلامُ فنصرَهُم الله، ولم يكُنْ عيسى أُمِرَ بالقتالِ والقتلِ.

وقيل: ظاهِرين بالحجَّةِ لا بالحربِ.

وقيل: حارَبَ مُؤمِنُو أصحابِ عيسى كافري أصحابِه ذبًّا عن دينِهم، فغلَبَ المؤمنونَ الكافرينَ.

وقيل: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞ﴾.

وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما في قولِه: ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾؛ أي: قاتَلُوا ليلًا فأصبَحُوا ظاهِرينَ[1]. والله أعلمُ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٠٩)، واستغربه.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

إحدى عشرةَ آيةً[1]، مدنيَّةٌ بالإجماع[2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ سبق.

***

(٢) - ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾: أرسلَ فيهم، وفيه[3] ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهم قُريشٌ.

والثَّاني: أنَّهم العربُ جميعًا، وكانوا أُمِّيِّينَ لا يكتُبونَ ولا يقرؤُونَ، وإنَّما وقعتِ الكتابةُ إليهم بعدُ منَ الطَّائفِ والحيرةِ والأنبارِ.

وقيل: يجوزُ تسميتُهم «أُمِّيِّينَ» على الأغلبِ.

---

(١) «إحدى عشرة آية»: ليس في (ف).

(٢) «بالإجماع» من (ف).

(٣) في (ف): «فيهم» بدل: «أرسل فيهم وفيه».

والأُمِّيُّ منسوبٌ إلى (الأمِّ)؛ أي: هو على أصلِ الولادةِ لم يتعلَّمْ كتابةً.

الحسنُ: سُمُّوا «أُمِّيِّينَ» لأنَّه لم يأتِهم كتابٌ كما أتى اليهودَ والنصارى وغيرَهم[1].

الثالث: الأميُّون أمَّةُ محمدٍ ﷺ، نُسِبوا إلى (الأُمَّة)؛ كما تقول: أُمَّةُ نوحٍ وأُمَّةُ هودٍ، والمُرادُ بهم هاهنا: هم الذين كانوا في زمانِه عليه السَّلامُ.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ؛ ليكونَ مثلَهم، فالجنسُ إلى الجنسِ أميَلُ.

وقيل: ليكونَ أبعدَ منَ الرَّيبِ.

وقيل: ليكونَ مُوافقًا لِمَا في الكتبِ المُتقدِّمةِ؛ لأنَّ وصفَه فيها: النَّبيُّ الأُمِّيُّ.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: القرآنَ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطهِّرُهم منَ الذُّنوبِ.

وقيل: يُعرِّضُهم لِمَا يصيرونَ به أزكياءَ.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: مواعظَ القرآنِ.

وقيل: السُّنَّةَ.

وقيل: الفِقهَ في الدِّينَ[2].

وقيل: الكتابةَ؛ لأنَّهم تعلَّموها وفشَتْ فيهم بعدَ الشَّريعةِ.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾: وإنَّهم كانوا من قبلِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: كُفرٍ وجَهالةٍ.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٥) عن ابن زيد، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٤٥٤) بلا نسبة.

(٢) في (ن): «الفقه والدين».

(٣) ـ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾: هم الذين جاؤوا بعدَ الصَّحابةِ؛ أي: التّابعينَ إلى يومِ الدِّينِ ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾؛ أي: لـم يلحَقُوا بعدُ.

وقيل: هم أولادُ الصَّحابةِ مَن أدرَكُوا النَّبيَّ عليه السَّلامُ.

وقيل: هم العجَمُ.

ومحلُّ ﴿آخَرين﴾ نصبٌ عطفًا على ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ويُعلِّمُ آخرينَ[1].

وقيل: في محلِّ جرٍّ عطفًا على ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾، وهذا أظهرُ.

و(مِنْ) في ﴿مِنْهُمْ﴾ للتَّبعيضِ.

وقيل: هو الذي يصحَبُ أفعلَ للتَّفضيلِ، وفيه بُعدٌ، لا يُستعمَلُ (من) مع (آخرَ) ولا مع (أوَّل).

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: لا يمتنعُ عليه شيءٌ، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: يضعُ الشَّيءَ موضعَه.

* * *

(٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ قيل: النُّبوةُ.

وقيل: انقيادُ النّاسِ لأمرِه.

وقيل: الإسلامُ.

﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يشملُ فضلُه الدُّنيا والآخرةَ.

* * *

---

(١) فهو عطف على الضمير المتصل في ﴿يعلمهم﴾.

(٥) ـ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾؛ أي: عُلِّموها وكُلِّفوا العملَ بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾؛ أي: لم يفعلوا ما أُمروا فيها من إظهارِ صفةِ محمَّدٍ ﷺ ونعتِه، بل غيَّروها وحرَّفُوا الكلمَ عن مواضعِها.

وقيل: ﴿حُمِّلُواْ﴾ منَ (الحَمالةِ)، وهي الكَفالةُ، لا منَ (الحملِ).

وقيل: ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾: قرؤُوها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾؛ أي: لم يعلَمُوا معانيَها.

﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾: كتبًا لا يدري ما فيها، وعليه ثِقْلُها، ولا نفعَ له فيها.

والأسفارُ: جمعُ (سِفرٍ)، وهو الكتابُ الكبيرُ.

وقيل: هو الكتابُ يُطوَى.

وقيل: لأنَّها تَكشفُ عن المعنى بإظهارِها له كما تُسفِرُ المرأةُ وجهَها.

وقيل: نَبطيَّةٌ، وهو قولُ الضَّحّاكِ[1].

المُبرِّدُ: جمعٌ لا واحدَ له[2].

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بئسَ هذا المثلُ المذكورُ مثَلُ القومِ. قال أبو عليٍّ: بئسَ مثَلُ القومِ مثَلُ الذينَ كذَّبوا بآياتِ الله، فحُذِفَ المُضافُ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محلِّ رفعٍ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١١)، وعده من العجائب، وانظر: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ٧٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١١)، واستغربه.

(٣) انظر: «الإيضاح العضدي» لأبي علي الفارسي (ص: ٨٨)، ومعنى هذا الوجه: أنَّ ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾

قال: وإنْ شئتَ جرَرْتَ، والمذمومُ محذوفٌ كما حُذِفَ الممدوحُ في قولِه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٣٠][1].

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: لا يُرشِدُهم.

* * *

(٦) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ يُريدُ قولَهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، وقولَهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١].

﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: ادعُوا على أنفسِكُم.

وقيل: تمنَّوها[2] بقلوبِكم؛ فإنَّ مَن هذه حالُه فالجنةُ آثَرُ عندَه.

* * *

(٧) ـ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ في شأنِ محمَّدٍ ﷺ وكتمانِ نعتِه وتغييرِ

فاعلُ ﴿بِئْسَ﴾ والمخصوصُ بالذَّمِّ الموصولُ بعده، فَيُشْكِلُ لأنه لا بُدَّ مِنْ تصادُقِ فاعلِ «نِعْم وبِئْسَ» والمخصوصِ، وهنا المَثَلُ ليس القومَ المكذِّبين، والجواب: أنَّه على حَذْفِ مضافٍ، أي: بِئْسَ مَثَلُ القومِ مَثَلُ الذين كَذَّبوا. وهذا هو الظاهرُ المشهور في إعرابه. انظر: «الدر المصون» (١٠/ ٣٢٧).

(١) ومعنى هذا الوجه: أنَّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفةٌ لـ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ فيكونُ مجرورَ المحلِّ، والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ لِفَهْمِ المعنى، تقديره: بِئْس مَثَلُ القومِ المكذِّبين مَثَلُ هؤلاء، وهو قريبٌ من الأولِ. انظر: المصدر السابق، وثمة وجوه أخر تنظر فيه.

(٢) كذا في النسختين، فكانه أعاد الضمير على الوفاة، لأنها بمعنى الموت، ولو قال: «تمنوه» لكان أظهر، والله أعلم.

وصفِه[(١)]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سبقَ بيانُ هذه الآيةِ في سورةِ (البقرةِ).

* * *

(٨) ـ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ﴾؛ أي: تكرَهُونَه.

وقيل: تهربونَ منه.

وقيل: لا تلتفِتُونَ إليه. والأوَّلُ أظهرُ؛ لأنَّ الفِرارَ منه لا يُمكِنُ.

﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾: يحلُّ بكم ويأتيكم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالموتِ ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ لا يخفَى عليه خافيةٌ.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ يُخبِرُكم ويُجازيكم عليه، والفاءُ دخلَ خبرَ المبتدأ؛ لأنَّ المبتدأ وإنْ لم يكُنْ موصولًا فهو موصوفٌ بموصولٍ، والصِّفةُ والموصوفُ شيءٌ واحدٌ.

الأخفشُ: الفاءُ زيادةٌ[(٢)].

وفي حرفِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (إنَّ الموتَ الذي تفِرُّونَ منه مُلاقيكم)[(٣)].

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قولِه: ﴿تَفِرُّونَ مِنۡهُ﴾، ثمَّ قال: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾

---

(١) في (ف): «صفته».

(٢) انظر: «الحجة» للفارسي (١/ ٤٣ و٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٢)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٦)، و«البسيط» للواحدي (٢١/ ٤٥١).

علـى تقديـرِ: فِـرُّوا أو لا تفِرُّوا فإنَّـه مُلاقيكـم[١]، وفيه بُعدٌ.

وقال صاحبُ «النَّظمِ»: دخلتِ الفاءُ لأنَّه جوابٌ لقولِه: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[٢]، والقولُ هو الأوَّلُ، وهو مذهبُ أبي عليٍّ[٣].

***

(٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ المُرادُ به الأذانُ لصلاةِ الجمعةِ، وسُمِّيت الجمعةُ جمعةً لاجتماعِ النّاس فيها[٤] للصَّلاةِ، وكانت العربُ تُسمِّيه: العَروبة.

وقيل: أوَّلُ مَن سمَّاه يومَ الجمعةِ كعبُ بنُ لؤيِّ بنِ غالبٍ[٥]؛ لاجتماعِ النَّاسِ فيه إلى كعبٍ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «إنَّما سُمِّيَ يومَ الجمعةِ لأنَّه جُمِعَ فيه طينةُ آدمَ عليه السَّلامُ»[٦].

---

(١) ومعنى هذا القول: أن ﴿ٱلَّذِى تَفِرُّونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ والفاء لعطف جملة على جملة مقدرة من معنى ﴿تَفِرُّونَ﴾. هكذا ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٢)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٢)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (١/ ٤٣ و٤٩).

(٤) في (ن): «فيه».

(٥) انظر: «أدب الكاتب» للصولي (ص: ٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٢٦/ ٣٩٣)، و«النكت والعيون» للماوردي (٦/ ٩).

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٨١٠٢)، والحارث في «مسنده» (١٩٤)، من طريق فرج بن فضالة عن علي بن أبي طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. قال ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٤١٨): «فرج بن فضالة ضعيف وعلي لم يسمع من أبي هريرة».

ويجوزُ تسكينُ الميمِ في الشَّاذِّ(١).

﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: امشُوا على القَدَمِ.

وقيل: اقصِدوا.

وقيل: امضُوا مُسرِعينَ غيرَ مُتثاقِلينَ.

وقيل: فاسعَوا بالنِّيَّةِ في القلوبِ والإرادةِ والخشوعِ.

وقيل: أجيبُوا.

وقيل: السَّعيُ: قصُّ الشَّاربِ، ونتفُ الإبطِ، وتقليمُ الأظفارِ، والغُسلُ، والتَّطييبُ للجمعةِ، ولُبسُ أفضلِ الثِّيابِ(٢).

وكان عمرُ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهما يقرآنِ: (فامضُوا)(٣).

وقال عبدُ الله: لو كانَ (فاسعَوا) لعَدَوْتُ واشتَدَدْتُ حتَى يسقُطَ ردائي(٤).

وقرأ رجلٌ عندَ عمرَ رضي الله عنه، فقالَ: مَن أقرأكَ هذا؟ قال: أُبيٌّ، فقال: كانَ أُبيٌّ أقرأَنا للمنسوخِ(٥).

---

(١) كذا في النسختين، ولعل فيه سقطاً، ولعل أصل العبارة: «ويجوز تسكين الميم، وقرئ به في الشاذ»، والقراءة نسبت للأعمش كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٢)، واستغربه.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٢)، وعده من العجائب.

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٥٣٤٩)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣١٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٥٥٨)، والقاضي إسماعيل في «أحكام القرآن» (٣٠٥) و(٣٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٣٩ و٦٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٩٥٣٩).

(٥) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣١٤)، والقاضي إسماعيل في «أحكام القرآن» (٣٠٤).

قال القاضي إسماعيل: «قد كانوا قبل أن يُجمِع الناس على مصحف واحد يختلف بعض القارئين =

قولُه: ﴿مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ قيل: ﴿مِن﴾ زيادةٌ؛ أي: نُودِيَ يومَ الجمعةِ.

وقيل: هو بمعنى: في؛ أي: نُودِيَ للصَّلاةِ في يومِ الجمعةِ.

وقيل: هو للتَّبعيضِ على أصلِه؛ لأنَّ النِّداءَ يكونُ في وقتٍ منَ الجمعةِ.

قولُه: ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الجمهورُ على أنَّه الخُطبةُ.

وقيل: الصَّلاةُ.

السُّدِّيُّ: إلى الوقتِ(١).

﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ أرادَ: البيعَ والشِّراءَ، فاكتَفَى بأحدِهما لأنَّه لا يتأتَّى إلا به.

وقيل: لأنَّ البائعَ والمُشتريَ يقعُ عليهما البيِّعانِ.

وعند الفُقهاءِ: البيعُ يصِحُّ وإنْ كانَ مُحرَّمًا(٢).

الضَّحَّاكُ: إذا زالتِ الشَّمسُ حرُمَ البيعُ والشِّراءُ(٣).

= في هذا وفيما أشبه غير أن المعاني تتقارب، وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم: أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فوسع على الناس في اختلافهم بعض الألفاظ إذا تقاربت المعاني، فلما أجمع الناس على مصحف واحد كانت القراءة على ذلك اللفظ، وإنما المنكَر في رواية مَن روى أن عمر أنكر على أبيٍّ قراءته ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ وأنه قال: أبيٌّ أقرؤنا للمنسوخ، وهذا موضع ليس فيه ناسخ ولا منسوخ، وما يؤيد تضعيفه ما رويناه عن أبي العالية أن أبيًّا كان يقرؤها: (فامضوا الى ذكر الله)».

وقال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٢٤٨): «وهو كله تفسير منهم، لا قراءة قرآن منزل، وجائز قراءة القرآن بالتفسير في معرض التفسير».

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٩).

(٢) هذا مذهب الشافعية والحنفية، ويرى الإمام مالك فسخ البيع، أما الحنابلة فيرون أنه لا ينعقد أصلاً. انظر: «مختصر اختلاف العلماء» للطحاوي (٣/ ٦٢)، و«المحلى» لابن حزم (٣/ ٢٩٠)، «الفقه على المذاهب الأربعة» للجزري (١/ ٣٤٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢١٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٢)، والطحاوي في «أحكام القرآن» (١/ ١٥١).

الحسنُ: كلُّ بيعٍ تفوتُ معه الصَّلاةُ فهو محرَّمٌ، ويَحرُمُ البيعُ حالَ أذانِ الخُطبةِ دونَ ما تقدَّمَ[١].

﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾؛ أي: السَّعيُ إلى ذكرِ الله خيرٌ منَ البيعِ والشِّراءِ.

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ فلا تُؤْثِرُوا الشِّراءَ على الخيرِ.

وقيل: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: مُؤمنين، وكذلك جميعُ ما جاء في القرآنِ.

* * *

(١٠) - ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾: أُدِّيَتْ؛ أي: أدَّيتُم وفرَغْتُم.

﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ هذا إطلاقٌ للحظرِ المُتقدِّمِ ذِكرُه، وكلُّ أمرٍ وقعَ بعد حظرٍ فهو للإباحةِ.

وفضلُ الله: الرِّزقُ في البيعِ والشِّراءِ[٢].

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ قال: «ليس بطلبَ دُنيا[٣]، لكنْ من عيادةٍ، وحضورِ جنازةٍ، وزيارةِ أخٍ في الله»[٤].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٥٧) عن الحسن بلفظ: «إذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل البيع والشراء»، وذكر السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٨) عن الحسن نحو قول الضحاك المتقدم.

(٢) في (ن): «والشرى».

(٣) في (ن): «ليس هو من طلب الدنيا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٢٧)، وفيه أبو عامر الصائغ، متهم بالوضع. انظر: «ديوان الضعفاء» للذهبي (: ٤٦٢).

وفي بعضِ التَّفاسير: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ المسجدِ[١].

الحسنُ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: هو طلبُ العلمِ[٢].

وقيل: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يومَ السَّبتِ، وحرَّمَ بعضُهم المكاسبَ يومَ الجمعةِ، وأوَّلُوا قولَه: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ على إباحةِ السَّفرِ أو الغزوِ بعد الصَّلاةِ لا غير.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: اشكرُوه على ما وفَّقَكُم لطاعتِه وأداءِ فرائضِه.

وقيل: واذكرُوه في تجاراتِكم وأسواقِكم.

وقيل: واذكروا الله في الصَّلاةِ.

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكي تَسعَدُوا وتبقَوا في الجنَّةِ.

* * *

(١١) - ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ في سببِ النُّزولِ: في «الصَّحيحَينِ» عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه قال: كنَّا معَ رسولِ الله ﷺ في الجمعةِ، فمرَّتْ عِيرٌ تحملُ الطَّعامَ، فخرجَ النَّاسُ إلا اثني عشرَ رجلًا، فنزلَتْ: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٣)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٢٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٨٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٣)، واستغربه.

(٣) رواه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣).

وذلك أنَّ أهلَ المدينةِ أصابَهم جوعٌ وغلاءُ سعرٍ، فقدِمَ دِحيةُ بنُ خليفةَ الكلبيُّ بتجارةٍ منَ الشَّامِ، وضُرِبَ طبلٌ ليعلمَ النّاسُ بقُدومِه[1]، ورسولُ الله ﷺ يخطُبُ يومَ الجمعةِ، فخرجَ إليه النَّاسُ، ولـم يبقَ في المسجدِ إلّا اثنَي عشرَ رجلًا، فيهم أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما، فنزلَتْ هذه الآيةُ، فقال ﷺ: «لو تتابعتُم حتَّى لا يبقى أحدٌ منكم لسالَ بكم الوادي نارًا»[2].

وقيل: بقيَ اثنا عشرَ رجلًا وامرأةً[3].

وقيل: بقيَ ثمانيةُ رجالٍ.

وقيل: اللَّهوُ في الآيةِ: المزاميرُ.

وقيل: الغِناءُ.

قولُه: ﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾؛ أي: تفرَّقُوا عن الخطبةِ.

وقيل: ذهبُوا.

﴿إِلَيۡهَا﴾ إلى التِّجارةِ.

وقيل: إليهما، فأجرَى التَّثنيةَ مُجرَى الجمعِ.

وقيل: إذا رأوا تجارةً انفَضُّوا إليها، أو لهوًا انفَضُّوا إليه، فاقتصرَ على ذكرِ أحدِهما[4].

---

(١) في (ف) زيادة: «﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٣٠) عن الحسن وأبي مالك، وعزاه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٩) للمفسرين.

(٣) كذا ضُبطت في (ف)، والأظهر أن تكون بالضم؛ لتكون (امرأة) على (اثنا)، وليس على (رجلاً)؛ فقد ثبت أنه بقي معه ﷺ اثنا عشر رجلاً، كما في «صحيح مسلم» (٨٦٣)، ويكون ذكر المرأة زيادة على ما ثبت في مسلم، وقد ذكرها مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٣٢٨).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٣)، واستغربه.

وقيل: كان قصدُهم إلى التِّجارةِ دونَ اللَّهوِ، مـمَّا كانوا فيه منَ الجهدِ.

وقيل: انفَضَّ الشُّيوخُ للتِّجارةِ، والشَّبابُ للَّهوِ.

وقيل: انفَضُّوا مرّةً لهذه، ومرّةً لهذا، وهذا أولى لقولِه:

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ أي: على المنبرِ قائمًا تخطُبُ.

وأوَّلُ مَن استراحَ على المنبرِ عثمانُ رضي الله عنه؛ فإنَّه جلسَ ولـم يتكلَّمْ، ثمَّ عادَ قائمًا(١).

وأوَّلُ مَن خطَبَ جالسًا مُعاويةُ(٢).

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ منَ الثَّوابِ ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾.

وقيل: ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ منَ الرِّزقِ ﴿خَيْرٌ﴾(٣).

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ أي: لـم يكُـنْ يفوتُكـم الـرِّزقُ لـو أقمتُـم؛ لأنَّ الله خيـرُ الرّازِقيـنَ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالَمين(٤).

* * *

---

(١) رواه سعيد بن منصور عن الحسن كما في «فتح الباري» (٢/ ٤٠١)، واشتهر في الكتب أنه أرتج عليه، قال الزيلعي في «نصب الراية» (٢/ ١٩٧): «غريب واشتهر في الكتب». وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٢١٦): «هو شيءٌ يذكره صاحبُ «العِقد» وغيره مِمَّن يَذكرُ طُرفَ الفوائد، ولكنْ لمْ أَرَ هذا بإسنادٍ تسكنُ النفسُ إليه».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧٣٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥٢٠)، والعسكري في «الأوائل» (ص: ٢٤٠)، عن الشعبي.

(٣) «﴿خَيْرٌ﴾» من (ف).

(٤) «والحمد لله رب العالمين» من (ف).

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

إحدى عشرةَ آيةً[1]، مدنيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن زيدِ بنِ أرقمَ رضي الله عنه قالَ: غزَوْنا مع رسولِ الله ﷺ ومعنا ناسٌ منَ الأعرابِ، وكنَّا نبتدِرُ الماءَ، وكان الأعرابُ يسبِقونَنا، فيسبقُ الأعرابيُّ أصحابَه فيملأُ الحوضَ، ويجعلُ حولَه حجارةً، ويجعلُ النِّطَعَ عليه، حتَّى يجيءَ أصحابُه.

فأتى رجلٌ منَ الأنصارِ فأرخَى زمامَ ناقتِه لتشربَ، فأبى أن يدَعَه الأعرابيُّ، فانتزَعَ حجرًا ففاضَ الماءُ، فرفعَ الأعرابيُّ خشبةً فضربَ بها رأسَ الأنصاريِّ فشجَّه، فأتى الأنصاريُّ عبدَ الله بنَ أُبيٍّ رأسَ المُنافقين فأخبرَه، وكانَ من أصحابِه، فغضِبَ عبدُ الله بنُ أبيٍّ، ثمَّ قال: لا تُنفِقُوا على مَن عندَ رسولِ الله حتَّى ينفَضُّوا من حولِه؛ يعني: الأعرابَ.

وفي روايةٍ أخرى قال: والله ما مثَلُنا ومثَلُهم إلّا كما قيل: سمِّنْ كلبَكَ

---

(١) «إحدى عشرة آية»: ليس في (ف).

يأكُلْكَ، ثمَّ قال لأصحابِه: إذا رجعتُم إلى المدينةِ فليُخْرِجِ الأعزُّ منها الأذَلَّ.

قال زيدُ بنُ أرقمَ: وأنا رِدْفُ عمِّي، فسمِعْتُ عبدَ الله يقولُ ذلك، فأخبَرْتُ عمِّي، فانطلَقَ فأخبرَ رسولَ الله ﷺ، فأرسلَ إليه رسولُ الله فحلَفَ وجحَدَ، فصدَّقَه رسولُ الله ﷺ وكذَّبَني، فجاء إليَّ عمِّي فقال: ما أردْتَ إلا أنْ مقَتَكَ رسولُ الله وكذَّبَكَ المسلمون، فوقعَ عليَّ منَ الغمِّ ما لم يقَعْ على أحدٍ قطُّ، فبينا أنا أسيرُ مع رسولِ الله ﷺ إذ أتاني فعَرَكَ[1] أُذني وضحِكَ في وجهي، فما كانَ يسرُّني أنَّ لي بها الدُّنيا، فلما أصبَحْنا قرأ رسولُ الله سورةَ (المُنافقينَ): ﴿إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، حتَّى إذا بلغَ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾، حتَّى بلغَ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[2].

وذُكِرَ أنَّ الماءَ الذي نزلُوا عليه يُقالُ له: المُرَيسيعُ[3].

﴿إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ إذا حضرُوكَ شهِدُوا شهادةً مُؤكَّدةً بأنَّكَ رسولُ الله.

وقيل: معنى ﴿نَشْهَدُ﴾: نحلفُ، ولهذا وقعَ بعدَه (إنَّ) واللَّامُ.

وقيل: معنى ﴿نَشْهَدُ﴾: نعلمُ.

---

(١) في (ن): «ففرك».

(٢) رواه الترمذي (٣٣١٣)، وقال: «هذا حديث حسن»، والرواية المعترضة التي ذكرها المصنف من قول ابن أبي: «سمن كلبك يأكلك....» رواها عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٢٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٦٤) عن قتادة، وانظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٤١٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٩١). وأصل الحديث رواه البخاري (٤٩٠١)، ومسلم (٢٧٧٢) مختصرًا.

(٣) ورد ذكر ذلك في خبر رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٦٧) عن محمد بن يحيى بن حبان.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ لأنَّـه أرسـلَكَ إلـى الخلـقِ، وهذا اعتـراضٌ، وهو من كلامِ الله سـبحانَه فيـه تعظيـمٌ لنبيِّه عليه السَّـلامُ.

﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ قيل: يحلفُ. وقيل: يعلمُ.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ في قولِـهم: ﴿نَشۡهَدُ﴾ لأنَّهم لا يشهَدُون إذا خلَوا، بل يقولونَ: إنَّما نحنُ مُستهزِئون، وهذا كما يقولُ الرَّجلُ: أنا أقرأُ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، أو أكتبُ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، أو سمعتُ «زيدًا يذهبُ»، فتقولُ له: كذَبْتَ؛ أي: لا تقرأُ ولا تكتبُ ولا تسمعُ، ولا يكونُ ذلك مصروفًا إلى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، ولا إلى ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولا إلى قولِه: «زيدٌ يذهبُ».

وليس هذا كما زعمَ بعضُهم: أنَّ الكذبَ مصروفٌ إلى قولِه سبحانَه: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، وأنَّهم قالوا غيرَ ما في ضميرِهم؛ لأنَّ التَّصديقَ والتَّكذيبَ والصِّدقَ والكذبَ يُحمَلانِ على الخبرِ لا غير، والخبر هاهنا ﴿نَشۡهَدُ﴾، وقد كَذَبوا؛ فإنَّهم لا يشهدونَ إذا خلَوا إلى شياطينِهم.

وقيل ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ بمعنى: مُكذِّبونَ[1].

***

(٢) ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾؛ أي: حلِفَهم الكاذبَ ﴿جُنَّةً﴾: وقايةً تقيهم الأذى، وسُترةً يتستَّرونَ بها منَ القتلِ، ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أعرَضُوا عن طاعةِ الله.

وقيل: صدُّوا غيرَهم عن الإيمانِ بإلقاءِ الشُّبهِ.

---

(١) في (ف): «بمعنى كذبوا والله أعلم».

وقيل: فصدُّوا اليهودَ، وكانوا يقولون لهم: نحنُ في الباطنِ[1] معكم.

وقيل: ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: عن الأحكامِ التي تجبُ فيهم منَ القتلِ والسَّبيِ لولا ما أظهَرُوه.

وقيل: تخلَّفُوا عن الجهادِ فاقتدَى بهم غيرُهم.

﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: بئسَ العملُ عملُهم حين أظهَروا خلافَ ما أضمَروا، وحلَفُوا عليه كاذِبين، وأفادَ ﴿كَانُواْ﴾ أنَّهم بهذه الصِّفةِ مذ كانُوا.

* * *

(٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الكذبُ ﴿بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ في الظَّاهرِ والقولِ[2]، ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ في السِّرِّ وبالقلبِ، ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾[3]: خُتمَ عليها حتَّى لا يدخلَها الإيمانُ جزاءً على نفاقِهم.

وقيل: وُسِمَتْ بسمةِ الكفرِ.

﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾: لا يتدبَّرونَ.

---

(١) في (ف): «الباطل».

(٢) في (ن): «بالقول».

(٣) في (ن): «فَطَبع اللهُ على قلوبهم». وقراءة: (فطَبَع) بالمبني للمعلوم قراءة شاذة وردت دون نسبة في «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٧٥)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣١٢)، ونسبها في «البحر» (١٠/ ١٨٠) لزيد بن علي. قال الزجاج: والقراءة المعروفة المجمع عليها هاهنا ﴿فَطُبِعَ﴾ على ما لم يسمَّ فاعله.

قلت: وقد قرئ أيضاً في الشاذ: (فطبع الله)، وهي في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٧) عن الأعمش، وفي «البحر» (١٠/ ١٨٠) عن الأعمش وزيد بن علي.

وقيل: لا يعرِفُونَ صِحَّةَ الإيمانِ كما يعرفُه المؤمنونَ.

* * *

(٤) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ كانَ عبدُ الله بنُ أُبيٍّ حسنَ الجسمِ، حلوَ الكلامِ، يُصغي النَّبيُّ عليه السَّلامُ إلى كلامِه[١]، وهو قولُه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾.

﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾؛ أي: لقولِهم: لا إلهَ إلا الله.

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾؛ أي: هم في قلَّةِ تفقُّههم[٢] وعدمِ عقلِهم وتدبُّرهم[٣] خُشبٌ منصوبةٌ.

وقيل: مُمالةٌ إلى الجدارِ[٤]، فهم أشباحٌ بلا ألبابٍ.

وقيل: كأنَّهم خُشبٌ نَخِرةٌ مُتأكِّلةٌ، يُعجِبُ الرَّائي ظواهرَها، وإذا وقَفَ على بواطنِها عَلِمَ أنْ لا خيرَ فيها.

المُبرِّدُ: ﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾ طِوَالٌ، تقولُ: رجلٌ مُسنَّدٌ؛ أي: طويلٌ[٥].

و(الخُشُبُ) بضمَّتَينِ: جمعُ خشَبةٍ، كثمرةٍ وثُمُرٍ، وبضمَّةٍ واحدةٍ كبدَنةٍ وبُدْنٍ[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٣٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ف): «تفهمهم».

(٣) في (ن): «وتدبيرهم».

(٤) «إلى الجدار» من (ف).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٥) دون نسبة، واستغربه.

(٦) قرأ أبو عمرو والكسائي وقنبل عن ابن كثير (خُشْبٌ)، والباقون ﴿خُشُبٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

وقيل: هو تخفيفُ كرُسْلٍ.

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ المفعولُ الأوَّلُ، و﴿عَلَيْهِمْ﴾ المفعولُ الثَّاني، وتمَّ الكلامُ. والمعنى: هم جُبَناءُ مُتَّهَمونَ فكلَّما صاحَ صائحٌ أو تكلَّمَ متكلِّمٌ ظنُّوا أنَّه قد عُرِفَ دَخيلَتُهم[1]، فيَفضَحون[2].

ثمَّ قال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ ولا تأمَنْ معرَّتَهم ومُمايلتَهم لأعدائِكَ، ولا تثِقْ بهم.

وقيل: هم لجُبنِهم إذا سمِعُوا صوتًا ظنُّوا أنَ القتلَ حلَّ بهم، وأنَّ العدوَّ قد أتاهُم وقيل: كلَّما سمعوا صوتاً ظنُّوا أنَّ النبيَّ أمرَ بقتلهم[3].

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: لعنَهم وطردَهم.

ابنُ عيسى: أحلَّهم محلَ مَن يقاتلُه عدوٌّ قاهرٌ له[4].

﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفُونَ عن الحقِّ، ويعدِلُونَ عنِ الصَّوابِ.

وقيل: يكذِبونَ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: لعبدِ الله بنِ أُبيٍّ ومَن مالَ إليه.

---

(١) في (ف): «دخلتهم».

(٢) أي: يظهر أمرهم، وقد ضبطت بفتح الياء في النسختين، فلعلها من (فَضَحَ الصبحُ) بمعنى: بدا. انظر: «المخصص» لابن سيده (٤/ ٣٥١).

(٣) «وقيل كلما سمعوا صوتاً ظنوا أنَّ النَّبيَّ أمر بقتلهم» من (ف).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦).

﴿تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ وذلك أنَّ بني أبيه[١] قالوا لعبدِ الله: نزلَتْ فيك آيٌ شديدةٌ[٢]، فَأْتِ محمَّدًا ـ عليه السَّلامُ ـ واعتذِرْ إليه يستغفِرْ لك، فجعلَ يَلْوي رأسَه؛ أي: لستُ أفعلُ ذلك[٣].

ومعنى (لَوَى رأسَه): أعرَضَ عن الشَّيءِ أَنَفَةً عنه. وقيل: حرَّكَ رأسَه.

والتَّشديدُ للتَّكرارِ، والتَّخفيفُ للعمومِ[٤].

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: يُعرِضُونَ مُتكبِّرينَ عن الاعتذارِ، وعن مسألةِ النَّبيِّ الاستغفارَ.

* * *

(٦) ـ ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾؛ أي: لن يغفِرَ الله لهم ما داموا مُصرِّينَ على النِّفاقِ.

وقيل: كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ يستغفرُ لهم، فنزلَتْ هذه الآيةُ.

وقيل: هذا بعد موتِ عبدِ الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

---

(١) في (ن): «أمية»، وبنو أمية قومه، والله أعلم.

(٢) في (ن): «شديد».

(٣) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٥٧) عن قتادة. ورواه الطبري أيضاً عن بشير بن مسلم ومجاهد.

(٤) قرأ نافع (لَوَوْا) بتخفيف الواو، والباقون بتشديدها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» (ص: ٢١١). ومعنى قوله: «التخفيف للعموم» أنه يصلح للقليل والكثير، فيدخل فيه مَن فعل الفعل مرة، ومَن أكثر من فعله. انظر: «الحجة» لأبي علي (٦/ ٢٩٣).

(٧) ـ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾: يتفرَّقُوا.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: أنَّه يرزقُ المُهاجرينَ لا هؤلاءِ، وهو يرزقُ المؤمنينَ والكافرينَ جميعًا.

ابنُ عيسى: خزائنُ الله: مَقدوراتُه التي يُخرجُ منها ما يشاءُ[١].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾.

* * *

(٨) ـ ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ﴾ عنَى به نفسَه ﴿مِنۡهَا﴾: مِنَ المدينةِ ﴿ٱلۡأَذَلَّ﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ بإعزازِ كلمتِه وإظهارِ دينِه ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بنصرِ الله إيّاهُم على مَن ناوَأَهُم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّهم لا يقدرونَ على إخراجِ الرَّسولِ.

* * *

(٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٢).

يشغَلْكم عنِ الصَّلواتِ الخمسِ، والتَّقديرُ: لا تَلْهوا بها عن ذكرِ الله، فنُسبَ الفعلُ إليها، والدَّليلُ عليه قولُه:

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: اشتغَلَ بشيءٍ من ذلك عن ذكرِ الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

والمعنى: لا تُؤثِرُوا حبَّها على ما فيه فَلاحُكم؛ فإنَّ مَن بَخَسَ نفسَه حقَّها فقد خسرَ خُسرانًا مُبينًا.

***

(١٠) ـ ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾؛ أي: اجعَلُوا المالَ فداءَ أنفسِكُم وأدُّوا الزَّكاةَ.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾؛ أي: أسبابُه، ويصيرَ إلى حالِ اليأسِ ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ﴾: هلّا ﴿أَخَّرۡتَنِيٓ﴾: أمهَلْتَني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾؛ أي: أبقِني زمانًا غيرَ طويلٍ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: أتصدَّقَ وأُزكِّيَ وأُنفِقَ مالي في طاعتِكَ كما أمرتَ.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ابنُ عبّاسٍ: أحجَّ[1].

الضحّاكُ: لا ينزلُ بأحدٍ الموتُ لم يحجَّ ولم يُؤدِّ الزَّكاةَ إلا سألَ الرَّجعةَ، وقرأ هذه الآيةَ[2].

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (١/ ٣٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٧١).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٧٨) عن الضحاك، ورواه الترمذي (٣٣١٦) من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو يجب عليه فيه زكاة، فلم يفعل، يسأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس، اتق الله، فإنما يسأل الرجعة =

قُرِئَ بالجزمِ عطفًا على محلِّ ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ وبالنَّصبِ عطفًا على اللفظِ[١]، وزيادةُ الواوِ[٢] ليس بخلافِ الإمامِ[٣]؛ فإنَّ حروفَ المدِّ واللِّين[٤] قد زِيدَتْ في مواضعَ لا حاجةَ إليها، وحُذِفَتْ في مواضعَ تخفيفًا، لو أُثبِتَتْ لجازَ.

* * *

(١١) ـ ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ عنِ الموتِ ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾: إذا انقَضَى أجلُها المكتوبُ في اللَّوحِ المحفوظِ.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قيل: معناه: لو بقَّاه لـم يتُبْ من جُرمِه.

قُرِئَ بالتَّاء حملًا على الآيةِ الأولى، وقُرِئَ بالياءِ حملًا على الثّانيةِ[٥].

* * *

= الكفار؟ فقال: سأتلو عليك بذلك قرآناً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ...﴾ الآيات».

(١) قرأ أبو عمرو: (وأكونَ) نصبًا، والباقون: ﴿وَأَكُن﴾ جزمًا. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

(٢) في (وأكون) على قراءة أبي عمرو.

(٣) في (ف): «للإمام».

(٤) «واللين» من (ف)، ونسخة مذكورة في هامش (ن).

(٥) قرأ أبو بكر بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

سُورَةُ التَّغَابُنِ

ثماني عشرةَ آيةً[1]، مدنيَّةٌ[2].

الضَّحَّاكُ: مكِّيَّةٌ[3].

الكلبيُّ: مكِّيَّةٌ إلَّا قولَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ﴾ إلى آخرِ السُّورةِ[4].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أي: التَّسبيحُ في الأزمنةِ الثَّلاثةِ من أهلِ السَّماءِ وأهلِ الأرضِ لله، وهو الملِكُ المحمودُ القديرُ على ما يُريدُ.

* * *

(٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ فيه قولانِ:

---

(١) هذا قول الجمهور، وذُكر عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة. انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٢٩١).

(٢) «ثماني عشرة آية»: ليس في (ف).

(٣) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٤٤٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٩١).

(٤) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٢٠).

أحدُهما: خلَقَكُم في بطونِ أمَّهاتِكم كفَّارًا ومؤمنين.

وجاء في التَّفاسيرِ: أنَّ يحيى بنَ زكريَّا عليهما السَّلامُ خُلِقَ في بطنِ أمِّه مُؤمنًا، وأنَّ فرعونَ خُلِقَ في بطنِ أمِّه كافرًا(١).

والثَّاني: خلقَكُم؛ فمنكم كافرٌ بأنَّ الله خلقَه، ومنكم مُؤمنٌ بأنَّ الله خلقَه.

والفاءُ يدُلُّ على المعنى الثّاني.

ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «إنَّ بني آدمَ خُلِقُوا على طبقاتٍ شتَّى؛ فمنهم مَن وُلِدَ مُؤمنًا ويموتُ مُؤمنًا، ومنهم مَن وُلِدَ كافرًا ويموتُ كافرًا، ومنهم مَن وُلِدَ مؤمنًا ويموتُ كافرًا، ومنهم مَن وُلِدَ كافرًا ويموتُ مُؤمِنًا» رواه أبو اللَّيث في «تفسيره»(٢).

الحسن: أراد فمنكم كافر ومنكم مؤمن ومنكم فاسقٌ ومنكم مُنافقٌ، فاقتصرَ على ذكر الكافرِ والمؤمنِ(٣).

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عالـمٌ بأعمالِكم فيُجازيكم عليها.

***

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٤٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٩) و(٧/ ٤٤٣) و(٨/ ٢٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٩٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٣): «وإسناده جيد».

(٢) ذكر طرفه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٥٤)، ورواه ضمن حديث طويل في «تنبيه الغافلين» (ص: ٦٠٨)، ورواه الترمذي (٢١٩١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: «حديث حسن».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٧)، واستغربه.

(٣) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ قيل: للحقِّ دونَ الباطلِ.

وقيل: بالعدلِ.

وقيل: على ما تقتَضيه الحكمةُ.

وقيل: بقولِه: كُنْ.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾؛ أي: جعَلَ صورةَ الإنسانِ أحسنَ صورِ الحيوانِ، ولم يُشارِكْ بني آدمَ في صورتِه وشكلِه غيرُهم منَ الموجوداتِ، وهذا معنى قولِه عليه السَّلامُ: «إنَّ الله خلقَ آدمَ على صورتِه فأحسَنَ صورتَه»[1]؛ أي: صورتَه التي صوَّرَه عليها.

وقيل: الهاءُ تعودُ إلى الله تعالى، وأضافَه إلى نفسِه سبحانَه إجلالًا لآدمَ عليه السَّلامُ؛ كبيتِ الله وناقةِ الله.

وقيل في قوله: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: يُريدُ: حَسَّنَه في العقلِ والحكمةِ، ولم يُرِد استِحلاءَ النَّاظرِ، فقد قيلَ: كلُّ ما كانَ على مُلائمةٍ لا تفاوُتَ فيه فهو حسَنٌ.

وقيل: الحُسْنُ هاهنا: قَبولُ الطَّبعِ؛ فإنَّ ابنَ آدمَ لو خُيِّرَ بينَ الصُّورِ ما اختارَ إلا صورتَه.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فأحسِنُوا سرائرَكم فقد أحسَنَ الله علانيتَكُم.

---

(١) رواه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله: «فأحسن صورته»، وهذه الجملة وردت في حديث آخر رواه أبو داود (٧٦٠)، والنسائي (١١٢٦)، وفيه: «وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت، وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، فأحسن صورته...».

(٤) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فارتدِعُوا عنِ المعاصي، وأقبِلُوا على الطّاعاتِ؛ فإنَّ الله يتولَّى المُجازاةَ.

* * *

(٥) ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا أهلَ مكّةَ ﴿نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ قومِ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ ﴿فَذَاقُوا﴾ الفاءُ للتَّعقيبِ؛ أي: كفَرُوا فذاقُوا ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ الوَبالُ: مصدرُ الوبيلِ، وهو الطعامُ الثَّقيلُ الذي لا يوافقُ آكلَه[1]؛ أي: ذاقُوا وَبالَ كُفرِهم في الدُّنيا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في العُقبَى.

* * *

(٦) ـ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: ذلك العذابُ ﴿بِأَنَّهُ﴾: بسببِ أنَّه، والهاءُ كنايةٌ عن الأمرِ والشَّأنِ.

﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمُعجِزاتِ والآياتِ.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا أن يكونَ الرُّسلُ من بني آدمَ، والبشرُ يقعُ على الواحِدِ والجمعِ.

﴿فَكَفَرُوا﴾ بالرُّسلِ ﴿وَتَوَلَّوا﴾: أعرَضُوا عن التَّفكُّرِ في البيِّناتِ.

﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ بما أرسلَ معهم منَ البيِّناتِ عن زيادةٍ تَدْعو إلى الرَّشادِ.

---

(١) في (ف): «أكله»، وهي غير واضحة في (ن). والصواب المثبت، والطعام الوبيل: الذي يثقل على المعدة فلا يُستمرأ. انظر: «المخصص» (١/ ٤٨٠)، و«الكشاف» (١/ ٦٧٩).

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن عبادتِهم ﴿حَمِيدٌ﴾: مُستحِقٌّ للحمدِ.

* * *

(٧) ـ ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾ المُؤرِّجُ: زعمَ بمعنى: كذَبَ بلغةِ حميرَ[1].

شُرَيحٌ: زعمَ كنايةٌ عن الكذبِ[2]؛ أي: زَعَمُوا أنَّهم لا يُبعَثون ولا يُحشَرون للحسابِ والثَّوابِ والعقابِ.

﴿قُلۡ بَلَىٰ﴾؛ أي: ليس الأمرُ كما زعمتُم ﴿وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ أكَّدَ الإخبارَ باليمينِ.

﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡ﴾: لتُخبَرُنَّ ولتُحاسَبُنَّ بعملِكم وتُجازَونَ عليه.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ البعثُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾: هيِّنٌ لا يلحقُه مشقَّةٌ.

* * *

(٨) ـ ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمَّدٍ ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا﴾ يعني: القرآنَ، فيه بيانُ كلِّ شيءٍ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

* * *

(٩) ـ ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ﴾ قيل: ظرفٌ لقولِه: ﴿لَتُبۡعَثُنَّ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٨) عن المؤرج، وذكره ابن حسنون في «لغات القرآن» (ص: ٥٠) بلا نسبة.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٩٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٧٩٦) بلفظ: «زعموا كنية الكذب»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٨)، واستغربه.

وقيل: واذكُروا يومَ يجمعُكم.

ابنُ جريرٍ: خبيرٌ بأعمالِكم يومَ يجمعُكُم[(١)]، وفيه كلامٌ.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾: لحضورِ يومِ الجمعِ ولأجْلِه، وهو يومُ القيامةِ يُجمَعُ فيه الأوَّلونَ والآخِرونَ، والملائكةُ والإنسُ والجنُّ أجمعونَ.

وقيل: يُجمَعُ فيه الثَّوابُ والعقابُ، والظّالـمُ والمظلومُ، والنَّبيُّ ومَن آمنَ به.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾: يومُ القيامةِ؛ أي: يتغابَنونَ في المنازلِ عندَ الله تعالى؛ ففريقٌ في الجنّةِ، وفريقٌ في السَّعيرِ.

وقيل: يَغبِنُ أهلُ الجنّةِ أهلَ النّارِ، ويَغبِنُ المظلومُ الظّالـمَ.

ابنُ بحرٍ: ﴿يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ منَ الغَبْنِ، وهو الإخفاءُ؛ أي: اليومُ الذي أخفاه الله، ومنه: المغابنُ، ومنه الغَبنُ للموضعِ الذي يُخفَى فيه شيءٌ[(٢)].

ابنُ عيسى: التَّغابنُ: التَّفاوُتُ في أخذِ الشَّيءِ بدونِ قيمتِه[(٣)].

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: يُصدِّقْ بوحدانيَّتِه.

﴿وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾: يُؤدِّي الفرائضَ.

﴿يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾؛ أي: يغفِرْ له.

﴿وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: النَّجاةُ التّامّةُ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٩)، وذكره العكبري في «التبيان» (٢/ ١٢٢٦)، والإشكال فيه من جهة أن الله خبير في ذلك اليوم وفي غيره؛ فتقييد (خبير) بـ(يوم يجمع) مشكل لهذا، والله أعلم.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٨)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٨)، واستغربه.

(١٠) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بالرُّسلِ وبالقُرآنِ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ مرجعُ المغبونينَ.

* * *

(١١) ـ ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿مَا أَصَابَ﴾: ما لحقَ بني آدمَ، والصَّوابُ مُشتَقٌّ منه، وهو لحوقُ المقصودِ.

﴿مِن مُّصِيبَةٍ﴾: شدّةٍ ومرضٍ وموتِ أهلٍ، أو شيءٍ يقتَضي همًّا مـمَّا يفعلُه الله.

وقيل: عامٌّ في الظُّلمِ والسَّرقةِ وما يكونُ بين العبادِ.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بعلمِه[1] وإرادتِه[2] وأمرِه.

﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ﴾: يُصدِّقْ به، ويعلَمْ أنَّ المصيبةَ منَ الله.

﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ للاسترجاعِ، ويُوفِّقْه لذلك، فيقولُ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجِعونَ.

وقيل: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ فيصبرُ على البلاءِ ويشكرُ على النَّعماءِ.

وقيل: يزِدْ قلبَه هدايةً، ويُثبِّتْه عليها.

ويحتمِلُ أنَّه على القلبِ؛ أي: ومَن يهدِ قلبَه يُؤمِنْ بالله[3]، وله في القرآنِ نظائرُ[4].

---

(١) في (ن): «بفعله».

(٢) في هامش (ن):

«مريدُ الخيرِ والشرِّ القبيـحِ ... ولكن ليس يرضى بالمِحالِ

أي: بالكفر والفسوق والعصيان والظلم».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٩)، واستغربه.

(٤) منها ما ذكر المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، و﴿بَلَغَنِيَ =

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

***

(١٢) ـ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما يأمُركم ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما يُؤدِّي عن الله وفي سنَّتِه.

وقيل: أطيعُوا الله في الرِّضا بقضائِه، وأطيعُوا الرَّسولَ فيما يأمُركم بالصَّبرِ وتركِ الجزَعِ.

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن الإيمانِ بالله ورسولِه ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾؛ أي: عليه الإبلاغُ، وقد فعلَ.

وقيل: عليه البلوغُ، وقد حصَلَ.

***

(١٣) ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

***

(١٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانَ الرَّجلُ يُسلِمُ، فإذا أرادَ أن يُهاجِرَ منعَه أهلُه وولدُه، فقالوا: انشدتُكَ[1] الله أن تذهَبَ وتدَعَ أهلَكَ وعشيرتَكَ

= ﴿ٱلۡكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠] وغيرها.

(١) في (ن): «أنشدتك»، ولا يصحُّ. انظر: «الإبانة» للعوتبي (٤/ ٤٥٠)، و«النهاية» لابن الأثير (٥/ ٥٣).

وتصيرَ إلى المدينةِ بلا أهلٍ ولا مالٍ، فمنهم مَن يرِقُّ لهم ويُقيمُ ولا يُهاجِرُ[١].

عن عكرمةَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: فلمَّا هاجَرَ[٢] هؤلاءِ ورأوا النّاسَ قد فَقِهُوا في الدِّينِ هَمُّوا أن يُعاقِبُوا أهليهم الذين منعُوهم، فأنزَلَ الله: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[٣].

وقيل: نزَلَتْ في عَوفِ بنِ مالكٍ الأشجعيِّ، شكا إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ جفاءَ أهلِه وولدِه، وهذه الآياتُ نزلَتْ بالمدينةِ[٤].

وفي قولِه: ﴿عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾ قولانِ:

أحدُهما: يحمِلانِه على البخلِ بالأموالِ عن الفرائضِ ووجوهِ البرِّ، وعلى أن يعصيَ الله في طلبِ مرضاتِهما، وهذا فعلُ العدوِّ؛ لأنَّه ينالُه من ذلك ضررٌ فوقَ كلِّ ضررٍ.

وجاء في الخبرِ: ليس عدوُّك الذي ألفَيتَه[٥] فقتلتَه، وآجرَكَ الله على قتلِه، ولكنَّ أعدَى عدوِّكَ نفسُك التي بينَ جنبَيك، وامرأتُك التي تُضاجِعُكَ على فراشِكَ، وولدُكَ الذي من صُلبِك[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦) عن الضحاك، وفي رواية الترمذي الآتية من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ».

(٢) في (ن): «هاجروا»، وكأن الواو والألف أدخلت في الخط، والأولى تركها، كما في (ف).

(٣) رواه الترمذي (٣٣١٧)، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥) عن عطاء بن يسار، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٤٥) بلا نسبة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٠٧) عن عطاء الخرساني وعطاء بن يسار.

(٥) في (ن): «ألقيته».

(٦) روى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٤٥) عن أبي مالك الأشعري مرفوعًا، ولفظه: «ليس عدوك الذي إن قتلته كان لك نوراً، وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن أعدى عدوك ولدك الذي =

والثّاني: يُريدونَ هلاكَه كما يُريدُ العدوُّ.

وقال بعضُهم: مَن منعَ منَ الأزواجِ والأولادِ عن طاعةِ الله فهو عدوٌّ يجبُ أن يُحذَرَ.

الحسنُ: يعني: الكفَّارَ منَ الأزواجِ والأولادِ(١).

قولُه: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ﴾ تكرارٌ للتَّأكيدِ، والمرادُ به واحدٌ.

وقيل: ﴿تَعۡفُواْ﴾: تترُكُوا عقابَهم، وأصلُه: المحوُ، ﴿وَتَصۡفَحُواْ﴾: تُولُّوهم صَفْحةَ أعناقِكم بالإعراضِ عن التَّوبيخِ، ﴿وَتَغۡفِرُواْ﴾: تستُروا ذُنوبَهم.

* * *

(١٥) ـ ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾.

﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾: مِحنةٌ وبليَّةٌ واختبارٌ لكم، فمَن كسبَ الحرامَ لأجلِ الأولادِ، ومنعَ مالَه عن الحقوقِ، فهو مفتونٌ بالمالِ والولدِ.

وقيل: هما فتنةٌ لأنَّه يلهو بهما عن آخرتِه، ويتوفَّرُ لأجلِهما على دُنياه، فيمنعُ حقَّ الله لأجلِهما.

وأدخَلَ ﴿مِنۡ﴾ في الأولى ولم يُدخِلْ في الثّانيةِ لأنَّ كلَّهم فتنةٌ على ما ذكرنا(٢)، فإنَّ الإنسانَ يثقُلُ عليه المُواساةُ بالمالِ بعد وُجودِ الزَّوجةِ والولدِ، ويخِفُّ عليه قبلَ

= خرج من صلبك، ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٥): «رواه الطبراني، وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف».

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦)، عن قتادة بلفظ: «ينهون عن الإسلام ويبطئون عنه وهم من الكفار فاحذروهم».

(٢) أي: وليس كلّهم عدو، وإنما بعضهم عدو، فلذلك دخلت (من) في الآية الأولى.

ذلك، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: في الآخرةِ، وذلك أعظمُ من منفعتِكم بأموالِكم وأولادِكم.

***

(١٦) ـ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ قيل: هي ناسخةٌ لقولِه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢][(١)]؛ لأنَّ استطاعةَ العبدِ دونَ حقِّ تقواه.

وقيل: بل هي تفسيرٌ[(٢)] لها؛ لأنَّ حقَّ تُقاتِه هو قَدْرُ[(٣)] الاستطاعةِ.

﴿وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ﴾ في الجهادِ.

وقيل: هو الصَّدقةُ.

وقيل: نفقةُ المُؤمنِ على نفسِه.

﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡ﴾؛ أي: قدِّموا خيرًا لأنفُسِكم.

وقيل: إنفاقًا خيرًا لأنفُسِكم.

الكسائيُّ: يكُنْ[(٤)] خيرًا لأنفُسِكم[(٥)].

---

(١) ذكره قتادة في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٨)، ورواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣١٧).

(٢) في (ن): «مفسرة».

(٣) في (ن): «قدرة».

(٤) في (ن) زيادة مستدركة على الهامش: «إن تنفقوا يكن»، ورغم أن عليها علامة تصحيح لكننا أثبتنا ما في (ف)؛ لأنه موافق لما في «غرائب التفسير» وعامة المصادر. وانظر: «غاية الأماني» للكوراني (ص: ١٧٦).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٩)، واستغربه، وكذا ذكره النسفي في «تفسيره» =

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: بُخلَها وحِرْصَها، وقد سبقَ(1) ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ على نيّةٍ وإخلاصٍ ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ يقبلُ القليلَ ويُعطي الجزيلَ ﴿حَلِيمٌ﴾ عنِ البخيلِ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

* * *

= (٣/ ٤٩٤). والمشهور أن هذا قول أبي عبيدة وأن الذي قبله هو قول الكسائي والفراء وقد ذكر الفراء نحوه في «معاني القرآن» (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) بلا نسبة، وردَّه، وانظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٤٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٩٤)، و«إعراب مشكل القرآن» لمكي وفي «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٤٦): «﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ (خيرًا) نصب بفعل مضمر عند سيبويه، دل عليه ﴿وَأَنفِقُوا۟﴾، كأنه قال: ايتوا في الإنفاق خيرًا لأنفسكم، أو قدموا خيرًا لأنفسكم من أموالكم. وهو عند الكسائي والفراء نعت لمصدر محذوف؛ أي: أنفقوا إنفاقًا خيرًا لأنفسكم. وهو عند أبي عبيدة خبر (كان) مضمرة؛ أي: يكن خيرًا لكم. ومن جعل الخير المال فهو منصوب بـ(أنفقوا)».

(١) «وقد سبق»: ليس في (ف). وقد سبق عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] قوله: «والشُّحُّ: الغايةُ في البُخل».

سُورَةُ الطَّلَاقِ

وتُسمَّى: سورةَ النِّساءِ القُصرَى[1].

اثنتا عشرةَ آيةً[2]، مدنيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ في سببِ النُّزولِ: رَوى قتادةُ عن أنسٍ قال: طلَّقَ رسولُ الله ﷺ حفصةَ، فأنزَلَ الله تعالى هذه الآيةَ، وقيلَ له: راجِعْها؛ فإنَّها صوَّامةٌ قوَّامةٌ، وهي إحدى أزواجِكَ ونسائِكَ في الجنّةِ[3].

---

(١) ورد ذلك في عدة أخبار، منها ما رواه البخاري (٤٩١٠) عن عبد الله بن مسعود قال: «أتجعلون عليها التغليظ، ولا تجعلون عليها الرخصة؟ لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢١)، واستغربه.

(٢) «اثنتا عشرة آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٤٩)، وفيه: «وهي إحدى عشرة آية في البَصري واثنتا عشرة في عدد الباقين».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٢٣)، ورجح الدارقطني إرساله عن قتادة في «العلل» (١٢/ ١٤٧). =

السُّدِّيُّ: نزَلَتْ في عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما[١].

وذلك أنَّه طلَّقَ امرأتَه حائضًا، فأمرَه رسولُ الله ﷺ أن يُراجِعَها ويُمسِكَها حتَّى تطهُرَ ثمَّ تحيضَ حيضةً أُخرى، فإذا طهُرَتْ طلَّقَها إنْ شاءَ[٢] قبل أن يُجامِعَها؛ فإنَّها العدَّةَ التي أمرَ الله تعالى بها، وهذا في «الصَّحيحَينِ»[٣].

مقاتلُ بنُ حيّانَ: نزلَتْ في عبدِ الله بنِ عمرٍو بنِ العاصِ[٤].

النَّقَّاشُ: نزلَتْ في عبدِ الرَّحمنِ بنِ الخطَّابِ، وعُتبةَ بنِ عمرٍو المازنيِّ[٥].

والوجهُ هما الأوَّلانِ.

= ورواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٦١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٥٤)، من طريق ثابت عن أنس، وليس فيه ذكر نزول الآية، وفي إسناده الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف.

ورواه البزار في «مسنده» (١٤٠١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٨٨) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، وفيه أيضاً الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف كما ذكرنا.

وقال ابن كثير في «تفسيره» أول سورة (الطلاق): «وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها».

(١) ذكره عنه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٣٥).

(٢) في (ن): «شئت قبل أن تجامعها فإن».

(٣) رواه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٩)، وفي «البسيط» للواحدي (٢١/ ٤٩٣): «وذكر المقاتلان: أن رجالًا فعلوا مثل ما فعل ابن عمر، منهم عبد الله بن عمرو، وعمرو بن سعيد بن العاص، وعتبة بن غزوان، فنزلت الآية فيهم».

(٥) لم أقف على من ذكر أنها نزلت في عبد الرحمن بن الخطاب، ولم أقف في الصحابة على عبد الرحمن بن الخطاب. أما عتبة بن عمرو فقد ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٣٦٣)، وجاء في «البسيط» (٢١/ ٤٩٣): عتبة بن غزوان، كما تقدم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ إذا خاطبَه في خاصَّةِ نفسِه، أو في شيءٍ يُريدُ أن يَتْبعَه عليه المؤمنونَ خاطبَه بالنُّبوَّةِ، فإذا خاطبَه خطابًا عامًّا خاطبَه بالرِّسالةِ.

وفي قولِه: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ بلفظِ الجمعِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه جاءَ بلفظِ الجمعِ تعظيمًا له، كما تُخاطَبُ الملوكُ بلفظِ الجمعِ.

والثّاني: أنَّه خطابٌ له، والمُرادُ به أمَّتُه.

والثّالثُ: أنَّ التَّقديرَ: يا أيُّها النَّبيُّ والمُؤمنونَ إذا طلَّقتُم، فحُذِفَ لأنَّ الحكمَ يدلُّ عليه[1].

والرّابعُ: يا أيُّها النَّبيُّ قُلْ للمُؤمنين إذا طلَّقتُم[2].

أي: إذا أرَدْتُم طلاقَهُنَّ، والطَّلاقُ: حلُّ عُقدةِ النِّكاحِ.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: في حالِ طهرِهنَّ، من غيرِ أن تكونوا جامَعْتُموهُنَّ منذ طهُرْنَ تطليقةً واحدةً، وهو طلاقُ السُّنَّةِ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه إذا طلَّقَها طاهرًا من غيرِ جماعٍ فهو مُطلِّقٌ للسُّنَّةِ طلَّق[3] واحدةً أو اثنتَين أو ثلاثًا، وهذا القولُ يُذهِبُ فائدةَ قولِه: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾.

فإنْ طلَّقَها في حيضٍ أو طُهرٍ جامعَها فيه يقعُ الطَّلاقُ لغيرِ السُّنَّةِ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه إذا طلَّقها ثلاثًا تقعُ واحدةً[4].

---

(١) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢١)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢١)، واستغربه.

(٣) في (ن): «طلقة».

(٤) قال بهذا القول عدد من العلماء منهم عطاء وطاوس وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وعمرو بن دينار وغيرهم. انظر: «المغني» (٧/ ٣٧٠).

وذهبَ بعضُهم إلى أَنَّها لا تقعُ(١) أصلًا؛ لأَنَّها ليست كما أمرَ الله.

وهذانِ القولانِ مذهبا الشِّيعةِ، وهو خلافٌ للمسلمينَ(٢)؛ لأنَّ النَّهيَ لا يُوجِبُ فسادَ المنهيِّ عنه(٣)، بل يُوجِبُ العصيانَ.

وكذلك إذا راجعَها ضرارًا فالنِّكاحُ صحيحٌ، والرَّجلُ عاصٍ.

قولُه: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: لوقتٍ يقدِرْنَ على أن يعتَدِدْنَ عقيبَ الطَّلاقِ، وذلك حالةَ الطُّهرِ بلا خلافٍ.

وقيل: المُرادُ بالعِدَّةِ عَدَدُ الطَّلاقِ(٤)؛ أي: إذا طلَّقتُموهُنَّ فطلِّقوهُنَّ لمعرفتِكم عَددَ الطَّلاقِ.

وقيل: هي إشارةٌ إلى العِدَّةِ المُبيَّنةِ في قولِه: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

ويحتمِلُ أنَّ اللّامَ لامُ التَّاريخِ(٥)، كما تقولُ: كتبتُ لثلاثٍ بقينَ، وخمسٍ بقينَ.

وفي الشَّواذِّ: (فطلِّقوهنَّ لِقُبُلِ عدَّتهنَّ)(٦)؛ أي: طاهرًا من غيرِ جماعٍ.

---

(١) في (ف): «أنه لا يقع».

(٢) تقدم ذكر الخلاف في إيقاع الثلاث واحدة ومن قال بهذا المذهب من أهل السنة، ففي قول المصنف: «وهو خلاف للمسلمين» نظر.

(٣) هذه مسألة خلاف ينظر فيها: «الفصول» للجصاص (٢/ ١٩١)، و«العدة» لأبي يعلى (٢/ ٤٣٤)، و«قواطع الأدلة» للسمعاني (١/ ١٤٠)، و«المستصفى» للغزالي (ص: ٢٢١)، و«البحر المحيط» للزركشي (٣/ ٣٨٠)، وللعلائي رسالة سماها «تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد» فلتنظر.

(٤) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢١)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢١)، واستغربه.

(٦) رواها بهذا اللفظ الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٨٧) عن ابن عمر رضي الله عنه.

ورواها مسلم (١٤٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ بلفظ: (في قُبُل عدتهن).

قال النووي في «شرح مسلم» (١٠/ ٦٩): وهي شاذةٌ لا تَثْبُتُ قرآنًا بالإجماع، ولا يكونُ لها حكمُ =

﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾: عَدَدَ الحيضِ للمُراجعةِ إنْ أردتُم ذلك.

وقيل: عَدَدَ الطَّلاقِ.

والعِدَّةُ والعَدَدُ واحدٌ، كقولِه[1] تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ [التوبة: ٣٦].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾؛ أي: المواضعِ التي كُنَّ يسكُنَّ فيها؛ أي: أمسِكُوا المُطلَّقاتِ في بُيوتِكُم إلى أن تنقضيَ عدَّتُهنَّ.

وأضافَ البيوتَ إليهنَّ لاستِحقاقِهنَّ السُّكنَى فيها بعدَ الطَّلاقِ إلى انقضاءِ العِدَّةِ، ولأنَّهنَّ كنَّ يسكُنَّ فيها، وليست بإضافةِ مِلْكٍ.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ نهاهُنَّ عن الخروجِ باختيارِ أنفُسِهنَّ قبلَ انقضاءِ العِدَّةِ[2].

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ الاستثناءُ عندَ الجمهورِ مِنَ الجملةِ الأولى، والتَّقديرُ: لا تُخرِجُوهُنَّ إلا أن يأتينَ بفاحشةٍ، وهي الزِّنى عندَ أكثرِهم.

وقيل: كلُّ معصيةٍ فيها حدُّ الله كالزِّنى والسَّرقةِ، تُخْرَجُ لإقامةِ الحدِّ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الفاحشةُ: البَذاءُ[3].

قتادةُ: النُّشوزُ[4].

= خبر الواحد عندنا وعند محقِّقي الأصوليين.

(١) في (ف): «لقوله».

(٢) في (ف): «عدتهن».

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١٠٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤)، بلفظ: «﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ﴾: هُوَ أَنْ تَبْذُوَ عَلَى أَهْلِهِ».

وذكر أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن عائشة رضي الله عنها والأسود وسعيد بن المسيِّب في رواية وابن عبَّاس: هي أن تبذو على أحمائها، فتُخرج إلى موضع آخر.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٤١)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٣٤).

وقيل: الاستثناءُ منقطعٌ؛ أي: إلَّا أنْ تَفْحَش فتخرجَ، والمعنى: مَن خرجَتْ فقد أَتَتْ بفاحشةٍ(١).

السُّدِّيُّ: الفاحشةُ نفسُ الخروجِ(٢).

ويحتمِلُ على هذَينِ القولَين أن يُجعلَ الاستثناءُ من الجملةِ الثّانيةِ.

ويحتملُ أيضًا أن يكونَ قولُه: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ نفيًا لا نهيًا(٣).

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأحكامُ المذكورةُ.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾: استَحقَّ عقابَ الله.

وقيل: منعَ نفسَه ما كانَ اللهُ جعلَه له، وهي المُراجعةُ.

﴿لَا تَدْرِى﴾؛ أي: النَّفسُ.

وقيل: أنتَ يا أيُّها النَّبيُّ، أو: أنتَ أيُّها المُطلِّقُ.

﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾؛ أي: يُحدِثُ في العِدَّةِ بعدَ الطَّلاقِ رغبةً في المُطلَّقةِ.

وقيل: بعد نُفورِ قلبِه عنها ميلًا إليها.

وقيل: ﴿أَمْرًا﴾: رجعةً في العِدّةِ(٤)، أو نكاحًا جديدًا بعد البينونةِ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢٢)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥).

(٣) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢٢)، وعده من العجائب.

(٤) «بعد الطلاق رغبة في المطلقة وقيل بعد نفور قلبه عنها ميلاً إليها وقيل أمرا رجعة في العدة»: ليس في (ف).

(٢) ـ ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾: أي: قارَبْنَ القُرْءَ الثّالثَ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: راجِعُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: منَ النَّفقةِ والكِسوةِ وحُسنِ العِشرةِ.

وقيل: معنى ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: غيرَ مُضارٍّ.

﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾: قيل: بإيفاءِ الصَّداقِ والمُتعةِ.

وقيل: بتركِها حتَّى تَبينَ بانقضاءِ العِدَّةِ.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: على الرَّجعةِ[١].

وقيل: ندبٌ، كقولِه: ﴿وَأَشْهِدُوٓا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [هود: ٥٤].

وقيل: على الطَّلاقِ.

وقيل: إنْ لم يُشهِدوا فالطَّلاقُ غيرُ واقعٍ، وليس هذا مذهبَ الفُقهاءِ[٢].

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾؛ أي: إقامتُها واجبةٌ عندَ الحاجةِ إليها.

﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قيل: (ذلك) يعودُ إلى جميعِ ما في الآيةِ.

وقيل: يعودُ إلى إقامةِ الشَّهادةِ، كقولِه: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤١) وفيه: «عند الطلاق وعند المراجعة»، وكذا ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٩٧).

(٢) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢٢) وعده من العجائب.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا﴾؛ أي: يتَّـقِ الله فـي طـلاقِ السُّـنَّةِ ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا﴾ بالمُراجعـةِ.

وقيل: هو عامٌّ؛ أي: مَن يتَّقِ الله يجعَلْ له مخرجًا منَ الحرامِ إلى الحلالِ، ومنَ العقابِ إلى الثَّوابِ، ومنَ الجحيمِ إلى النَّعيمِ.

الحسنُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فيما أمرَه به ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا﴾ عمَّا نهاه عنه[1].

وقيل: مَن فارَقَ امرأتَه غيرَ مُضارٍّ بها رزَقَه الله غيرَها وألهمَه الصَّبرَ عنها.

* * *

(٣) ـ ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾.

﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾: يأتيه ما يحتاجُ إليه من حيثُ لا يرجوه ولا يتأمَّلُ.

وقيل: هو البركةُ في الرِّزقِ.

وقيل: هذا في الآخرةِ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «إنِّي لَأعرِفُ آيةً لو أخذَ النّاسُ بها لكفَتْهُم[2]: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا﴾»، يقولُـها ويُعيدُها[3].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٦٢)، وابن قيم الجوزية في «مدارج السالكين» (١/ ٤٦٨).

(٢) في (ف): «كفتهم».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٥٥١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٣٩)، وابن ماجه (٤٢٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨١٩) وصححه، من طريق أبي السليل عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ. وأبو السليل ـ وهو ضُريب بن نُقَير ـ لم يدرك أبا ذر.

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّ المشركينَ أَسَروا ابنًا لعوفِ بنِ مالكٍ الأشجعيِّ، فأتى رسولَ الله ﷺ وشكا إليه الفاقةَ، وقال: إنَّ العدوَّ أسرَ ابني وجزِعَتِ الأمُّ، فما تأمُرُني؟ فقالَ النَّبيُّ(١) ﷺ: «اتَّقِ الله واصبِرْ، وآمُرُكَ وإيّاها أن تستكثِرُوا من قولِ: لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله»، فعادَ إلى بيتِه وقالَ لامرأتِه: إنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَني وإيّاكِ أن نستكثِرَ من قولِ: «لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله» فقالت: نِعْمَ ما أَمَرَنا به، فجَعَلا يقولانِ، فغَفَلَ العدوُّ عن ابنِه فساقَ غنمَهُم، وجاءَ بها إلى أبيه، وهو أربعةُ آلافِ شاةٍ، فنزلَتْ هذه الآيةُ(٢).

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: يَكِلْ أمرَه إليه، مشتَقٌّ منَ الدابَّةِ المُواكِلِ: الذي(٣) يسيرُ بسيرِ غيرِه مُنقادًا له.

﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: كافيهِ في الدُّنيا وفي الآخرةِ.

﴿إنَّ اللهَ بالغُ أمرِه﴾ سيبلغُ أمرُه إلى ما يُريدُ في خلقِه، ومَن أضافَ(٤) فللتَّخفيفِ.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾: قيل: يُريدُ الطَّلاقَ والعِدَّةَ وغيرَ ذلك مـمَّا تقدَّمَ.

---

(١) في (ف): «رسول الله».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٥٥٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. والكلبي متروك.

وروى نحو هذه القصة الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٣) من طريق أبي عبيدة عن أبيه ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.

وروى نحوها أيضاً الحاكم أيضاً (٣٨٢٠) من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابر. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. فتعقبه الذهبي بقوله: «بل منكر».

(٣) بعدها في (ف): «ليس». ولعله خطأ، ففي «مجمل اللغة» (ص: ٩٣٥): الوِكَال في الدابة: أن تسير بسير الأخرى. ومثله في «مقاييس اللغة» (٦/ ١٣٦)، وفيه أيضاً: والوكال في الدابة: أنْ يَتأخَّر أبدًا خَلْفَ الدَّوابِّ، كأنه يَكِلُ الأمرَ في الجري إلى غيره.

(٤) قرأ بالإضافة حفص، والباقون بالتنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٦٣٩)، و«التيسير» (ص: ٢١١).

وقيل: عامٌّ؛ أي: لكلِّ شيءٍ ميقاتًا وأجلًا.

وقيل: مُنتهًى وغايةً.

وقيل: مقدارًا معلومًا لا يزيدُ ولا ينقصُ.

وقيل: متَّصِلٌ بقولِه: ﴿بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾، ومُرادُه: في الوقتِ الذي قدَّرَه.

***

(٤) - ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾.

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾: عن أُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ ناسًا من أهلِ المدينةِ قالوا لـمَّا نزلَتِ الآيةُ التي في البقرةِ في عِدَّةِ النِّساءِ: بقيَ من عِدَّةِ النِّساءِ عِدَدٌ لـم تُذكَرْ في القرآنِ: الصَّغيرةُ، والآيسةُ، وذاتُ الحملِ، قال: فنزلَت التي في النِّساءِ القُصرَى[1].

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾؛ أي: قَعَدْنَ عن الحيضِ ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: شكَكْتُم في عدَّتِهنَّ، ولـم تعلَمُوها، ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾.

مجاهدٌ وقتادةُ في جماعةٍ: أي: ارتبتُم بما يظهرُ منها منَ الدَّمِ فلم تدرُوا؛ أدَمُ حيضٍ أم دَمُ استحاضةٍ؟ من كِبَرٍ ذلك أم علَّةٍ[2]؟ لأنَّه لو كانَ كذلك لقالَ: إنْ أشكلَ عليكم.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٢١).

(٢) ذكره عن مجاهد معلقًا البخاري قبل الحديث (٤٩٠٨) بلفظ: «إنْ لم تعلموا: أتحيضُ أم لا تَحيضُ؟ فاللائي قَعَدْنَ عن المَحيض، واللائي لم يَحِضْنَ بعدُ، فعِدَّتُهُن ثلاثةُ أشهرٍ»، وهكذا رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩). وأعاده البخاري بنحو هذا قبل الحديث (٥٣١٨).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢) عن قتادة بلفظ: «إن من الريبة المرأة المستحاضة، والتي لا =

وقيل: في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، والتَّقديرُ: واللّائي لـم يحِضْنَ إن ارتبتُم[1] في حيضِهِنَّ.

والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾: تقديرُه: واللّائي لـم يحِضْنَ عدَّتُهنَّ ثلاثةُ أشهرٍ، فحُذِفَ الخبرُ لأنَّ خبرَ المبتدأ الأوَّلِ يدُلُّ عليه.

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾: أي: عدَّتُهنَّ ﴿أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾.

وقيل: أجلُهنَّ في الانقطاعِ فيما بينهنَّ وبينَ أزواجهنَّ أن يضَعْنَ حملَهُنَّ في الطَّلاقِ والوفاةِ جميعًا.

وعـن علـيٍّ وابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهـم: أنَّ عـدَّةَ المُتوفَّى عنهـا زوجُها آخرُ الأجلَينِ[2].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بطاعتِه ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾: يُسهِّلْ عليه أمرَه ويُوفِّقْه للخيرِ.

قيل: أمرَ بالتَّقوى في أحكامِ الطَّلاقِ ثلاثَ مرَّاتٍ، ووعدَ في كلِّ مرّةٍ نوعًا منَ الجزاءِ؛ فقال أوَّلًا: ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾: يُخرِجْه مـمَّا دخلَ فيه وهو يكرهُه، ويُتيحُ له محبوبَه من حيثُ لا يتأمَّلُ.

وقالَ في الثاني: يُسهِّلُ عليه الصَّعبَ من أمرِه، ويُتيحُ له خيرًا مـمَّن طلَّقَها إنْ كانَ الطَّلاقُ من جهتِها.

= يستقيم لها الحيض، تحيض في الشهر مراراً، وفي الأشهر مرة، فعدتها ثلاثة أشهر».

(١) بعدها في (ف): «أي إن ارتبتم».

(٢) رواه عن عليٍّ رضي الله عنه ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٠٣)، والطحاوي في «أحكام القرآن» (٢/ ٣٣٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٢٤٢). و قول ابن عباس رضي الله عنهما رواه البخاري (٤٩٠٩)، ومسلم (١٤٨٥).

والثَّالثُ: وعدَ عليه أفضلَ الجزاءِ، وهو ما يكونُ في الآخرةِ منَ النَّعماءِ.

***

(٥) - ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: المفروضُ المُتقدِّمُ ذكرُه فرضُ الله ﴿أَنزَلَهُۥٓ﴾ منَ اللَّوحِ المحفوظِ ﴿إِلَيْكُمْ﴾.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾: سبقَ.

***

(٦) - ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾؛ أي: أنزِلُوهُنَّ الدّارَ والمسكنَ الذي أنتم به سكنتُم ونزلتُم.

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: من غِناكُم الذي به مَلَكتُم المساكنَ.

وقيلَ: الأمرُ بالسُّكنَى قد تقدَّمَ، وهذا أمرٌ بالإنفاقِ عليهنَّ، والمعنى: أشركوهُنَّ[1] فيما وجدتُم منَ المالِ.

وقيل: ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: سَعَتِكُم وقُدرتِكُم.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾؛ أي: في السُّكنى ولا في النَّفقةِ، والمُضارَّةُ: المُضايقةُ والمُزاحمةُ.

---

(١) في (ن): «اتركوهن».

﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾: فتحوِجُوهُنَّ إلى الخروجِ.

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ﴾؛ أي: المُطلَّقاتُ ذواتُ الأحمالِ ﴿فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: أجمَعُوا على أنَّ المُطلَّقةَ إذا كانت حامِلًا فلها النَّفقةُ، وكذلك كلُّ مُطلَّقةٍ ما دامَتْ في العِدَّةِ فلها السُّكنَى والنَّفقةُ.

وقال بعضُهم: إذا بانَتْ فلها السُّكنَى دونَ النَّفقةِ.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ ـ يعني: النِّساءَ البوائنَ ـ أولادَكم منهُنَّ.

﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاعِ؛ لأنَّه لا يجبُ عليها الإرضاعُ.

﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾: ليأمُرْ بعضُكم بعضًا بالجميلِ في إرضاعِ الولدِ.

وقيل: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بمشورةٍ في الإرضاعِ.

وقيل: هو أن لا يضُرَّ الرَّجلُ بالمرأةِ ولا المرأةُ بالرَّجلِ في الإرضاعِ.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: تضايقْتُم، واختلفتُم في الإرضاعِ، فأبَتِ الأمُّ أو أبى الأبُ، أو تضايقتُم في الأجرةِ، ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾: يُدفَعُ الصَّبيُّ إلى امرأةٍ أُخرى، ولا تُجبَرُ الأمُّ على الإرضاعِ، فإنْ لم يقبلِ الصَّبيُّ ثديَ غيرِها أُجبِرَتْ على إرضاعِه بأجرةِ المثلِ.

* * *

(٧) ـ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾: أي: ليُنفِق الكثيرُ المالِ على المُطلَّقةِ وعلى أمِّ الولدِ من غناه وثروتِه.

﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾: أي: رَزَقَه الله على قَدْرِ قُوْتِه.

وقيل: ضُيِّقَ وقُتِّـرَ.

﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فليُنفِقْ من ذلك الذي يُؤتَى وإنْ كانَ قليلًا.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾: ما أعطاها منَ الرِّزقِ.

وقيـل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾؛ أي: بقَـدْرِ عقلِهـا. حـكاه النَّقَّـاشُ، فعلى هـذا التَّأويـلِ لا يكـونُ مُتَّصلًا بمـا قبلَها.

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾؛ أي: بعد ضيقٍ فـي المعيشةِ سعةً، وهذا وعدٌ للمُؤمنينَ، كقولِه: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦]؛ أي: عاجِلًا أو آجِلًا[1].

***

(٨) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: أهلِ قريةٍ ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾: خالفَتِ اللهَ ورسلَه.

وقيل: هم قومٌ عُذِّبوا بمعصيتِهم وتعدِّيهم في الطَّلاقِ.

﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾: قيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: عذَّبْناها عذابًا شديدًا في الدُّنيا، ونُحاسبُها حسابًا شديدًا في القيامةِ، وجاء بلفظِ الماضي للتَّحقيقِ كأكثرِ ألفاظِ القيامةِ.

وقيل: حاسَبْناها في الدُّنيا، أخَذْنا ما لنا وأعطَيْنا ما لهم، والمعنى: أخَذْناهُم بالذُّنوبِ.

وقيل: جازَيناها، من قولِه: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

---

(١) في (ف): «وآجلاً».

وقيل: ضيَّقْنا عليها، ومعنى ﴿نُّكۡرٗا﴾: فظيعًا شديدًا.

وقيل: لا يُعهَدُ مثلُه.

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا﴾.

﴿فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا﴾: نالَتْ وبيلَ فعلِها وعُقوبةَ صُنعِها.

﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا﴾؛ أي: آخرُ أمرِها خُسرانًا لا ربحَ فيه، ثمَّ فسَّرَ فقالَ:

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: يا ذَوي العقولِ، ولُبُّ كلِّ شيءٍ خالصُه.

وقيل: اللُّبُّ: القلبُ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا﴾؛ أي: القرآنَ.

* * *

(١١) ـ ﴿رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا﴾.

﴿رَّسُولٗا﴾: وأرسلَ رسولًا؛ يعني: محمَّدًا ﷺ.

وقيل: جبريلَ عليه السَّلامُ.

وقيل: تقديرُه: ذا ذِكرٍ وشرفٍ ﴿رَّسُولٗا﴾؛ يعني: محمَّدًا، فيكونُ بدلًا من: ﴿ذِكۡرٗا﴾.

وقيل: ﴿رَّسُولًا﴾؛ أي: رسالةً، فيكونُ بدلًا من ﴿ذِكۡرٗا﴾ أيضًا.

وقيل: ﴿ذِكۡرٗا﴾ منصوبٌ بـ﴿أَنزَلَ﴾[1]، و﴿رَّسُولًا﴾ بالمصدرِ؛ أي: ذِكرَ رسولٍ، قالَه أبو عليٍّ[2].

وقيل: تمَّ الكلامُ على ﴿ذِكۡرٗا﴾، و﴿رَّسُولًا﴾ نصبٌ على الإغراءِ[3].

وقيل: تقديرُه: أنزَلْنا إليكم ذكرًا آتاهُ رَسولًا[4].

﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾: أي: الرَّسولُ يتلو عليكم، وقيل: الفِعلُ لله.

﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ﴾: اللهُ، وقيل: ليُخرِجُ الرَّسولُ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفرِ ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمانِ.

وقيل: منَ الجهلِ إلى العلمِ.

وقيل: منَ النّارِ إلى الجنّةِ.

وقيل: منَ الضَّلالِ إلى الرَّشادِ.

وقيل: منَ الباطلِ إلى الحقِّ، ومعناهُنَّ واحدٌ.

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا﴾: أي: يرزقُه فيها رزقًا حسنًا، ووحَّدَ ﴿يُدۡخِلۡهُ﴾ حملًا على لفظِ ﴿مَن﴾،

---

(١) في النسختين: «بأنزلنا»، والمثبت هو الموافق للآية، ولما في «الحجة» و«غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٣).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٢/ ٤٣٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٣)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٣)، وعده من العجائب.

وجمعَ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حملًا على المعنى، ثمَّ وحَّدَ قولَه: ﴿لَهُۥ﴾ على اللَّفظِ، وليس لهذا في القرآنِ نظيرٌ.

***

(١٢) - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: أجمعَ المُفسِّرون على أنَّ السَّماءَ سبعٌ، غِلَظُ كلِّ سماءٍ مسيرةُ خمس مئةِ عامٍ، وبينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ مسيرةُ خمس مئةِ عامٍ، في كلِّ سماءٍ نوعٌ منَ الملائكةِ يُسبِّحونَ الله ويُمَجِّدونَه ويُقدِّسُونَه.

واختلَفُوا في الأرضِ على أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ الأرضَ واحدةٌ، وقولُه: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾؛ أي: في الخلقِ لا في العددِ، وليس في القرآنِ ما يدلُّ على أنَّها سبعٌ.

والثَّاني: أنَّ المُرادَ بها الأقاليمُ السَّبعةُ، والدَّعوةُ شاملةٌ جميعَها.

والثَّالثُ: أنَّها سبعُ أرضينَ مُتَّصلةٌ بعضُها ببعضٍ، والحائلُ بينَ كلِّ أرضٍ وأرضٍ بحارٌ لا يُمكِنُ قطعُها، ولا الوصولُ إلى الأرضِ الأُخرَى، ولا تصلُ الدَّعوةُ إليهم.

والرَّابعُ: أنَّها سبعُ أرضينَ بعضُها فوقَ بعضٍ، مُتَّصلةٌ لا فرجةَ بينها.

والخامسُ: أنَّ بينَ كلِّ واحدةٍ منها إلى الأُخرى مسيرةَ خمسِ مئةِ عامٍ، كما جاءَ في ذكرِ السَّماءِ، وفي كلِّ أرضٍ منها خلقٌ، حتَّى قالوا: في كلِّ أرضٍ آدمُ

وحـوّاءُ، ونوحٌ وإبراهيمُ، وهم يُشـاهدونَ السَّـماءَ من جانبِ أرضِهم، ويسـتمِدُّونَ[١] الضِّيـاءَ منها[٢].

وقيل: جعَلَ الله لهم نورًا يستضيئونَ به.

وذكرَ النَّقَّاشُ في «تفسيرِه» فصلًا في خلائقِ السَّماواتِ والأرضينَ[٣] وأشكالِـهم وأسمائِهم، ولم يكُنْ ذلك في سائرِ التَّفاسيرِ، فأضرَبْتُ عن إيرادِه، واللهُ أعلمُ بذلك.

قولُه: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: قيل: نصبٌ بالعطفِ على ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾.

وقيل: بفعلٍ آخرَ دلَّ عليه الأوَّلُ؛ أي: خلقَ منَ الأرضِ مثلَهُنَّ؛ لأنَّه لا يُحالُ بين واوِ العطفِ والمعمولِ، وبابُه الشِّعرُ، وقد سبقَ في سورةِ (هودٍ).

قولُـه: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾؛ أي: بيـنَ السَّـماءِ والأرضِ، يريـدُ: الأمـرَ والنَّهـيَ والرُّسـلَ والوحيَ.

وقيل: ﴿بَيْنَهُنَّ﴾: بينَ كلِّ سماءٍ وسماءٍ، وأرضٍ وأرضٍ.

والأمرُ: القَضاءُ والقدَرُ.

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ اللَّامُ متعلِّقٌ بالخلقِ.

وقيل: بقولِه: ﴿يَتَنَزَّلُ﴾[٤]، والأوَّلُ أولى.

---

(١) في (ف): «ويشهدون».

(٢) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٤٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما نقلاً عن النقاش، وذكر نحوه ابن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (٢/ ٤٢) عن عطاء بن يسار، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٣)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «والأرض».

(٤) ذكره المصنف في «مصنفه» (٢/ ١٢٢٤)، واستغربه.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾: فلا تخفَى عليه خافيةٌ.

و﴿عِلۡمَۢا﴾: مصدرٌ من غيرِ لفظِ الأوَّلِ؛ أي: علِمَ كلَّ شيءٍ علمًا.

***

سُورَةُ التَّحرِيمِ

اثنتا عشرةَ آيةً[1]، مدنيّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾: في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ على حفصةَ في يومِ نوبتِها، فخرجَتْ هي لبعضِ شأنِها، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى ماريةَ جاريتِه أمِّ إبراهيمَ وأدخلَها بيتَ حفصةَ وواقعَها، فلمّا رجعَتْ حفصةُ علمَتْ بذلك، فغضِبَتْ وبكَتْ، فقالَتْ: أمَا لي حرمةٌ عندَكَ وحقٌّ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «اسكُتي فهي حرامٌ عليَّ، أبتَغي بذلك رضاكِ»، وحلَفَ ألّا يقربَها، وبشَّرَها بأنَّ الخليفةَ من بعدِه أبوها وأبو عائشةَ، وقالَ لها: لا تُخبِري أحدًا بما أسرَرْتُ إليكِ من أمرِ الجاريةِ، وأمرِ الخليفةِ بعدي.

فلمّا خرَجَ رسولُ الله ﷺ أخبرَتْ عائشةَ بذلك، وقالت: قد أراحَنا الله من ماريةَ؛ فإنَّ رسولَ الله حرَّمَها على نفسِه، وقصَّتْ عليها القِصّةَ، وكان بينهما مُصافاةٌ وتظاهرٌ، فأنزَلَ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[2].

---

(١) «اثنتا عشرة آية»: ليس في (ف).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٧٥)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٧٨): «فيه إسماعيل البجلي وهو ضعيف، =

وذهبَ جماعةٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّها في يومِ عائشةَ، فاطَّلعَتْ حفصةُ على ذلك، فقال لـها: «لا تُخبِري عائشةَ واسكُتي، فهي عليَّ حرامٌ»[1].

وفي «صحيحِ البخاريِّ»: عن هشامِ بنِ عروةَ، عن عروةَ، عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ حفصةَ أهدَتْ لها امرأةٌ من قومِها عُكَّةَ عسلٍ، وكانت تسقي النَّبيَّ عليه السَّلامُ من ذلك، قلتُ: إنَّا والله لنَحْتالَنَّ له، فقلتُ لسودةَ بنتِ زمعةَ: إنَّه سيدنُو منكِ إذا دخلَ عليكِ، فقولي له: يا رسولَ الله، أكلتَ مغافيرَ؟ فإنَّه سيقولُ لكِ: سقَتْني حفصةُ شربةَ عسلٍ، فقولي له: جَرَسَتْ نَحْلُه العُرْفُطَ، وسأقولُ ذلك، وقولي أنتِ يا صفيّةُ ذلك، قالت عائشةُ: قالت سودةُ: فوالله ما هو إلا أنْ قامَ على البابِ فكِدْتُ أن أُنادِيَه بما أمرَتْني به، فلمَّا دنا ﷺ منها قالَتْ له سودةُ: يا رسولَ الله، أكلْتَ مغافيرَ؟ قال: «لا، سقَتْني حفصةُ شربةَ عسلٍ»، قالت: جَرَسَتْ نَحْلُه العُرْفُطَ، قالت: فلما دخَلَ عليَّ قُلتُ له مثلَ ذلك، فلمّا جاءَ[2] إلى صفيّةَ قالَتْ له مثلَ ذلك، فلمَّا دارَ إلى حفصةَ قالَتْ: يا رسولَ الله، أسقيكَ منه؟ قال: «لا حاجةَ لي فيه»، قالَتْ: قالت

= والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما».

ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٥٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٣١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): «رواه الطبراني في «الأوسط» من طريق موسى بن جعفر بن أبي كثير عن عمه، قال الذهبي: مجهول، وخبره ساقط».

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٨٨) من حديث ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم، وليس فيه ذكر البشارة بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أن ذلك كان في يوم عائشة لكن في بيت حفصة، وليس فيه ذكر البشارة بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وجاء في آخره: «فأمر فكفر يمينه وحبس نساءه عليه». وفيه الواقدي شيخ ابن سعد، وهو متروك.

(٢) في (ف): «دار».

سودةُ: سبحانَ اللهِ! واللهِ لقد حرَمْناه، قالَتْ: قلتُ لها: اسكُتي(١).

ورَوَى ابنُ أبي مليكةَ: أنَّه عليه السَّلامُ شربَ في بيتِ سودةَ بنتِ زمعةَ(٢).

ورَوَى أسباطٌ عن السُّدِّيِّ: أنَّه شربَ عندَ أمِّ سلمةَ(٣).

وذكرَ أقضى القُضاةِ عن عكرمةَ(٤): أنَّ الآيةَ نزلَتْ في المرأةِ التي وهبَتْ نفسَها للنَّبيِّ ﷺ فلم يقبَلْها(٥).

والأكثَرونَ على أنَّه حرَّمَ ماريةَ على نفسِه، وطلَّقَ حفصةَ، وعزَلَ النِّساءَ تسعًا

---

(١) رواه البخاري (٥٢٦٧)، ومسلم (١٤٧٤). وقال النووي في «شرح مسلم»: «الصحيح أنها في قصة العسل، لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح». انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٠/ ٧٧)، وكلامه منقول عن القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٥/ ٢٠)، وزاد: قال النسائي: «حديث عائشة في العسل إسناده جيد صحيح غاية». وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣٤٣): «الصحيح أنه نزل في كلا الأمرين».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٢٦) من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣٤٣) إلى الطبراني وابن مردويه في «تفسيره» ثم قال: «ورواته موثقون إلا أن أبا عامر وهم في قوله سودة».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٩)، وابن العربي في «أحكام القرآن» (٦/ ٣٩)، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٣٧٧): «ووقع في تفسير السدي أن شرب العسل كان عند أم سلمة أخرجه الطبري وغيره وهو مرجوح لإرساله وشذوذه».

(٤) في (ف): «أقضى القضاة والنقاش».

(٥) ذكره عن عكرمة الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٨)، أما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٨) فأورده عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢١٧) وضعَّف إسناده، ونقله ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٦٠) عن ابن أبي حاتم ثم قال: «وهذا قول غريب، والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل، كما قال البخاري عند هذه الآية».

وعشرينَ يومًا، وكان جَعَلَ[١] على نفسِه أن لا يدخلَ عليهنَّ شهرًا، فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ[٢]، وأخبرَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ أنَّ حفصةَ صوَّامةٌ قوّامةٌ، وأنَّها إحدى نسائِكَ في الجنّةِ[٣].

قال أبو القاسمِ: لـم يُطلِّقْ حفصةَ[٤].

مُقاتلٌ: همَّ أن يُطلِّقَها، فجاءَ جبريلُ عليه السَّلامُ، وأخبرَ أنَّ حفصةَ صوَّامةٌ قوَّامةٌ، وأنَّها إحدى نسائِكَ في الجنّةِ[٥]، فأمسكَ عن طلاقِها، وراجعَها على قولِ مَن يقولُ: طلَّقَها، واستحَلَّ ماريةَ، وعادَ إلى سائرِ نسائِه.

قولُه: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾: قيل: حلَفَ يمينًا فحرَّمَها بها، فأُمِرَ بالكفَّارةِ في اليمينِ.

وقيل: حرَّمَها على نفسِه من غيرِ يمينٍ، وكانَ التَّحريمُ مُوجِبًا لكفَّارةِ اليمينِ، وهي ما في سورةِ (المائدةِ).

قولُه: ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾: تطلُبُ رِضاهُنَّ.

قيل: في محلِّ نصبٍ على الحالِ.

وقيل: ابتغاءَ مَرضاتِهنَّ[٦] على أنَّه مفعولٌ له. واللَّفظُ لا يحتمِلُ هذا[٧].

---

(١) في (ن): «حرم».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٩) عن الحسن وقتادة والشعبي ومسروق والكلبي.

(٣) تقدم في أول تفسير سورة الطلاق.

(٤) كذا قال، وقد ذكرنا في أول سورة (الطلاق) قول ابن كثير في «تفسيره»: وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٧٧).

(٦) في (ف): «رضاهن».

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٥)، وعده من العجائب.

ويحتمِلُ أنَّ الاستفهامَ مُقدَّرٌ؛ أي: أتبتَغي مرضاةَ أزواجِكَ بتحريمِ ما أحلَّ الله[1]؟

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: قد غفرَ لك ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّرَ.

***

(٢) ـ ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: قيل: أوجَبَ.

وقيل: بيَّنَ لكم.

وقيل: قدَّرَ.

﴿تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: تحليلَها، وهو إطلاقٌ يُحِلُّ ما حظَرَه عقدُ التحَّريمِ، وتحليلُ القَسَمِ: إزالةُ الحنثُ عنه.

﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: فاتَّبِعوا[2] تحليلَه وتحريمَه ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

***

(٣) ـ ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ يعني: حفصةَ ﴿حَدِيثًا﴾: حديثَ ماريةَ والخلافةِ، وقيل: ذكرَ تحريمِ العسلِ والخلافةِ.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: أخبرَتْ حفصةُ عائشةَ بالحديثِ[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٥)، واستغربه.

(٢) في (ن): «فابتغوا».

(٣) في (ف): «الحديث».

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أَطْلَعَ الله محمَّدًا عليه السَّلامُ على إفشائها[1] الحديثَ.

﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾: عـرَّفَ حفصـةَ بعـضَ مـا أفشَـتْ؛ يعنـي: حديـثَ ماريـةَ، أو ذكرَ العسـلِ.

﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾: فلم يُخبِرْها به كرمًا ـ وهو حديثُ الخلافةِ ـ كراهةَ أن ينتشِرَ.

سفيانُ: مازالَ التَّغافلُ من فعلِ الكرامِ[2].

الحسنُ: ما استقصَى[3] كريمٌ قطُّ[4].

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾: نبَّأَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ حفصةَ بما أفشَتْ منَ السِّرِّ إلى عائشةَ ﴿قَالَتْ﴾؛ أي: حفصةُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾: مَن أخبرَكَ بما فعلتُ؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بخفِيَّاتِ القلوبِ ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ فلا يخفَى عليه شيءٌ.

* * *

(٤) ـ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

---

(١) في (ن): «إفشاء».

(٢) لم أقف على من ذكره عن سفيان قبل المصنف، وذكر عنه في كثير من الكتب بعد المصنف، وقد رواه أبو الشيخ الأصبهاني في «أمثال الحديث» (٣٧٣) من قول أكثم بن صيفي.
وذكره الآبي في «نثر الدرر» (٣/ ٥٤)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٧/ ٣٠٠) من كلام أبي العباس السفاح.

(٣) في (ف): «ما استفصى».

(٤) ذكره عن الحسن الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٨)، ورواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ٢٨٧) عن سفيان بن عيينة، ورواه الخطيب البغدادي في «البخلاء» (٧٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يُريدُ: حفصةَ وعائشةَ رضي الله عنهما.

﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: مالَتْ عن الواجبِ، وزاغَتْ بسرورِكما بما كرِهَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ من تحريمِ ماريةَ، وجمعَ (القلوبَ) في موضعِ التَّثنيةِ؛ لأنَّ الأعضاءَ الوِتْرَ إذا أُضيفت إلى إنسانين جُمعَ في موضع التثنية لزوالِ الالتباسِ[1].

وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ، والتَّقديرُ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فهو الواجبُ.

وقيل: قُبِلَتْ توبتُكما.

وقيل: إنْ لا تتوبا إلى الله فقد صغَتْ قلوبُكما[2].

وقيل: إن تتوبا إلى الله فقد صغَتْ قلوبُكما إلى الحقِّ[3].

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾: تعاوَنا على إيذائِه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾: ناصِرُه ووليُّه ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ وليُّه ومُعينُه ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المُخلِصونَ من المؤمنينَ.

قتادةُ: هم الأنبياءُ[4].

وقيل: هم الصَّحابةُ.

وقيل: المُرادُ به أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما[5]؛ فإنَّهما أبوا عائشةَ وحفصةَ،

---

(١) تقدم الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦)، وعده من العجائب.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٩٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٩٧) عن الضحاك ومجاهد.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤٤٣٣) من قول أبي أمامة رضي الله عنه وصححه، فتعقبه الذهبي بقوله: «موسى بن عمير واه».

وروى أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٦٨) عن عبد الله بن عثمان، عن عكرمة في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، قال عبد الله: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير، =

وهو تفسيرُ النَّبيِّ ﷺ(١).

وقيل: المُرادُ به عليٌّ كرَّمَ الله وجهَه ورضيَ عنهم(٢).

قال ابنُ زيدٍ: هم الملائكةُ(٣).

والجمهورُ على أنَّه واحدٌ وقعَ موقعَ الجمعِ.

وقيل: أصلُه: «صالِحُو» فحُذِفَ الواوُ كما حُذِفَ من قولِه: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤](٤).

﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعد نصرِ مَن تقدَّمَ ذِكرُهم، وقيل: مع ذلك.

﴿ظَهِيرٌ﴾: أعوانٌ مُتظاهِرونَ على مَن يُؤذيه، و(فَعيلٌ) يقعُ للجمعِ، قال الشّاعرُ:

إنَّ العـــواذلَ لسْـــنَ لي بأمـــيرِ(٥)

وقد سبقَ(٦).

= قال: صدق عكرمة. وروي ذلك عن جمع آخرين من الصحابة والتابعين جمع رواياتهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): «فيه عبد الرحمن بن زيد العمي وهو متروك».

(٢) عزاه ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٦٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٤) إلى ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه، وضعفا إسناده. وعزاه السيوطي أيضًا في الموضع السابق إلى ابن مردويه عن أسماء، وإلى ابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٤١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦)، وعده من العجائب.

(٥) البيت بلا نسبة في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦١)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٦٠). وصدره كما في «معاني القرآن» للأخفش:

يـــا عـــاذلاتي لا تـــردن ملامتـــي

(٦) في تفسير قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ [ق: ١٧].

ومنَ القُرّاءِ مَن اختارَ الوقفَ على: ﴿هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾، ثمَّ آخرَ الآيةِ[١]، ومنهم مَن اختارَ على ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، ويجوزُ على ﴿جبريل﴾.

* * *

(٥) - ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾: هذا دليلٌ لمَن قال: لم يُطلِّقْ حفصةَ، وفي الآيةِ تخويفٌ لنسائِه، وإخبارٌ عن قدرةِ الله على تبديلِه خيرًا منهنَّ إن طلَّقَ أزواجَه، و(عسى) منَ الله واجبٌ.

وقيل: كلُّ (عسى) منَ الله في القرآنِ واجبٌ إلّا هذا[٣].

ومعنى: ﴿خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾: قيل: أطوَعَ له منكنَّ.

وقيل: أحبَّ إليه منكنَّ.

السُّدِّيُّ: خيرًا منكنَّ في الدُّنيا[٤].

والآيةُ واردةٌ في الإخبارِ عن القدرةِ لا عن الكونِ في الوقتِ؛ لأنَّه قال: ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ وعُلمَ أنَّه لا يُطلِّقهنَّ، وإذا لم يُطلِّقْهُنَّ فهنَّ خيرُ نساءِ الأمَّةِ.

قوله: ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾: قيل: منَ الإسلامِ، ولم تصلُحْ للنَّبيِّ غيرُ مسلمةٍ.

وقيل: مُستَسلماتٍ لأمرِ الله وأمرِ رسولِه.

﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾؛ أي: بالله وكتُبِه ورُسلِه، مُنقاداتٍ لأوامرِه ونواهيه.

---

(١) فيكون قوله: ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ على الابتداء. انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٧٤٨).

(٢) انظر المصدر السابق عن نافع.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٦).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٤١).

﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ قيل: مُصلِّياتٍ. وقيل: ثابتاتٍ على الطّاعةِ.

﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾؛ أي: عن الذُّنوبِ راجعاتٍ إلى أمرِ الله.

﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾؛ أي: عابداتٍ لله، وقيل: مُتذلِّلاتٍ لأمرِ الرَّسولِ بالطّاعةِ.

﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ قيل: صائماتٍ، وسُمِّيَ الصّائمُ سائحًا لأنَّه يسيحُ في النَّهارِ بلا زادٍ.

وقيل: مُهاجراتٍ.

وقيل: يسُحْنُ حيثُ يسيحُ.

﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾: جمعُ (ثيِّبٍ)، وهي التي ثابَ إليها الزَّوجُ.

﴿وَأَبْكَارًا﴾: جمعُ (بِكْرٍ)، وهي التي على خلقَتِها القُدْمى، مُشتقَّةٌ منَ البُكرةِ والباكورةِ.

والمعنى: على حَسَبِ ما يشتَهيه منها.

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: وعدَ الله نبيَّه أن يُزوِّجَه في الجنّةِ آسيةَ امرأةَ فرعونَ، وهي الثَّيِّبُ، ومريمَ بنتَ عمرانَ وهي البِكرُ، ويكونُ في الجنّةِ وليمةٌ فيجتمعُ عليها أهلُها[1].

ولـم يتكلَّمْ من المُفسِّرين أحدٌ في هذه الواوِ، ووجهُ ذلك أن يُقالَ: لـمَّا لـم يُمكِنِ الجمعُ بينَ الثيِّبِ والبكارةِ كما أمكنَ الجمعُ بين سائرِ الأوصافِ قطعَ بالواوِ، فيَحْسُنُ الوقفُ على ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾، والابتداءُ بقولِه: ﴿وَأَبْكَارًا﴾، على تقديرِ: وأبكارًا موصوفاتٍ بالأوصافِ التي تقدَّمَتْ إلّا التَّثيُّب، تقولُ: ما كانَتْ ثيِّبًا، ولقد تثَيَّبَتْ تثيُّبًا.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٤٢) عن الكلبي، قال القرطبي في «المفهم» (٤/ ٢٥٣): «وفيه نظر وبعد»، وساق ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٤٣٥) عدة أحاديث في ذلك، ثم قال: «غريب جدًّا، وكل من هذه الأحاديث في أسانيدها نظر».

ومَن ذهبَ إلى أنَّ الواوَ للثَّمانيةِ[(١)] فهذا من حجَّتِه أيضًا[(٢)]، وقد سبقَ في (التَّوبةِ) مع قولِه: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]. والله أعلَمُ.

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ أي: اجعلُوا بينكم وبينَ النّارِ وقايةً من طاعةِ الله، وقُوا أهليكم بتعليمِهم الخيرَ وأمرِهم ونهيِهم وأخذِهم بما يُنجيهم منها.

الضَّحَّاكُ: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ وليَقُوا أهلوكُم أنفُسَهم[(٣)]، وهذا يستدعي الرَّفعَ والواوَ.

ويحتمِلُ على قولِ الضَّحاكِ أن يكونَ مفعولًا معه[(٤)] حملًا على الواوِ في ﴿قُوٓا۟﴾، وهذا فعلٌ حُذِفَ فاء فعلِه ولامُ فعلِه.

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: حطَبُها وما تُوقَدُ به النَّاسُ، اقتصرَ على ذكرِ النّاسِ دونَ الجنِّ لأنَّ المقصودَ في الآيةِ تحذيرُ الإنسِ.

﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾: هي حجارةٌ يُعذَّبونَ بها.

---

(١) في (ف): «أن للثمانية واوًا».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٧)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٤٤). ولفظه: «وأهلوكم فليقوا أنفسهم» ولفظ المصنف جاء على لغة (أكلوني البراغيث). وانظر: «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٥).

(٤) كذا ذكره هنا احتمالًا، وجزم في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٧) بنسبته للضحاك، واستغربه، فقال: «الغريب: الضحاك: بمعنى «مع» فيكون مفعولاً معه على قول الضحاك».

وقيل: هي حجارةُ الكبريتِ.

وقيل: هي الأصنامُ.

وقيل: هي كنوزُ الذَّهبِ والفِضّةِ؛ لأَنَّهما منَ الحجارةِ.

﴿عَلَيْهَا﴾: على النّارِ ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾: مُوكَّلونَ، وهم الزَّبانيةُ التِّسعةَ عشرَ وأعوانُهم.

﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾؛ أي: غلاظُ الأقوالِ شِدادُ الأفعالِ.

وقيل: غِلاظُ الخلقِ أقوياءُ يعملونَ بأرجُلِهم كما يعمَلُون بأيديهم، لم يخلُقِ الله فيهم رحمةً.

ابنُ عيسى: غلاظٌ في[1] الأخلاقِ، رقاقٌ في الأجسامِ؛ لأَنَّهم روحانيُّونَ.

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ قيل: الآنَ في دارِ التَّكليفِ، وأمَّا في دار الآخرةِ فلا هم يعصونَ، ولا الإنسُ ولا الجنُّ.

وقيل: الزَّبانيةُ يَلتَذُّونَ عذابَ الكفَّارِ الْتِذاذَ أهلِ الجنَّةِ الأكلَ والشُّربَ.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: من غيرِ تأخيرٍ وزيادةٍ ونُقصانٍ.

وقيل: هذا تكرارٌ.

وقيل: معناه: لا يضعُفونَ كما يضعُفُ الإنسانُ إذا كُلِّفَ أمرًا عظيمًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

* * *

---

(١) «في»: ليس في (ف).

(٨) - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خيثمةُ: كلُّ ما في القرآنِ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ففي التَّوراةِ: يا أيُّها المساكينُ[١].

﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾: قيل: هي منَ (النَّصيحةِ)؛ أي: يبالغُ فيها في نصيحةِ نفسِه.

وقيل: منَ (النِّصاحةِ)، وهي الخياطةُ؛ أي: مُوثقةً كما يُوثقُ المِخيطُ.

ويحتمِلُ أنَّه جعلَ الذَّنبَ كالخَرْقِ يقعُ في الثَّوبِ، والتَّوبةَ نِصاحةً لذلك الخرقِ.

الأخفشُ: نصحَتُه بمعنى: صدَقتُه، وتوبةٌ نصوحٌ: صادقةٌ[٢].

وقُرِئَ: ﴿نُصُوحًا﴾[٣] وهو مصدرٌ؛ أي: ينصحُ نفسَه بالتَّوبةِ نُصوحًا.

وقيل: جمعُ (نُصْحٍ) كبُرْدٍ وبُرودٍ.

وقد أكثَروا القولَ في وصفِ التَّوبةِ النَّصوحِ، وأجمعُه ما جاءَ مرفوعًا: «إنَّ التَّوبةَ النَّصوحَ أن يتوبَ ثمَّ لا يعودَ إلى الذَّنبِ كما لا يعودُ اللَّبنُ إلى الضَّرعِ»[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٧١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٠٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٧١٨).

(٢) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» (٦/ ٣٠٤).

(٣) قرأ بها شعبة. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤١)، و«التيسير» (ص: ٢١٢).

(٤) ورد ضمن حديث طويل رواه عبد الملك بن حبيب في «أشراط الساعة» (٢/ ١٠٨) عن عبد الله بن =

ابنُ عيسى: التَّوبةُ النَّصوحُ هي التي يُناصِحُ الإنسانُ فيها نفسَه بإخلاصِ النَّدمِ مع العزمِ على تركِ المُعاودةِ من غيرِ تضجيعٍ في ذلك ولا تقصيرٍ.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾؛ أي: لا يُؤاخذَكم بذُنوبِكم.

وقيل: تُوبوا منَ الكبائرِ يغفِرْ لكم الصَّغائرَ.

وتكفيرُ السَّيِّئاتِ: سترُها وحطُّها.

﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾؛ أي: لا يُذِلُّـهم ولا يفعلُ بهم ما يفعلُه بالكفَّارِ.

وقيل: لا يُخزي النَّبيَّ؛ أي: لا يُشوِّرُه[1] فيما يَشفعُ، ولا يقعُ خُلفٌ فيما وعدَ المُؤمنينَ منَ الله.

وقيل: الكلامُ تامٌّ على ﴿ٱلنَّبِىَّ﴾، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾[2].

﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾: سبقَ في سورةِ (الحديدِ).

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾: يقولون ذلك إذا طَفِئَ نورُ المُنافقينَ.

﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* * *

= عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وكذا في حديث طويل آخر رواه الطبري في «تاريخه» (١/ ٧٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٧٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيها جميعًا أن معاذ بن جبل رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن التوبة النصوح، فقاله.

(١) أي: لا يخجله: انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٣/ ٤٥٤)، و«المحكم» مادة: (ش و ر) (٨/ ١١٨).

(٢) ذكره أبو عمرو الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ٢١٩)، وذكر أن الأجود أن يكون التمام ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾.

(٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسَّيفِ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالوعيدِ واللِّسانِ.

وقيل: إذا ظهرَ منهم النِّفاقُ قاتِلْهُم.

الحسنُ: جاهدِ المُنافقينَ بإقامةِ الحدودِ عليهم[1]. وكانَ أكثرُ مَن يصيبُ الحدودَ هم المُنافقونَ.

وقيل: جهادُهم: الغِلظةُ واكفِهرارُ الوجوهِ.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالقولِ والزَّجرِ والإبعادِ والهجرِ ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: المُنافقينَ والكافرينَ ﴿جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

***

(١٠) ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾: ختمَ السُّورةَ بما يعودُ إلى أوَّلِها من وَعظِ نساءِ النَّبيِّ وإعلامِهنَّ أنَّ اتِّصالَهُنَّ برسولِ الله ﷺ لا يدفعُ عنهنَّ العذابَ، كما لم يدفَعْ ولم ينفَعِ امرأةَ نوحٍ واسمُها: واعلةُ، وامرأةَ لوطٍ واسمُها: واهِلةُ، وإنَّما ينفعُ العملُ الصَّالحُ.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾: بالنِّفاقِ وإبطانِ الكفرِ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١١٠)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨١٤).

وإفشاءِ أسرارِهما، وكانت امرأةُ نوحٍ تقولُ: إنَّه مجنونٌ، وتُخبِرُ الجبابرةَ بإيمانِ مَن آمنَ به ليقتُلوه ويفتِنُوه.

وكانت امرأةُ لوطٍ تُخبِرُ القومَ إذا أتاه ضيفٌ ليتعرَّضُوا له بالفُجورِ.

ولم تكُنْ خيانتُهما في الفَرْجِ، فقد عصَمَ الله أنبياءَه من ذلك، ومَن ذهبَ إلى ذلك فقد أساءَ القولَ[1].

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ يعني: نوحًا ولوطًا ﴿عَنْهُمَا﴾: عن امرأتَيهما ﴿مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: دفعَ عذابٍ.

﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾؛ أي: يُقالُ لهما في القيامةِ، وقيلَ: يقال لهما عندَ النَّزعِ.

وذُكِرَ بلفظِ المُذكَّرِ لأنَّهنَّ لا يَنْفَرِدْنَ بالدُّخولِ، وإذا اجتَمَعا فالغلبةُ للمُذكَّرِ[2].

وكذلك قولُه: ﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

* * *

(١١) ـ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾: وهي آسيةُ بنتُ مُزاحمٍ، وفرعونُ أعتَى الناسِ وأكفَرُهم.

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾: وذلك أنَّه لـمَّا اطَّلعَ على إيمانِها وتَّدَ لها أربعةَ أوتادٍ شدَّ بها يدَيها ورجلَيها ووضعَ على صدرِها رَحًى، وجعلَها في

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٧)، وعده من العجائب.

(٢) في (ف): «للذكور».

الشَّمسِ، وإنَّ الله تعالى أفرجَ لها فرأَتْ بيتَها في الجنّةِ فقالَتْ: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾.

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ﴾: خلِّصْني من فرعونَ ﴿وَعَمَلِهِۦ﴾: تعذيبه إيّايَ.

وقيل: عملُه: كُفرُه وشِركُه.

وقيل: أرادَتْ بعملِه: جزاءَ عملِه، وهو النَّارُ[١].

وقيل: مُضاجعَتِه، حُكِيَ عن أحمدَ بنِ حنبلٍ رحمَه الله[٢].

﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين.

وقيل: أهلِ مصرَ.

وجاء في التَّفسيرِ: أنَّ الملائكةَ كانت تُظِلُّها بأجنحتِها[٣].

الحسنُ: رفعَ الله امرأتَه بجسدِها وهي حيَّةٌ إلى الجنَّةِ فهي فيها[٤].

* * *

(١٢) - ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ عنِ الرِّجالِ ﴿فَنَفَخْنَا﴾ يعني: نفخَ جبريلُ بأمرِنا ﴿فِيهِ﴾: في جَيْبِ درعِها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٧)، وعده من العجائب.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٦٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٤) وصححه، من قول سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٧٢) بلفظ: «فنجاها الله أكرم نجاة، فرفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب وتتنعم فيها».

وقيل: في فرجِها[١].

وقيل: في عيسى.

﴿مِن رُّوحِنَا﴾: المخلوقةِ[٢] لنا.

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾: بعيسى، وهو كلمةُ الله.

وقيل: بوعدِ ربِّها.

وقيل: بعجائبِ الله وبدائعِه من خلقِه.

﴿وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾: الدَّائمينَ على طاعةِ الله.

* * *

(١) «وقيل: في فرجها»: ليس في (ف).

(٢) في (ن): «المخلوق».

جُزءُ تَبَارَكَ

سُورَةُ المُلْكِ

ثلاثونَ آيةً(١)، مكِّيَّةٌ.

ويُقالُ لها: المُنجِيةُ، تُنجي قارِئَها من عذابِ القبرِ(٢).

---

(١) «ثلاثون آية»: ليس في (ف).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر»، قال الترمذي: «وقال: حديث غريب من هذا الوجه»، ورواه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص: ١٥٠) وقال: «تفرد به يحيى بن عمرو بن مالك، وهو ضعيف».

وله شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٩)، وصححه، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٤١)، وفي «إثبات عذاب القبر» (ص: ١٤٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بألفاظ متقاربة، ولفظ الحاكم: «يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقوم يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه، فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك، قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك، ومن قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب».

ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٧٩) عن عبد الله بن مسعود من قوله، ولفظه: من قرأ =

وجاء مرفوعًا: «مَن قرأها في ليلةٍ فقد أكثَرَ وأطنَبَ»[1].

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿تَبَٰرَكَ﴾: تفاعَلَ منَ البركةِ، وكذلك ﴿تَعَٰلَىٰ﴾ بمعنَى: علا؛ أي: امتَدَّ بقاؤُه ودامَ، والبركةُ: البقاءُ والدَّوامُ.

وقيل: تعالى وتعظَّمَ؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا زادَ ارتفعَ وعظُمَ، والبركةُ: الزِّيادةُ.

وقيل: ﴿تَبَٰرَكَ﴾: جاء من قِبَلِه البركةُ، وهي الكثرةُ والخيرُ.

﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾: يُؤتيه مَن يشاءُ، وينزعُه ممَّن يشاء، وهو الملِكُ مالكُ المُلْكِ غيرُ المملَّكِ.

واليدُ: عبارةٌ عن القدرةِ والتَّصرُّفِ والاستيلاءِ على الشَّيءِ.

وقيل: اليدُ: صلةٌ، والمُلكُ: مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: النُّبوّةُ يُعِزُّ بها مَن اتَّبعَ النَّبيَّ، ويُذِلُّ بها مَن خالفَه.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾: أي: منَ الإنعامِ والانتقامِ ﴿قَدِيرٌ﴾: قادِرٌ بالكمالِ.

= ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة، وإنها في كتاب الله سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب.

وروى أبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١) وحسنه، وابن ماجه (٣٧٨٦)، عن أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعًا: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾».

وقال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٩): «الغريب: سورة المنجية، تنجي قارئها من عذاب القبر».

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾: أنكرَ بعضُهم أنَّ يكونَ الموتُ جنساً منَ المخلوقاتِ، وتوقَّفَ بعضُهم فيه، وأثبتَه بعضُهم عقلًا، وهما حالتانِ تتعاقبانِ على الإنسانِ وغيرِه، واللهُ خالقُ الذَّواتِ والحالاتِ.

وقيل: معناه: خلقَكُم للموتِ والحياةِ[١].

وقيل: خلقَ الموتَ على صورةِ كبشٍ أملحَ، لا يمُرُّ بشيءٍ ولا يجدُ ريحَه شيءٌ ولا يطَأُ على شيءٍ إلّا ماتَ[٢].

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «يُؤتَى بالموتِ يومَ القيامةِ على صورةِ كبشٍ أملَحَ فيُذبَحُ بين الجنّةِ والنّارِ»[٣].

وخلَقَ الحياةَ على صورةِ فرسٍ أُنثى لا يمُرُّ بشيءٍ ولا يجدُ ريحَها شيءٌ ولا تطأُ على شيءٍ إلا حيَّ[٤].

ويحتمِلُ ـ والله أعلمُ ـ: خلَقَ المواتَ والحيوانَ[٥][٦].

وقيل: الدُّنيا والآخرةَ.

وقيل: خلَقَ الحياةَ نعمةً ليشكُروا، وخلَقَ الموتَ ليصبِرُوا إذا ماتَ أحياؤُهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٩)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٩٧) عن الكلبي.

(٣) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) تتمة الخبر السابق عن الكلبي.

(٥) في (ف): «الموت والحياة». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٩)، واستغربه، وفيه: «الموت والحيوان».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٩)، واستغربه.

وبدأ بالموتِ لكونِ التُّرابِ والنُّطفةِ(١) بالوصفِ الأوَّلِ؛ أي: موتًا ثمَّ حياةً، ثمَّ موتًا ثمَّ حياةً لا موتَ بعدَها.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: طاعةً له، وجاءَ مرفوعًا: «أحسَنُ عقلًا»(٢).

وقيل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أترَكُ للمعاصي.

وقيل: أخلَصُه.

وقيل: أصبرُ على المصائبِ(٣).

و﴿أَيُّكُمْ﴾: رفعٌ بالابتداءِ، والفعلُ قبلَه مُقدَّرٌ(٤)، والتَّقديرُ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ فيَعلمَ أيُّكم أحسنُ عملًا؛ كقولِه: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [الكهف: ١٢].

وقيل: ليبلوَكم فينظرَ ﴿أَيُّكُمْ﴾، كقولِه: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم﴾ [القلم: ٤٠]؛ أي: فانظُرْ أيُّهم.

وقيل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ فيقولُ: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، والقولُ هو الأوَّلُ.

---

(١) في (ن): «التراب في النطفة»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٢٩).

(٢) وتمام الحديث: «أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله»، رواه داود بن المحبر في كتاب «العقل» كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٤٥)، ومن طريقه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٨٣١ ـ زوائد)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٨٨ ـ ٨٩)، عن عبد الواحد بن زياد عن كليب بن وائل عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وداود ساقط. ورواه ابن مردويه من طريق آخر عن كليب كذلك، وإسناده أسقط من الأول. انظر: «الكافي الشاف» (ص: ٨٦).

(٣) في (ف) زيادة: «في الطاعات».

(٤) في (ف): «معلق»، والمثبت من (ن)، وكلاهما صواب، فهو مقدر ومعلق.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ لمَن أساءَ عملَه ﴿ٱلْغَفُورُ﴾: لمن تابَ.

* * *

(٣) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾: بعضُها فوقَ بعضٍ، جمعُ (طَبَقٍ) كجَبَلٍ وجبالٍ.

وقيل: جمعُ (طَبقةٍ) كرَحبةٍ ورِحابٍ.

وقيل: ﴿طِبَاقًا﴾ مصدرُ طابقَ، تقولُ: طابقَ بينَ ثوبَيه؛ إذا لبسَ أحدَهما فوقَ الآخرِ.

و﴿طِبَاقًا﴾ صفةٌ، وقيل: نصبٌ على المصدرِ.

﴿مَّا تَرَىٰ﴾: أيُّها الإنسانُ ﴿فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾: و: ﴿تفوُّتٍ﴾[١].

التَّفاوُتُ: بُعدُ ما بينَ الشَّيئين في الصِّحَّةِ، والتَّفوُّتُ: بمعناه؛ كالتَّعاهُدِ والتَّعهُّدِ.

وقيل: هو أن يفوتَ الشَّيءُ بعضُه بعضًا، وفي الآيةِ قولانِ:

أحدُهما: ما ترى في خلقِ الرَّحمنِ السَّماءَ من تفاوتٍ؛ أي: خلَلٍ واضطرابٍ وتفرُّقٍ.

والثَّاني: أنَّه عامٌّ في جميعِ خلقِ الرَّحمنِ؛ أي: لم يفُتْه شيءٌ أرادَه[٢]، ولم يخرُجْ شيءٌ عن مُوجَبِ الحكمةِ.

---

(١) قراءة حمزة والكسائي، والباقون: ﴿تَفَٰوُتٍ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» (ص: ٢١٢).

(٢) في (ف): «إرادة».

وقيل: الخلقُ في الآيةِ مصدرٌ، وأنَّ المعنى: يخلُقُ كلَّ شيءٍ صغيرًا وكبيرًا بأمرٍ واحدٍ لا تفاوُتَ في ذلك، وهو قولُه: «كُنْ»[1].

وقيل: الرُّؤيةُ في الآيةِ بمعنى العلمِ؛ لبُعدِ السَّماءِ عن الإدراكِ بحاسّةِ البصرِ.

﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾: أيُّها الإنسانُ، وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ، وفيه بُعدٌ.

أي: قد نظرتَ إليها غيرَ مُتفكِّرٍ فيها، فارجعِ البصرَ الآنَ وتفكَّرْ فيها.

الفرّاءُ: تقديرُه: فانظُرْ إليها، ثمَّ ارجعِ البصرَ[2].

﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾: شقوقٍ وخَلَلٍ ووَهْيٍ وصُدوعٍ.

* * *

(٤) ـ ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: أي: كرِّرِ النَّظرَ مرَّتَينِ؛ أي: كرَّتَينِ[3] مع الأولى.

وقيل: سِوَى الأولى، فيكونُ ثلاثَ مرّاتٍ[4].

ويحتملُ على قولِ الفرَّاءِ أن يكونَ أربعَ مرَّاتٍ؛ أي: انظُرْ إليها فارجعِ البصرَ، فهاتانِ كرَّتانِ، ثمَّ ارجعِ البصرَ كرَّتَينِ أُخريَينِ.

الحسنُ: لو كرَّرْتَ النَّظرَ إلى يومِ القيامةِ لم ترَ فُطورًا[5].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٠).

(٣) «أي كرتين»: ليس في (ف).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٠) عن الفراء، واستغربه.

(٥) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ١٠٧).

وقيل: المُرادُ بالتَّثنيةِ الجمعُ كما يُقالُ: لبَّيكَ وسعدَيكَ؛ فإنَّ البصرَ لا يصيرُ حسيرًا بمرَّتَينِ اثنتَينِ.

والمعنى: رَدِّدْ[1] طرفَكَ وعقلَكَ في المحسوسِ والمعقولِ هل ترى خللًا أو تتبيَّنُ مَعيبًا؟

قولُه: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ﴾: يرجِعْ إليك.

وقيل: لأنَّه لا ترى فطورًا فيَنْفُذَ.

﴿خَاسِئًا﴾: صاغِرًا.

وقيل: ذليلًا.

وقيل: مُنقطِعًا.

وقيل: بعيدًا مـمَّا يُريدُ، من قولِه: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨]؛ أي: ابعُدوا مـمَّا سألتُم.

وقيل: ﴿خَاسِئًا﴾: مطرودًا طردَ إهانةٍ؛ لأنَّ مَن طلبَ عيبَ مَن لا يليقُ به العيبُ استحقَّ الطَّردَ والإهانةَ، تقولُ: خسَأْتُه فخَسِئَ.

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾؛ أي: مُعْيٍ.

وقيل: كليلٌ.

وقيل: مُتحسِّرٌ على ما لـم يجِدْه.

* * *

---

(١) في (ن): «رُدَّ».

(٥) ـ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: وهي التي تلي الأرضَ ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: بكواكبَ تُضيئُها كإضاءةِ الصُّبحِ.

﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾؛ أي: بعضَها ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾: جمعُ «رَجْمٍ» بالفتحِ كالقَبْضِ.

ويقالُ لها: كواكبُ الأخذِ.

قتادةُ: خلقَ اللهُ النُّجومَ لثلاثةِ أشياءَ: زينةً للسَّماءِ، ورُجومًا للشَّياطينِ، وليُهتَدَى بها في ظلماتِ البرِّ والبحرِ، فمَن أوَّلَها على غيرِ ذلك فقد قالَ رأيَه وأخطأَ حظَّه[١].

الضحَّاكُ: الكواكبُ التي تُرى لا يُرجَمُ بها، والتي تُرجَمُ بها الشَّياطينُ لا يراها النَّاسُ[٢].

أبو عليٍّ: الكواكبُ أنفسُها لا تَرْجُمُ؛ لأنَّ الكواكبَ ثابتةٌ لا تزولُ عن السَّماءِ ولا تُفقَدُ، إنَّما ينفصلُ عنها شهابٌ مُحرِقٌ[٣].

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: للشَّياطينِ ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾: النَّارَ المسعورةَ سوى هذه الرُّجومِ؛ أي: في الآخرةِ.

ويحتمِلُ أنَّ ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ هو ما يُصيبُهم منَ الشُّهبِ.

وقيل: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾؛ أي: للكفَّارِ.

والأوَّلُ أظهرُ.

---

(١) علقه البخاري بعد حديث (٣١٩٨)، ووصله الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٢٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣١)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣١)، واستغربه.

(٦) ـ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: هذا استئنافٌ، وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالنَّصبِ(١)، وفيه كلامٌ.

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: المرجعُ جهنَّمُ.

***

(٧) ـ ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾: صوتًا كصوتِ الحمارِ، وهو أنكرُ الأصواتِ وأعلاها، من قولِهم: جبلٌ شاهقٌ.

﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: ترتفعُ بالغليانِ.

***

(٨) ـ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾: تكادُ تنقطعُ.

وقيل: تتفرَّقُ من شدَّةِ الغضبِ على الكفَّارِ.

وقيل: صوتُها يُشبِهُ صوتَ المُغتاظِ.

وقيل: غيظُها: غلَيانُها.

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: قوم وجماعةٌ منَ الكفَّارِ ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؟ يُخوِّفُكم هذا العذابَ، وهذا سؤالُ تبكيتٍ وتقريعٍ.

---

(١) نُسبت قراءة النصب في «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٠٨) لأُسيد، وفي: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٠) للضحاك والأعرج.

(٩) ـ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾: يعني: الرَّسولَ ﴿فَكَذَّبْنَا﴾؛ أي: كذَّبناه ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾؛ أي: كتابٍ ولا رسولٍ ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾: ما أنتم ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ في قولِكم ودَعواكُم.

وقعَ (النَّذيرُ) موقعَ الجمعِ، ويجوزُ أن يكونَ نذيرُ كلِّ فوجٍ رسولَـهم، ثمَّ جُمِعَ على ما سبقَ أنَّ مَن كذَّبَ رسولًا فقد كذَّبَ الرُّسلَ جميعًا.

***

(١٠) ـ ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾؛ أي: ﴿نَسْمَعُ﴾ سمعَ مُنتفعٍ، ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عقلَ مُتفكِّرٍ مُعتبرٍ، ﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ أي: من جملةِ أهلِ النّارِ.

***

(١١) ـ ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ﴾: أقرُّوا بكُفرِهم. والاعترافُ: إقرارٌ عن معرفةٍ.

والذَّنبُ في الأصلِ مصدرٌ فلم يُجمَعْ.

﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ أي: أسحقَهُم الله إِسحاقًا: أبعدَهُم إبعادًا، فوقعَ (سُحقًا) موقعَ (إسحاقًا) كـ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، وهذا إثباتُ الوعيدِ وتوكيدُه.

وقيل: السُّحقُ وادٍ في جهنَّمَ(١).

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣١٥) عن سعيد بن جبير وأبي صالح، وانظر: «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٦).

(١٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: يخافُونَ الله ويترُكونَ معصيتَه حيثُ لا يراهم أحدٌ منَ النّاسِ(١).

وقيل: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: بقلوبِهم ونيَّاتِهم، لا كالذينَ قالوا بأفواهِهم ما ليس في قلوبِهم(٢).

وقيل: يخافُونَه وهم لـم يرَوه.

وقيل: يخشَونَ ربَّهم قبلَ المصيرِ إليه.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: لذُنوبِهم.

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: عظيمٌ في الآخرةِ.

***

(١٣) ـ ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: في سببِ النُّزولِ: ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في المُشركينَ، كانُوا ينالونَ من رسولِ الله ﷺ، فيُخبِرُه جبريلُ عليه السَّلامُ بما قالُوا فيه ونالُوا منه، فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: أَسِرُّوا قولَكُم كي لا يسمعَ إلهُ محمَّدٍ(٣).

والمعنى: سواءٌ على الله تعالى الإسرارُ والإجهارُ؛ لأنَّه يعلمُ مُضمَراتِ القلوبِ وما تُخفي الصُّدورُ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٢)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٠٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣١٥).

(١٤) ـ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾؛ أي: ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ السرَّ ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ السِّرَّ؟

وقيل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ ما في الصُّدورِ ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ الصُّدورَ؟

وقيل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ الأشياءَ ما في صدورِ عبادِه؟

و﴿مَنْ﴾ في هذه الوجوهِ رفعٌ.

وقيل: التَّقديرُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ الله ﴿مَنْ خَلَقَ﴾؛ أي: خلقَهم، فيكونُ ﴿مَنْ﴾ في محلِّ نصبٍ.

وقيل: ﴿مَنْ﴾ بمعنى: ما، وفيه بُعدٌ.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾: العالمُ بدقائقِ الأشياءِ وبواطِنِها.

* * *

(١٥) ـ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: ليِّنةً سهلةً مُذلَّلةً يسهُلُ لكم السُّلوكُ فيها، وقيل: ليَّنَها بالجبالِ حتَّى تستقِرَّ ولا تزولَ بأهلِها[1].

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: جوانبِها، ومَنْكِبا الرَّجلِ: جانِباه.

وقيل: في جبالِها.

وقيل: في طُرُقِها.

﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾: والتَمِسُوا منَ الله الرِّزقَ ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: المرجعُ، فيُجازيكم بأعمالِكم.

---

(١) «لينة سهلة... بأهلها» من (ن).

(١٦) ـ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: قيل: هو الله تعالى على تقديرِ: مَن في السَّماءِ عرشُه وسلطانُه[١].

وقيل: هم الملائكةُ.

﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بأمرِ الله.

وقيل: خاطبَ العربَ على ما كانوا يعتَقِدُونَه؛ فإنَّهم زعمُوا أنَّ الأصنامَ آلهةٌ للأرضِ، وأنَّ الله إلهُ السَّماءِ.

وقيل: خصَّ السَّماءَ بالذِّكرِ تعظيمًا لها وتفخيمًا لشأنِها.

قال أبو القاسمِ: قال الله تعالى: إنَّه في السَّماءِ، ولـم يقُلْ: إنَّه ليس في غيرِها، قال: ونحنُ نقولُ: بكلِّ مكانٍ، على أنَّه حافِظٌ لكلِّ مكانٍ عالـمٌ به مُدبِّرٌ له[٢].

وقيل: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: على السَّماءِ، كقولِه: ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾.

﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾: يشقَّ الأرضَ فيُغيِّبكم فيها، كما خسَفَ بقارونَ.

﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: تضطرِبُ وتتحرَّكُ. والمورُ: التَّردُّدُ في المجيءِ والذَّهابِ.

و﴿أَن يَخۡسِفَ﴾ بدلٌ مِن ﴿مَّن﴾.

وأجازَ النَّحَّاسُ أن يكونَ مفعولًا به[٣].

وقدَّمَ الخسفَ على الحَصْبِ لأنَّ المُخاطَبين في الأرضِ، فهي إليهم أقربُ.

---

(١) كذا أول المصنف الآية، وفيها الخلاف المشهور. انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ١١٧)، و«تفسير الثعلبي» (٢٧/ ١٠٩)، و«العلو للعلي الغفار» للذهبي، و«إعلام الموقعين» (٢/ ٢١٥ ـ ٢١٧).

(٢) أوضح المصنف مذهبه في المسألة، فهو على مذهب المؤولة من الخلف، وأبو القاسم هو المصنف في الظاهر، وورود عبارة «قال أبو القاسم» يدلّ على أن المصنف أملى كتابه إملاء على عادة المتقدمين.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٠٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٢)، واستغربه.

(١٧) ـ ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾.

﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾: حجارةً.

والحاصِبُ والحصباءُ واحدٌ.

وقيل: الحاصِبُ مطرٌ فيه حَصباءُ كما فُعِلَ بأصحابِ لوطٍ.

وقيل: ﴿حَاصِبٗا﴾: سحابٌ فيه حجارةٌ.

وقيل: كانَ الحجرُ يَحصِبُ.

﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾؛ أي: إن[1] لـم أُعاجِلْكُم بالعذابِ فستعلَمُونَ كيفَ عاقبةُ ما خوَّفتُكُم به.

وكان القياسُ أن يكونَ ﴿أَمۡ﴾ لأحدِ المذكورَين؛ كما في قولِك: أزيدٌ جاءكَ أم عمرٌو؟ لكنَّ الآيةَ فيها معنى التَّخويفِ والتَّهديدِ، وليس باستفهامٍ، فجازَ الجمعُ بين المذكورَينِ.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: قبلَ قومِكَ ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم، وقيل: عُقوبَتي.

* * *

(١٩) ـ ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ﴾: ثمَّ نبَّه على قُدرتِه على الخسفِ وإرسالِ الحاصبِ فقال: ﴿أَوَلَمۡ

---

(١) «إن» من (ف).

﴿يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾: جمعُ (طائرٍ) ﴿فَوْقَهُمْ﴾ في الهواءِ ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أجنحَتَهُنَّ كالحِدَأِ والنَّسرِ.

﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أي: أجنِحَتَهُنَّ، يضرِبْنَ بها جُنوبَهنَّ كالحمامِ.

وقيل: يُصفِّفْنَ[1] أحيانًا، ويقبِضْنَ أحيانًا.

وقيل: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: مُصطَفَّاتٍ واقفاتٍ ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ الأجنِحةَ إذا وقَفْنَ منَ الطَّيرانِ.

وقيل: في الهواءِ طيورٌ لا يقَعْنَ بالأرضِ أبدًا، طعامُها النَّملُ والبعوضُ، إذا طِرْنَ في الهواءِ قبَضْنَ[2] على أذنابِهنَّ وأجنِحَتِهنَّ. حكاه ابنُ هَيضمٍ[3].

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الجوِّ ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بقُدرتِه، فإنَّ الثَّقيلَ يستفِلُ طبعًا ولا يعلُو.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الله ﴿بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾: عالـمٌ بمصلحةِ كلِّ شيءٍ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: مَن جندُكم الذي ينصرُكم ويحولُ بينكم وبينَ عذابِ الرَّحمنِ فأمِنْتُم عذابَه بسببِه؟

وقيل: معناه: هل شيءٌ من أصنامِكُم يدفعُ عنكم عذابَ الله؟

﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾؛ أي: هم مُغتَرُّونَ بغرورِ الشَّيطان، غيرُ مُتمسِّكينَ بحُجَّةٍ وبرهان.

وقيل: معناه: مَن ينصُرُكم سوى الرَّحمنِ؟

---

(١) في (ف): «يضعفن».

(٢) كذا في النسختين، وفي «غرائب التفسير»: «تبيض».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٢)، وعدّه من العجائب.

(٢١) ـ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾؛ أي: ومَن يُرسِلُ المطرَ عليكم إنْ أمسكَ اللهُ المطرَ؟

وقيل: إنْ أمسَكَ جميعَ أسبابِ الرِّزقِ.

﴿بَل لَّجُّوا﴾: تمادَوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾: استكبارًا عن الحقِّ وعنِ الدّاعي إليه ﴿وَنُفُورٍ﴾ عنه.

* * *

(٢٢) ـ ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا﴾ ـ تقولُ: كبَبْتُه فأكَبَّ ـ ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾؛ أي: مُطرِقًا لا يلتفتُ ولا يتأمَّلُ الطُّرقَ واختلافَها ﴿أَهْدَىٰ﴾: أرشدُ وأدلُّ ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ المعنى: أفمَنْ يمشي مُطرِقًا لا يلتفتُ إلى الطَّريقِ واختلافِها أرشدُ أم الذي يرفعُ رأسَه ينظرُ إلى الجادّةِ؟ وهذا مثَلٌ ضربَه الله.

وقيل: ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ يعملُ بالمعاصي أرشدُ ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ يعملُ بطاعةِ الله؟

وقيل: ﴿يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ إلى النّارِ، من قولِه: ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الفرقان: ٣٤] كمَن يمشي على قدمَيه إلى الجنَّةِ، وقد سبقَ.

وقيل: نزلَتْ في أبي جهلٍ وعمَّارٍ[١]، أو ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنهما[٢].

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٥٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٦١) عن عكرمة.

(٢) لم أقف عليه، وثمة أقوال أخر، ففي «البسيط» (٢٢/ ٦٠ ـ ٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. وفي «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٩٣) أنه رسول الله ﷺ.

(٢٣) ـ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾: خلقَكُم ابتداءً.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: خصَّ هذه الثَّلاثةَ بالذِّكرِ؛ لأنَّ العلومَ والمعارفَ بها تحصلُ.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرونَ شُكرًا قليلًا، و(ما) زيادةٌ.

وقيل: القِلَّةُ عبارةٌ عن العدمِ، كقولِ الشّاعرِ:

قليلًا بها الأصواتُ إلا بغامُها

أي: لا صوتَ بها إلا بغامُها، وقد سبقَ[1].

* * *

(٢٤) ـ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: خلقَكم فيها صِغارًا ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: إلى دارِ الحسابِ والجزاءِ.

وقيل: إلى حيثُ لا يجري لغيرِه[2] أمرٌ.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾: أي: ما وُعِدُوا منَ الخسفِ والحاصبِ.

وقيل: البعثُ والنُّشورُ.

﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي: إنْ صدقتُم في كونِه فأعلِمُونا زمانَه، فإنَّ مَن عرفَ مجيءَ شيءٍ عرفَ كونَه وزمانَه.

---

(١) البيت لذي الرمة، وسبق في سورة (براءة) عند قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ [٨٢].

(٢) في (ف) زيادة: «فيه».

(٢٦) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾؛ أي: علمُ وقتِ العذابِ، وقيل: علمُ السّاعةِ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: لم يُطلِعْ عليه أحدًا.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أُخوِّفُكم بمجيئِه ولا أعلَمُ وقتَه.

* * *

(٢٧) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾: عايَنُوا عذابَ الله قريبًا منهم ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: ورَدَ عليهم ما يسوؤُهم.

وقيل: أُنيلَتِ السُّوءَ؛ أي: ما ساءَها.

وقيل: كان يومَ بدرٍ.

﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ أصلُه: (تفتَعِلونَ) منَ الدَّعوى؛ أي: تدَّعونَ أنَّه كذبٌ.

وقيل: (تفتَعِلونَ) منَ الدُّعاء؛ أي: تدَّعونَ الله بإيقاعِه، وتستعجِلُونَ وتقولونَ: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠].

وقيل: دَعا وادَّعى بمعنًى.

وقُرِئَ: ﴿تَدْعُونَ﴾ خفيفًا[١].

* * *

(١) قرأ بها يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٩).

(٢٨) ـ ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا ﴾: هذا جوابٌ لقولِـهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، و: «إنَّ أمرَ محمَّدٍ لا يتِمُّ ولا يبقى»؛ أي: إن أماتَني الله وأماتَ مَن معيَ أو رحِمَنا وأخَّرَ آجالَنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾: فمَن يُنجِّيهم من العذابِ؛ فإنَّه نازلٌ بهم لا محالةَ، فأيُّ نفعٍ لكم في موتي؟

ابنُ جريرٍ: معناه: لا حاجةَ بكم إلى أن تستعجِلُوا قيامَ السّاعةِ ونُزولَ العذابِ؛ فإنَّ ذلك غيرُ نافعِكم، بل ذلك بلاءٌ عظيمٌ عليكم(١).

وقيل: معناه: لا تتمَنَّوا مَوتي فإنَّه لا ينفَعُكم، وتـمَنَّوا ما يُجيرُكم من عذابِ الله فإنَّ ذلك أنفعُ لكم.

وقيل: معناه: نحنُ مع إيمانِنا خائفونَ، فمَن يمنعُكم من عذابِ اللهِ(٢) وأنتم كافرونَ؟!

***

(٢٩) ـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾؛ أي: الذي أدعوكُم إليه اللهُ.

﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾: فوَّضْنا إليه أمورَنا.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: نحنُ أم أنتُم.

***

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٣٧).

(٢) في (ن): «عذابه».

(٣٠) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾: غائرًا ذاهبًا ناضِبًا لا تنالُه الأيدي والدِّلاءُ.

قال الكلبيُّ: بئرُ زمزمَ، وبئرُ ميمونِ بنِ الحضرميِّ أخي عمرِو بنِ الحضرميِّ[1]، وهي بئرٌ عاديَّةٌ[2] قديمةٌ.

﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾: ظاهرٍ تنالُه الأيدي.

وقيل: جارٍ.

وقيل: عذبٍ.

و﴿مَّعِينٍ﴾: (فعيلٌ) منَ المعنِ والإمعانِ.

وقيل: (مفعولٌ) من العينِ[3]، وقد سبقَ[4].

والفاء في قولِه: ﴿فَمَن يُجِيرُ﴾: قيل: هو زيادةٌ.

وقيل: جوابُ الشَّرطِ، وهو ضعيفٌ مزيَّفٌ، والفاءُ جوابُ (انتبِه) الدالِّ عليه ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، وليس بجوابِ الشَّرطِ، وإنَّما جوابُه مدلولٌ عليه. والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٤/ ٦٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٢٥). عن الكلبي ومقاتل.

(٢) أي: بئر قديمة، وهي منسوبة إلى (عاد)، ولكن لم يُرد بها عاداً بعينها، لكن لما كانت عاد في الزمن الأول، نسب إليها كل قديم. انظر: «المغني» لابن قدامة (٥/ ٤٣٨)، و«الدر النقي» لابن المبرد (٣/ ٥٤٦).

(٣) في (ف): «المعين»، ولا يصحُّ.

(٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات: ٤٥].

سورةُ ﴿نٓ﴾[1]

اثنتانِ وخمسونَ آيةً، مكِّيَّةٌ.

قال ابنُ عبّاسٍ وقتادةُ: مكِّيَّةٌ من أولِها إلى قولِه: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾، ومن قولِه: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ﴾ إلى قولِه: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: مدَنيٌّ، ومن قولِه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ إلى قولِه: ﴿يَكْتُبُونَ﴾: مكِّيٌّ، ومن قولِه: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ إلى قولِه: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: مدَنيٌّ، والباقي مكِّيٌّ[2]. واللهُ أعلَمُ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: نزلَتْ هذه الآياتُ جوابًا للمُشركين حينَ قالوا لرسولِ الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، ﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]، ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤]، فقال: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[3].

---

(١) كذا ورد تسميتها في عدد من الكتب مثل «مجاز القرآن» و«تفسير عبد الرزاق»، و«جامع الترمذي»، وفي غيرها: (سورة ن والقلم) مثل «تفسير مقاتل» و«صحيح البخاري»، وفي المصحف وكثير من التفاسير وكتب علوم القرآن: (سورة القلم).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٦٥٤) عن ابن عباس وقتادة.

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢٩٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦١).

والظَّاهرُ في (نون) أنَّه من حروفِ التَّهجِّي، وبناؤُه على السُّكونِ وكتابتُه في المُصحفِ يدُلَّانِ على ذلك.

ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّ ﴿الٓر﴾ ﴿حمٓ﴾ ﴿نٓ﴾ مجموعُ الرَّحمنِ، وقد سبقَ(١).

والثّاني: أنَّه الحوتُ التي دُحِيَتِ الأرضُ عليه، وجاء ذلك مرفوعًا(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٣)، وسبق في تفسير سورة (غافر).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٥٩) وقال: قاله ابن عباس من رواية أبي الضحى عنه، وقد رفعه.

قلت: فهو يشير إلى ما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٢٧) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا بلفظ: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم والحوت قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كان إلى يوم القيامة» ثم قرأ ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾؛ فالنون: الحوت، والقلم: القلم. وقال: لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل.

قلت: مؤمل بن إسماعيل قال عنه البخاري: مُنكر الحديث، وقال أبو زرعة: في حديثه خطأ كثير. انظر: «المغني في الضعفاء» للذهبي (٢/ ٦٨٩)

ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٦٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٨٨٦) في خبر طويل من طريق السدي عن أشياخه عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ، وفيه: «فخلق الأرض على حوت، والحوت هو النون الذي ذكره الله في القرآن: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾».

قلت: وهذا موقوف على الصحابة المذكورين، وهذا الإسناد من طريق السدي عن هؤلاء الصحابة من الأسانيد الكثيرة الدوران في «تفسير الطبري»، علماً أن الطبري نفسه قد ارتاب به ولكنه لم يبيّن علّة ارتيابه، فقد قال في «تفسيره» (١/ ٣٧٥) عن هذا الإسناد: «ولست أعلمه صحيحًا، إذ كنت بإسناده مرتابًا».

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ =

قال الكلبيُّ ومقاتلٌ: اسمُه يَهْموت[١].

الواقديُّ: ليوثا[٢].

كعبٌ: لويثا[٣].

وعن عليٍّ رضيَ الله عنه: بلهوت[٤]، وعنه رضي الله عنه في بعضِ رَجَزِه:

مـا لـي أراكُـم كلَّكـم سُـكوتًا والله ربِّـي خـالقِ البلهوتـا[٥]

الثَّالثُ: الدَّواةُ، وهي أليَقُ بالقلمِ، وسمعتُ الثِّقاتِ أنَّ أصحابَ البحرِ يستخرجون من بعضِ الحيتانِ شيئًا أسودَ كالنِّقْسِ أو أشدَّ سوادًا منه يكتبُونَ به، فيكونُ النُّونُ ـ وهو الحوتُ ـ عبارةً عن الدَّواةِ، يُقوِّيه ما رُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «أوَّلُ شيءٍ خلقَه الله القلمُ، ثمَّ خلقَ النُّونَ، وهي الدَّواةُ، ثمَّ قالَ له: اكتُبْ ما هو كائنٌ من عملٍ أو أثرٍ أو رزقٍ أو أجلٍ، فكتَبَ ما كانَ وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، ثمَّ ختمَ على القلمِ فلم ينطِقْ، ولا ينطِقُ إلى يومِ القيامةِ»[٦].

= ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] عن الإسناد المذكور: «فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة، والله أعلم».

(١) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٣)، والعيني في «عمدة القاري» (١٩/ ٢٥٥)، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤١١) عن وهب، ووقع في (ف): «بهموث».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٣).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٣٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٨). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٣).

(٤) في (ن): «يلهوت». والاسم مضطرب في المصادر، ولا طائل من البحث فيه.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٣).

(٦) رواه الفريابي في «القدر» (ص: ٤٠)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٥٢٢)، وابن بطة في «الإبانة» =

وجاءَ في الشِّعرِ:

إذا مــا الشَّــوقُ بــرَّحَ بــي إليــهم ... أَلَقْتُ النُّــونُ بالدَّمــعِ السَّــجومِ[1]

معاويةُ بنُ قُرّةَ مرفوعًا: «إنَّ النُّونَ لوحٌ من نورٍ»[2].

وقيل: النُّونُ قَسَمٌ أقسمَ الله تعالى به.

وقيل: اسمٌ للسُّورةِ كأخواتِها.

وقيل: اسمُ نهرٍ في الجنّةِ.

الضَّحَّاكُ: هو فارسيٌّ (أنون)، فترجمَ بعضُهم عنه فقالَ: اصنَعْ ما شئتَ[3]. والله أعلمُ.

﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ أقسمَ الله بالقلمِ أو بربِّ القلمِ كما سبقَ، وهو قلمٌ من نورٍ طولُه ما بين السَّماءِ والأرضِ.

= (٣/ ٣٣٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ١٧٣ ـ ١٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال ابن عدي: «وهذا بهذا الإسناد باطل منكر»، وكذا ذكر الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٦١).

قلت: ولبعضه شاهد قوي رواه أبو يعلى (٢٣٢٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٠٣)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: «إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم، وأمره فكتب كل شيء». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٠): «رواه البزار ورجاله ثقات».

(١) البيت بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» (٢٧/ ١٣٨)، و«البسيط» للواحدي (٢٢/ ٧٠)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٥) وفي هامش (ن): «ألقت؛ أي: سوَّدْتُ». ولاق الدواة وألاقها؛ أي: أصلح مدادها. انظر: «مختار الصحاح» مادة: (ل ي ق) (ص: ٢٨٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٤٤)، وساقه عنه ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٨٦)، ثم قال: «وهذا مرسل غريب».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٥)، وعده من العجائب.

وذهبَ ابنُ بحرٍ إلى أنَّه القلمُ الذي يُكتَبُ به، من قولِه: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾، وهي اليَراعةُ المَبْريَّةُ.

﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾؛ أي: يكتُبونَ، وقيل: يعلمون، كنايةٌ عن غيرِ سابقٍ؛ أي: يكتبُه الحفَظةُ من أفعالِ بني آدمَ.

ابنُ بحرٍ: ما نكتبُه نحنُ، من قولِه: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [القلم: ٥] يعني: الخطَّ والكتابةَ[(١)].

وذكرَ النَّقَّاشُ: ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾؛ أي: يسطرُه القلمُ، وفيه نظرٌ، أو يُحمَلُ على أصحابِ القلمِ.

وفي ﴿ما﴾: قولانِ؛ أحدُهُما: أنَّهُ بمعنى الذي، وقيلَ: هو للمصدَرِ.

وحكى محمدُ بنُ الهَيْصمِ عن بعضِهِم[(٢)]: أنَّ النُّونَ الفَمُ، والقَلَمَ اللِّسانُ، ﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾: ما يكتبهُ الحَفَظَةُ[(٣)].

وقال الحسنُ: عجِبْتُ مِن ابنِ آدمَ كيفَ يتكلَّمُ بالفُضولِ وحافِظَاهُ على نابَيْهِ، لسانُهُ قلمُهُما ورِيقُهُ مِدادُهُما، وهو فيمَا بينَ ذلكَ يتكلَّمُ بِما لا يعنيهِ[(٤)].

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٍ﴾: جوابُ القَسَمِ، والمَجنونُ: مستورُ العقلِ، تقولُ[(٥)]: جُنَّ فهوَ مَجنونٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٦)، واستغربه.

(٢) «عن بعضهم»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٦)، وعده من العجائب.

(٤) تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨].

(٥) في (ف): «والمجنون المستور، الفعل منه».

النَّحَّاسُ: أَجَنَّ فهوَ مَجنونٌ[١]، مثل: أحبَّ فهوَ مَحبوبٌ.

والنِّعمَةُ: الرَّحمةُ، والنِّعمةُ: النُّبوَّةُ.

والباءُ في ﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ قيلَ: للسَّببِ؛ أيْ: ما أنتَ بمَجنونٍ بسببِ أنَّ اللهَ أنعمَ عليكَ بكمالِ العقلِ والمعرفةِ.

وقيلَ: نسبوهُ إلى الجنونِ لادِّعائهِ النُّبوَّةَ، فقالَ اللهُ تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾؛ أيْ: ليسَتِ النُّبوَّةُ سببًا للجنونِ[٢].

وقيلَ: هو كقولِكَ: ما أنتَ بحمدِ اللهِ بمَجنونٍ، والمعنى: انْتفَى عنكَ الجنونُ بنعمَةِ ربِّكَ.

وقيلَ: الباءُ للقَسَمِ، حكاهُ أقضى القُضاةِ، وفيهِ ضَعْفٌ[٣]؛ لأنَّ القسمَ لا يدخُلُ على القَسَمِ.

***

(٣) ـ ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا﴾: ثوابًا على تبليغِ الرِّسالةِ وتحمُّلِ المشاقِّ.

﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾: غيرَ مقطوعٍ، غيرَ منقوصٍ، غيرَ محسوبٍ، غيرَ ممنونٍ به، فذلكَ كلُّه أقوالٌ.

الضحاكُ: أجرًا من غيرِ عَمَلٍ[٤]، وقد سبقَ[٥].

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٦)، واستغربه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٦١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٦)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦١)،

(٥) في سورة (فصلت) الآية: ٨.

(٤) ـ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾: قيلَ: على الدِّينِ العظيمِ.

وقيلَ: على الإسلامِ.

وقيلَ: على القرآنِ.

وقيلَ: على آدابِ القرآنِ.

وفي حُسنِ أخلاقِ النبيِّ عليه السَّلامُ كثرةٌ لا يأتي عليها العَدُّ.

وعن أبي الدَّرداءِ قالَ: سألتُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنهُا عن خُلُقِ النبيِّ عليهِ السَّلامُ، فقالَتْ: كانَ خُلُقُه القُرآنُ، يسخَطُ بِسَخَطِهِ ويَرضَى بِرِضَاهُ[١].

وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنهُا قالَتْ: ما دَعاهُ أَحَدٌ مِن أصحابِهِ ولا مِن أهلِ بيتِهِ إلَّا قالَ: لبَّيكَ[٢].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «أكمَلُ المؤمِنينَ إيمانًا أحسَنُهُم خُلُقًا»[٣].

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١١١)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٠٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٤٣٤)، بلفظ: «... يرضى لرضاه ويسخط لسخطه». ورواه مسلم (٧٤٦) بلفظ: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن».

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٢)، وأبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (١١٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٣) وتمامه كما في مصادر التخريج: «ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال: «لبيك» ولذلك أنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾».

(٣) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

وفرَّقَ عليُّ بنُ عيسى بينَ الخُلُقِ والخِيمِ فقال: الخُلُقُ: ما يأخُذُ الإنسانُ بهِ نفسَهُ مِن الآدَابِ[١]، والخِيمُ: الطَّبعُ الغَرِيزيُّ[٢].

وقيلَ: أصلُهُ ما ذُكِرَ، ثمَّ كَثُرَ الخُلُقُ في الكلامِ حتى يُستعمَلُ مكانَ الطَّبعِ والجِبِلَّةِ.

***

(٥ ـ ٦) ـ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾: أي: عن قريبٍ تَرَى ويَرَوْنَ ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾، وهذا وعيدٌ لَهُم لقولِهم له: إنَّهُ لمَجنونٌ.

والمفتونُ: الذي فُتِنَ، وقيلَ: المفتونُ: المَجنونُ، وقيلَ: الضَّالُّ، وقيلَ: الأَوْلى بالشَّيْطانِ.

وقيلَ: بأَيِّكم: إبليسُ عَدوُّ اللهِ[٣]، والباءُ بمعنى: في؛ أي: في أيِّ الفَريقَيْنِ؛ فريقِ المؤمنينَ، وفريقِ الكافرينَ.

وقيلَ: الباءُ للإلصاقِ، و﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾: الفِتْنَةِ؛ كما تقولُ: به داءٌ.

أبو عبيدةَ: الباءُ زيادةٌ[٤].

ابنُ بحرٍ: أو يتبيَّنُ أنَّ المفتونَ بِمَن يصيرُ مفتونًا؟ أَبِدعائِكَ يا محمَّدُ أَمْ بدُعاءِ رؤوسِ الضَّلالةِ وأتباعِهِم؟

---

(١) في (ن): «الأدب».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦١) دون نسبة، ونسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣١٩) للماوردي، وانظر: «تاج العروس» مادة: (خ ي م) (٣٢/ ١٣٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٧)، وعده من العجائب.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٤).

المبرِّدُ: بأيِّكُم فُتِنَ المفتونُ[(١)]؟

* * *

(٧) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أيْ: سيَمِيزُ بعضَهُم عن بعضٍ في الآخرَةِ.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: في الكفِّ عنِ التَّشدُّدِ عليهِم وعيبِ آلهَتِهِم، وذلكَ أنَّهُم سألوهُ أنْ يكفَّ عنهُمْ ويُدارِيَهُم.

﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾؛ أي: تُمَاثِلُهم وتُجامِلُهُم.

وقيلَ: توافِقُ معَهُم وتَترُكُ مُناصحتَهُم.

وقيلَ: تلينُ لَهُم، فيَلِينونَ لك.

وقيلَ: لو تقارِبُهُم، فيقاربونَ لكَ.

وقيلَ: لو تَضعُفُ، وقيلَ: لو تكذِبُ، وقيلَ: لو تُرخِّصُ، وقيلَ: لو وهَنْتَ عن هذا الأمرِ.

والفاءُ للعطفِ لا للجَوابِ.

* * *

---

(١) ذكره أبو علي الفارسي في «البصريات» (١/ ٥٤٤)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٦٢١).

(١٠) ـ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: هو أبو جهلٍ[١].

مقاتلٌ: الوليدُ بن المغيرةِ[٢].

مجاهدٌ: هو الأسودُ بن عبدِ يَغُوثَ[٣].

الكلبيُّ: الأخنَسُ بن شريقٍ[٤].

قولُه: ﴿حَلَّافٍ﴾: كثيرُ الحَلِفِ بالباطلِ.

وقيلَ: الإكثارُ مِن اليمينِ مَذمومٌ؛ فإنَّ اللهَ تعالى عابَهُ على مجرَّدِ الحَلِفِ ولم يتعرَّضْ للصِّدقِ والكَذبِ.

﴿مَّهِينٍ﴾: حَقيرٍ قليلٍ في الرأيِ والتَّمييزِ، مِن (المَهانَةِ)، تقولُ: مَهُنَ ـ بالضمِّ ـ فهوَ مَهِينٌ، وقيلَ: مِن (المَهنَةِ)، وهيَ الخِدمَةُ، والفعل: مَهَن ـ بالفتحِ ـ مَهْنًا ومَهْنَةً، والمَاهِنُ: العَبْدُ، وليسَ مِن (الهَوَانِ).

الحسنُ: المَهِينُ: المِكثَارُ في الشَّرِّ[٥].

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٨٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٤).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٤)، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٤) فقال: «وزعم ناس من بني زهرة أن الزنيم هو: الأسود بن عبد يغوث الزهري، وليس به».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨١) عن الكلبي والسدي وابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٤) عن السدي، وذكره ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣٦٠) عن ابن إسحاق.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤) عن الحسن وقتادة.

الفرَّاءُ: الفاجِرُ[1].

وقيلَ: الضَّعِيفُ القَلبِ.

وقيلَ: مَن أكثرَ الحَلِفَ الكَاذبَةَ باللهِ فهوَ عندَ النَّاسِ مَهينٌ.

النَّحاسُ: ويجوزُ أن يكونَ بمعنى: مُهَانٍ[2]، وفيهِ تعسُّفٌ.

***

(١١) ـ ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾.

﴿هَمَّازٍ﴾: هو الذي يَغتابُ النَّاسَ ويقَعُ فيهِمْ مِن ورائِهِم.

وقيلَ: الذي يهمِزُ النَّاسَ؛ أيْ: يكسِرُ عينَهُ إذا ولَّى صَاحِبُه.

وقيلَ: العَيَّابُ.

﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾: نقَّالٌ للحديثِ، وهوَ الواشي، والنَّمِيمُ: جمعُ نَميمَةٍ.

وقيلَ: النَّمِيمَةُ والنَّمِيمُ واحدٌ، والاسمُ: النَّمَّامُ.

***

(١٢) ـ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: يبخَلُ بمالِهِ، وقيلَ: يمنَعُ النَّاسَ عن الإيمانِ.

﴿مُعْتَدٍ﴾: على النَّاسِ مِن غيرِ عَدْلٍ وإنصافٍ ﴿أَثِيمٍ﴾: كثيرِ[3] الإثمِ.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٣).

(٢) القول المختار عند النحاس أنه من (المهانة)، ولكنه أجاز هذا أيضاً. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٧٥) و(٥/ ٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٧) عن ابن بحر، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «كبير».

(١٣) - ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾.

﴿عُتُلِّۭ﴾: جاءَ مرفوعًا: «الفاحِشُ اللَّئِيمُ»(١).

وقيلَ: العُتُلُّ: الشَّدِيدُ الخُصومَةِ.

وقيلَ: الأَكولُ الشَّرُوبُ القويُّ الشَّديدُ.

وقيلَ: الأَكُولُ الأَشِرُ.

وقيلَ: الغليظُ الجافي؛ مِن قوله: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ﴾: أيْ: جُرُّوهُ على عُنْفٍ.

﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾؛ أي: بعدَ هذهِ الخَصائِلِ ومعَ هذهِ الرَّذائلِ مُلصَقٌ بالقومِ ليسَ مِنهم، مَأخوذٌ مِن زَنَمَتَي الشَّاةِ.

وقيلَ: لهُ زَنَمَةٌ في الشرِّ يُعرَفُ بها، كما تُعرَفُ الشَّاةُ بزَنَمَتَيْهَا(٢).

وجاءَ مَرْفوعًا: أَنَّهُ اللَّئِيمُ(٣).

ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الفاجِرُ(٤).

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه» (٣٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٥) عن القاسم بن عبد الرحمن مولى معاوية عن النبي ﷺ، ورواه الطبري وابن أبي حاتم أيضاً عن موسى بن عقبة عن النبي ﷺ، وكلاهما مرسل.

(٢) رواه البخاري (٤٩١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال: «رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة»، قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: «ومعنى هذا: أنه كان مشهورًا بالشر كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها».

(٣) تقدم قريباً في حديثي القاسم بن عبد الرحمن مولى معاوية وموسى بن عقبة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٩) عن أبي رزين، وكذا ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٦٢٧)، ورواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤٧) عن شهر بن حوشب.

الضَّحَّاكُ: كانتْ للوليدِ أسفلَ مِن أذنِهِ زَنَمَةٌ كزَنَمَةِ الشَّاةِ(١).

عِكرِمَةُ: ولدُ الزِّنى، وأنشدَ:

زنيمٌ ليسَ يُعرَفُ مَن أبوهُ ... بغيُّ الأمِّ ذو حَسَبٍ لَئيمِ(٢)

وقيلَ: هو الذي يُعرَفُ بالأُبْنَةِ، رواهُ الماوَرديُّ(٣).

***

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾: لِأَنْ كانَ، أيْ: لأجلِ كونهِ ذا مالٍ وأولادٍ.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾؛ أي: القرآنُ ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: هو كَذِبُهم وما كُتِبَ عنهُم ولا حقيقةَ لهُ.

والعاملُ في ﴿أَن كَانَ﴾ عندَ الزَّجَّاجِ أحدُ الفعلينِ:

أحدُهما: قوله: ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٤).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٥).

(٢) رواه ابن الأنباري في «الوقف والابتداء» (١/ ٦٤)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٧)، والبيت بلا نسبة في «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٦٤)، و«تأويلات أهل السنة» (١٠/ ١٤٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٣).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٨)، وعده من العجائب. وقوله: «الأُبنة»: العيب في الحَسَب، تقول: ليس في حسب فلان أبنة، كقولك: ليس فيه وصمة. انظر: «العين» (٨/ ٣٨٣).

(٤) فيكون ﴿أَن﴾ نصباً بمعنى: قال ذلك لأن كان ذا مال وبنين؛ أي: جعل مجازاة النعمة التي خولها في المال والبنين الكفرَ بآياتنا. وإذا جاءت ألف الاستفهام ـ على من قرأ بها ـ فهذا هو القول لا يصلح =

والثاني: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ لأجلِ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾؛ أي: لا تُطِعْهُ لِيَسارِه(١).

ولم يُجِزْ أبو عليٍّ الوجهَ الأوَّلَ، وقال: لأنَّ حكمَ الجوابِ أن يكونَ بعدَ ما هوَ جوابٌ له(٢).

وقرئَ بالاستفهامِ(٣)، والتَّقديرِ: أَلِأَنْ كانَ ذا مالٍ تُطيعُهُ؟

وجاءَ في التَّفسيرِ: أنَّ الوليدَ كانَ له عَشرةُ بنينَ وتِسعةُ آلافِ مِثقالِ فضَّةٍ.

الضَّحَّاكُ: كانت له حديقةٌ في الطَّائفِ واثنا عشرَ ابنًا(٤).

***

(١٦) ـ ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾.

﴿سَنَسِمُهُۥ﴾: مِن الوَسْمِ وهو الكَيُّ ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: وهو الأَنْفُ، والمُتَدَلِّي مِن وجهِ الفيلِ أَنفُهُ، وهوَ مِن السِّباعِ الشَّفَةُ، وفيهِ أقوالٌ:

أحدُها: أَنَّهُ الأَنفُ في الحقيقةِ، وقد أصابَهُ يومَ بدرٍ جِراحَةٌ فبقيَ أثرُهَا عليهِ.

وقيلَ: المرادُ بِهِ الوجهُ؛ أي: يسوَدُّ وجهُهُ يومَ تبيَضُّ وجوهٌ وتسوَدُّ وجوهٌ.

= غيره. هذا كلام الزجاج.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٠٦)، وذكر المصنف هذا الوجه في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٨)، واستغربه، وذكر ثمة قولاً آخر وعده من العجائب وهو: أن يكون ﴿أَن كَانَ﴾ معمولاً لـ﴿عُتُلِّۭ﴾؛ أي: ﴿عُتُلِّۭ﴾ لأن كان ذا مال وبنين؛ أي: لأجل ماله وبنيه».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣١٠).

(٣) قرأ شعبة وحمزة: ﴿أأن كان﴾ بهمزتين محققتين، وابن عامر بهمزة واحدة ممدودة، والباقون بهمزة واحدة مفتوحة على الخبر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٦ ـ ٦٤٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٥).

وقيلَ: يسوَدُّ وجههُ ويُجعَلُ على أنفِهِ[1] علامةٌ؛ لعداوَتِهِ محمَّدًا ﷺ.

وقيلَ: هو استعارةٌ عن لزومِ العارِ والشَّنَارِ بما وصَفَهُ اللهُ بهِ[2]، كما قالَ:

لمَّا وَضَعْتُ على الفَرَزْدَقِ مِيسَمِي ... وعَلَى البَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ[3]

فإنَّ اللهَ لمْ يَصِفْ أحدًا بمثلِ ذلك.

وقال النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾: سَنَحدُّهُ على شُربِ الخمرِ، وأنشدَ:

تَظَلُّ يومَكَ في لهوٍ وفي طَرَبٍ ... وأنتَ باللَّيلِ شَرَّابُ الخَرَاطِيمِ

حكاهُ الثعلبيُّ[4]، وفيهِ تعسُّفٌ.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ۝١٧ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾.

﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾؛ أي: بَلَوْنا قُرَيشًا وأهلَ مَكَّةَ بالجُوعِ والقَحطِ بدُعاءِ النبيِّ ﷺ عليهِم حيثُ قالَ: «اللهمَّ اشدُدْ وَطأَتَكَ على مُضَرَ واجعَلْهَا سِنِينَ كسِنِي يُوسُفَ»[5].

---

(١) في (ن): «وجهه».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٩)، واستغربه.

(٣) انظر: «ديوان جرير» (٢/ ٩٤٠)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٠١)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١٣/ ٢٧٣).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٢٠٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٩)، وعده من العجائب. والبيت للأعرج المَعْني كما في «البحر المحيط» لأبي حيان (١٠/ ٢٣٣). والأعرج المعني هو عدي بن عمرو بن سويد الطائي، شاعر مخضرم. انظر: «معجم الشعراء» للمرزباني (ص: ٢٥١).

(٥) رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأمَـرَ أهـلَ هَجَـر أنْ لا يحمِلُـوا إلى مكَّـةَ طعامًـا، وانقطـعَ عنهُـمُ الطَّريقُ مِن قِبَـلِ العِراقِ.

وأمَّا أصحابُ الجنَّةِ فقالَ المفسِّرونَ: هي جنَّةٌ بصَنْعاءَ، ويقالُ: دونَ صَنْعاءَ بفَرسَخينِ، اسمُها: حَرَد، وقيلَ: تُسمَّى: ضَرَوان(١).

وكانَ أهلُ القَريَةِ قومًا بينَ عيسى ومحمَّدٍ عليهما السَّلامُ متمسِّكينَ بشرائِعِ الإنجيلِ.

الحسنُ: كانوا كُفَّارًا(٢). والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

وكانَ فيهِمْ رَجلٌ ولهُ بستانٌ فيها زَرْعٌ ونخلٌ وعِنَبٌ ـ مجاهدٌ: زَرْعٌ وعِنَبٌ ـ

---

(١) في (ف): «صويان»، وفي (ن): «صوران». والمثبت من المصادر، فقد رواه هكذا الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٥) عن سعيد بن جُبير قال: هي أرض باليمن يقال لها: ضَرْوان، من صنعاء على ستة أميال. وهكذا ذكره مكي في «الهداية» (١٢/ ٧٦٣٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧).
وقال عبد الله بن الإمام أحمد: سمعت أبي يقول: مَرَرْت بها فيما بين صنعاء وقرية عبد الرزاق، فرأيت أنا الأرض، وهي يُقال لها: ضروان، أرض سوداء لا يَنبت فيها شيء إذا خرجت من آخرها أرض حمراء تعلم أنها محترقة.
ونقل عنه المروذي قوله: هذه مدينة ضروان قد مررت بها، وهي قريبة من عبد الرزاق، رأيتها سوداء حمراء، أثر النار يتبين فيها، ليس فيها أثر زرع ولا خضرة. انظر: «العلل برواية عبد الله» (٥٨٥٥)، و«بدائع الفوائد» (٣/ ١٠٩)، و«الجامع لعلوم الإمام أحمد» (١٣/ ٥٠٨).
وفي «معجم البلدان» (٣/ ٤٥٦): «ضروان بالتحريك: بليد قرب صنعاء، سمي باسم واد هو على طرفه... وهو واد ملعون جرج مشؤوم، حجارته تشبه أنياب الكلاب، لا يقدر أحد أن يطأه بوجه ولا سبب، ولا ينبت شيئاً، ولا يستطيع طائر أن يمرّ به فإذا قاربه مال عنه، وقيل: هي الأرض التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، وقيل: إنها كانت أحسن بقاع الله في الأرض وأكثرها نخلاً وفاكهة وإن أهلها غدوا إليها وتواصوا ألّا يدخلها عليهم مسكين...».

(٢) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٢٤٤) أن الحسن توقف في كونهم مؤمنين.

يخرجُ وقتَ الصِّرَام إلى جنَّتِهِ وينادِي الفُقراءَ والمساكينَ فيَخرجونَ معهُ، فمَا أَذْرَتْه الرِّيحُ أَوْ أَلقَتْهُ[1] الطَّيرُ وأخطأَهُ المِنجَلُ أو بَعُدَ منَ البِساطِ الذي يُبسَطُ تحتَ النَّخلَةِ جعلَهُ للفقراءِ، ثم يُخرِجُ بعد ذلكَ صَدقةَ مَالهِ وثِمارِهِ فيقسِمُها لهم، وكانَ في ذلكَ فضلٌ كثيرٌ، وكانَ على ذلكَ حتَّى ماتَ، وكانَ له بنونَ ثلاثةٌ فقالوا: لو صَنعْنا ما كانَ يصنَعُ أبونا ضاقَ عَلينا فقَدْ كَثُرَ عِيالُنا، فتعالَوْا لا نُعلِمُ المساكينَ إذا خَرَجْنَا لِصَرامِ جنَّتنا يَكُن ذلك الفَضلُ لنا، فاجتمَعُوا على ذلكَ، فقالَ أوسَطُهُم ـ أعدَلُهُم قولًا، وقيلَ: خِيارُهُم، من قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: خِيارًا ـ: لا تَفعَلُوا؛ فإنَّ الله تعالى كانَ يُبارِكُ لأبينَا لإخراجِهِ حقَّ اللهِ تعالى، فأَبَوْا عليهِ[2].

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا﴾: ليَقطِفُنَّ[3] ثِمارَها ﴿مُصْبِحِينَ﴾: وقتَ الصُّبحِ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: لَم يقولُوا: إنْ شاءَ اللهُ، وقَدْ أمرَهُم أوسَطُهُم بالاستثناءِ.

عكرمةُ: لا يَستثنونَ حقَّ المساكينِ[4].

وقيلَ: معنى ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: لم يقولوا: سُبحانَ اللهِ[5].

---

(١) في (ف): «وألقته».

(٢) روى نحو هذه القصة الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢١١ ـ ٢١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الكلبي.

(٣) في (ف): «ليقطعن».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٢) بلفظ: «هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة كان يطعم المساكين منها، فلما مات أبوهم، قال بنوه: والله إن كان أبونا لأحمق حين يطعم المساكين، فأقسموا ليصرمنها مصبحين، ولا يستثنون، ولا يطعمون مسكينًا».

(٥) رواه عبد بن حميد وابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٥١) ـ عن أبي صالح قال: «كان استثناؤهم: سبحان الله».

والاستثناءُ: أنْ يَشرِطَ الحالِفُ في فعلِهِ مَشيئَةَ اللهِ تعالى فيَصرِفَهُ عن الوُقوعِ.

***

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أمرٌ مِن أمرِ ربِّكَ[١].

قتادةُ: عذابٌ مِن ربِّكَ[٢].

ابنُ جريجٍ: عنقٌ من النَّارِ[٣].

وقيلَ: إعصارٌ فيهِ نارٌ فاحترقَتْ.

﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾؛ أي: بالليلِ ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾؛ أي: الجنَّةُ ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾؛ أي: محترقةً سَوداء[٤] كالليلِ.

وقيلَ: بيضاءَ لم يبقَ فيها سَوَادُ زرعٍ ولا شَجَرٍ كالنَّهَارِ.

والصَّرِيمُ: الليلُ، والصَّرِيمُ: النَّهَارُ[٥]؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِنهما ينصَرِمُ عن صاحبِهِ.

وقيلَ: ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾: كالبُستانِ الذي صُرِمَ زَرعُهُ وثمارُهُ، صَرِيمٌ بمعنى: مَصْرُومٍ، ولهذا لَمْ يَدخُلْهُ التَّاءُ؛ ككفٍّ خَضِيبٍ؛ وعَينٍ كَحِيلٍ.

المُؤَرِّجُ: كالرَّمْلَةِ الصَّرِمَةِ مِن مُعظَمِ الرَّمْلِ[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧).

(٤) في (ن): «سوادا».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٩)، واستغربه.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢١٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٩)، وذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٣٩)، وعده من العجائب.

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝٢١ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾: نادى بعضُهُم بعضًا عنـدَ الصَّباحِ: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾: اخرُجُوا إليهِ عندَ الغَداةِ ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾؛ أيْ: قاطعينَ لها(١).

***

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾: يَتَسارُّونَ(٢) بينَهُم ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾؛ أيْ: الجنَّةَ ﴿الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

وقيلَ: يُخْفُونَ أنفسَهُمْ مِنَ النَّاسِ.

وقيلَ: يخفونَ كلامَهُم.

وقيلَ: يتكلَّفونَ ذلكَ.

***

(٢٥) ـ ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾.

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾: على قَصْدٍ، مِن قولِ الشَّاعرِ:

يَحْـرِدُ حَـرْدَ الجَنَّـةِ المُغِلَّـةْ(٣)

---

(١) «لها»: ليس في (ف).

(٢) في (ف): «يتشاورون».

(٣) الرجز بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٦)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٧٤). وعزاه ابن السيد في «شرح الكامل» لقطرب كما ذكر البغدادي في «خزانة الأدب» (١٠/ ٣٨٦)، وقال البكري في «شرح أمالي القالي» (١/ ٣١): قال أبو حاتم: «هذا البيت مصنوع، صنعه مَن لا أحسن الله ذكرَه»؛ يعني: قطرباً. ومعنى: حَرَد حردَ الجنَّة: قصد قصدها، وأغلَّت الضيعة: أعطت الغلة. وقبله: =

وقيلَ: على غَضَبٍ على المساكينِ، والحَرْدُ: الغَضَبُ، والفتحُ فيهِ أكثَرُ.

وقيلَ: على منعٍ، مِن قولِهم: حَارَدَتِ السَّنَةُ؛ إذا لَمْ يَكُنْ فيهَا مَطَرٌ.

وقيلَ: على قُدرَةٍ ونشاطٍ وجِدٍّ في أَنفُسِهِم.

الحسنُ: على فاقةٍ وحَاجةٍ[1].

وقيلَ: على أمرٍ أَسَّسوهُ وأجمَعُوا عليهِ.

وقيلَ: على حِرْصٍ[2].

وقيلَ: هو اسمُ جنَّتِهِم[3].

والأقوالُ الثَّلاثَةُ الأولى أقوالُ أهلِ اللُّغَةِ.

﴿قَدِرِينَ﴾ على جنَّتِهم لا يحولُ بينَهُم وبينَها أَحَدٌ؛ أي: عندَ أَنفُسِهِم.

وقيلَ: ﴿قَدِرِينَ﴾؛ أيْ: خَرَجُوا في الوقتِ الذي قدَّرُوه.

وقيلَ: قَادِرينَ على المساكِينِ، وفيهِ ضَعفٌ.

* * *

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ ـ أيْ: الجنَّةَ ـ بخلافِ مَا تركوها، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ أيْ: ضَلَلْنا طريقَ جنَّتِنا.

= أَقبَلَ سَيْلٌ جاءَ من أَمْرِ اللهْ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٠)، واستغربه. ووقع في مطبوعه: «على حرض» بالضاد.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٠)، وعده من العجائب.

وقيلَ: ﴿لَضَآلُّونَ﴾: لِمَنعِنا[١] حقَّ المَساكينِ.

فلمَّا عرفوا أنَّها جنَّتُهم، قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: حُرِمْنا خيرَ جنَّتِنا وثَمَرَها.

وقيلَ: معنى ﴿مَحْرُومُونَ﴾: حُورِفْنا طَرِيقَنا[٢].

***

(٢٨) ـ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: أعدَلُهُم، وخيرُهُم، وأفضَلُهُم، وأعقَلُهُم، كلُّها أقوال.

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: لولَا تَسْتَثنونَ عندَ قولِكُم: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، والاستثناءُ تسبيحٌ؛ لأنَّهُ تنزيهُ اللهِ والإقرارُ بأنَّهُ لا يقدِرُ أحَدٌ أنْ يفعَلَ فِعلًا إلَّا بِمشيئَةِ اللهِ، ولأنَّ التَّسبيحَ ذِكرُ اللهِ وهوَ موجودٌ في الاستثناءِ.

وقيلَ: لولا تَذْكُرونَ نعمَ اللهِ عليكُمْ، فتُؤَدُّوا[٣] حقَّ اللهِ مِن أَموالِكُم.

***

(٢٩ ـ ٣٢) ـ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾؛ أيْ: يحيلُ بعضُهُم باللَّائِمَةِ على بعضٍ، ثمَّ أقرُّوا جميعًا أنَّهم تجاوَزُوا ما حدَّ اللهُ لهم، وهوَ قولُهُ:

---

(١) في (ف): «بمنعنا».

(٢) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٣٢) عن قتادة: «حورفنا: حرفنا»، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٣) عن مجاهد، ومعنى حُورف كسب فلان؛ أي: شدد عليه في معاشه، كأنه ميل برزقه عنه، كما في «الصحاح» مادة: (ح ر ف) (٤/ ١٣٤٢)، وحورف في معاشه: حُرم، كما في «الأفعال» لابن القطاع (١/ ٢١٣)، فعبارة: «حورفنا طريقنا» فيها نظر.

(٣) في (ف): «فتردوا».

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾: الوَيْلُ: غِلَظُ المكروهِ الشَّاقُّ على النَّفسِ.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾؛ أي: راغبونَ في المسألةِ أنْ يتوبَ علينا، وأنْ يَرزُقَنا خيرًا مِنها.

وقيلَ: معناهُ: تائبونَ، قالَ المفسِّرونَ: تابوا فأبدَلَهمُ اللهُ بها جَنَّةً خيرًا مِنها، واسمُها: الحَيَوَانِ.

ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: أبدَلَهُم[1] جنَّةً فيهَا عِنَبٌ يحمِلُ البَغْلُ مِنها عُنقودًا[2].

قالَ الدِّمياطيُّ: حدَّثَني مَن رأى تِلكَ الجنَّةَ وقال: رأيتُ فِيها كلَّ عُنقودٍ مِنها كالرَّجُلِ الأسوَدِ القَائمِ[3].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ هذا قولُ الفُقراءِ والمساكينِ؛ أي: ﴿عَسَىٰ﴾ أنْ يَرزُقَنا ﴿خَيْرًا﴾ مِن جنتهم ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾: راجونَ واثِقونَ[4].

والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾؛ أي: كمَا ذَكرنَا يقعُ العَذابُ في الدُّنيا بِمَن سلكَ سَبِيلَهُم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ لأنَّهُ دائِمٌ لا ينقطِعُ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لَمَا أَقامُوا على مَا يُؤَدِّيهِم إلى هذا العذابِ.

ابنُ بحرٍ: أيْ: نعذِّبُ الهمَّازِينَ المشَّائينَ بالنَّمائِمِ بمثلِ ما عذَّبْنا أصحابَ الجنَّةِ.

---

(١) في (ف): «بدلهم».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٣٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٢٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٠)، واستغربه.

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أيْ: للَّذينَ يتَّقونَ الشِّركَ في الآخرَةِ ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: بساتينَ نَعِيمُها مُقِيمٌ لا يَبيدُ ولا يَفنى، خِلافًا لِبساتينَ الدُّنْيا؛ فإنَّها فانيةٌ هالِكةٌ، صاحبُها في عَناءٍ مِن عِمارَتِها، فلا ترغَبوا بها عَنْها.

فلمَّا نزلَتْ هذهِ الآيةُ أو ما بمعناها قالَ عتبةُ بن ربيعةِ وامرأتُه: لئِن كانَ ما يقولُهُ محمَّدٌ حقًّا من الثوابِ في الجنَّةِ[1] لنكونَنَّ أكثرَ ثوابًا مِنهُم كمَا نحنُ اليومَ أفضَلُ مِنهُم في الدُّنْيا فأنزلَ اللهُ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾[2]: استفهامُ إنكارٍ؛ أي: لا نفعلُ؛ فإنَّ المسلمينَ في الجنَّةِ والمجرمينَ ـ وهمُ الكافرونَ ـ في النَّارِ.

* * *

(٣٦) ـ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾؛ أي: مِن أينَ حَكَمْتمُ بالتَّسوِيَةِ بينَ المُطيعِ والعَاصِي؟ وأيُّ عقلٍ[3] اقتضَى ذلكَ؟

* * *

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: تَقْرَؤُونَ.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: أمْ قلتُمْ ذلكَ مِن كتابٍ أنزلَهُ اللهُ إلَيْكُم وفيهِ أنَّ لكُم مِن اللهِ مَا تختارونَ لِأنفُسِكُم؟

---

(١) في (ف): «من الثواب والجنة».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٨٤)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٧).

(٣) في (ف): «عدل».

و﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ مفعولُ ﴿تَدْرُسُونَ﴾، وكسرُ ﴿إِنَّ﴾ للَّامِ.

وقيلَ: استئنافٌ على وجهِ الإنكارِ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾؛ أي: أم لكم عُهودٌ ومَواثيقُ بالِغَةٌ مؤكَّدَةٌ باليمينِ فلا يَحسُنُ نقضُها، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ بهِ لأنفُسِكُم.

وفي ﴿إِنَّ﴾ وَجهانِ كالأوَّلِ.

وقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ في أكثرِ التَّفاسير: إنَّ لكُمْ حُكمَكُم إلى آخرِ الدُّنْيا.

وفي بعضِها: إنَّ لَكُم حُكمَكُم إلى أنْ يَنتهِيَ إلى يَومِ القِيامَةِ، فيَجتَمِعَ لَكُمْ بِتلكَ الأَيْمَانِ ما تحكُمونَ في الدُّنْيا والآخرَةِ.

وفي بعضِهَا: أَيْمانٌ بالغَةٌ لا يَصِحُّ نقضُها إلى يومِ القِيامَةِ. وهذا أولَى؛ لأنَّ ما بعدَ (إنَّ) لا يتقدَّمُ عليهِ، ويكونُ المعنى: بالغةٌ لا يجوزُ نقضُها أبدًا.

* * *

(٤٠) ـ ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ﴾؛ أي: بما يقولونَ إنَّ لهم لَمَا تخيَّرونَ وتحكمونَ.

﴿زَعِيمٌ﴾: كفيلٌ بأنَّهُ يكونُ لهم ذلكَ، فإنَّ مَن كانَ على بصيرةٍ مِن شيءٍ تكفَّلَ بهِ، وإذا لم يتكفَّلُوا دلَّ على أنَّهم غيرُ واثقينَ بما يقولونَ.

الحسنُ: الزَّعيمُ في الآيةِ بمعنى: الرَّسولِ؛ أيْ: أفيهِمْ رسولٌ، أو: جاءَهُم رسولٌ بصحَّةِ ما يقولُونَ.

الأصمُّ: أي: أيُّكم يقومُ بالحجَّةِ والدَّعوى.

* * *

(٤١) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾: يريدُ: الأصنامَ، يقولونَ لهم ذلكَ.

وقيلَ: شركاءُ جَعَلوا فيهِ مَا يَحكمُونُ.

وقيلَ: شُهداءُ يَشهَدُونَ لهم بصدقِ ما يدَّعونَ.

﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ فيما زَعَمُوا.

* * *

(٤٢) ـ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾: عن أمرٍ فظيعٍ شديدٍ، وهو ظهورُ أمرِ الآخرةِ، والجُمهورُ على أنَّ كَشْفَ السَّاقِ عِبارةٌ عن شِدَّةِ الأمرِ وصُعوبَتِهِ، وأنشدُوا أبياتًا مِنها:

قَدْ شَمَّرَتْ عَن سَاقِها فشُدُّوا ... وجَدَّتِ الحَربُ بِكُم فجُدُّوا[1]

وتوصَفُ سنةُ الجَدبِ بهِ، قالَ:

في سَنَةٍ قدْ كشفَتْ عنْ سَاقِهَا ... حمراءَ تَبْرِي اللَّحمَ عَن عُرَاقِهَا[2]

---

(١) أنشد الرجز الحجاج في خطبته المشهورة حين قدم أميرًا على العراق. انظر: «الكامل» (١/ ٢٨٩)، و«العقد الفريد» (٤/ ٢٠٩)، وذكره بلا نسبة الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢١٠)، والخطابي في «شرح صحيح البخاري» (٣/ ١٩٣٢).

(٢) نسب لرؤبة بن العجاج في «محاضرات الأدباء» (١/ ٢١٢)، وهو بلا نسبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٨١)، و«الزاهر» (٢/ ٣٧١).

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: هي أشدُّ ساعةٍ في القِيامَةِ[١].

أبو موسى الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنهُ، عن النبي ﷺ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، قالَ: «عن نورٍ عَظيمٍ يَخِرُّونَ له سُجَّدًا»[٢].

وعن الحسنِ: عنْ ساقِ الآخرةِ[٣]، وهوَ السِّتْرُ الذي بينَ الدُّنيا والآخرةِ.

وقيل: عن ساق العرش[٤].

وقيلَ: يُكشَفُ ما كانَ خَفِيًّا؛ كقولِه: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

وعنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: يومَ يَكشِفُ الرَّبُّ عَن ساقِهِ[٥]، وهذا يُؤَوَّلُ كما يُؤَوَّلُ غيرُهُ مِمَّا جاءَ في القُرآنِ، ولا يُوصَفُ اللهُ تعالى بالأَجْزاءِ والأَعْضاءِ والأَبْعاضِ.

وروى أبو بُردَةَ بنُ أبي موسى الأشعريِّ عن أبيهِ قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٨٨)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص: ١٧).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٧٢٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٩٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥٢)، وقال: «تفرد به روح بن جناح، وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها». وضعف إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٦٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤١)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٢٤١).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٦٢١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤١)، واستغربه.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٣٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤١)، وعده من العجائب، وقد روى البخاري (٤٩١٩) عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا».

يقولُ: «إذا كانَ يومُ القيامةِ مُثِّل لكلِّ قومٍ ما كانوا يَعبدونَ في الدُّنْيا، وذهبَ كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يَعبدُونَ في الدُّنيَا، فبَقِيَ أهلُ التَّوحيدِ فيُقالُ لهم: ما تَنْتَظِرونَ؟ قد ذهبَ النَّاسُ! فيقولونَ: إنَّ لنا ربًّا كنَّا نعبدُهُ في الدُّنْيا لمْ نَرَهُ، قالَ: وتَعرفونَهُ إذا رأيتموهُ؟ فيقولونَ: نعم، فيُقالُ لهم: وكيفَ تَعرِفُونَهُ ولم تَرَوهُ؟ قالوا: إنَّهُ لا شَبيهَ لهُ، فيُكشَفُ لهم الحِجَابُ فينظرونَ إلى اللهِ فيَخِرُّونَ له سُجَّدًا، ويبقى أقوامٌ ظُهورُهُم مِثلَ صَياصِي البَقَرِ فيريدونَ السُّجودَ فلا يَستَطِيعونَ، فيقولُ اللهُ: عِبادي ارفَعُوا رُؤُوسَكُم فقد جعلتُ بَدلَ[1] كلِّ واحدٍ مِنكُمْ واحدًا مِن اليهودِ والنَّصارَى في النَّارِ».

قال أبو بُرْدةَ رضيَ اللهُ عنهُ: فحدَّثتُ بهذا الحديثِ عُمَرَ بنَ عبد العزيزِ فقال: آللهُ الذي لا إلهَ إلَّا هوَ لَحدَّثَكَ بهذا الحديثِ أبوكَ؟ فحلفتُ لهُ ثلاثةَ أَيْمانٍ، فقال عُمَرُ: ما سمعتُ في أهلِ التَّوحيدِ حَدِيثًا هو أحبُّ إليَّ مِن هذا[2].

---

(١) في (ن): «بديل».

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٨٥)، والآجري في «الشريعة» (٢/ ١٠١٥)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٨٥).

ورواه بلفظ قريب عبد بن حميد كما في «المنتخب من مسند عبد بن حميد» (٥٤٠)، والإمام أحمد في «المسند» (١٩٦٥٤)، وآخر الحديث رواه مسلم (٢٧٦٧) بلفظ: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهوديًّا، أو نصرانيًّا»، قال: فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات: أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ، قال: فحلف له...

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه البخاري (٧٤٣٩) من حديث طويل وفيه: «فيتساقطون في جهنم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم، ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية =

وقيلَ: هذهِ استعارةٌ؛ لأنَّ الرَّجلَ إذا وقعَ في الشِّدَّةِ شمَّرَ ساقَهُ.

ويَحتَمِلُ ـ واللهُ أعلَمُ ـ أنَّ هذا في الدُّنيا وقتَ النَّزْعِ، مِن قوله: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩].

وقوله: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾؛ أيْ: دَعَتْهُم أنفسُهُم إلى الإيمانِ.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ لِذهابِ زَمانِ التَّكليفِ، والعِلمُ عندَ اللهِ.

***

(٤٣) ـ ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾.

قوله: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾: ذليلةً ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: يعلُوهُمْ صَغَارٌ ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدُّنْيا، وقيلَ: قبلَ المُعايَنَةِ ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ فلَمْ يَسجُدُوا.

قوله: ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾: يدلُّ على الوَجهِ الذي أوَّلْناهُ؛ لأنَّ المعنى: وَهُم أَصِحَّاءُ.

***

(٤٤) ـ ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾؛ أي: بالقرآنِ، وقيلَ: بالقِيامَةِ؛ أي: دَعْ هؤلاءِ الذينَ لا يُؤمنونَ وفوِّضْ أمرَهُمْ إليَّ؛ فإنِّي كَافِيكَ وإنِّي قادِرٌ على أخذِهِم مَتى شِئْتُ.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: نُدْنِيهِم مِن العَذابِ دَرَجةً دَرَجةً مِن حيثُ لا يَعلمونَ أنَّ العَذابَ نازِلٌ بهِم.

السُّدِّيُّ: كلَّما جَدَّدوا مَعصيةً جَدَّدْنا لهم نعمةً وأنسيناهُم شُكرَها[1].

= تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد، فيعود ظهره طبقاً واحدًا».

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٧١) و(٣/ ٤٨٦)، وذكره الواحدي نحوه في «الوسيط» (٢/ ٤٣١)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٨١٨)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٥) عن الضحاك.

وقيلَ: كانَ ذلكَ يومَ بدرٍ. وأصلهُ مِن الدَّرَجَةِ.

ابنُ بحرٍ: نأخذُهُم[١] حيثُ دَبُّوا ودَرَجوا[٢]؛ أي: حيثُ يَسلكونَهُ فنحنُ بِهِمْ مُحيطونَ، مُشتَقٌّ مِن (المَدْرَجَةِ)، وهيَ الطَّرِيقُ، وهُم لا يعلمونَ أينَ نَأخذُهُمْ ومَتى نَأخُذُهُمْ.

ابنُ عيسى: سَنَسْتدرِجُهُمْ إلى العقابِ حالًا بعد حالٍ.

وقيلَ: نُرَقِّيهِمْ إلى العذابِ دَرَجةً دَرَجةً بانقضاءِ أعمارِهِمْ، تقولُ: دَرَّجَهُ تَدرِيجًا: أوصلَهُ إليهِ شيئًا فشيئًا، واسْتَدْرَجَهُ: أَمَر غيرَهُ أنْ يُرْقَى[٣] إليهِ دَرَجةً بعدَ أُخرَى.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أُبْقِيهِمْ مَلَاوَةً مِن الدَّهرِ، ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: لا يحالُ بيني وبينَ عذابهم.

* * *

(٤٦) ـ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾: سَبَقَ[٤]، وهو عطفٌ على قولِه: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾، ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾.

* * *

(٤٧) ـ ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾: أكثَرُهم على أنَّ المرادَ بالغيبِ: اللَّوْحُ المحفوظُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مِنهُ.

---

(١) في (ف): «نأخذ بهم».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٧٢).

(٣) كذا ضبطت بالمبني للمجهول في النسختين، والبناء للمعلوم أظهر، والله أعلم.

(٤) في تفسير سورة (الطور)، الآية: ٤٠.

وقيلَ: أم لأَنَّهُم يعلمونَ الغَيبَ فهُمْ يَكتبونَ ذلكَ عَلِمُوا أَنَّكَ لَستَ بمُحِقٍّ فيما أتيتَهُمْ بِهِ.

ابنُ بحرٍ: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾: الذي هوَ مِن آياتِ إعجازِ القُرآنِ فهُمْ يكتبونَ كِتابًا مثلَهُ(١) يأتونَ فيه بما في القُرآنِ مِن الأخبارِ عمَّا كانَ وعمَّا يكونُ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾.

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾: على تبليغِ الوَحْيِ وتحمُّلِ الأذَى ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾: يونسَ عليهِ السلام.

قيلَ: لا تضْجَرْ كمَا ضَجِرَ.

وقيلَ: لا تغضَبْ كمَا غَضِبَ.

وقيلَ: لا تعْجَلْ كما عَجِلَ.

وقيلَ: لا تجبُنُ كمَا جَبُنَ.

﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ ربَّهُ تعالى مِن بطنِ الحوتِ وقالَ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ قيلَ: مَجْهودٌ، وقيلَ: مَكْروبٌ، وقيلَ: مَغْمومٌ، وقيلَ: مملوٌّ من الغَضَبِ، وقيلَ: محبوسٌ عنِ التَّصَرُّفِ.

وهو مِن كَظَمَ غَيْظَهُ؛ أي: حَبَسَهُ، وكان القِياسُ: فهوَ كَاظِمٌ، لكنِ التقديرُ: فهوَ مَكظومٌ غَيْظُهُ.

* * *

---

(١) «مثله»: ليس في (ف).

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۝٤٩ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: قيلَ: هيَ النُّبوَّةُ، وقيلَ: عبادَتُهُ السَّابقَةُ، وقيلَ: قولُه: لا إلهَ إلَّا أنتَ سُبحانَكَ، وقيلَ: رحمةُ ربِّه بقبولِ تَوبَتِهِ.

﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾: حيثُ لا شَجرَ ولا خَمَرَ[1].

وقيلَ: العَرَاءُ وَجْهُ الأرضِ.

وقيلَ: العَرَاءُ أَرضُ المحشَرِ[2].

وقال أبو القاسِمِ: النَّبْذُ بالعَرَاءِ يَستَعمِلُهَا العَرَبُ في موضعِ الذَّمِّ، وفي الشَّيْءِ يُستخفُّ بهِ ويُطرَحُ[3]، وهو[4] وجهٌ لَولا قولُه: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥].

وقوله: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: أي: مُذنِبٌ مُبعَدٌ مِن الرَّحمَةِ، وقيلَ: مُليمٌ.

لكنْ تداركَتْهُ النِّعمَةُ فنُبِذَ غيرَ مَذمومٍ.

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: اختارَهُ لِرسالَتِهِ ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: مِن الأَنبياءِ.

وقيلَ: حَكَمَ له بالصَّلاحِ.

* * *

---

(١) في (ن): «ولا غيره»، والمثبت من (ف) ونسخة في هامش (ن). والخَمَر: ما يُوارِي من شَجَرٍ أو غيره. انظر: «رسائل في اللغة» للبطليوسي (ص: ٩٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤١)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٢)، وعده من العجائب.

(٤) في (ن): «وهذا».

(٥١) - ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾: نزلَتْ حينَ أرادَ الكُفَّارُ أنْ يَعِينوا رَسولَ اللهِ ﷺ فيُصيبوهُ بالعَيْنِ، فنَظَرَ إليهِ قومٌ مِن قُريشٍ وقالوا: ما رأَيْنا مِثلَهُ ولا مثلَ حُجَجِهِ.

وكانَتِ العَيْنُ في بني أسدٍ، حتى إنَّ الرَّجُلَ مِنهم ينظرُ إلى النَّاقةِ السَّمينةِ أو البقرةِ السَّمينةِ ثمَّ يَعِينُها، ثم يقولُ للجاريَةِ: خُذي المِكْتَلَ والدِّرهَمَ فَأْتِينا مِن لحمِ هذهِ، فما تبرَحُ حتى تقعَ فتُنْحَرَ[1].

وكانَ الواحدُ إذا أرادَ أنْ يَعِين شيئًا يجوعُ له ثلاثَةَ أيَّامٍ، ثم يعرِضُ لهُ فيقول: تاللهِ ما رأيتُ مالًا أكثرَ ولا أحسَنَ مِن هذا! فيتساقَطُ ذلكَ الشَّيءُ.

فأرادوا مِثلَ ذلكَ برسولِ اللهِ ﷺ، فعصمَهُ اللهُ مِن ذلكَ[2]، هذا قولُ الجُمهورِ.

وقال بعضُهُم: إنَّما يُصيبُ الإنسانُ بالعينِ ما يَستحسِنُهُ وتميلُ نفسهُ إليهِ، وكانَ نَظرُهُم إلى رسولِ اللهِ ﷺ نظرةَ البُغْضِ والغَيظِ، وذلكَ ضِدُّهُ.

وأنكرَ بعضُهم العين أصلًا، وقالوا: معنى الآيةِ: نَظَروا إليكَ نَظَرَ عَداوةٍ وتَوعُّدٍ[3]، كما يقالُ: نَظَرَ إليَّ نَظَرًا كادَ يَأكلُني بهِ.

والقولُ هوَ الأوَّلُ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ العَيْنَ حَقٌّ، ولَوْ كانَ شيءٌ يَسبِقُ القَدَرَ لكانَ ذلكَ العَيْنَ»[4].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٢٥٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٤٣).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٢٥٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٣) عن الكلبي.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٢)، واستغربه.

(٤) رواه مسلم (٢١٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا»، وروى البخاري (٥٩٤٤)، ومسلم (٢١٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أوله، ولفظه: «العين حق».

وقال ﷺ: «العَيْنُ تُدخِلُ الرَّجلَ القبرَ، والجملَ القِدْرَ»[1].

وجاءَ في الشِّعرِ:

وإِخَـالُ أَنَّـكَ سَـيِّدٌ مَعْيُـونُ[2]

و(يُزْلِقُونَكَ) بالفتحِ والضمِّ لُغتانِ[3]، تقولُ: أَزْلَقْتُهُ: رَميتُهُ، وأَزْلَقَ رَأْسَهُ: حَلَقَهُ مِن أصلهِ، وتقولُ أيضًا: زَلَقْتُهُ فزَلِقَ؛ كما تقولُ: حَزَنْتُهُ فحَزِنَ، وشَتَرْتُ عينَهُ فشَتِرَتْ.

﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾؛ أي: القرآنَ.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾: معهُ جِنيٌّ يُعلِّمُهُ الكتابَ. وقيلَ: مختلِطُ العقلِ، قالوهُ حَسَدًا. وقيلَ: يَطلُبُ مَا لا يليقُ بهِ فهو مَجنونٌ.

ختمَ السُّورةَ بذكرِ ما بدأَ بهِ:

(٥٢) ـ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمَا هُوَ﴾: ما القرآنُ، وقيلَ: ما محمَّدٌ ﷺ.

﴿إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: الجنِّ والإنسِ.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣١٦)، و(٨/ ١٤٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٩٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٥٩)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٣٧)، عن جابر رضي الله عنه.

(٢) عجز بيت لعباس بن مرداس، وصدره:

قـد كان قومُـكَ يحسِـبُونَكَ سَـيِّدًا

انظر: «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٠٣)، و«جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٩٥٦)، و«الأغاني» للأصبهاني (٦/ ٣٥٨).

(٣) قرأ نافع بفتح الياء، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

قالَ الحسنُ: دواءُ إصابَةِ العَين: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلى آخر السورة[١].

وبالله التوفيق والعون[٢].

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٦٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٥).

(٢) «وبالله التوفيق والعون»: ليس في (ف).

سُورَةُ الحَاقَّةِ

اثنتانِ وخمسونَ آيةً[1]، مَكِّيةٌ بالإجماعِ.

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾.

﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾: فيهَا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّها اسمٌ مِن أسماءِ القِيامَةِ.

والثاني: أنَّها الصَّيْحَةُ التي تقومُ عِندَها القِيامَةُ ويموتُ الخلقُ[2].

وقيلَ: ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾: الكَلِمةُ التي حَقَّتْ، مِن قوله تعالى: ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٣٣، وغافر: ٦] في مواضعَ[3]، وهيَ كَلِمَةُ العذابِ الواجِبِ بوعيدِ اللهِ.

والجمهورُ على القولِ الأوَّلِ.

---

(١) «اثنتان وخمسون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٥٣)، وفيه: «وهي إحدى وخمسون آية في البَصْري والشامي، واثنتان في عدد الباقين، اختلافها آيتان: ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾ الأولى عدها الكوفي ولم يَعُدَّها الباقون، ﴿كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ عدها المدنيان والمكي ولم يَعُدَّها الباقون».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٣)، وعده من العجائب.

واختَلَفُوا في لفظِها؛ فقيلَ: هو مَصْدَرٌ، كالكَاذِبَةِ والعَاقِبَةِ[١]، والجمهورُ على أنَّها اسمُ الفَاعِلِ، وفيها خمسَةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّها مِن حَقَّ يَحِقُّ بالكسرِ؛ أي: وجبَ، وصحَّ مَجيئُها للجزاءِ على الطَّاعةِ ثوابًا وعلى المعصِيَةِ عقابًا، وقيلَ: فيها الثوابُ وحَوَاقُّ الأمورِ.

والثاني: مِن حَقَّ يَحُقُّ بالضمِّ؛ تقول: حَقَقْتُ عليهِ القضاءَ؛ أوجَبْتُه، والمعنى: تُوجِبَ لكلِّ أحدٍ ما استحقَّهُ.

والثالثُ: أَحَقَّ فهو حَاقٌّ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ حَقَقْتُ القضاءَ وأَحْقَقْتُه بمعنًى، فلا حاجةَ إلى أنْ يقالَ: أَفْعَلَ فهوَ فاعِلٌ.

والرابعُ: مِن حَقَّهُ يَحقُّهُ؛ إذا جَعلَهُ جديرًا وحقيقًا، والشيءُ مَحقُوقٌ[٢].

والخامسُ: مِن حاقَّهُ فحَقَّهُ؛ أي: غَلَبَهُ؛ لأنَّها تَحُقُّ كلَّ مُحَاقٍّ[٣] في دينِ اللهِ بالباطلِ[٤].

و﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾: رفعٌ بالابتداءِ، وقيلَ: بالخبرِ، والتَّقديرُ: هذهِ الحاقَّةُ.

***

(٢) ـ ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾.

﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾: أيُّ شيءٍ هيَ؟ على التَّعظيمِ لِشأنِها والتَّهويلِ لها؛ أي: حقُّها أنْ يُستَفْهَم عنها لِعِظَمِها.

---

(١) في (ف): «والعافية».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٣)، واستغربه.

(٣) في (ف): «مجان».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٣)، وعده من العجائب.

﴿مَا﴾: رفعٌ بالابتداءِ ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾: خَبرُهُ، والجملةُ خبرُ المبتدأ الأوَّلِ، وهذا قولُ جميعِ المفسِّرينَ والنُّحاةِ.

ويحتمِلُ أنْ يرتفعَ ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾ الثَّانيةُ بالابتداءِ و﴿مَا﴾ يرتفعُ بالخبرِ؛ لأنَّها نَكرةٌ وجبَ تَقديمُهَا لمكانِ مَعنى الاستفهامِ[1]، كقولِهم: أينَ بَيتُكَ؟ و: متى السَّاعةُ؟ فإذا قلتَ: ما معكَ؟ ارتفعَ بالابتداءِ؛ إذ ليسَ لقولِه: (معكَ) صلاحيةُ الابتداءِ.

* * *

(٣) ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾: أيُّ شيءٍ أعلمَكَ ما هيَ؟ ومِن أينَ عَلِمتَ ذلكَ؟

وقيلَ: معناهُ: ليسَ ذلك مِن عِلمِكَ ولا مِن عِلمِ قَومِكَ.

و﴿مَا﴾ رفعٌ بالابتداءِ، وكذلكَ ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾ على ما سَبَقَ، والفعلُ قبلَهُ مُعلَّقٌ لأنَّهُ بمعنى: ما أعلَمَكَ؟

* * *

(٤) ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾؛ أي: بالحاقَّةِ، فوَضَعَ (القَارِعَة) مَوضِعَها لأنَّهما مِن أسماءِ القيامةِ، وفيها أقوالٌ:

أحدُها: تَقرَعُ القلوبَ بأهوالِها.

والثاني: قَرَعَتْ كلَّ شيءٍ؛ أي: كَسَرَتْهُ وأَهلكَتْهُ.

وقيلَ: يُقَرِّعُ اللهُ العبادَ فيها.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٣)، واستغربه.

وقيلَ: مِن القُرْعةِ؛ أي: يَقرَعُ بعضُهُم بعضًا فيعلو بعضٌ ويَسْفُلُ بعضٌ(١).

وقيلَ: القارِعَةُ: العذابُ الذي أُهلِكَ عادٌ وثَمودُ بِهِ(٢).

* * *

(٥) ـ ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾: أهلَكَ اللهُ قومَ صالحٍ بسببِ طُغيانِهِم ومُجَاوزَتِهِم الحدَّ في كُفرِهِم.

وقيلَ: الطَّاغيَةُ: الصَّاعِقَةُ، مِن قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [النساء: ١٥٣].

وقيلَ: الطَّاغِيَةُ: الطاغي، وهو قُدَارُ بنُ سالِفٍ عاقرُ النَّاقةِ، والهاءُ للمبالَغَةِ.

وقيلَ: الفِرقَةُ الطَّاغيَةُ، وهُم قُدارٌ وأتباعُهُ(٣).

وقيلَ: الطَّاغِيَةُ: الصَّيْحةُ التي أُهلِكُوا بها.

وقيلَ: الطَّاغِيَةُ: اسمُ البُقعَةِ التي أُهلِكُوا فيها، حكاهُ ابنُ الهيصَمِ(٤).

وقيلَ: سُمِّيتْ طاغيةً ازدِواجًا، كقولِه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

* * *

(٦) ـ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ﴾: وهي الدَّبُورُ؛ مِن قولِهِ عليه الصلاة والسلام:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، واستغربه، وهذا القول نسب للمبرد كما في «النكت والعيون» (٦/ ٧٦)، ولفظه: «مأخوذة من القرعة في رفع قوم وحط آخرين».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، وعده من العجائب.

«نُصِـرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَـتْ عادٌ بالدَّبـورِ»[١].

﴿صَرْصَرٍ﴾: باردةٍ في النهايةِ، والتَّضعيفُ يدلُّ على المبالغةِ.

وقيلَ: لها صِرٌّ؛ أي: صوتٌ، وقيلَ: شديدُ السُّمومِ.

والرِّيحُ: الهواءُ المتحرِّكُ، واشتقاقُها مِن راحَ يروحُ؛ إذا رَجَعَ.

﴿عَاتِيَةٍ﴾: عاصِيَةٍ؛ عتَتْ خُزَّانَها غضبًا على أعداءِ اللهِ، أذنَ اللهُ تعالى لها مِن دونِ الخُزَّانِ.

قتادةُ: لم تخرُجْ إلا مِقدارَ خاتَمٍ[٢].

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: ما خرجتِ الريحُ إلا بمكيالٍ وميزانٍ بأمرِ خازِنِها[٣] إلَّا يومَ عادٍ عَتَتْ خُزَّانَها[٤].

وقيلَ: العَاتِيةُ: القاهِرَةُ، وقيلَ: الشَّديدَةُ[٥]، وقيلَ: ازدواجٌ كمَا سَبَقَ.

* * *

(١) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٤٩٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا وموقوفًا ورجح الموقوف، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) في (ف): «خزانها».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٧٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٦٥) عنه مرفوعًا، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ٨٣).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، واستغربه، وفيه: «الغريب: العاتية القاهرة الشديدة».

(٧) - ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾: سلَّطَها عليهم، وقيلَ: أدامَها، وقيلَ: حَبسَها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ.

وهبٌ: كانتِ الأيَّامُ التي تسمِّيها العربُ: أيامَ العَجوزِ، وهي ذاتُ بردٍ ورِياحٍ شَديدةٍ، قالَ: وإنَّما نُسِبَت إلى العَجوزِ؛ لأنَّ عجوزًا دخلَتْ سِربًا فتبِعَتها الرِّيحُ فقتَلَتْها اليومَ الثامنَ مِن نُزولِ العذابِ وانقطعَ العذابُ(١).

وقيلَ: سمِّيَتْ أيامَ العَجوزِ، لأنَّها تكونُ في عُجْزَةِ الشِّتاءِ؛ أي: أواخرُها.

وكانَ ابتداءُ العَذَابِ يومَ الأربعاءِ مِن آخرِ الشَّهرِ إلى الأربعاءِ الآخَرِ، وجاءَ مَرفوعًا: «إنَّ آخرَ الأربعاءِ مِن الشَّهرِ يومُ نحسٍ»(٢).

وأسماءُ العجوزِ عندَ العربِ سبعةٌ يجمَعُها قولُ الشاعرِ، أنشدهُ ثعلبُ:

كُسِعَ الشِّتاءُ بِسبعةٍ غُبْرِ ... أيامَ شَهْلَتِنا مِنَ الشَّهرِ
فإذا مَضَتْ أيامُ شَهْلَتِنَا ... بالصِّنِّ والصِّنَّبْرِ والوَبْرِ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٧٩).

(٢) بهذا اللفظ رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنه، قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٨/ ٥٩): «حديث منكر»، وذكر ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٧٣) بابًا في ذم يوم الأربعاء، وساق فيه أحاديث عن ابن عباس وابن عمر وجابر رضي الله عنهم، ثم قال: «وهذه الأحاديث لا تصح عن رسول الله ﷺ... وفي الصحيح: «أن الله عز وجل خلق النور يوم الأربعاء»، وإنما أَخَذ هذا مَن وضَعه من قول بعض المفسرين: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ قالوا: من الأربعاء إلى الأربعاء، ورأى في القرآن ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ فوضع هذا ورفعه»، وانظر: «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٤٤٢).

وبآمِـرٍ وأخيـهِ مُؤْتَمِـرٍ ومُعَلِّـلٍ وبمُطفـئِ الجَمْـرِ
ذهـبَ الشِّـتاءُ مُوَلِّيًـا هَرَبًـا وأَتَتْكَ وَاقِـدَةٌ مِـنَ النَّجْـرِ[1]

واسمُ اليومِ الثَّامِنِ: مُكفِئُ الظُّعُنِ[2].

﴿حُسُومًا﴾: تُذهِبُهُم وتُفنِيهِم، فهوَ نَصْبٌ على المَصدَرِ.

وقيلَ: ﴿حُسُومًا﴾: تِباعًا، مِنْ حَسَمْتُ الدَّابَّةَ؛ إذا تَابَعْتُ بين كَيِّهَا[3].

الضحَّاكُ: الحُسُومُ: المُشائِمُ[4]؛ أي: نُحُوسًا.

وقيلَ: ﴿حُسُومًا﴾: جمعُ حَاسِمٍ وهوَ القاطِعُ؛ أي: قاطعةً لدابرِ أولئكَ الكَفَرةِ، فيكونُ نصبًا على الصفة[5].

المبرِّدُ: الفُعُولُ في التعدِّي لا يكونُ إلَّا جمعًا.

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ﴾؛ أي: لـو كنـتَ حاضـرًا هناكَ لرأيـتَ القـومَ ﴿فِيهَا﴾: في تلكَ الأيـامِ، وقيـلَ: فـي الرِّيـحِ، وقيلَ: فـي بيوتِهِـم، وقيلَ: فـي الطَّاغيـةِ؛ فيمَـن جعلَها اسـمَ بقعةٍ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٢٨٠)، والأبيات نسبت لأبي شبل عصم بن وهب بن عصمة التميمي كما في «معجم الشعراء» (ص: ٢٧٥)، ونسبت لابن أحمر في «الصحاح» (٣/ ٨٨٤)، ورجح الصغاني في «التكملة والذيل» (٣/ ٢٧٩): أنها ليست لابن أحمر، بل لأبي شبل عصم البرجمي.

(٢) أي: مُمِيلُها، وهو جمع ظعينة، وهو الهودج فيه امرأة أم لا. انظر: «روح البيان» لإسماعيل حقي (١٠/ ١٣٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٤)، واستغربه.

(٤) لم أقف عليه عن الضحاك، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٠٣) عن عكرمة.

(٥) في (ن): «المصدر» وهو خطأ.

﴿صَرْعَىٰ﴾: جمعُ صَرِيعٍ؛ أي: سُقُوطًا.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ جُذُوعُ نخلٍ، وقيلَ: أصولُ نخلٍ، وهيَ ما يبقى على المكانِ بعدَ قطعِ الجذعِ.

﴿خَاوِيَةٍ﴾: قيلَ: فارغةٍ مُتآكلَةٍ، مِن قَولِهِم: خَوِي بطنُهُ؛ إذا خَلَا، وخَوِيَ المنزلُ عَن القُطَّانِ.

وقيلَ: ساقطةٍ؛ وصَفَهُم بعظمِ الأجسامِ وأنَّ الرِّيحَ قطعَتْهُم وقلعَتْ رؤوسَهُم.

وقيلَ: كان طولُهُم اثني عشرَ ذِراعًا.

وقيلَ: خاويةُ الأَجوافِ مِن الحياةِ.

وقيلَ: خاويةٌ مِن الأحشاءِ؛ لأنَّ الرِّيحَ أخرجَتْ ما في بطونِهِم.

وهذانِ القولانِ ضعيفانِ؛ لأنَّ قولَهُ: ﴿خَاوِيَةٍ﴾ بالجرِّ صِفةٌ لـ﴿نَخْلٍ﴾، أو يقالُ: لخلوِّهِمْ منَ الحياةِ أو من الأحشاءِ شبَّهَهُم بنخلٍ خاويةٍ.

* * *

(٨) ـ ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾؛ أي: نفسٍ باقيةٍ، وقيلَ: مَصدَرٌ؛ أي: هل ترى لهُمْ من بقاءٍ؟

* * *

(٩) ـ ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾.

﴿وجاء فرعون ومَنْ قِبَلَهُ﴾: أتباعُهُ.

سيبويهِ: يقالُ: (قِبَلُ) لِمَا وليَ الشَّيءَ[1]، تقولُ: اذهَبْ قِبَلَ المشرِقِ.

---

(١) انظر: «الكتاب» (٤/ ٢٣٢).

وقرئ ﴿وَمَن قِبَلَهُۥ﴾[1]؛ أي: مَن تقدَّمَهُ، والواوُ للجَمْعِ.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: فيها قولانِ:

أحدُهما: أنَّها قرياتُ قومِ لوطٍ ائتَفَكَتْ بهم؛ أي: انقلَبَتْ، وقيلَ: قرونٌ وكنوزٌ.

والثاني: هم الذينَ ائتُفِكُوا بذنوبِهِم.

والخاطئَةُ: الخطأُ العَظيمُ والذَّنبُ الكثيرُ[2].

* * *

(١٠) ـ ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾.

﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾: قيلَ: قومُ لوطٍ لوطًا.

وقيلَ: رسلَ ربِّهم.

وقيلَ: كلُّ أمَّةٍ رسولَهُم.

وقيلَ: رِسالةَ ربِّهم.

﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: شَديدةً تَربو وتَعظُمُ وتَزيدُ على الأَخْذاتِ، وقيلَ: مُرتفعَةً سَمعَ بها الخَلقُ.

* * *

(١١) ـ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾: ارتفعَ وتجاوزَ الحدَّ المُعتادَ.

وقيلَ: ﴿طَغَا﴾: ظهرَ.

---

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي: (ومن قِبَلِه) بكسر القاف وفتح الباء، والباقون بفتح القاف وإسكان الباء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

(٢) في (ف): «الخاطئة والخطاء الذنب الكبير».

مجاهدٌ: طغى الماءُ على كلِّ شيءٍ بمقدارِ خمسةَ عشرَ ذِراعًا(١).

ابنُ عباسٍ: طغى على خُزَّانه فخرجَ مِن الكَيْلِ والوَزنِ(٢).

وقيلَ: سُمِّيَ طاغيًا ازدِوَاجًا، وقد سَبَقا.

﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾: يا ذريةَ نوحٍ ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾.

وقيلَ: حَمَلنا آباءَكُم وأنتُمْ في أصلابِهِم ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾؛ أيْ: السَّفينَة؛ لأنَّ مِن شأنِها الجَريُ في الماءِ.

* * *

(١٢) ـ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أي: السَّفينةَ الجاريةَ؛ فإنَّها بَقيَتْ ألواحُهَا دهرًا.

وقيلَ: لنجعلَ ما اتُّخِذَ على مثالِها.

وقيلَ: لنجعلَ هذهِ الحالاتِ التي تقدَّمَتْ.

﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾: عبرةً وعِظةً.

﴿وَتَعِيَهَا﴾: وتحفظَها ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾: أذنُ إنسانٍ شأنُهُ أنْ يحفَظَ ما يجبُ حِفظُهُ، تقولُ: وَعَيْتُه في قلبي، وأَوْعَيْتُهُ في وِعَائي.

وعن مكحولٍ قالَ: لَمَّا نزلَتْ: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «دعوتُ اللهَ أنْ يجعَلَها أُذنَكَ يا عليُّ»، قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ: فما نَسيتُ شيئًا

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٩) عن قتادة، وانظر ما ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٦) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٧٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٦٥) عنه مرفوعًا. وتقدم قريباً.

بعدَ ذلك، وما كانَ ليَ أنْ أنساهُ. رواه الثعلبيُّ والنقَّاشُ[١].

قتادةُ: هيَ أذنٌ عَقَلتْ عنِ اللهِ وانتفعَتْ بما سمعَتْ[٢].

***

(١٣) - ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: النَّفْخَةُ والنَّفْخُ واحِدٌ، وذِكْرُ الوَاحدَةِ للتَّأكيدِ، لأن النَّفخةَ لا تكونُ إلَّا واحدةً، وهي النَّفخةُ الأولى فيمَنْ جعلَ النَّفخةَ نفختَيْنِ: إحدَاهُما يموتُ عندَها النَّاسُ، والثَّانيةُ يُبعثونَ عندَها.

***

(١٤) - ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾.

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: قُلِعَتْ مِن أماكنِها ﴿فَدُكَّتَا﴾؛ أي: الأرضُ والجبالُ ﴿دَكَّةً وَاحِدَةً﴾: كُسِرَتا كَسْرًا شديدًا فصارَتْ غُبارًا.

وقيلَ: ﴿فَدُكَّتَا﴾: قُلِعتا.

وقيلَ: جُعِلَتا بساطًا؛ والدَّكُّ: البَسْطُ، وناقةٌ دكَّاءُ: مُفتَرِشَةُ السَّنامِ، والدَّكَّاءُ: الأرضُ المتَّسِعَةُ.

الفرَّاءُ: دكُّها: زَلزلَتُها[٣].

ابنُ بحرٍ: دكُّها: أنْ تصيرَ قِطعَةً واحدةً لا تَرى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٨٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٤٥). قال الذهبي في «المنتقى» (ص: ٤٤٦): «موضوع».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨١).

المبرِّدُ: دُكَّتا: أُلصِقَتا، فجُعِلَتا مِثلَ الدَّكَّةِ الواحدةِ، وهوَ الدُّكَّانُ.

* * *

(١٥) ـ ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾.

﴿فَيَوۡمَئِذٖ﴾: حِينَئذٍ ﴿وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾؛ أي: الواقعةُ التي تُوعَدونَ، وهيَ قيامُ السَّاعةِ وصَيْحَتُها، و﴿وَقَعَتِ﴾ جوابُ (إذا)، و(يومئذ) بدلٌ مِن (إذا) كُرِّرَ لَمَّا طالَ الكلامُ.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: قالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ: أي: عنِ المجرَّةِ[1].

ابنُ جريجٍ: فُتِحَت أبوابًا[2].

والانشقاقُ: وقوعُ الفُرْجَةِ بينَ أجزاءِ الشَّيْءِ.

﴿فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾: ضعيفةٌ كالغَزْلِ المَنقُوضِ.

وقيلَ: مُتَخرِّقَةٌ.

وقيلَ: سَاقِطةٌ مُتَشقِّقَةٌ.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾.

﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾: اسمُ الجنسِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٠)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨١).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨١).

﴿عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا﴾: نواحِيها وأطرافُها، وقيلَ: أبوابِها، واحدُهَا: رَجاً[١].

وقيلَ: أَرجاءُ السَّماءِ، وقيلَ: أرجاءُ الأَرضِ، وقيلَ: أَرجاءُ الدُّنيا.

وقيلَ: على قِطَعِها التي ليسَتْ بمُتشقِّقَةٍ.

﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ﴾: فوقَ الخلقِ، وقيلَ: فوقَ الثَّمانيَةِ؛ لأنَّها في نيَّةِ التَّقديمِ.

﴿يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾؛ أي: ثمانيةُ أَملاكٍ أَرجُلُهم تحتَ الأرضِ السَّابعَةِ ورُؤوسُهم فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ.

وقيلَ: ثَمانيةُ صُفوفٍ مِن الملائكةِ لا يعلَمُ عددَها إلا اللهُ.

وقيلَ: الخلقُ عشرةُ أَجزاءٍ: الإنسُ والجنُّ وسائرُ الحيوانِ جزءٌ، وجزءٌ ملائكةُ السَّماواتِ والأَرَضينَ[٢]، وثمانيةُ أجزاءٍ حملةُ العرشِ وهم الكَرُوبيُّونَ.

وجاءَ مرفوعًا: أنهمُ اليومَ أربعَةٌ فإذا كانَ يومُ القيامةِ أمدَّهُم بأربعةٍ آخرينَ[٣].

---

(١) ينظر: «المقصور والممدود» لأبي علي الفالي (ص: ٨٢).

(٢) في (ف): «والأرض».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٦٨) من طريق ابن إسحاق عن النبي ﷺ بلاغاً، ورواه الطبري أيضًا من طريق ابن زيد عن النبي ﷺ، وكلاهما معضل. وجاء في حديث الصور الطويل: «والملائكة تحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة». رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن كثير: «هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة...

وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه، فغريب جدًّا، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقًا واحدًا، فأنكر عليه بسبب ذلك». وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٥) واستغربه.

مجاهدٌ: هُمُ اليومَ أربعَةٌ؛ فواحدٌ وجههُ وجهُ رجلٍ، وواحدٌ وجهُهُ وجهُ ثورٍ، وواحدٌ وجههُ وجهُ نَسرٍ، وواحدٌ وجههُ وجهُ أسدٍ، وكلُّ واحدٍ يشفَعُ لِمَا يُشبِهُه(١).

وقيلَ: لكلِّ واحدٍ أربعةُ أوجُهٍ على الوصفِ المذكورِ.

ورُوْيَ أنَّه أُنشدَ بينَ يديْ رسولِ اللهِ ﷺ قولُ أميَّةَ بن أبي الصَّلْتِ:

رَجُلٌ وثورٌ تحتَ رِجْلِ يَمينِهِ ... والنَّسْرُ للأُخْرَى ولَيْثٌ مُرْصَدُ

فقالَ النبيُّ ﷺ: «صدقَ»(٢).

والفائدةُ في ذكرِ العَرْشِ عقيبَ ما تقدَّمَ: أنَّ العَرشَ بحالِهِ خلافُ السَّماءِ والأرضِ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٥)، وعده من العجائب، ورواه أبو جعفر ابن أبي شيبة في «العرش» (٣٨)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (٢١٧)، والآجري في «الشريعة» (١٠٣٤)، وابن الجوزي في «العلل» (٢٠)، عن ابن عباس بلفظ: «يحمله أربعة من الملائكة؛ ملك في صورة رجل، وملك في صورة ثور، وملك في صورة أسد، وملك في صورة نسر». قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣١٤)، والدارمي في «سننه» (٢٧٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٥٩١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٦)، وعده من العجائب. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٢٧): «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس». وقال محققو «المسند»: إسناده ضعيف، محمد بن إسحاق مدلس وقد رواه بالعنعنة، والتصريح بالتحديث في بعض الروايات عند غير المصنف إنما جاء عن غير الثقات من أصحابه، ولو ثبت تصريح ابن إسحاق فلا يعتدُّ به في مثل هذا المطلب.

(١٨) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: روى أبو موسى الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «يُعرَضُ النَّاسُ يومَ القيامةِ ثلاثَ عرضاتٍ، فأمَّا عَرضتانِ فجِدالٌ ومَعاذيرُ، وأمَّا العَرضةُ الثالثةُ فعندَها تَطيرُ الصُّحُفُ في الأيدي، فآخِذٌ باليمينِ وآخِذٌ بالشِّمالِ»[1].

وليسَ يعرِضُهُم ليَعلَمَ ما لم يكُنْ عَالِمًا بهِ، ولكنَّهُم يُعرَضُون مُبالغةً ومُظاهرةً في العَدْلِ.

وقيلَ: معنى العَرْضِ: أن يُعرَّفَ كلُّ واحدٍ ما يَستحِقُّهُ مِن ثوابٍ أو عقابٍ[2].

ابنُ بحرٍ: يُعرَضُونَ بأعمالِهِم وأقوالِهِم كما يَعرِضُ السّلطانُ جُندَهُ بأسلحتِهِم ودَوابِّهِم.

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: مَا أَسررْتُمُوهُ أَوْ أعلنتُمُوهُ.

* * *

---

(١) رواه وكيع في «الزهد» (٣٦٦)، وعنه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٧١٥)، ومن طريقه ابن ماجه (٤٢٧٧)، عن علي بن علي بن رفاعة، عن الحسن، عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا. ورواه الترمذي (٢٥٩٤) من طريق وكيع، عن علي بن علي بن رفاعة، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. وقال: «ولا يصح هذا الحديث من قِبَل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، وقد رواه بعضهم عن علي بن علي، وهو الرفاعي، عن الحسن، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى». وقال الدارقطني في «العلل» (٧/ ٢٥١): «والموقوف هو الصحيح».

(٢) في (ف): «وعقاب».

(١٩) - ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾: هذا إخبارٌ عَنْ قولِ الفريقَيْنِ إذا وصلَ إليهِمْ كِتابُ الحفظَة ﴿فَيَقُولُ﴾ المؤمنونُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾: تقديره: هاؤُمْ كتابيَ واقرؤوا كتابيَ، فحُذِفَ المفعولُ الأوَّلُ لأنَّ الثانيَ يدلُّ عليهِ.

وفي (هاء) لغاتٌ؛ أحدُها: هاءَ هاؤُمَا هاؤُمْ هائِي هاؤوا هاؤُنَّ، ومِنهم مَن قالَ: هَاء هَاآ هاؤُوا هَائِي، ومنهم مَن قالَ: هاكَ هاكُمَا.

وقيلَ: معنى ﴿هَآؤُمُ﴾: تعالَوْا[1].

وقيلَ: معناهُ: يا هؤلاءِ[2]. والوجهُ هو الأوَّلُ.

والهاء في ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ للاستراحَةِ، وحقُّهُ الحَذْفُ في الوَصلِ، فمَنْ أثبتَهُ فلِمُوافقَةِ الإمامِ[3]، والمعنى: يقولُ ذلكَ سُرُورًا بهِ لِمَا يَرى فيهِ مِن الخيراتِ، وأنْ لا يكونَ فيهِ ما يَفضَحُهُ.

وقيلَ: ذلك كتابٌ سِوَى كتابِ الحفظةِ فيهِ البِشارَةُ مِن اللهِ؛ لأنَّ كتابَ الحفظَةِ بينَهُ وبينَ اللهِ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٦)، وعده من العجائب.

(٣) قرأ يعقوب بحذف الهاء في الأربعة في الوصل، وحمزة بحذفها في الوصل في ﴿مَالِيَهْ﴾، و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾، والباقون بإثباتها في الحالين. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٤)، و«النشر» (٢/ ١٤٢).

(٢٠) ـ ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾؛ أي: عَلِمْتُ ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: معايِنٌ حِسابي فكنتُ أستَعِدُّ له.

قالَ الكلبيُّ والضَّحَّاكُ: نزلَتْ في أبي سَلَمة بن عبد الأسدِ[1]، فيكونُ هوَ سببَ النُّزولِ، ويَعمُّ المعنى جميعَ أهلِ الإيمانِ.

* * *

(٢١) ـ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: أي: أنواعٍ مِن العَيْشِ مَرضيَّةٍ، وقيلَ: ذاتِ رِضًا.

وقيلَ: تامَّةٍ، كأنَّها أُعطِيَتْ حتى رَضِيَتْ فتمَّتْ[2].

الفرَّاءُ: إنما يُصرَفُ مِن لفظِ المفعولِ إلى الفاعلِ إذا كانَ مَدْحًا أو ذَمًّا[3].

وعن النبيِّ ﷺ: «أَنَّهم يعيشونَ فلا يموتونَ أبدًا، ويَصِحُّون فلا يمرضونَ أبدًا، ويتنعَّمُونَ فلا يَرَوْنَ بأسًا أبدًا»[4].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨٣) عن الضحاك، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٦٣) عن ابن عباس والكلبي ومقاتل، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٨٢) بلا نسبة. وروى ابن أبي عاصم في «الأوائل» (٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد قال: وهو الذي يقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾، قال: وكان ابن عباس يقرؤها: (كل واشرب يا أبا سلمة بما أسلفت في الأيام الخالية)، وأما الذي يعطى كتابه بشماله فأول من يعطاه أخوه سفيان بن عبد الأسد»، ورفعه الطبراني في «الأوائل» (٨٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٦)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٢).

(٤) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨٤) وكثير من كتب التفسير، ورواه مسلم =

(٢٢) ـ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: عاليةِ المكانِ، وقيلَ: عاليةِ القدرِ والشَّأنِ.

و﴿فِي﴾ متعلقةٌ بالعِيشَةِ[1]، وقيلَ: خبرٌ بعدَ خبرٍ، والأوَّلُ ضَعيفٌ[2].

***

(٢٣) ـ ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾.

﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارُها، جمعُ قِطْفٍ بالكسرِ، والقَطْفُ بالفتحِ المصدَرُ، وهو أخذُ الثَّمرةِ بسرعةٍ.

﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبةٌ تُنالُ بالأفواهِ والأيدي قِيامًا وقعودًا.

وقيلَ: دَنَتْ فلا يَرُدُّ أيديَهُم عنها بعدٌ ولا شَوكٌ.

***

(٢٤) ـ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ مِن نعيمِ الجنَّةِ ﴿هَنِيئًا﴾: سَلِيمًا من الآفاتِ والمكارِهِ لا تَنْغيصَ فيها ولا تَكْديرَ لها ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾: بسببِ ما قدَّمْتُم مِن الخَيراتِ والطَّاعاتِ ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: الماضيةِ في الدُّنيا، وقيلَ: بدلُ (ما أسلَفْتُم).

= (٢٨٣٧) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبي ﷺ بلفظ: «ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٦)، وعده من العجائب، واستبعده لأنه قد حيل بينهما بالوصف.

(٢) في (ف): «أولى»، وانظر التعليق السابق.

وعن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّها نزلَتْ في الصَّائِمينَ خاصَّةً[١] ﴿فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾؛ أي: الجائعَةِ؛ كما تقولُ: نهارُهُ صَائِمٌ.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ يقولُ ذلكَ لِمَا يَرَى فيهِ مِن الفضائحِ.

وقيلَ: لم أوتَ كتابي بشِمَالي.

وقيلَ: يا ليتَنِي لم أُبعَثْ ولم أُحاسَبْ.

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾: ولم أَدرِ مَا جزاءُ عَملي.

وقيلَ: هو كتابُ البراءةِ مِن اللهِ تعالى.

وقيلَ: نزلَتْ في أبي جهلٍ.

وقيلَ: في الأَسودِ بن عبدِ الأسدِ[٢]، فيكونُ هو سببَ النُّزولِ، والمعنى يعمُّ جميعَ الكفَّارِ كما سبقَ.

---

(١) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٦٥٦)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٧٣) عن الكلبي، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٤٩) عن عبد العزيز بن رفيع، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣١) عن الحسن بن صالح، ورواه الجرجاني في «الأمالي» (٢/ ١٢٧) عن أبي جعفر.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨٣) عن الضحاك، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٦٣) عن ابن عباس والكلبي ومقاتل، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٨٢) بلا نسبة.

(٢٧) ـ ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾.

﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾: القارعة[1] القاطِعَةَ عن الحياةِ لم أحيَ بعدَها.

قيلَ: إنَّها تعودُ إلى الشَّدائدِ التي دُفعَ إليها.

وقيلَ: تعودُ إلى الصَّيحَةِ التي بُعِثَ عندَها.

وقيلَ: كنايةٌ عن السَّاعةِ التي هو فيها؛ أي: ليتَني متُّ الآنَ.

وقيلَ: تعودُ إلى ﴿ٱلۡقَاضِيَةَ﴾؛ أي: يا ليتَ القاضِيَةَ وقعَتْ؛ يعني: الموتَ.

وقيلَ: كنايةٌ عن الحياةِ الدُّنيا؛ أي: يا ليتَها كانَتْ مَوْتًا ولم أكُنْ قطُّ حتَّى لا أرى ما أراهُ اليَوْمَ.

* * *

(٢٨) ـ ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾؛ أي: ما نفَعَني مالي ولا دَفَعَ عني، يجوز أنْ يكونَ ﴿مَآ﴾ للاستفهامِ ومحلُّهُ نصبٌ، ويجوزُ أنْ يكونَ نفيًا والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: شيئًا، والمعنى: لَمْ ينفَعْنِي ما جمعْتُهُ في الدُّنْيَا.

* * *

(٢٩) ـ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾.

﴿هَلَكَ عَنِّي﴾: ذهبَ عني ﴿سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾: كثرةُ مالي وأسبابُ مُلكِي.

وقيلَ: سُلطاني: حجَّتِي وبُرهاني.

---

(١) في النسختين: «الفارغة»، والصواب المثبت.

واختارَ لفظَ الهلاكِ وإنْ كانَ مُستَعْملًا للأعيانِ(١)؛ لأنَّ معَ الذَّهابِ يبقى رَجاءُ العَوْدِ، ولا يبقى معَ الهَلاكِ.

وقيلَ: شَبَابي وعُمري في الدُّنْيا.

وقيلَ: زالَ عِزِّي وصرتُ ذليلًا.

* * *

(٣٠) ـ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾.

﴿خُذُوهُ﴾ يقولُ اللهُ لخَزَنةِ النَّارِ ﴿فَغُلُّوهُ﴾: اجمَعُوا يمينَهُ(٢) إلى عُنقِهِ.

* * *

(٣١) ـ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾؛ أي: أَدخِلُوهُ فيها.

وقيلَ: أوقِدُوا النَّارَ واشوُوهُ بها.

وقيلَ: اجعَلُوهُ يَصْلَى.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا﴾: طولُها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾.

ابنُ جريجٍ: بذراعِ المَلِكِ(٣).

---

(١) في (ف): «يستعمل مع الأعيان».

(٢) في (ف) وهامش (ن): «يده».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣١٢)، وقال الأزهري في «تهذيب اللغة» (١١/ ٤٤) مادة: (ج ب ر): «يقال: =

الحسنُ: اللهُ أعلَمُ بأيِّ ذِراعٍ هوَ[١].

نوف[٢]: الذَّرْعُ سبعونَ باعًا، كلُّ باعٍ ما بينَ الكُوفَةِ إلى مكَّةَ أوْ أبعَدُ[٣].

وجاءَ: لَوْ أنَّ حَلْقةً مِنها وُضِعَتْ على ذروةِ جبلٍ لذابَ كما يذوبُ الرَّصاصُ[٤].

والذَّرْعُ: طولُ يدِ الإنسانِ وانبِسَاطُها، والذَّرْعُ: المصدَرُ أيضًا.

﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ له وجهانِ:

أحدُهما: إذا شُدَّ بها فقَد اشتملَتْ عليهِ؛ لأنَّهُ يُدْخِلُ عنقَهُ فيها ويجرُّ بهِ.

والثاني: أنه مِن بابِ القَلبِ؛ أي: فاسلُكُوها فيهِ؛ كمَا تقولُ: جعلتُ الخاتَمَ في الإِصبَعِ، والخُفَّ في الرِّجْلِ.

قالَ الضَّحَّاكُ: تدخلُ في فيهِ وتخرجُ مِن دبرِهِ[٥].

= هو كذا وكذا ذراعاً بذراع المَلِك، وأحسبه ملكاً من ملوك العجم، نسب إليه هذا الذراع»، وفي «الأصل» للشيباني (٧/ ٥٤١): «وذراع المَلِك سبع مُشْتات، وذلك سبع قبضات، وذلك يزيد على ذراع العامة قيمة قبضة».

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣١٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٧٩)، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨١٥) لكن في شرح حديث: «طول آدم ستون ذراعًا».

(٢) في هامش (ن): «نوف اسم مفسر، وهو نوف البكالي».

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٨٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣١٦)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢٦٩)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٧).

(٤) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٤٢٤) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣١٥) عن سويد بن يحيى يبلغ به، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٩).

ابنُ بحرٍ: اجعلوا هذهِ السِّلسَلَةَ لهُ بمنزلَةِ الخَيْطِ يُسلَكُ فيهِ الخَرزُ.
وسَلَكْتُهُ وأَسْلَكْتُهُ لغتانِ، ولغةُ القرآنِ: سَلَكَ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: جزاءً على كفرِهِ وبُخلِهِ، وهو قوله:

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾؛ أي: لا يُطعِمُ ولا يأمرُ بهِ.

* * *

(٣٥) ـ ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾؛ أي: قريبٌ يغتَمُّ لِمَكروهِ قريبِهِ أو يهتمُّ، وهما بمعنى، والمعنى: لا ينتفِعُ بحميمِهِ كما كانَ ينتَفِعُ في الدُّنْيا[1].

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: الغِسْلِينُ: غُسَالَةُ ما يُغسَلُ، والمرادُ به هاهنا: ما يَسِيلُ مِن أَجسَامِ المعذَّبينَ مِن القَيْحِ والصَّدِيدِ.

الأَصمُّ: الغِسْلِينُ: الطُّحْلُبُ[2].

وقيلَ: هو شرُّ طَعامٍ وأبشَعُهُ، والنارُ دَرَكاتٌ ولكلِّ دَرَكَةٍ نوعُ طعامٍ وشَرابٍ.

---

(١) في (ف): «في طعام».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٧)، وعدّه من العجائب.

(٣٧) ـ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾.

﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾: الكافرونَ الجائرونَ عَن طريقِ الحقِّ عَمْدًا.

* * *

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾: قيلَ: (لا) صِلَةٌ.

وقيلَ: ردٌّ لإنكارِهِم القرآنَ.

وقيلَ: نفيٌ للقَسَمِ، وهوَ يَجري مجرى القَسَمِ في التَّأْكيدِ.

﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾: الدُّنْيا[1]، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: الآخرةُ.

وقيلَ: ﴿ما تبصرون﴾: السَّماءُ والأرضُ وما فيهِما، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: ما وراءَهُما.

وقيلَ: ﴿ما تبصرون﴾: البرُّ، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: البَحرُ.

وقيلَ: ﴿ما تبصرون﴾: ما على[2] وجهِ الأرضِ، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: ما في بطنِها.

ابن عباسٍ: ﴿ما تبصرون﴾: في الكعبةِ[3]، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: البيتُ المعمور[4].

وقيلَ: ﴿ما تبصرون﴾ بتبليغِ محمَّدٍ ﷺ، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ بتبليغِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ.

* * *

---

(١) في (ن) «في الدنيا».

(٢) «ما على»: ليس في (ف).

(٣) كذا في (ن)، وقول ابن عباس ليس في (ف)، ولعل الصواب حذف «في».

(٤) لم أقف عليه، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية: «بما ترون وبما لا ترون».

(٤٠) ـ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ القرآنَ ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾: إبلاغُ رسولٍ؛ يعني: محمَّدًا ﷺ، وقيلَ: وحيُ جبريلَ.

﴿كَرِيمٖ﴾ على اللهِ تعالى.

وفي لفظِ الرَّسُولِ دليلٌ على أنَّهُ يبلِّغُ عنِ اللهِ ويحكيهِ، والقولُ يقَعُ على الحِكايةِ.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖ﴾؛ أي: ليسَ بشِعْرٍ ولا كَهانَةٍ كمَا زعموا ﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿مَّا﴾ صِلَةٌ، و﴿قَلِيلٗا﴾ صفةُ مَصدَرٍ محذوفٍ؛ أي: تؤمنونَ إيمانًا قليلًا، مِن قولِه[1]: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

وقيلَ: القِلَّةُ عبارةٌ عن النفيِ، وقد سبقَ[2].

وقيلَ: يجوزُ أنْ يكونَ هذا نعتًا للمؤمنينَ، وأرادَ أنَّ المؤمنينَ بِهِ قَليلٌ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: نزلَ بهِ جبريلُ على محمَّدٍ عليهِما السَّلامُ.

* * *

---

(١) «من قوله»: ليس في (ف).

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾.

(٤٤) ـ ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾.

﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ﴾؛ أي: كَذَبَ ـ أي: الرسولُ ﷺ[1] ـ علينا، وتكلَّفَ القولَ واخترعَهُ ثم أضافَهُ إلينا.

***

(٤٥) ـ ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾.

﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾: لانتقَمْنا منهُ بالقوَّةِ والقُدرَةِ.

وقيلَ: لسَلَبْنَا مِنهُ قوَّتَهُ[2]، قالَ الشاعرُ:

إذَا مَـا رايَـةٌ رُفِعَـتْ لِمَجْـدٍ   تَلَـقَّـاها عَرابَـةُ باليَميـنِ[3]

وقيلَ: لقطَعْنا يدَهُ اليُمنى، عن الحسنِ[4].

وقيلَ: لأذلَلْنَاهُ واستَخْفَفْنا بهِ[5]، كما تقولُ: خُذْ بيدِهِ وأخرِجْهُ مِن مجلِسِه.

وقيلَ: ﴿بِٱلۡيَمِينِ﴾: بالحقِّ.

وقيلَ: سَلَبْنا مِنهُ يُمْنَهُ[6].

---

(١) «أي: الرسول ﷺ»: ليس في (ف).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٨)، واستغربه.

(٣) البيت للشماخ. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٣٦)، و«الطبقات الكبرى» (٤/ ٣٧٠)، و«المعارف» لابن قتيبة (١/ ٣٣٠)، و«الكامل» (١/ ١٠٨).

(٤) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ٣٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٨٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٨)، وعده من العجائب.

وفي «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٠٠) عن الحسن: «﴿بِٱلۡيَمِينِ﴾ أي: بالميامن، ثم عاقبناه بقطع الوتين».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٨)، وعده من العجائب.

(٦) في (ن): «يمينه».

(٤٦) ـ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾: أَمَتْنَاهُ وأهلَكْنَاهُ.

والوَتِينُ: نِياطُ القلبِ، وقيلَ: عِرقٌ في القَلبِ مُتَّصلٌ بالظَّهرِ إذا قُطِعَ ماتَ صَاحِبُهُ.

***

(٤٧) ـ ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾؛ أي: لو تقوَّلَ لأَهْلَكناهُ ولَم يَكُن مِنكُمْ مِن أحدٍ يحجُزُهُ عنِ القَطعِ وعَن عذابِ اللهِ، وجُمِعَ ﴿حَٰجِزِينَ﴾ لأنَّ ﴿أَحَدٍ﴾ للعمومِ، ومحلُّهُ جرٌّ بالصِّفةِ.

وقيلَ: نصبٌ على أنَّهُ خبرُ ﴿ما﴾، و﴿أَحَدٍ﴾ اسمُ ﴿ما﴾، و﴿مِّنْ﴾ صِلةٌ، و﴿مِنكُم﴾: حالٌ تقدَّمَ عليهِ، والوجهُ الأوَّلُ.

***

(٤٨) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: إنَّ القُرآنَ ﴿لَتَذْكِرَةٌ﴾: تذكيرٌ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وخصَّهُم بالذِّكرِ لانتِفَاعِهِم بهِ.

***

(٤٩) ـ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ يعني: الكفَّارَ[1]، والتَّقديرُ: لَنعلَمُ أنَّ مِنكُمْ مُكذِّبينَ ومِنكُمْ مُؤمنينَ صادقينَ، فاكتفى بذكرِ أحدِهِما.

وقيلَ: ﴿مِنكُم﴾: منَ المؤمنينَ، وهم قومٌ كفَرُوا بعدَ إيمانِهِم.

---

(١) في (ف): «الكافرين».

(٥٠) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: التَّكذيبَ، وقيلَ: القرآنَ لحسرةٌ عليهِمْ حيثُ ضيَّعُوا العملَ بهِ.

وقيلَ: وإنَّ يومَ القِيامَةِ ﴿لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ فإنَّهُ يومُ الحسرةِ والنَّدامَةِ.

***

(٥١) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنَّ القرآنَ ﴿لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾؛ أي: اليقينُ حقُّ اليَقينِ، كما تقولُ: هو الجَوادُ عَيْنُ الجَوَادِ.

وقيلَ: أرادَ: لحَقٌّ يَقينٌ، فأضافَ إلى وصفِهِ، وهو قولُ الفرَّاءِ.

وقيلَ: هو كقولِكَ: هو حَقُّ الشَّيءِ.

وقيلَ: ﴿إنه﴾: إنَّ التَّحسُّرَ يومَ القيامةِ لَكائِنٌ لا محالَةَ.

***

(٥٢) ـ ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾: صَلِّ لهُ، ونَزِّهْهُ عمَّا لا يليقُ به، فسُبحانَ اللهِ دائمًا.

***

سُورَةُ المَعَارِج

أربعٌ وأربعونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ بالإجماعِ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ﴾ نزلَتْ في النَّضْرِ بنِ الحارثِ حينَ قالَ: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ﴾ [الأنفال: ٣٢][2].

وقيلَ: نزلَتْ في أبي جَهلٍ حينَ قالَ: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧][3].

وقيلَ: نزلَتْ في جماعةٍ من الكفَّارِ قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦] اسْتهزاءً[4].

---

(١) «أربع وأربعون آية»: ليس في (ف).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥) عن عطاء والسدي، ورواه البزار في «مسنده» (٥٠٩٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٥٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما لكن دون قوله: «حين قال...».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٩٠)، لكنه ذكر أنه قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣١٣)، وذكر الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٥) عن المفسرين: «كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ولا ينتفعون به، بل يكذبون به ويستهزءون ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، وليكونن لنا فيها =

وقيلَ: نزلَتْ في النبيِّ ﷺ حين سألَ نزولَ العذابِ عليهِمْ، والسَّائِلُ محمَّدٌ ﷺ[(١)].

وقيلَ: المرادُ بهِ نوحٌ عليهِ السَّلامُ حينَ سألَ العَذابَ على الكُفَّارِ[(٢)].

وقيلَ: نزلَتْ حينَ قالوا: متى السَّاعَةُ؟

وقيلَ: نزلَتْ حينَ سَألوا عَنْ وقتِ العذابِ.

وفيهِ قراءتانِ ﴿سَأَلَ﴾ بالهمزِ و﴿سَالَ﴾ بغيرِ همزٍ[(٣)]، فمَن هَمَزَ جَعلَهُ مِن (سَألَ يَسْألُ سُؤالًا) لا غيرَ، ومَن تركَ الهمزَ فلَهُ وَجهانِ:

أحدُهُما: بمعنى الهَمزِ، قالَ الشاعرُ:

سَالَتْ هُذَيلُ رَسولَ اللهِ فاحِشَةً ... ضَلَّتْ هُذَيلُ بما قالَتْ ولَم تُصِبِ[(٤)]

والثاني: مِن سَالَ يَسِيلُ سَيْلًا. و(السَّائِلُ) فيهِما بالهمزِ.

﴿بِعَذَابٍ﴾ قيلَ: عن[(٥)] عذابٍ، كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]؛ أي: عنهُ، قالَ الشَّاعرُ:

= أكثر مما لهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٤٩)، وعده من العجائب.

(٣) قرأ نافع وابن عامر بغير همز، والباقون بالهمز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٤) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، كما في «ديوانه» (ص: ٣٩)، و«الكتاب» (٣/ ٤٦٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٨٠)، و«المقتضب» (١/ ١٦٧).

(٥) في (ن): «من».

فَـإِنْ تَسْـأَلُوني بالنِّسـاءِ فإنَّنـي بَصيـرٌ بـأَدْوَاءِ النِّسـاءِ طَبيـبُ[١]

وقيلَ: الباءُ صِلَةٌ، تقديرُهُ: سألَ سَائِلٌ عذابًا.

وقيلَ: ﴿سَأَلَ﴾ بمعنى: دَعا؛ أي: دعا اللهَ بهذا.

وقيلَ: ﴿سَأَلَ﴾ بمعنى: طَلَبَ، وقيلَ: بمعنى نادى.

ومَن جَعلهُ مِن السَّيْلِ فالباءُ مُتَّصِلٌ بهِ، والسَّائِلُ هوَ السَّيْلُ، وقيلَ: السَّائِلُ: وادٍ في جهَنَّم؛ أي: سالَ الوادي بالعَذابِ.

﴿وَاقِعٍ﴾: نازلٍ.

* * *

(٢) ـ ﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾.

﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾: قيلَ: اللَّامُ لامُ الاسْتحقاقِ مُتَّصِلٌ بالعذابِ؛ أي: عذابٍ يستَحِقُّهُ الكفَّارُ، وقيلَ: مُتَّصلٌ بـ﴿وَاقِعٍ﴾؛ أي: يقعُ لهم وينزِلُ بهم.

وقيلَ: بمعنى: على؛ أي: يقَعُ عليهِمْ ويحلُّ بهم[٢].

وقيلَ: سائِلٌ للكفَّارِ.

وقيلَ: بمعنى: مِن؛ أي: سائلٌ مِن الكفَّارِ[٣].

---

(١) لعلقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس التميمي. انظر: «المفضليات» (ص: ٣٩٢)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٤٤)، و«البيان والتبيين» (٣/ ٢١٦)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢١٣).

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٠): «العجيب: قول من قال: «اللام بمعنى: عن، والتقدير (ليس يقع عنهم) بعيد؛ لأن اللفظ لا ينبيء عنه، وإن جعل بمعنى: عن، ووصل بدافع صح؛ أي: ليس يدفع عن الكافرين».

(٣) والقولان الأخيران فيمن جعله من السَّيل.

﴿لَيْسَ لَهُۥ﴾: لذلكَ العذابِ[1] ﴿دَافِعٌ﴾: مانِعٌ ورادٌّ.

* * *

(٣) ـ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: قيلَ: ﴿مِّنَ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿وَاقِعٍ﴾؛ أي: يقَعُ مِن أمرِ اللهِ.

وقيلَ: متعلِّقٌ بـ﴿دَافِعٌ﴾؛ أي: يدفَعُه مِن اللهِ.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: صِفةٌ لـ﴿ٱللَّهِ﴾، و(المعارجُ): جمعُ مَعْرَجٍ، وهو يصلُحُ للمصدَرِ وجُمعَ لاختلافِ ذلك؛ فإنَّ الملائكةَ تعرجُ والكَلِمُ الطيِّبُ تعرجُ ورسلُ اللهِ تعرجُ، ويَصلُحُ لموضعِ العُروجِ، وإليهِ ذهبَ الحسنُ ومجاهدٌ[2].

وعلى هذا يجوزُ أن يكونَ الواحِدُ «مِعرَجًا» بكسرِ الميمِ؛ أي: معارِجِ الملائكةِ، ويصلُحُ لِمَوضعِ العُروجِ إليه، فقيلَ: هي السَّماواتُ، وقيلَ: الدَّرجاتُ دَرَجاتُ أهلِ الجنَّةِ ومنازلُهم.

ابنُ عباسٍ: هي الفواضِلُ والنِّعمُ يُؤْتيها اللهُ المؤمنينَ[3].

* * *

(١) في (ف): «العقاب».

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٦٦) عن مجاهد أنه قال في الآية: «معارج السماء»، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٦٥) عن الحسن قوله: «هي المراقي إلى السماء».

(٣) رواه هكذا الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٠) عن قتادة، أما قول ابن عباس فرواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٣) بلفظ: «العلو والفواضل».

(٤) ـ ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: تصعَدُ الملائكةُ.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ قيلَ: هو جبريلُ، خُصَّ بالذكرِ بعدَ العمومِ تَشريفًا له.

وقيلَ: هو أرواحُ المؤمنينَ عند الموتِ.

وقيلَ: هم قومٌ موكَّلونَ على الملائكةِ.

وقيلَ: هُم قومٌ يُشبِهونَ الإنسَ وليسُوا بهم.

﴿إِلَيْهِ﴾: إلى محلِّ الكرامةِ والزُّلفَى، وقيلَ: إلى حيثُ لا يكونُ لغيرِ اللهِ فيه حَلٌّ ولا عَقْدٌ ولا أمرٌ ولا نهيٌ.

﴿فِى يَوْمٍ﴾: مِن صلةِ ﴿وَاقِعٍ﴾؛ أي: يقعُ في يومٍ.

وقيلَ: مِن صلة ﴿تَعْرُجُ﴾، وهو أظهرُ.

﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ﴾: مقدارُ اليومِ ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ أي: مِن سِنيْ الدُّنيا؛ يعني: يومَ القيامةِ، وجاءَ مرفوعًا أنه قيلَ لِرسولِ اللهِ ﷺ: يومٌ كان مقدارهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ، مَا أطولَ هذا! فقالَ النبيُّ عليه السَّلامُ: «والذي نفسي بِيَدِه، إنَّه لَيُخفَّفُ على المؤمنينَ حتى يكونَ أخفَّ عليهِ مِن صَلاةٍ مَكتوبَةٍ يصلِّيها في الدُّنيا»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٩٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٣٤)، من طريق ابنِ لَهيعَةَ، عن دَرَّاجٍ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، وابن لهيعة ضعيف، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩/ ٤٠٤): «ودراج أبو السمح وشيخه أبو الهيثم سليمان بن عمرو العتواري ضعيفان»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٧): «رواه أحمد وأبو يعلى، وإسناده حسن على ضعف في راويه»، وحسَّن إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤٤٨).

وله شاهد رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٠٢٥) وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وسُئل ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما عن هذهِ الآيةِ وعن قولِه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحج: ٤٧] فقال: هما يومانِ ذكرَهُما اللهُ تعالى في كتابِه، وأكرَهُ أنْ أقولَ في كتابِ اللهِ مَا لا أعلَمُ[١].

وذهبَ جماعةٌ من المفسِّرينَ إلى أنَّ المعنى: أنَّ اللهَ يُفعَلُ[٢] فيهِ مِن محاسبَةِ العبادِ، ومِن الحكمِ بينَهُم، وتصييرِ أهلِ النَّارِ إلى النَّارِ وعقابِها، وتصييرِ[٣] أهلَ الجنَّةِ إلى الجنَّةِ ومنازلِها= ما لا يكونُ في الدُّنيا إلا خمسينَ ألفَ سَنةٍ[٤].

وذهبَ جماعةٌ إلى أن المَلَكَ يصعَدُ في يومٍ مِن أيامِ الدُّنيا ما لو صعدَ فيهِ آدميٌّ لصعدَ في خمسينَ ألفَ سنةٍ، وذلك أنه يصعَدُ مِن منتهَى أسفلِ الأرضِ السَّابعةِ إلى ما فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ إلى العرشِ، وقولُه: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] إنَّما هو قَدْرُ مَسيرِهِم من السَّماءِ الدُّنيا إلى وجهِ الأرضِ مسيرةَ خمسِ مئةِ عامٍ هُبوطًا ومثلِهِ صُعودًا.

وقيلَ: لو تولَّى حسابَ العِبادِ غيرُ اللهِ لفرغَ مِنها[٥] في خمسينَ ألفَ سنةٍ.

وعن عكرمةَ وغيرِه: أنَّ اليومَ في الآيةِ عِبارةٌ عَن أولِ أيامِ الدُّنيا إلى انقضائها[٦]، وأنَّها خمسونَ ألفَ سنةٍ لا يَدري أحدٌ كم مضى وكمْ بقيَ إلا اللهُ[٧].

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٠٣).

(٢) في (ن): «يصير»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في المصدر.

(٣) في (ن): «ويصير» في الموضعين.

(٤) انظر: «درة التنزيل وغرة التأويل» للإسكافي (ص: ١٠٦٣).

(٥) كذا في النسختين، والظاهر: «لفرغ منه».

(٦) في (ن): «إلى انقضاء الدنيا».

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥١)، وعده من العجائب.

وقال بعضُهم: لا يمتَنِعُ أنْ يختلِفَ تقديرُ السَّنَةِ في الإضافةِ إلى أصنافِ خَلقِ اللهِ، فقَد نجِدُ المَنَّ(١) يختلِفُ حكمُهُ(٢) في تقديرِ قومٍ وقومٍ؛ فإنَّهُ مئتانِ وستُّونَ دِرْهمًا في تقديرِ قومٍ، وأربعُ مئةٍ في تقديرِ قومٍ، وستُّ مئةٍ في تقديرِ قومٍ، وذُكِرَ عن أهلِ الصِّينِ أنَّهُم يعدُّونَ كلَّ فصلٍ مِن الفصولِ الأربعةِ سنةً بانفرادِها(٣).

وذهبَ بعضُهُم إلى أنَّهُ خمسونَ مَوطِنًا، يبقى الخلقُ في كلِّ موطنٍ ألفَ سنةٍ.

وذهبَ بعضُهُم: إلى أنَّ أسماءَهُ في القرآنِ خمسونَ كالحاقَّةِ والقارعَةِ ويومِ التغابُنِ ويومِ التَّنادِ ويومِ الخروجِ ويومِ الوعيدِ إلى تمامِ خمسينَ اسمًا، وأنَّ كلَّ اسمٍ يُبنى عن معنًى يقَعُ في ألفِ سنةٍ(٤).

وذهب بعضُهُم إلى أنَّ المرادَ: شِدَّةُ أمرِ القيامةِ واستطالَةُ أهلِهِ إيَّاهُ كالعادةِ في استطالَةِ أيَّامِ الشِّدَّة واستقصارِ زمانِ(٥) الرَّخاءِ والنِّعمةِ، وهو في أشعارِ العربِ والعجمِ أكثرُ مِن أنْ يُذكَرَ، وهذا أظهَرُ ما قيلَ في الآيةِ؛ للخبَرِ الذي تقدَّمَ ذِكرُهُ، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(٥) ـ ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ على تكذيبِهِم إيَّاكَ ﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾: لا جزعَ فيهِ، وهذا قبلَ أن أُمِرَ بالقتالِ فنُسِخَ(٦).

---

(١) مكيال معروف أو ميزان. انظر: «تاج العروس» (٣٦/ ١٩٧).

(٢) «حكمه»: ليس في (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥١)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥١)، وعده من العجائب.

(٥) في (ف): «واستقصاء أيام».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٥) عن ابن زيد، وقال الطبري: «لا وجه له»، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٤٩).

وقيلَ: غيرُ منسوخٍ؛ فإنَّ الصَّبرَ الجميلَ: الانتظارُ مِن غيرِ استعجالٍ.

وقيلَ: الصَّبرُ: حبسُ النَّفسِ على ما تكرَهُهُ.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ﴾: إنَّ الكفارَ ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾؛ أيْ: العذابَ، وقيلَ: اليومَ المذكورَ ﴿بَعِيدًا﴾: مُستحيلًا لا يكونُ ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾: كائنًا لا محالةَ؛ لأنَّ ما هوَ آتٍ قريبٌ، والرُّؤيَةُ بمعنى العِلمِ، وقيلَ: يظنُّونَهُ بعيدًا ونعلَمُه قريبًا.

* * *

(٨) ـ ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾.

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾: مِن صلةِ ﴿وَاقِعٍ﴾، والمهلُ: هو المذابُ في مَهَلٍ كالذَّهَبِ والفِضَّةِ والصُّفرِ والنحاسِ[١] وسائرِ الفِلزَّاتِ.

وقيلَ: هو درديُّ الزيتِ وعكرُهُ، ويقويهِ قوله: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] فيمَن حملَهُ على الدُّهنِ.

ابنُ بحرٍ: وقعَ التشبيهُ[٢] على الذَّوْبِ كقوله تعالى: ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]، والمَوْرُ والسَّيَلانُ والذَّوْبُ واحدٌ.

ابن مجاهدٍ: كقيحٍ مِن دمٍ[٣].

---

(١) «والنحاس» من (ف).

(٢) في (ن): «الشبه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٨) عن مجاهد، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٣) عن ابن مجاهد عن أبيه.

(٩) ـ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾: كالصُّوفِ المَندوفِ؛ لخفَّةِ سيرِها، وأنَّها تَلينُ بعدَ الشِّدَّةِ، وتتفرَّقُ بعدَ الاجتِماعِ.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: لا يَسأَلُ قَريبٌ عنْ حالِ قَريبِهِ لاشتغالِهِ بنَفسِهِ.

وقيلَ: لا يسأَلُهُ لبَذْلِ[1] طاعتِهِ ولا لتحمُّلِ معصيتِهِ.

وقرئ ﴿ولا يُسْأَلُ﴾ بضمِّ الياءِ[2]؛ أي: لا يُسأَلُ قرابةٌ عن قَرابتِهِ، والمعنى: لا يُؤخَذُ أحدٌ بذنبِ غيرِهِ.

* * *

(١١ ـ ١٤) ـ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾: أي: يُعَرَّفُ بعضُهُم بعضًا، قيلَ: ببياضِ الوُجوهِ وسَوادِها، والواوُ ضَميرُ الحَميمِ الأوَّلِ، و(هُمْ) ضَميرُ الحَميمِ الثَّاني، وجُمع لأنَّ (فَعِيلًا) يقعُ موقِعَ الجَمعِ، وأصلُه: يُبَصَّرُونَ بِهِم، فحُذِفَ الجارُّ.

وقيلَ: لا تعلُّقَ له بالأوَّلِ، والمعنى: يُبصَّرُ الكافرونَ مَن أضلُّوهُم، ويُبصَّرُ المقتولُ قاتِلَهُ، والمظلومُ مَن ظلمَهُ.

وقيلَ: يُبصَّرُ الإنسُ الملائكةَ.

---

(١) في (ن): «لبدَل» وهكذا ضبطت.

(٢) هي قراءة أبي جعفر، ورواية عن البزي. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«النشر» (٢/ ٣٩٠).

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾: بولـدِهِ وهُـم أعـزُّ الخلـقِ إليـهِ ﴿وَصَاحِبَتِهِۦ﴾: زوجَتِه وسَكَنِه ﴿وَأَخِيهِ﴾: الذي كانَ لهُ ناصرًا ومعينًا.

ويحتَمِلُ أنَّ قولَهُ: ﴿وَأَخِيهِ﴾: جمعُ أخٍ، فقَدْ جُمِعَ (أخٌ) و(أبٌ) جمعَ السَّلامةِ(١).

وقيلَ: أخيه لأمِّهِ وأبيهِ.

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾: وقبيلَتِه التي تضمُّهُ لقَرابَتِهِ، وقيلَ: يأوي إليْهَا عندَ الخوفِ.

الفرَّاءُ: الفَصيلَةُ أقرَبُ آبائِهِ الذي ينتَمِي إليهِم(٢).

وقيلَ: أمَّه التي تربِّيهِ. رواهُ الماورديُّ لمالكٍ(٣).

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الإنسِ ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلكَ الافتِداءُ.

والمعنى: يوَدُّ لو يَفتَدِي بجميعِ الخَلائقِ فيدخلونَ النَّارَ مكانَهُ.

* * *

(١٥) ـ ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾.

﴿كَلَّآ﴾: أي: لا يُنجيهِ ذلكَ الافتداءُ، وقيلَ: رَدعٌ وزَجرٌ، وقيلَ: معناهُ: حقٌّ.

﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ الهاءُ كنايةٌ عن القصَّةِ والشَّأنِ.

وقيلَ: كنايةٌ عن النَّارِ.

وقيل: كناية عن ﴿لَظَىٰ﴾، و﴿لَظَىٰ﴾ بدلٌ منه.

و﴿لَظَىٰ﴾: اسمٌ لجهنَّم، ولهذا لا ينصرِفُ.

---

(١) انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٠٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٣). في (ف): «ينتهي إليهم»، والمثبت موافق للمصدر.

(٣) كذا في النسختين، وينبغي أن تكون العبارة: «ذكره الماوردي عن مالك» انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٩٢)، وذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٣٠٨) عن الإمام مالك من طريق أشهب، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥١)، واستغربه.

وقيلَ: اسمُ الدَّرَكَة الثَّانيةِ.

الخليل: اللَّظى: اللَّهَبُ الخالِصُ[1].

وقيلَ: مشتقٌّ مِن اللزومِ، وأصلهُ: (لظَظٌ) من الإِلْظَاظِ، قُلِبَ ياءً.

* * *

(١٦) ـ ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾.

﴿نزاعةٌ﴾: تَنزِعُ وتقطَعُ وتكشطُ ﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ قيلَ: لأطرافِ الإنسانِ كاليدَيْنِ والرِّجلَيْنِ، وقيلَ: ما لَم يكُنْ مَقتلًا، من قولِهم: رَماهُ فأشوَاهُ.

وقيلَ: جِلدَةُ الرَّأسِ، وقيلَ: أمُّ الدِّماغِ. الحسنُ: مكارِمُ الوَجهِ.

وقيلَ: العَصَبُ والعَقِبُ، وقيلَ: الجلدُ واللَّحمُ.

أي: يُفصَلُ الأعضاءُ بعضُها مِن بعضٍ، ثم يعودُ إلى ما كانَ.

ويحتمِلُ: تنزِعُ الكفَّارَ لتَشويَهُم، واللَّامُ للعلَّةِ.

و﴿نزاعةٌ﴾: رفعٌ بالخبرِ، أو بالخبرِ بعدَ الخبرِ، أو بخبرِ المبتدأ، أو بخبرِ مُبتدأٍ محذوفٍ.

ومَن نصبَ[2] فعلى الحالِ؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]، أو كقوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا﴾ [المدثر: ٣٥ـ٣٦].

* * *

(١٧) ـ ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: تَدعو النارُ الكافرَ والمنافقَ فتقولُ: إليَّ إليَّ أيُّها الكافِرُ أيُّها المنافِقُ.

---

(١) انظر: «العين» (٨/ ١٦٩).

(٢) قراءة حفص والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: تدعوهُم بأسمائِهِم بلسانٍ فصيحٍ ثم تلتَقِطُهم كما تلتقِطُ الطَّيْرُ الحَبَّ[1].

وقيلَ: الدعاءُ عبارةٌ عَن مَصيرِهِم إليها.

وقيلَ: تدعو الخَزَنَةُ، فجعلَ ذلك كأنَّهُ مِنها. ﴿مَنۡ أَدۡبَرَ﴾؛ أيْ: عن الإيمانِ والطَّاعةِ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عنِ الحقِّ، وقيلَ: أعرضَ عن الإيمانِ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ إلى الكُفرِ.

المبردُ: ﴿تَدۡعُواْ﴾؛ أي: تعذِّبُ[2]، يقالُ: دعاهُ الله[3]؛ أي: عذَّبهُ.

***

(١٨) ـ ﴿وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ﴾.

﴿وَجَمَعَ﴾ المالَ عن غيرِ حِلِّهِ ﴿فَأَوۡعَىٰٓ﴾: جعلَهُ في الوعاءِ والكنوزِ، ولم يؤدِّ حقَّ اللهِ تعالى مِنهُ.

***

(١٩ ـ ٢١) ـ ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ اسمُ الجنسِ ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾: ضَجورًا بخيلًا مَنُوعًا فَزِعًا جَزِعًا.

مجاهدٌ في جماعةٍ: معنى الهَلوعِ ما فسَّرَهُ اللهُ به[4]، وهوَ قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الضرُّ والفقرُ ﴿جَزُوعٗا﴾: جَزِعُ ولم يصبِرْ، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ﴾: السَّعَةُ والغنى ﴿مَنُوعًا﴾: منعَ حقَّ الفُقراءِ.

---

(١) ذكره أبو عبيد الهروي في «الغريبين» (٢/ ٦٣٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣٥٤).

(٢) ذكره أبو عبيد الهروي في «الغريبين» (٢/ ٦٣٦).

(٣) لفظ الجلالة: «الله» من (ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا ذكره الماوردي عنه في «النكت والعيون» (٦/ ٩٤)، وذكر عن مجاهد أنه الشديد الجزع.

وأصلُ الكلمةِ: السُّرعَةُ، تقول: نَعامَةٌ هالِعَةٌ؛ أي: مُسرِعَةٌ، وناقةٌ هِلْواعٌ؛ أي: مُسرِعَةٌ أيضًا. وهذهِ الأوصافُ طبائِعُ لها كالشَّهوَةِ، وقيلَ: حالاتٌ تصيرُ إليها؛ كقولِهم: معهُ صقرٌ صائدًا بهِ غدًا.

***

(٢٢) ـ ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾: في الاسْتِثناءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: مِن قوله: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ... إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾.

والثاني: أنَّه منقَطِعٌ؛ أي: لكنَّ المصلينَ[1].

والثالث: مِن قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾.

مقاتلٌ: الهَلُوعُ دابَّةٌ من وراءِ جبلِ قافٍ، تأكلُ كلَّ يومٍ سبعَ صحارى مِن الحَشيشِ، وتشربُ سبعَ بحارٍ مِن ماءٍ، لا تصبِرُ مع الحرِّ ولا معَ البردِ، تُفكِّرُ[2] كلَّ ليلةٍ ماذا تأكلُ غدًا، فشبَّهَ اللهُ الإنسانَ بها[3].

***

(٢٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾؛ أي: الصلواتِ الخَمسِ ﴿دَآئِمُونَ﴾: مُداوِمُونَ لا يشغَلُهُم عنها شاغِلٌ.

وقيلَ: ﴿دَآئِمُونَ﴾: خاشِعونَ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٣)، واستغربه. وعادة ما تُقدَّر في الاستثناء المنقطع (الكنْ) وليس (لكنّ).

(٢) في (ف): «تتفكر».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٢)، وعده من العجائب.

وقيلَ: لا يُزيلونَ وجوهَهُمْ عن سَمْتِ القِبلَةِ.

وأصلهُ: السُّكونُ، ومنه: (نَهَى عن البولِ في الماءِ الدَّائِمِ)[1]؛ أي: السَّاكنِ.

***

(٢٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾: معيَّنٌ؛ يعني: الزَّكاةَ.

وقيلَ: الصَّدقةُ وسائرُ أبوابِ البرِّ سِوى الزَّكاةِ.

***

(٢٥) ـ ﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

﴿لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: قد سبقَ في (الذَّارياتِ).

***

(٢٦) ـ ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾؛ أي: يُصدِّقونَ الأنبياءَ بسببِ إيمانِهم ﴿بِيَوْمِ الدِّينِ﴾: الجزاءِ والحسابِ، وهو يومُ القيامةِ.

وقيلَ: التَّصديقُ به: العملُ بالطَّاعاتِ.

***

(٢٧) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: خائفونَ وَجِلُونَ.

---

(١) رواه البخاري (٢٣٩)، ومسلم (٢٨٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه».

الحسنُ: يُشفِقُ المؤمِنُ أنْ لا تُقبَلَ حَسناتُه(١).

* * *

(٢٨) ـ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾: أنْ ينالَ مَن عَصاهُ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾؛ أيْ: يَعِفُّونَ عمَّا حُرِّمَ عليهِم.

الحسنُ: ﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾: لثيابِهِم ﴿حَافِظُونَ﴾، فلا يَكشِفُونَها على مُحَرَّمٍ(٢).

* * *

(٣٠) ـ ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعني: الجواري، و﴿مَا﴾ بمعنى: مَن.

وقيلَ: ﴿مَا﴾ للمصدَرِ؛ أي: أو مِلْكِ يمينِهِم.

و﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى: عَن، كقولِ الشَّاعرِ:

إذا رَضِيَتْ عَلَيَّ بنو قُشَيرٍ لَعَمْرُ اللهِ أعجَبَني رِضاهَا(٣)

وقيلَ: محمولٌ على المعنى؛ أي: يلامونَ على ذلكَ إلَّا على أزواجِهم وإمائِهم.

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (١٦/ ٨) فقد ذكر نحوه عن الحسن في تفسير ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٣)، وعده من العجائب.

(٣) البيت لقُحَيف العُقَيلي في «النوادر» لأبي زيد (ص: ٤٨١)، و«أدب الكاتب» (ص: ٥٠٧)، و«المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (ص: ٦١١).

والفَرجُ عندَ العربِ: جميعُ ما بينَ الفَخِذَيْنِ.

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: على تَركِ الحِفظِ.

* * *

(٣١) - ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ﴾: طلبَ مَنْكَحًا ﴿وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾: سِوى الزَّوجَةِ والجاريةِ، ومعنى ﴿وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الخارجَ عن الحدِّ المذكورِ، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: المجاوِزُوْنَ مِن الحلالِ إلى الحرامِ.

* * *

(٣٢) - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾؛ أي: ما ائتمنَهُمُ اللهُ تعالى عليهِ وعاهَدَهُم بهِ مِن أحكامِ الشَّرعِ ظاهرًا وباطنًا، ولِأَماناتِهِم وعُهودِهِم فيمَا بينَهُم ﴿رَاعُونَ﴾: حافظونَ غيرُ خائنينَ ولا ناقضينَ.

وقيلَ: الأماناتُ[1] ما تدلُّ عليهِ العقولُ، والعَهْدُ ما أتى بهِ الرَّسولُ.

* * *

(٣٣) - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾؛ أي: بقولِ: لا إله إلا الله.

والجمهورُ على أنَّ المعنى: يُقيمُونَ على ما استُشْهِدُوا عليهِ عندَ الحُكَّامِ مِن غيرِ مَيلٍ إلى قريبٍ وبعيدٍ ووضيعٍ وشَريفٍ.

---

(١) في (ف): «الأمانة».

(٣٤) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾: كرَّرَ ذِكرَ الصَّلاةِ تأكيدًا لها.

وقيلَ: أحدُها للفرضِ والثَّانيةُ للنَّفلِ.

***

(٣٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: أهلُ هذهِ الصِّفاتِ ﴿فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ بثوابِ اللهِ فيها.

***

(٣٦) ـ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ﴾: نحوَكَ ﴿مُهۡطِعِينَ﴾: مُسرِعينَ، والإِهْطَاعُ: الإِسْرَاعُ.

الحسنُ: إنَّما أنكرَ عليهم الإسراعَ قِبَلَهُ لأنَّهُم أسرَعُوا ليأخذوا الحديثَ مِنهُ، ثمَّ يتفرَّقوا ﴿عِزِينَ﴾ بالتَّكذيبِ عليهِ يأخذونَ يَمينًا وشمالًا[1].

وقيلَ: ﴿مُهۡطِعِينَ﴾: ناظرينَ إليكَ ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾: غيرَ مُطرِقينَ.

وقيلَ: ﴿مُهۡطِعِينَ﴾: مُشْرَئِبِّينَ إليكَ.

وقيلَ: مُقْبِلينَ بأبصارِهِم إليكَ لا يُزِيلُونَها يَنظرونَ إليكَ نظرَ عَداوَةٍ؛ لأنَّهم كانوا كفَّارًا.

والآيةُ نزلَتْ في المُستَهْزِئينَ مِنهُم.

وقيلَ: في المنافقينَ، كانوا يجتَمِعُونَ إليهِ ويُسارِعُونَ في الكُفْرِ.

---

(١) لم أقف عليه هكذا، وروى ابن وهب في «جامعه» (٣٢١) عن الحسن في هذه الآية: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾: منطلقين ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ قال: متفرقين.

وقال بعضُ المتأخِّرينَ: الظاهرُ أنَّها نزلَتْ في نَفَرٍ مِن الكُفَّارِ قَبِلَتْ نُفوسُهُم صِدْقَ النبيِّ ﷺ، وكانوا يُسرِعُونَ نحوَهُ ويَقصِدُونَ مَجلِسَهُ ويَتحلَّقونَ حَوالَيْهِ ولا يُؤمِنونَ بهِ؛ إمَّا حياءً عنِ الرُّجوعِ عن دينِ آبائهم، وإمَّا مساعدةً لعَشائِرِهم، وكانوا يَطمَعونَ في دُخولِ الجنَّةِ بالعُذرِ الذي كانَ مِنهُم.

***

(٣٧) ـ ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾؛ أي: عنْ يمينِ النبيِّ ﷺ وشمالِهِ ﴿عِزِينَ﴾: جماعاتٍ حَلَقًا حَلَقًا[١]، وأصلُهُ مِن: عَزَاهُ يَعْزُوهُ؛ أي: أضافَهُ إلى غيرِهِ، وأصلُهُ: عِزْوَةٌ[٢]، جُمِعَ جَمْعَ السَّلامةِ للجَبْرِ[٣].

و﴿مُهْطِعِينَ﴾ حالٌ، والعاملُ فيه اللَّامُ. و﴿عِزِينَ﴾ حالٌ، والعامِلُ فيهِ الإِهْطَاعُ، وقيلَ: بدلٌ مِن الأولِ، وقيلَ: صِفةٌ للأوَّلِ، وفيهِ ضَعفٌ. وقيلَ: ﴿قِبَلَكَ﴾ حالٌ.

***

(٣٨) ـ ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾: مَن حملَهُ على الكُفَّارِ قالَ: كانوا يقولونَ: لَئِنْ كانَ مَا يقولُ محمَّدٌ وأصحابُهُ حقًّا لَنحنُ أفضَلُ فيهَا حظًّا مِنهُم كما لنا الفَضلُ عليهِم في الدُّنيا، ومَن حملَهُ على المنافقينَ فِلأَنَّهم زَعموا أَنَّهُم مؤمنونَ يَرجُونَ مَا يرجُو المؤمنونَ، ومَن حملَهُ على القَولِ الآخيرِ فقد سبقَ.

---

(١) جمع (حَلْقة) بسكون اللام.

(٢) أي: ﴿عِزِينَ﴾ جمع عِزَةٍ، وعزةٌ أصلها: عِزْوة. انظر: «الكشاف» (٤/ ٦١٤).

(٣) في (ن): «للخبر». وانظر: «سفر السعادة» للسخاوي (١/ ٣٣٥).

(٣٩) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿كَلَّآ﴾: رَدْعٌ وزَجْرٌ، وقيلَ: تأكيدٌ.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: مِن التُّرابِ، وقيلَ: مِن منيٍّ قَذرٍ.

قتادةُ: خُلقْتَ يا ابنَ آدمَ من قذرٍ فاتَّق اللهَ[1].

وقيلَ: تقديرُهُ: مِن أجلِ ما يَعلمونَ، وهوَ المجازاةُ على الأَعمالِ إساءةً وإحسانًا، فحُذِفَ (أَجْل).

وقيلَ: ﴿ما﴾: بمعنى: مَن؛ أي: ﴿مِن﴾ مَن ﴿يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: مِن العُقَلاء، لا مِن البَهائِمِ والجمادِ.

وقيلَ: ﴿خَلَقْنَٰهُم﴾ مِن نُطفَةٍ، فهَلْ يَستَوْجِبونَ على اللهِ شيئًا مِن غيرِ طاعةٍ؟

وقيلَ: ﴿خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ فلِمَ يتجبَّرونَ ويتكبَّرونَ[2]؟

وقيلَ: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿كَلَّآ﴾، ثمَّ ذَكَرَ إنكارَهُم البَعثَ، وقدرَتَهُ على الإعادةِ فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾.

ويحتَمِلُ ـ واللهُ أعلمُ ـ أنَّ ﴿ما﴾ بمعنى: مَن، كمَا قد قيلَ في الآيةِ وفي غيرِها، ويكونُ المرادُ بِهِ آدمَ عليهِ السَّلامُ[3]، والمعنى: أَيطْمَعُ هؤلاءِ معَ كُفرِهِم ومَعاصِيهِم أنْ يَدخُلوا الجنَّةَ وقد أَخرَجْنا أباهُم مِنها بمَعصِيَةٍ واحِدَةٍ؟ كلَّا، لا تطمَعُوا فيهَا، والعِلمُ عندَ اللهِ.

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٢).

(٢) في (ن): «فلا يتجبرون ولا يتكبرون».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٤)، واستغربه.

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ سبقَ[1] ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾: على أَنْ نُهلِكَهُم حينَ عَصَوْكَ ونأتيَ بخَلْقٍ أمثلَ مِنهُم وأطوعَ للهِ تَعالى وأرضى مِنْهُم، ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾: بمغلوبينَ إنْ أرَدْنا ذلكَ.

وقيلَ: ﴿لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ مُحمَّدًا ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ وهُمْ أهلُ المدينَةِ، وقدْ فعلَ ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾: عاجزينَ؛ لأنَّ مَن سُبِقَ إلى شيءٍ فقَدْ عَجَزَ، وحقيقةُ السَّبقِ: التَّقدُّمُ إلى الشَّيءِ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

﴿فَذَرۡهُمۡ﴾: دَعْهُم[2]، أمرُ تَهديدٍ لَهُم، وقيلَ: منسوخٌ بالقتالِ.

﴿يَخُوضُواْ﴾ في الباطلِ ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾: ويَلْهو في دُنْياهُم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيهِ العذابَ، قيلَ: يومَ بَدرٍ، وقيلَ: يومَ البَعثِ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾.

﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا﴾ إلى الدَّاعِي، جمعُ سَريعٍ، والفِعْلُ منهُ: أَسْرَعَ. ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ﴾ قُرِئَ: ﴿نَصْبٍ﴾ بفتحِ النُّونِ وسُكونِ الصَّادِ[3]، وفي تفسيرِهِ ثلاثةُ أقوالٍ:

---

(١) في سورة (الصافات) الآية: ٥.

(٢) في (ف): «دعوهم».

(٣) قرأ ابن عامر وحفص: ﴿نُصُبٍ﴾ بضمتين، والباقون بفتح فسكون. نظر: «السبعة» (ص: ٦٥١)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

أحدُها: صَنَمٍ، وكانوا يُسارِعونَ إلى عِبادَتِهِ، وقيلَ: حِجَارَةٌ طِوالٌ كانوا يَعبدُونَها.

الحسنُ: كانوا يَبتَدِرونَ إلى الصَّنَمِ أَيُّهُم يَستَلِمُه أَوَّلًا[1].

والثاني: إلى عَلَمٍ.

والثالثُ: إلى غَايَةٍ[2].

وقُرِئَ: ﴿نُصُبٍ﴾ بضمَّتينِ، والظَّاهِرُ أنَّهُ الصَّنَمُ؛ لِقَوْلِه[3]: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]، وقيلَ: جَمْعُ: نَصْبٍ؛ كرَهْنٍ ورُهُنْ.

﴿يُوفِضُونَ﴾: يُسرِعُونَ، والإِفَاضَةُ: الإِسْرَاعُ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾: مَحزونِينَ مُتفكِّرِينَ فيما دَهاهُم ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾: تَغشَاهُم وتَعلُوهُم هوانٌ، وقيلَ: ذُلٌّ.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾؛ أي: في الدُّنْيا وهُمْ يُكذِّبُونَ، واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٧).

(٢) في هامش (ن): «الغاية: العَلَم أيضاً».

(٣) في (ف): «كقوله».

سُورَةُ نُوحٍ

ثماني وعِشرونَ آيةً[1]، مَكِّيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾: قتادةُ: أُرسِلَ مِن جَزيرةٍ[2].

أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «هوَ أوَّلُ نبيٍّ بُعِثَ»[3].

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: بُعِثَ وهوَ ابنُ أَربَعِينَ سَنةً[4].

وقيلَ: ابنُ ثلاثِ مئةٍ وخمسينَ سَنةً.

---

(١) «ثماني وعشرون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٥٥)، وفيه: «وهي عشرون وثماني آيات في الكوفي وتسع في البَصْريّ والشامي وثلاثون آية في المدنيين والمكي، اختلافها أربع آيات...».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٠٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧٩) بلفظ: «وبعث من الجزيرة».

(٣) رواه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٩٣)، وهو جزء من حديث الشفاعة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٨٧٨)، واستغربه.

(٤) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٤/ ٢٤١٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٩٨)، ورواه الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٤١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٧٩).

وقيلَ: ابنُ أَربعِ مئةٍ وثمانينَ سَنةً.

ولبثَ فيهِمْ ألفَ سنةٍ إلَّا خَمسينَ عامًا، وعاشَ بعدَ الطُّوفانِ تِسعينَ سَنةً، وقدْ سبقَ(١).

ونوحٌ اسمٌ أَعجَمِيٌّ صُرِفَ لخِفَّتهِ(٢)، ومعناه في السُّرْيانيَّةِ: السَّاكِنُ(٣).

ومَعنى الآيةِ: أرسَلْنَا نُوحًا إلى قومِهِ كمَا أَرْسلناكَ إلى قَوْمِكَ.

﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾: خَوِّفْهُم عِقابَ اللهِ، والتَّقديرُ: بأنْ أَنْذِرْهُم، فحُذِفَ الجارُّ، ومحلُّهُ عندَ الخليلِ خَفضٌ، وعندَ غيرِهِ نَصبٌ(٤).

وقيلَ: ﴿أَنْ﴾ هيَ المُفسِّرَةُ بمعنى: أي، وذكرَ المبردُ أنَّها المُخفَّفَةُ مِن المُثقَّلَةِ(٥)، وكذلكَ القولُ في الثَّانيةِ.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: قيلَ: عذابُ الآخرةِ، وقيلَ: الطُّوفَانُ والغَرَقُ.

* * *

(٢) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾: مُخَوِّفٌ ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ، وقيلَ: أُبَيِّنُ لكُمْ رِسالَةَ اللهِ بلُغَةٍ تَعرفُونَها.

* * *

(١) في تفسير سورة (هود) الآية: ٢٥.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٥)، واستغربه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٤٩).

(٤) ذكر الخلاف في الإعراب دون نسبة: الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٨)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٢٢٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ٢٦)، وقد تقدم ذكره مراراً.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٥)، واستغربه.

(٣) ـ ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وَحِّدوهُ ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: واحذَرُوا عِصيانَهُ وعِقابَهُ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيمَا آمرُكُم بِهِ وأنهاكُمْ عنهُ، وأَسنَدَ الإطاعةَ إلى نَفسِهِ لأنَّ الإِجابَةَ كانَتْ تقَعُ لهُ في الظَّاهرِ، ولأنَّ طاعَةَ الرَّسولِ طاعَةُ اللهِ.

***

(٤) ـ ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: في (مِن) أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهُ للتَّبيينِ؛ كقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠].

والثاني: صِلَةٌ؛ أي: يغفرْ ذُنوبَكُمْ.

والثالثُ: للتَّبعيضِ؛ أي: ما سبقَ مِن ذُنوبِكُم، وقيلَ: بحسبِ ما يقَعُ مِن الإِقلاعِ عَنها.

الرَّابعُ: أنَّ التَّقديرَ: يُخرِجْكُم مِن ذُنوبكُمْ(١).

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: الزَّجَّاجُ: يُؤَخِّرْكُم عنِ العَذابِ فتَمُوتُوا غيرَ مِيتَةِ المُستَأْصَلِينَ بالعذابِ(٢).

الفرَّاءُ: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: إلى أجلٍ تَعرِفُونَه كذلكَ(٣).

وقيلَ: يؤَخِّرُ آجالَكُمْ فلا يُغرِقُكُم إلى الأَجلِ الذي كتبَ لَكم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٧).

وقيلَ: وَعَدَهُم أَجلًا يُعطِيهِمْ إنْ آمِنُوا، وعَلِمَ أَنَّهُم لا يُؤمِنونَ.

الحسنُ: أي: إنْ آمَنْتُم بي أُخِّرتُم بعدَ ذلك إلى يومِ القيامَةِ لا يُؤاخِذُكُم بذنبٍ في الدُّنيا(١).

ابنُ عيسى: في الآيةِ دليلٌ على إثباتِ أجَلَيْنِ؛ لأَنَّ الوعدَ بالأَجلِ المسمَّى مَشروطٌ بالعِبادَةِ والتَّقوى، فلمَّا لم يقَع اقتُلِعُوا بعذابِ الاسْتِئصالِ قبل الأجَلِ الأقْصَى(٢)، واللهُ أعلَمُ.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ﴾ بحلولِ العَذابِ أو بالمَوْتِ ﴿لَا يُؤَخَّرُ﴾.

وقيلَ: ﴿أَجَلَ ٱللَّهِ﴾: القيامَةَ.

﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جوابُهُ: أي: لآمنتُمْ، وقيلَ: ﴿لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لعَلِمتُم ذلكَ.

***

(٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: نوحًا عليهِ السَّلام يشكو إلى اللهِ ما قاسَاهُ مِن قومِهِ: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾؛ أي: واصَلْتُ الدَّعوةَ.

وقيلَ: دعَوْتُهم أَحيانًا بالليلِ وأحيانًا بالنَّهارِ.

وقيلَ: معناهُ: سِرًّا وعَلانِيَةً.

وجاءَ في التَّفسيرِ: أَنَّهُ كانَ يأتي بابَ أَحدِهِم لَيْلًا فيُقرَعُ البابُ فيقولُ صَاحِبُ الدَّارِ: مَن على البابِ؟ فيقول: أنا نوحٌ، قل: لا إله إلا اللهُ.

---

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ٣٩) بلفظ: «قوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى مدتكم، فيكون موتكم بغير عذاب ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ يعني: القيامة».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٦)، واستغربه.

وقيلَ: المرادُ باللَّيلِ والنَّهارِ: فُرادَى وجَماعاتٍ.

* * *

(٦) - ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾؛ أي: لَمْ يزدادوا إلا تَمادِيًا في الغيِّ وإِعراضًا، ونَسَبَ ذلكَ إلى دُعَائِهِ لمَّا ازدادوا عِندَهُ.

* * *

(٧) - ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾.

﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾؛ أي: دَعوتُهُم إلى الإيمانِ ليؤمنوا فتغفرَ لهم.

﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾؛ أي: سَدُّوا آذانَهُم كراهَةَ استماعِ مُحاوَرَتي ودُعائي إيَّاهُم إلى اللهِ.

﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾: وغَطَّوْا رُؤوسَهُم بثِيابِهِم كيْ لا يَرَوْني فضلًا عن سماعِ كلامي وقَبولِ وعظي.

وقيلَ: ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾: تنكَّرُوا عنِّي حتَّى لا أعرِفَهُم[1].

الحسنُ: نَفَضُوا ثِيابَهُم وقاموا عنِّي[2].

﴿وَأَصَرُّوا۟﴾: أقامُوا على كفرِهِم.

الحسنُ: أصرَّ على الذَّنبِ: إذا أذنَبَ عَمْدًا[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٦)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠٠).

﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾: تعظَّمُوا وأخذَتْهمُ العِزَّةُ عَن قبولِ كَلامِي، وترفَّعُوا عَن الإذعانِ للحَقِّ فقالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

* * *

(٨) ـ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾: ظاهرًا يَرى بعضُهُم بعضًا.

* * *

(٩) ـ ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾؛ أي: أعلَنْتُ الدُّعاءَ لِبعضٍ، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾؛ أي: لبعضٍ.

وقيلَ: ﴿أَعْلَنتُ﴾ أحيانًا، ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ أحيانًا.

وقيلَ: ﴿أَعْلَنتُ﴾ لِمَن أسررَتُ، ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ لِمَن أعلَنْتُ.

وفي بعضِ التَّفاسيرِ: أنَّ نوحًا عليهِ السَّلامِ لَمَّا بَلَّغَ قومَهُ رسالةَ اللهِ وآذَوْهُ إيذاءً شديدًا ـ حتَّى كانوا يضرِبُونَهُ في اليومِ مرَّاتٍ ـ عِيلَ صَبرُهُ، فسألَ اللهَ أنْ يُوارِيَهُ عن أبصارِهِم ويَستُرَهُ عَن أعينِهِم بحيثُ يسمَعونَ كلامَهُ ولا يَرونَهُ فينالوهُ بمكروهٍ، ففعلَ اللهُ ذلكَ بهِ، فدعاهُم كذلكَ زمانًا فلَمْ يُؤمِنُوا، فسألَ اللهَ تعالى أنْ يُعيدَهُ إلى ما كانَ، وهو قولُهُ: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ وهذا غريبٌ[1]، واللهُ أعلَمُ.

والمعنى: بالغْتُ في طلبِ نَجاحِهِم وتَعجيلِ فَلاحِهِم وذهبتُ فيهِ كلَّ مذهَبٍ، فلم ينتفعوا بهِ، بَلْ أصرُّوا على الكُفرِ والعِصيانِ، واستكبَرُوا عَن قَبولِ الإيمانِ.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٦)، وعده من العجائب.

(١٠) - ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾.

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾: لَمَّا دَعاهُم نوحٌ عليهِ السَّلامُ إلى الإيمانِ زمانًا طويلًا فلَمْ يُؤمِنُوا وكذَّبوهُ حَبسَ اللهُ عَنهمُ القَطْرَ أربعينَ سَنةً وأعقَمَ أَرحامَ نِسائِهِم فيها، فقالَ لهم نوحٌ عليهِ السَّلامُ لِحِرصِهِم على الدُّنيا ورُكونِهِم إليهَا: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ عَن ذُنوبِكُم بإيمانِكُم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾: دائمَ الغُفْرانِ.

***

(١١) - ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾؛ أي: المطرَ ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: دريرًا كثيرًا دائمًا.

***

(١٢) - ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾.

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾: يَزِدْكُم أموالًا وأولادًا ذكورًا، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ﴾: بساتينَ وأشجارًا، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾: مياهًا جاريةً في اتِّساعٍ.

***

(١٣) - ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: لا ترَوْنَ للهِ عَظمَةً[1].

الأخفشُ: لا تخافونَ للهِ عَظمَةً، قالَ: والرَّجاءُ هاهنا خوفٌ، والوَقَارُ عَظمَةٌ[2].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٧٩٠)، وأبو داود في «الزهد» (٣٤١)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٥٠).

قتادةُ: لا ترجونَ للهِ عاقِبَةً(١).

الزجَّاجُ: ما لَكُم لا ترجونَ عاقبةَ الإيمانِ ولا تُوحِّدونَ اللهَ وقد جعلَ لكم في أنفسِكُم آيةً تدلُّ على التَّوحيدِ مِن خلقِهِ إيَّاكُم أطوارًا(٢)؟

الحسنُ: ما لَكُم لا تشكرونَ للهِ نعمَهُ، ولا تَعرفونَ لهُ حقًّا(٣)؟

ابنُ بحرٍ: معناه: ما لكُمْ لا تعتقدونَ تثبيتَ اللهِ وتَوحيدَهُ وقد نصبَ الأدلَّةَ؟ قالَ: والوقارُ الثَّباتُ(٤).

ابنُ زيدٍ: لا تلزمونَ للهِ طاعةً(٥).

وذهبَ بعضُهُم إلى أنَّ الوَقارَ صِفةٌ للهِ، قالَ: ومعنى وقارِ اللهِ: سَعَةُ عِلمِه وعِظَمُ(٦) عفوِهِ وجُودِهِ(٧).

ابنُ عيسى: الوقارُ هاهُنا: العَظَمَةُ وسَعةُ المقدورِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٩).

(٣) رواه الدولابي في «الكنى والأسماء» (١٥٨٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣٩٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠١).

(٤) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠١)، وفيه: «أن الوقار الثبات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] أي: اثبتن، ومعناه: لا تثبتون وحدانية الله وأنه إلهكم الذي لا إله لكم سواه، قال ابن بحر: دلهم على ذلك فقال: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٧) بلفظ: «الوقار الطاعة»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠١) بلفظ: «لا تؤدون للَّه طاعة».

(٦) في (ف): «وعظمة».

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٧)، واستغربه.

وأنكرَهُ بعضُهُم وقال: الوَقارُ مِن صِفةِ الهيئةِ واللهُ سُبحانَهُ مُنزَّهٌ عنها[1].

ويحتمِلُ أنَّ ﴿لِلَّهِ﴾ صفةٌ لقوله: ﴿وَقَارًا﴾ على ما فُسِّرَ، ثم تقدَّمَ عليهِ وانتصبَ على الحالِ، ويحتملُ أنَّ اللَّامَ زيادةٌ ﴿وَقَارًا﴾: مفعولٌ لهُ؛ أي: لا تخافونَ اللهَ توقيرًا، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: نطفةً، ثم علقةً إلى تمام الخلق.

وقيلَ: أراد بالأطوار: اختلافَ الأحوالِ حالًا بعدَ حالٍ.

والطورُ: الحال، والطورُ: المرة.

وقيلَ: ﴿أَطْوَارًا﴾: أنواعًا مختلِفِي الأخلاقِ والمناظر.

* * *

(١٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: بعضُها على بعضٍ.

الحسن: كلُّ سماءٍ طبقٌ لأرضها؛ الأولى للأولى، والثانية للثانية، ثم على الولاء[2].

و﴿طِبَاقًا﴾: جمع طَبَق، وهي صفةٌ لـ﴿سَبْعَ﴾، وقيلَ: نصبٌ على المصدر؛ أي: طابَقَها طباقًا، وقيلَ: حالٌ.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٧) عقب القول السابق لقول ابن عيسى.

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥٥١) بلفظ: «بعضهم فوق بعض بين كل سماء خلق وأمر».

(١٦) ـ ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾؛ أي: في إحداهنَّ وهي السماءُ الدنيا؛ كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [النحل: ١٥]؛ أي: في بعضها.

وقيلَ: ﴿فِيهِنَّ﴾ ظرفٌ لنور القمر لا لجِرْمِ القمر.

وقيلَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾؛ أي: بين السَّماءِ والأرضِ؛ لأنَّ القمرَ ضَوْؤهُ بينَ السَّماءِ والأرضِ، وليسَ لهُ ضَوءٌ في سائرِ السَّماواتِ.

وقال بعضُهُم: لا نورَ لجِرمِ القمرِ، والقَمْراءُ[1]: شُعاعُ الشَّمسِ انعكسَ عنِ القمَرِ.

وقيلَ: وجعلَ القَمَرَ معهنَّ نورًا.

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾: مِصباحًا، والتَّقديرُ: وجعلَ الشَّمسَ سِراجًا فيهنَّ، فحذفَ لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليهِ.

وفي التفسيرِ: أنَّ وجهَ الشَّمسِ يُضيءُ لأهلِ الأرضِ، وقَفاها لأهلِ السَّماواتِ، وكذلكَ القمرُ.

وعن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما على الضدِّ[2].

وأجمعوا على أنَّ الشَّمسَ في السَّماءِ الرَّابعةِ[3]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) القمراء: ضوء القمر. انظر: «تهذيب اللغة» (٩/ ١٢٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٠)، لكن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) لم أقف على هذا الإجماع.

(١٧) ـ ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا﴾؛ أي: خلقَ آدمَ عليهِ السَّلامُ مِن تُرابٍ وأنتُم أولادُه. وقيلَ: جعلَ نَشأَكُم ونَماءَكُم بالغذاءِ الذي مِن الأرضِ.

و﴿نَبَاتًا﴾: مَصدرُ (أَنْبَتَ)، بحَذفِ[١] الزَّوائدِ، وقيلَ: تقديرُهُ: تَنبُتونَ نباتًا.

* * *

(١٨) ـ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجًا﴾.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾ بعدَ الموتِ والبِلى، ﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجًا﴾؛ أي: من الأرضِ للبَعثِ والجزاءِ، وأكَّدَ بالمصدَرِ؛ أي: أيَّ إخراجٍ.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطًا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطًا﴾: مَبسوطَةً ﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا﴾: لتَنصرِفوا عليها مجيئًا وذهابًا ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ﴿سُبُلًا﴾؛ أي: طرقًا بيِّنَةً، وقيلَ: طُرُقًا مختلفَةً، وقيلَ: واسعةً، وقيلَ: بعيدةً.

وقيلَ: السُّبلُ: الطُّرقُ[٢]، والفِجَاجُ: ما يتشعَّبُ مِنها.

* * *

(٢١) ـ ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا﴾.

﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي﴾: فيما أمرتُهُم بهِ مِن التَّوبةِ والإيمانِ ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾؛ أيْ:

---

(١) في (ن): «فحذف».

(٢) في (ن): «السبيل الطريق».

تَبعَتِ السَّفلَةُ ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾: خُسْرانًا وهلاكًا؛ لأنَّهُ لم يقُمْ بشُكْرِ ما أنعمْتَ عليهِ.

وقرئ: ﴿وَوَلَدُهُۥٓ﴾ بفتحتينِ ﴿ووُلْدُهُ﴾ بالضمِّ والسكونِ(١)، قيلَ: هما لغتانِ كالحَزَنِ والحُزْنِ. وقيلَ: الوَلَدُ بالفتحِ واحدٌ، وبالضمِّ جمعٌ كالأَسَدِ والأُسْدِ.

وقيلَ: الوَلَدَ بالفتحِ للصُّلْبِ، وبالضمِّ: العَشيرَةُ والقومُ.

فمَن جعلَهُ جمعًا قالَ: الهاءُ يعودُ إلى ﴿مَن﴾ وهوَ جمعٌ في المعنى، ومَن وحَّدَ وأضافَ إلى الجمعِ جعلَهُ كقولِهِ: في بطنِكُمْ وحَلْقِكم(٢).

***

(٢٢) ـ ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾.

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾: جَعَلوا للهِ شريكًا وصاحبَةً وولدًا، و﴿كُبَّارًا﴾ أبلغُ

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بضم الواو وإسكان اللام، والباقون بفتح الواو واللاَّم. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٢)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٢) أي: اكتفَى بجمعِ المُضافِ إليه عن جمعِ المُضافِ، وقولِه: «في بطنكم»، يشير إلى بيت «الكتاب» (١/ ٢١٠)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٢)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (١/ ٣١٣)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٥١)، و«أساس البلاغة» مادة: (خ م ص)، وهو:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا ... فَإِنَّ زمانَكمْ زمنٌ خَمِيصُ

وقوله: «وحلقكم» هو قطعة من رجز للمسيب بن زيد مناة الغنوي يخاطب حنظلة بن الأعرف الضبابيّ كما في «شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (٢/ ١٠٢)، ودون نسبة في «الكتاب» (١/ ٢٠٩)، و«مجاز القرآن» (١/ ٧٩) و(٢/ ٤٤ و١٩٥)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٤٩)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٢)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (١/ ٣١٤)، وتمامه:

لا تُنكِرُوا القَتْلَ وقد سُبينا ... في حَلقِكُمْ عَظْمٌ وقد شَجِينَا

مِـن (كُبَـارٍ) بالتَّخفيـفِ، و(كُبَّـارًا)[1] أبلغُ مِـن (كَبيرٍ).

***

(٢٣) ـ ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ أي: عبادَتَها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: هذهِ أسماءٌ لِقومٍ صالحينَ كانَ النَّاسُ يقتدونَ بهِمْ بينَ آدمَ ونوحٍ عليهما السَّلامُ، فلمَّا ماتوا صَوَّروهُمْ ليكونَ ذلكَ أدعى لهُم إلى العِبادَةِ وأبعَدَ مِن النِّسيانِ فيمتَثِلُوا بما كانوا يَدعونَهُم إليهِ، فلمَّا طالَ الزَّمانُ عُبِدوا مِن دونِ اللهِ إلى زمانِ نوحٍ عليه السلام، ثمَّ بعدَ الطُّوفانِ وهلاكِ قومِ نوحٍ صَارتْ إلى العربِ فعَبَدوها كما كانَ يَعبُدُ قومُ نوحٍ ومَن كانَ قَبلَهُم.

وكانَ وَدٌّ لِكَلْبٍ، والفَتْحُ والضمُّ فيهِ لغتانِ[2].

مجاهدٌ: وَدٌّ صُورَةُ شِيثٍ.

وسُوَاعٌ لهَمْدانَ، ويَغُوثُ لمَذْحِجٍ، ويَعوقُ لِكنانَةَ، وهما لا يَنصرِفانِ لوَزْنِ الفعلِ والتَّعريفِ، ونَسْرٌ لِحِمْيَرَ، وقدْ أطنبَ الكَلبيُّ في ذكرِ هذهِ الأصنامِ[3]، ولا فائدةَ في ذكرِها فأَضْرَبتُ عنهُ.

***

---

(١) قرأ الجمهور بالتشديد، وقرأ بالتخفيف مع ضم الكاف عيسى وأبو السمال، وبه مع كسرها ابن محيصن، وقد ذكر المصنف أن قراءة الجمهور هي الأبلغ، ثم قراءة عيسى وأبي السمال، ثم قراءة ابن محيصن؛ فـ(كِبارا) جمع كبير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٢).

(٢) قرأ نافع بضم الواو، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٣) انظر: «كتاب الأصنام» لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ص: ١٠) وما بعدها.

(٢٤) ـ ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾.

﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾؛ أي: أَضلَّتِ الأَصنامُ، والمعنى: ضلَّ بسببِها.

ابنُ بحرٍ: الضَّميرُ يعودُ إلى أكابرِ قومِهِ الذي لم يَزِدهُم مالُهُم وولَدُهُم إلا خَسارًا[١].

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾: هلاكًا، وقيلَ: عذابًا، وقيلَ: عُدولًا عن وجهِ[٢] الصَّوابِ.

دَعا عليهِمْ حينَ قالَ اللهُ له: ﴿لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦].

وجاءَ في التَّفسيرِ: أنَّ الرَّجُلَ مِن قَومِ نوحٍ يَنطلِقُ بولدِهِ إلى نوحٍ فيقولُ لهُ: احذَرْ[٣] هذا؛ فإنَّهُ كَذَّابٌ، وإنَّ والدِي قدْ حَذَّرَنيهِ، فيموتُ الكَبيرُ على كُفرِهِ، ويَنشَأُ الصَّغيرُ عليهِ.

***

(٢٥) ـ ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾؛ أيْ: مِن خطاياهُمْ، و(ما) صلةٌ أفادَ التَّفخيمَ؛ أي: مِن خطاياهُمُ العَظيمَةِ، وسمَّاها خَطَايا وإن كانوا عَامِدينَ فِيها؛ لأنَّها خِلافُ الحقِّ، وخِلافُ الحقِّ خَطَأٌ، والمعنى: بسببِ خَطاياهُمْ.

وقيلَ: للتَّبعيضِ؛ أي: مِن بعضِ خَطاياهُم أُغرِقُوا ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾.

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٧)، وفيه: «الغريب: ابن بحر: الضمير يعود إلى قوله: ﴿وَمَكَرُواْ﴾».

(٢) «وجه»: ليس في (ف).

(٣) في (ف) زيادة: «من».

دخولُ الفاءِ دَليلٌ على إثباتِ عذابِ القبرِ؛ لأنَّها للتَّعقيبِ.

﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾؛ أيْ: لم تَنفَعْهُم أصنامُهُم الخمسَةُ ولا غيرُها مِن عذابِ اللهِ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾: أحدًا، وهذهِ كلمَةٌ تُستعمَلُ في النفيِ، وأصلُها: دَيْوَارٌ، فَيْعَالٌ مِن دَارَ يَدورُ؛ أي: ساكنُ دارٍ.

وقيلَ: من لفظِ دَيْرٍ.

وقيلَ: مِن الدَّورانِ؛ أيْ: أحدًا يدورُ في الأرضِ، وأنكرَ هذا بعضُهُم وقال: لَوْ كانَ مِن الدَّوَرانِ لَمَا بقيَ في الأرضِ جِنٌّ ولا شَيطانٌ.

وعن عمرَ بن عبدِ العزيزِ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ: مَن كانَ بالغًا مِنهُم فالغرقُ كانَ عقوبةً لهُ، ومَن لَمْ يُدرِكْ كانَ ذلكَ لَهُم شَهادةً وموتًا بآجالِهِم[(١)].

وعن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أنَّ قبلَ الغَرَقِ لم تَلِدْ لهم امرأَةٌ أربعينَ سَنةً[(٢)].

---

(١) لم أقف عليه، وروى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ٢٦٦) خبرًا يشير إلى ما نحن فيه، قال: «أتي عمر بن عبد العزيز بغلمة من أولاد المهالبة لم يبلغوا الحنث وعنده رجاء بن حيوة الكندي ورياح بن عثمان المري، فقال عمر: يا رياح ما تقول في هؤلاء الغلمة؟ قال: أقول ما قال نوح...: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قال: فلم يوافقه فيما قال، والتفت إلى رجاء بن حيوة فقال: ما تقول [في] هؤلاء الغلمة يا رجاء؟ قال: وما سبيلك على هؤلاء الغلمة؟ لم يبلغوا الحنث ولم تجب عليهم الأحكام. فأخذ بقول رجاء وخلى سبيلهم...».

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٥/ ٣٣٩٥)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٥٦) دون نسبة، =

(٢٧) ـ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾: ولا تهلِكْهُم ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قالَ بعضهم: في الآيةِ دليلٌ على أنَّ أطفالَ الكُفَّارِ كَفَرةٌ مِثلُهُمْ.

وليسَ كذلكَ؛ فإنَّ هذا كمَا يُقالُ[1] لأبي المولودِ: ليَهْنِكَ الفارسُ؛ أي: يصيرُ فارسًا، كذلكَ الآيةُ سمَّاهُم باسمِ مَا يؤُولُ إليهِ أمرُهُم، ولأنَّهُم بالإِجماعِ ليسُوا كافرينَ ولا فاجِرينَ ولم يوجَدْ مِنهُمْ كُفرٌ ولا فجورٌ.

وقيلَ: ﴿فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[2] حالٌ للآباءِ، ووُحِّدَ كقوله: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١].

***

(٢٨) ـ ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكانا مُسلِمَيْنِ، واسمُ أبيهِ: لمك، واسمُ أمِّهِ: هيجل.

وقيلَ: آباؤُهُ وأجدادُهُ إلى آدمَ عليه السَّلامُ كلُّهُم مُؤمنونَ.

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾: دخلَ داري.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: يعني: صَديقي[3].

وقيلَ: معنى ﴿بَيْتِىَ﴾: مَسجِدِي، وقيلَ: سَفينَتِي، وقيلَ: مُؤمني أهلِ بيتي.

ثم عَمَّمَ فقال: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى يومِ القيامةِ.

= وذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٣١) عن كثير من المفسرين.

(١) في (ف): «تقول».

(٢) «كفارًا»: ليس في (ن).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١٢/ ٤٣٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٨) دون نسبة، وعده من العجائب.

قالَ ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: كما استجابَ اللهُ دعاءَهُ في الكافرينَ ولم يذَرْ مِنهُم أحدًا كذلكَ يَستجيبُ في المؤمنينَ والمؤمناتِ إلى يومِ القيامةِ[1].

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الكافرينَ ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾: هلاكًا وكسرًا، والتِّبْرُ: دُقَاقُ الذَّهبِ.

وقال في الأولى: ﴿ضَلَٰلًا﴾، وفي الثانية: ﴿تَبَارًا﴾؛ لأنَّ في الآيةِ الأولى: ﴿أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾؛ أي: جازِهِم بالإضلالِ ضَلالًا ثم دمِّرْهُم تدميرًا.

* * *

---

(١) لم أجده.

سُورَةُ الجِنِّ

اثنانِ وعشرونَ آيةً[1]، مَكِّيةٌ.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ؛ أي: أخبِرْ قومَكَ ما ليسَ لهم بهِ عِلمٌ، ثمَّ بيَّنَ فقالَ: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: أُخبِرْتُ بالوحيِ مِن اللهِ ﴿أَنَّهُ﴾: أنَّ الأمرَ والشأنَ ﴿اسْتَمَعَ﴾؛ أي: استمعَ القُرآنَ، فحُذِفَ لأنَّ ما بعدَهُ يدلُّ عليهِ، والاستماعُ: طلبُ السَّماعِ بالإصغاءِ إليهِ.

﴿نَفَرٌ﴾: جماعةٌ، والنَّفرُ مِن الثَّلاثةِ إلى العشرةِ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: كانوا سَبعةً[2].

غيرُه: كانوا تِسعةً.

﴿مِّنَ الْجِنِّ﴾: الجنُّ جيلٌ رِقاقُ الأجسامِ خَفيَّةٌ[3]، خُلِقَ من النارِ على صُورةٍ تُخالِفُ صورةَ الملَكِ والإنسِ، مَوصوفٌ بالعقلِ كالإنسِ والملَكِ، ولا يَظهرونَ للإنسِ وَلا يُكلِّمونَ[4]........

---

(١) «اثنا وعشرون آية»: ليس في (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٥)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ١٩٩).

(٣) في (ن): «خفيفة» والمثبت من (ف) ونسخة في هامش (ن).

(٤) في (ن): «ولا يكلمون هم».

إلَّا صاحبَ مُعجزةٍ، بل يوسوسونَ سائرَ النَّاسِ[1]، وهُم أولادُ إبليسَ، مِنهُمْ مُؤمِنٌ ومِنهُمْ كافِرٌ، والكافِرُ مِنهُمْ يسمَّى شيطانًا.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الجنُّ ولدُ الجانِّ وليسوا بشياطينَ، والشَّياطينُ أولادُ إبليسَ[2].

وقَدْ سبقَ الكَلامُ في ذكرِ ليلةِ الجنِّ في سُورَةِ (الأَحقافِ).

ونذكرُ هاهنا خبرًا رواهُ البُخاريُّ ومُسلِمٌ في صحيحيهما، عن سَعيدِ بن جُبَيرٍ، عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُم قالَ: ما قرأَ رَسولُ اللهِ ﷺ على الجنِّ وما رآهُمْ، انطلقَ رَسولُ اللهِ ﷺ في طائفةٍ مِن أصحابِهِ عامدِينَ إلى سوقِ عُكاظٍ، وقَدْ حِيلَ بينَ الشَّياطينِ وبينَ خَبرِ السَّماءِ، فرَجعتِ الشَّياطينُ إلى قومِهِم، قالوا: ما لكم؟ قالوا: حِيلَ بينَنا وبينَ خَبرِ السَّماءِ وأُرسِلَتْ علينا الشُّهُبُ، قالوا: ما ذلكَ إلَّا مِن شيءٍ قدْ حدثَ في الأرضِ، فاضرِبُوا مَشارِقَ الأَرضِ ومَغارِبَها، فمرَّ النَّفرُ الذينَ أَخذوا نحوَ تِهامَةَ بالنبيِّ ﷺ وهو يصلِّي بأصحابِهِ صلاةَ الفَجرِ، فلمَّا سَمِعوا القُرآنَ استَمعوا لهُ، وقالوا: هذا الذي حالَ بينَنا وبينَ خبرِ السَّماءِ فرَجَعُوا إلى قومِهِم، ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ فأوحى اللهُ إلى نبيِّهِ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾[3]: مُبايِنًا لكلامِ الخَلقِ في النَّظْمِ والمعنى لَا يقدِرُ أحدٌ على الإِتيانِ بمِثلِهِ.

والعَجَبُ: ما يكونُ خارجًا مِن العادَةِ المعروفَةِ.

---

(١) يقال: وسوسَ الرجلَ، ووسوس إليه، ووسوس له؛ أي: كلَّمه بكلام خفي. انظر: «المحكم» (٨/ ٥٣٩)، و«معجم اللغة العربية المعاصرة» (٣/ ٢٤٤٣).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠٩)، وقال ابن رجب في «فتح الباري» (٧/ ٦٢): «روي عن ابن عباس بإسناد فيه نظر».

(٣) رواه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩).

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾: يدعو إليهِ ويدلُّ عليه، والرُّشْدُ: صلاحُ الأَمرِ مِن جميعِ جِهاتِهِ.
وقيلَ: إلى الإيمانِ والتَّوحيدِ.

﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾؛ أي: إبليسَ، وقيلَ: الصَّنمَ كما كنَّا نُشرِكُ قبلَهُ.

استدلَّ بعضُهم بالآيةِ على أنَّهم كانوا كافرينَ، وقال بعضُهم: تقديرُهُ: كما أشرَكَتِ العَربُ، وقال بعضُهم: كانوا هُودًا لقولِهم: أُنزِلَ مِن بعدَ مُوسى.

***

(٣) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾[(١)]: عظمةُ ربِّنا، جَلالُ ربِّنا، غِنى ربِّنا عنِ الصَّاحبةِ والولدِ، أَمرُ ربِّنا، مُلكُ ربِّنا وسُلطانُهُ، وقدرةُ ربِّنا، هذا كلُّه أقوالٌ.

والجَدُّ: العَظمَةُ، ومنهُ قولُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ: كانَ الرَّجلُ إذا قرأَ البقرةَ وآلَ عِمرانَ جدَّ فينا[(٢)]؛ أيْ: عَظُمَ، ورَجُلٌ مجدودٌ مِن هذا.

قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: لو عَلمَتِ الجنُّ أنَّ في الإنسِ جَدًّا ما قالتِ: ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾[(٣)].

الرَّبيعُ بن أنسٍ: ليسَ للهِ جَدٌّ، وإنما قالَتْهُ الجنُّ بالجهالَةِ فلَمْ يُؤخَذُوا بهِ[(٤)].

---

(١) في هامش (ن) عند قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾: «قال: نُرى أنه بالفتح عطفًا على قوله: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾: وهو في اثني عشر موضعًا لفتح ﴿أَنَّ﴾ وبعضهم لا يجعلون عطفًا على ﴿أنه﴾».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٢٢١٥).

(٣) رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (١/ ٣٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٢٢)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٢٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠)، وعده من العجائب.

وهذانِ القولانِ فيهما تَعسُّفٌ، والجَدُّ: القَطعُ.

﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ كما يقولُ كُفَّارُ الجنِّ والإنسِ.

قرئَ: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾: بالفَتحِ إلى قولِهِ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾، عَطْفًا على قولِهِ: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾.

الفرَّاءُ: عَطفًا على ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[١]، وهو ضَعيفٌ؛ لأنَّ العَطفَ على ضميرِ المجرورِ مِن غَيرِ إعادةِ الجارِّ مُمتَنِعٌ[٢].

والزَّجَّاجُ حملَهُ على معنى ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ لأنَّ المعنى: صَدَّقْناهُ[٣].

وقرئَ بالكسرِ عَطْفًا على قولِه: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا﴾[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٥٩)، واستغربه.

(٢) قوله: «ممتنع» فيه نظر، فإن هذه المسألة محل خلاف بين النحويين، وأقوى رد على من قالوا بالامتناع قراءة حمزة: ﴿والأرحامِ﴾ [النساء: ١] بالجر عطفاً على المجرور في ﴿به﴾، وقد وقع في هذه القراءة خلاف طويل بين العلماء ما بين مجيز وينسب للكوفيين، ومانع وينسب للبصريين. انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» (٢/ ٣٨٠)، ومن أوائل مَن ردَّ على المضعِّفين لقراءة حمزة ابنُ جني رحمه الله في «الخصائص» (١/ ٢٨٥)، وكان رده من أحسن الردود وألطفها وأقواها، ومنهم ابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص: ١٩٠). ومنهم ابن مالك حيث قال في ألفيَّته:

وعَوْدُ خافضٍ لَدَى عطفٍ على ... ضميرِ خفضٍ لازمًا قد جُعِلا

وليس عندي لازمًا إذ قد أتى ... في النظم والنثر الصحيح مُثْبَتا

ويعني بالنظم شواهد شعرية كثيرة ذكرها في «شرح التسهيل» (٣/ ٣٧٦)، أما النثر الصحيح فقد أراد به قراءة حمزة. انظر: «شرح الأشموني لألفية ابن مالك» (٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٦). وممن تشدد في الرد على المانعين أبو حيان والآلوسي في تفسيريهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٤).

(٤) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بفتح الهمزة من ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ ﴿وَأَنَّا﴾ ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ من لدن قوله =

وأبـو جَعفـرٍ يَزيـدُ: فتحُ ﴿أَنَّهُ﴾ عطفًـا علـى ﴿أَنَّهُ﴾، وكَسـرُ ﴿إِنَّا﴾ عطفًا على ﴿إِنَّا﴾[1].

* * *

(٤) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: الجهالُ مِنَّا.

وقيلَ: ﴿سَفِيهُنَا﴾: هو إبليسُ؛ أي: السَّفيهُ الذي ليسَ فوقَهُ سَفيهٌ.

﴿شَطَطًا﴾: كذبًا وجَورًا وزُورًا وعُدوانًا وقولًا عظيمًا، والشَّطَطُ: البَعيدُ؛ أي: ما هوَ بَعيدٌ من وصفِ اللهِ، تقولُ: أَشَطَّ الرَّجلُ: أتى بما هوَ بعيدٌ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: هذا اعتذارٌ مِنهُم؛ أيْ: اتَّبعناهُمْ فيما قالوا على ظنٍّ أنَّ أحدًا لا يكذِبُ على اللهِ.

تمَّ كلامُ الجنِّ هاهنا، ثم استأنفَ فقالَ اللهُ:

(٦) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: وذلكَ أنَّ الرَّجُلَ مِنهُم كانَ إذا أمسى بأرضٍ قَفْرٍ أو باتَ في مَفازَةٍ يقولُ: أعوذُ بسَيِّدِ هذا الوادي مِن شَرِّ سُفهاءِ قَومِهِ، فيكونُ في أَمانِهِم تلكَ اللَّيلةِ.

= تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ في ابتداء كل آية، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (١/ ٢١٥).

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٣٩١).

والجمهورُ على أنَّ في الجنِّ رجالًا ونِساءً كما في الإنسِ رِجالٌ ونساءٌ.

وقيلَ: رِجالٌ من الإنسِ يَعوذونَ برجالٍ آدميِّينَ أيضًا، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿يَعُوذُونَ﴾ كما تقولُ: أَعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ، وكانَ أهلُ مَكَّةَ يقولون[1]: أَعوذُ بحذيفةَ بن بدرٍ مِن جنِّ هذا الوادي.

ابنُ بحرٍ: هو انقطاعُهُم إلى الشَّيطانِ وحِزبِهِ بالطَّاعةِ لَهُم والقَبولِ مِنهُم[2].

﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾؛ أيْ: زادَ الإنسُ الجنَّ عَظمةً بذلكَ القَوْلِ؛ فإنَّهم قالوا: قَدْ سُدنا الإنسَ والجنَّ، وقيلَ: فزادَ الجنُّ الإنسَ خوفًا وفَرَقًا.

الفرَّاءُ: زادَ الجنُّ فيهِمْ ظُلْمًا[3].

وقيلَ: فزادَ الإِنسُ أَنفُسَهم ظُلمًا بتلكَ الاستِعاذَةِ وتركِ الاستعاذَةِ باللهِ[4]، وفيهِ ضَعفٌ.

وقيلَ: هذا مِن كلامِ الجنِّ أيضًا، والقولُ هوَ الأوَّلُ.

وفُسِّرَ ﴿رَهَقٗا﴾: جرأَةً، وإثمًا، وخوفًا، وذِلَّةً، وهوانًا، وطغيانًا، وكفرًا، وجهلًا، وقلةَ مَعرفةٍ، وهلاكًا، وبعدًا عن الحقِّ. وأصلُ الرَّهَقِ: اللُّحوقُ، وقيلَ: الخوفُ.

***

(٧) ـ ﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا﴾.

﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا﴾: هذا أيضًا مِنْ كلامِ اللهِ تعالى؛ أي: أنَّ الجنَّ حَسِبوا كما حَسِبتُمْ أيُّها الإنسُ أنْ لن يبعثَ اللهُ أحدًا بعدَ الموتِ.

---

(١) كذا في النسختين، والمثبت من «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٣)، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا رَهَقٗا﴾: «ولا ظلماً».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠) واستغربه.

وقيلَ: لنْ يبعثَ اللهُ أَحَدًا بالرِّسالَةِ.

وقيلَ: لنْ يبعثَ اللهُ نبيًّا بالرسالةِ بعدَ موسى؛ لأَنَّهُم كانوا هودًا.

وقيلَ: هذا مِن كلامِ مُؤمِني الجنِّ للكافرينَ مِنْهُم؛ أي: إنَّ بعضَ الإنسِ وهُم الذينَ يَعوذونَ بِكُم ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾. والأَوَّلُ أظهَرُ.

***

(٨) - ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾؛ أي: طلَبْنا خَبرَ السَّماءِ، أو المصيرَ إلى السَّماءِ، فحُذِفَ المضافُ.

واللَّمسُ: طلبُ إدراكِ الملموسِ بحاسَّةِ اللَّمسِ، وهو اليدُ في الغالبِ والرِّجْلُ وظاهرُ الجسدِ[1].

وقيلَ: جعلَ مَصيرَهُم إلَيْها لمسًا. وهوَ مِن الأَوَّلِ أيضًا.

وقيلَ: معنى ﴿لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: قارَبْنا السَّماءَ، وهذا كلامُ الجنِّ بعضِهم لبعضٍ[2]؛ أي: أتينا لنَسْتمعَ إلى ما يكونُ فيها.

﴿فَوَجَدْنَٰهَا﴾؛ أي: السَّماءَ، وقيلَ: أبوابَها، وقيلَ: طُرُقَها. ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا﴾: حفظةً، جمعُ حارسٍ، وقيلَ: مَصدَرٌ؛ أي: يحرسُها الملائكةُ حَرَسًا ﴿شَدِيدًا﴾: قويًّا ﴿وَشُهُبًا﴾: جمعُ شِهابٍ، وهوَ المُضيءُ المتوَقِّدُ من النَّارِ.

***

---

(١) في (ن): «وهو في اليدِ في الغالب والرجلِ وظاهرِ الجسد».

(٢) في (ف): «بعضًا».

(٩) ـ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾؛ أي: مِن السَّماءِ ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾؛ أي: للاستماعِ مِن[1] الملائكةِ ما يقولونَ فِيما بينَهُم مِنَ الكَوائِنِ قبلَ اليَومِ.

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ﴾: طلبَ السَّمعَ مِن جِهةِ السَّماءِ ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾: جمعُ رَاصِدٍ؛ أي: حَفظةً تَمنَعُ مِن الاستماعِ، وهو بَدلٌ مِن قولِهِ: ﴿شِهَابًا﴾.

وقيلَ: ﴿رَّصَدًا﴾ يَرصدُونَهُ ليرجموهُ بهِ.

وقيلَ: نجمًا رُصِدَ لهُ[2] يمنَعُهُ ويزجرُهُ عنِ الاستماعِ.

والجمهورُ على أنَّ ذلكَ لم يكُنْ قبلَ مَبعَثِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيلَ: كانَ الانقِضاضُ، ولم يكُنْ يُرجَمُ بها الشَّياطِينُ حتى بُعِثَ محمَّدٌ عليهِ السَّلامُ[3].

الزُّهريُّ: كانَ يُرمَى بالنُّجومِ ويُرجَمُ بها الشَّياطينُ في الجاهليَّةِ، لكن غُلِّظَ وشُدِّدَ أَمرُها حينَ بُعِثَ النبيُّ ﷺ[4].

* * *

(١٠) ـ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: عذابٌ وهَلاكٌ حينَ اشتدَّتْ حِراسَةُ السَّماءِ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خَيْراً؟

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) بعدها في (ن): «أي».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦١)، واستغربه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٤٩)، وعبد بن حميد كما في «المنتخب» (٦٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

وقيلَ: ﴿رَشَدًا﴾: إرسالَ رسولٍ يُرشِدُهُم.

وقيلَ: لا ندري: أرادَ اللهُ رَشَدًا ببعثِ هذا الرَّسولِ فيُرشِدَهُم، أمْ أرادَ أنْ يَكْفُروا بهِ فيُهلِكَهُم؟

***

(١١) ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾؛ أي: المؤمنونَ، ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الكافرونَ.

وقيلَ: ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: أصحابُ الخيرِ، و﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أصحابُ الشرِّ.

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾: كنَّا ذوي مَذاهِبَ مُتفرِّقةٍ وأَديانٍ مُختلِفَةٍ.

وقيلَ: فِرَقًا شتَّى، ويقالُ لشَريفِ القَومِ: الطَّريقَةُ[1].

والقِدَدُ: جمعُ قِدَّةٍ، وهي: الطريقَةُ، مُشتَقَّةٌ مِن القَدِّ، وهوَ: القَطْعُ.

***

(١٢) ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾: عَلِمْنا وأَيْقنَّا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: إنْ أرادَ بنا أَمْرًا، ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾: لَنْ نَفوتَهُ.

ويحتمِلُ: ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ إنْ صَعدْنَا إلى السَّماءِ.

***

(١٣) ـ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أيْ: لَمَّا سَمعْنَا القُرآنَ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: بالقُرآنِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦١)، واستغربه.

وقيلَ: بمحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ، ولن[1] يبعثَ اللهُ نبيًّا إلى الجنِّ إلا محمَّدًا ﷺ.

وقيلَ: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: باللهِ.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾: نقصًا في الحسناتِ، ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: زيادةً في السَّيِّئاتِ.

ويقال: الرهقُ: العَذابُ هاهنا.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾؛ أي: المؤمنونَ ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾؛ أي: الكافِرونَ[2] الجَائِرونَ، والقَسْطُ بالفَتحِ: الجَوْرُ.

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾: أخلَصَ إيمانَهُ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾: قَصدوا وتوجَّهوا صَوابًا مِن القَولِ والفِعْلِ، ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾: الجائِرونَ ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾؛ أي: كانوا في علمِ اللهِ ـ فيكونُ كذلكَ ـ وَقودَ النَّارِ.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾: فيهِ أقوالٌ:

أحدُها: لو استقامَ الجِنُّ والإنسُ على طَريقَةِ الإِسلامِ ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾؛ أي: لجعَلْنَا لَهُم سَقْيًا، وهو الماءُ[3] العَتيدُ لوقتِ الحاجةِ، والمعنى: لوَسَّعْنا عليهِمُ الرِّزْقَ وكثَّرْنَا مَوَاشِيَهُم وأَموالَهُم.

---

(١) هذا القول ليس في (ف)، وهو هكذا بلفظ «لمن»، والسياق يقتضي «لم»، وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢١٧).

(٢) «الكافرون»: ليس في (ن).

(٣) في (ف): «إما».

وقيلَ: أرادَ بهِ نَعيمَ الجنَّةِ.

الثاني: قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: لو استقامَ أهلُ مَكَّةَ على طريقَةِ الإسلامِ وآمَنُوا ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾؛ أي: لهديناهُم إلى الصِّراطِ المستقيم[1]، فهوَ مَثَلٌ.

والثالثُ: لو استقامَ أهلُ الكُفرِ على كُفْرِهم ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾: وسَّعْنا عليهِم الدُّنْيا.

والرابعُ: لو كَفَروا ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾: كنايةً عن الإهلاكِ بالماءِ كما كانَ لِقومِ نوحٍ عليهِ السَّلامُ[2].

* * *

(١٧) ـ ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنُعَذِّبَهم بهِ، ولِنَخْتَبِرَهُم بذلكَ.

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: عنِ القرآنِ، وقيلَ: عن التَّوحيدِ ﴿يَسْلُكْهُ﴾: يُدخِلْهُ ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شاقًّا؛ كقولِه: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]، وهوَ كِنايةٌ عن غايةِ الشِّدَّةِ.

ابنُ عيسى: مُتَصَعِّدًا في العِظَمِ[3].

ابنُ عباسٍ: الصَّعَدُ: جبلٌ في جهنَّمَ[4].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢)، وعده من العجائب. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٦٤).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢)، واستغربه.

(٣) في (ف): «في الشدة».

(٤) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٥٩).

(١٨) ـ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ تقديرُهُ: ولأنَّ المساجِدَ للهِ ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

وقيلَ: ﴿أَنَّ﴾: عطفٌ على ما تقدَّمَ(١).

وقيلَ: محلُّهُ رفعٌ بالابتداءِ(٢)، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ (أنَّ) معَ ما بعدَهُ إذا وقعَ مُبتدأً تقدَّمَ الخبرُ عليهِ أَلْبَتَّةَ.

والمساجِدُ: جَمعُ (مَسجِدٍ) بالكسرِ، وأرادَ به: بيوتَ العِبادَةِ.

قتادةُ: كانَتِ اليهودُ والنَّصارَى إذا دخلوا كنائِسَهُم وبِيَعَهُم أَشْركوا باللهِ، فأمرَ اللهُ تعالى المُسلمينَ(٣) بتوحيدِهِ(٤).

وقيلَ: المساجِدُ: المواضعُ التي يَسجُدُ علَيْها العَبدُ.

وقيلَ: هو جمعُ (مَسجَدٍ) بالفتحِ؛ أي: الأعضاءُ السَّبعةُ التي يَسجُدُ عَليها الإِنسانُ؛ اليَدانِ والرِّجلانِ والرُّكبتانِ والجَبهَةُ(٥).

وقيلَ: جمعُ (مَسجَدٍ) الذي هو المَصدَرُ، والمعنى: السَّجَداتُ للهِ.

وقيلَ: أرادَ بالمساجِدِ وجوهَ العِبادَةِ والخُضوعِ.

ويَحتمِلُ أنَّ المرادَ بالمساجِدِ الأَرْضُ؛ لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «جُعِلَتْ لِيَ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢)، وعده من العجائب.

(٣) في (ف): «المؤمنين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٠٧).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢)، وعده من العجائب.

الأَرْضُ مَسجِدًا وطَهُورًا»(١)، والمعنى: لا تَعبُدُوا غيرَ اللهِ في أرضِ اللهِ(٢).

﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾؛ أي: لا تُراؤُوا فيها. ومَن حَملَهُ على الأعضاءِ؛ أي: لا تَضَعُوا جِباهَكُم ولا أيدِيَكُم على الأَرضِ خِدمَةً إلا للهِ.

سعيدُ بن جُبَيرٍ وسُفيانُ قالا: قالتِ الجنُّ: كيفَ لنا بمَسجِدِكَ ونحنُ بالبُعْدِ منكَ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾(٣).

***

(١٩) - ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾: محمَّدٌ ﷺ ببطنِ نخلة ليلةَ الجنِّ ﴿يَدۡعُوهُ﴾: يقولُ: لا إلهَ إلا اللهُ، وقيلَ: يقرأُ القرآنَ، وقيلَ: يصلِّي.

﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾؛ أي: يسقطونَ عليهِ جَماعاتٍ حِرصًا على ما سَمِعُوا مِن القرآنِ ورغبةً في الإسلامِ.

مَكحولٌ: إنَّ الجنَّ بايَعُوا رسولَ اللهِ ﷺ في هذهِ اللَّيلَةِ وكانوا سَبعينَ ألفًا، وفرغَ مِن البَيعَةِ عندَ انشقاقِ الفَجرِ(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٢) واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤١) عن سعيد بن جبير، وعزاه الشبلي في «آكام المرجان» (ص: ١٠١) إلى سفيان فقال: «وروى سفيان الثوري في تفسيره عن إسماعيل البجلي عن سعيد بن جبير»، وذكره. وكذا فعل السيوطي في «الأشباه والنظائر» (ص:٢٥٨)، وابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص: ١٦٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠)، وعده من العجائب.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢١) من رواية مكحول عن ابن مسعود رضي الله عنه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٠) عن مكحول، واستغربه.

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هذا أيضًا مِن كَلامِ الجِنِّ؛ أي: قالتِ الجنُّ لإِخْوانِهِم: رأينا أصحابَ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ يركعونَ بِركوعِهِ، ويَسجُدُونَ بِسُجُودِهِ، وكادوا ينثالون عليهِ مُجتمِعينَ[(١)].

قتادَةُ: أرادَ: كادَ الإِنسُ والجنُّ يجتَمِعُونَ على إبطالِ الحقِّ، ويأبَى اللهُ إلَّا أنْ يُتِمَّ نُورَهُ[(٢)].

و﴿لِبَدًا﴾: جَمْعُ لِبْدَةٍ[(٣)]، وهي الرِّجْلُ منَ الجرادِ، وأصلهُ مِن الجَمْعِ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

﴿قال﴾ يعني: محمَّدًا عليهِ السَّلامُ: ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾ في صلاتي، ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ من الأوثانِ، فكونوا أنتُمْ كذلكَ.

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٤). ورواه بنحوه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٣١)، والترمذي (٣٣٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٦٠)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه الحاكم، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٣)، وعده من العجائب.

وقوله: «ينثالون»؛ قال في «القاموس» مادة: (ث و ل): انثال: انصبَّ.

وعبارة: «وكادوا ينثالون عليهِ مُجتمِعينَ» لم أجدها في مصادر التخريج.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٣) دون نسبة، واستغربه.

(٣) وقرأ هشام عن ابن عامر: ﴿لُبداً﴾ بضم اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٥). و(لُبَد) بضم اللام: جمع لُبْدة، وهي في معنى اللِّبدة. انظر: «الكشاف» (٤/ ٦٣٠).

وروى سفيانُ الثوريُّ في «تفسيره» عن إسماعيلَ البَجَليِّ عن سعيدِ بن جُبيرٍ: قرئ ﴿قُلْ﴾ على الأمرِ مُوافقَةً لِمَا بعدَهُ[1].

***

(٢١) ـ ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: في دينِكُم ودُنْياكُم ﴿وَلَا رَشَدًا﴾: أرشدكُم.

وقيلَ: عذابًا ولا نَعيمًا.

وقيلَ: لا موتًا ولا حَياةً.

وقيلَ: لا ضَلالًا ولا هِدايةً؛ لأني عبدٌ مِثلُكُم، بلْ ذلكَ إلى اللهِ تعالى القادرِ على كلِّ شيءٍ.

***

(٢٢) ـ ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾: لن يمنعَني مِن عَذابِهِ مَانِعٌ إنْ عَصيْتُهُ.

وقيلَ: لَنْ يمنعَني ممَّا قُدِّرَ عليَّ.

وجاءَ في التَّفسيرِ: أنَّ جِنيًّا مِن أشرافِ الجِنِّ ذا تَبَعٍ قالَ: إنَّ محمَّدًا يريدُ أنْ يُجيرَهُ أَحَدٌ فأنا أُجِيرُهُ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذهِ الآيةَ[2].

---

(١) وهي قراءة عاصم وحمزة من السبعة، والباقون: ﴿قال﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤٨) عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: زعم حضرمي، فذكره. وحضرمي شيخ بالبصرة، وكان قاصًّا، وقال أحمد: لا أعلم يروي عنه غير سليمان التيمي. قاله في «التهذيب».

وروَى الماورديُّ أنَّ ابنَ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: لَمَّا تقدَّمَ النَّبيُّ ﷺ إلى الجنِّ ازدَحَمُوا عليهِ فقالَ سَيِّدٌ لهُم ـ يُقالُ لهُ: وَرْدَان ـ: أنا أزجلهم[1] عنكَ، فقالَ له: ﴿إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾[2].

قولُه: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾: مَذهبًا ومَدخلًا في الأرضِ.

وقيلَ: وليًّا ومَوئِلًا.

الحسنُ: مُستندًا يومَ القيامةِ[3].

والمُلتَحَدُ: المَوضِعُ أو الشَّيءُ يميلُ إليهِ الإنسانُ، مِن اللَّحدِ والإلحادُ، وهوَ المَيلُ، والمُلتجَأُ مِثلُهُ.

***

(٢٣) ـ ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ﴿بَلَٰغًا﴾: نصبٌ على البَدلِ مِن قولِه: ﴿مُلْتَحَدًا﴾، والمعنى: لا ينجِّينِي إلَّا أنْ أُبلِّغَ عنِ اللهِ ما أُرسِلْتُ بهِ.

وقيلَ: المعنى: لا أملِكُ لكُمْ ضرًا ولا رَشَدًا إلا أنْ أُبلِّغَكُم مَا أُرسِلتُ بهِ.

الفَرَّاءُ: هذا شرطٌ وجَزاءٌ، وليسَ باستثناءٍ، و(إنْ) منفصلةٌ مِن (لا)، وتقديرُه:

---

(١) في (ف) و«دلائل النبوة»: «أرحلهم»، وفي «النكت والعيون» و«غرائب التفسير»: «أزجلهم»، وفي «تفسير السمعاني»: «أجيرك»، وفي (ن): «أرجئهم»، ومعنى أزجلهم: أبعدهم وأزجُّهم. انظر: «المخصص» (٤/ ١٠١).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ١٢١)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٣٢)، وذكره السمعاني في «تفسيره» (٦/ ٧٢)، والمصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٣)، واستغربه.

(٣) لم أقف عليه.

إنْ لَا بلاغًا، والمعنى: إنْ لم أُبلِّغْ فلَا مُجيرَ لي، كما تقولُ العربُ: إنْ لا إعطاءً فردًّا جميلًا، والمعنى: إنْ لم تُعطِ فرُدَّ[1].

وقيلَ: تقديرُه: ﴿لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ... إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾.

والبلاغُ في هذهِ الوُجوهِ واقعٌ مَوقِعَ التَّبليغِ.

ابنُ بحرٍ: لن يجيرَني إلَّا العَمَلُ بما يَبلُغُني مِن اللهِ[2].

﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾: أوامرِهِ ونواهِيهِ. ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما يدعوهُ إليهِ منَ التَّوحيدِ ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

***

(٢٤) - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ في الآخرةِ، وقيلَ: يومَ بدرٍ[3].

﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا﴾: هذا جوابٌ لمشركي مكّةَ[4] حينَ استعجلوا العذابَ وقالوا: هُم بالإضافةِ إلينا كالحَصاةِ مِن جَبلٍ.

***

(٢٥) - ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾.

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾: مَا أدري ﴿أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ مِن العذابِ في الدُّنيا، وقيلَ: هوَ يومُ القيامَةِ، ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾: غايةً تَطولُ مُدَّتُها.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٣)، وعده من العجائب.

(٣) «في الآخرة، وقيل: يوم بدر» جاءت في (ن) متقدمة على الآية عقب قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

(٤) في (ن): «العرب»، والمثبت من (ف) وهامش (ن).

(٢٦) ـ ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: صِفةٌ لـ﴿رَبِّىٓ﴾: وقيلَ: بدلٌ، وقيلَ: هو عالمُ السِّرِّ.

وقيلَ: الغيبُ ما هوَ كائِنٌ [ممَّا][1] لم يكُنْ.

وقيلَ: الغَيبُ أمرُ القِيامَةِ.

ابن زيدٍ: الغيبُ القُرآنُ[2].

﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾: لا يُطلِعُ ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ مِن خلقِهِ، فيَعلمَهُ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾.

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾؛ أي: إلَّا رسولًا قد ارتضاهُ لعِلْمِ بعضِ الغَيبِ؛ لِيكونَ إخبارُهُ عن الغيبِ مُعجِزَةً له، وقيلَ: هو جبريلُ عليهِ السَّلامُ.

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾: حرسًا مِن الملائكةِ يحفَظونَ الوَحيَ.

وقيلَ: يحفظونَ الرَّسولَ، ويَزجرونَ[3] الشَّياطينَ عنهُ فلا يَقْربوهُ.

وقيلَ: يحفظونَ جِبريلَ؛ لأنَّ جِبريلَ عليهِ السَّلامُ إذا بُعِثَ إلى نبيٍّ من الأنبياءِ انحدرَ مَعهُ عِدَّةٌ من كلِّ سماءٍ إلى التي تَلِيها، ويَنحَدِرُ مِن السَّماءِ الدُّنيا عِدَّةٌ، فيحيطونَ به وبالوحيِ حتى يَفرغَ مِن وَحيِهِ؛ كيلا يقربَهُ شَيطانٌ ولا جانٌّ فيذهبَ بهِ إلى الكاهنِ، حتى يكونَ الرَّسولُ هو أولُ مَن يَتكلَّمُ بهِ.

---

(١) ما بين معكوفتين من «تفسير الطبري» (٩/ ٢٨٣) و(١٠/ ٦١٦) و(١٨/ ٥٩٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٢).

(٣) في (ف): «ويدحرون».

الزجَّاج في جماعةٍ: يُنَزِّلُ اللهُ مع جبريلَ أربعةً مِن الملائكةِ يحفظونَهُ من الجنِّ[١].

ابنُ بحرٍ: ﴿رَصَدًا﴾: طريقًا؛ يعني: فإنَّهُ يجعَلُ للرَّسولِ إلى علمِ بعضِ ما كانَ قبلَهُ وما يكونُ بعدَهُ طَرِيقًا، فيكونُ لهُ عونًا ومُعجِزَةً على صِدقِ ما أَتى بِهِ[٢].

***

(٢٨) ـ ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾.

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾:

قيلَ: ليعلَمَ الرَّسولُ أنَّهُ أتاهُ[٣] ولَمْ يأتِ غيرَهُ.

وقيلَ: ليعلَمَ الرَّسولُ أنَّ الرُّسُلَ قبلَهُ قدْ أبلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهم.

وقيلَ: ليعلمَ محمَّدٌ ﷺ، وقيلَ: ليعلَمَ الجنُّ، وقيلَ: ليعلَمَ مَن كذَّبَ الرُّسُلَ: أنَّ الرُّسُلَ قَدْ بلَّغَتْ عنِ اللهِ ما أمرَهُم بهِ.

الزَّجَّاجُ: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ اللهُ ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾؛ أي: الرُّسُلُ ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٨)، وفيه: «إذا نزل الملك بالوحي أرسل الله معه رصداً يحفظون الملك من أن يأتي أحد من الجن فيستمع الوحي فيخبر به الكهنة فيخبروا به الناس فيساؤوا الأنبياء».

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «أربعة حفظة من الملائكة مع جبرائيل».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٢).

(٣) في (ف): «أتاهم».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٨).

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ الفعلُ للهِ تعالى بالإجماعِ، وهـو عَطْفٌ على قولِه: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾: عَلِمَ عَددَ الأَشياءِ كُلِّها[1].

وأجازَ الزَّجَّاجُ أنْ يَنتصِبَ قولُه: ﴿عَدَدًا﴾ على الحالِ، وعلى المصدَرِ[2]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١) فـ ﴿عَدَدًا﴾ على هذا تمييز محوَّل عن مفعول به.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٣٨).

سُورَةُ المُزَّمِّل

عِشرونَ آيةً[1]، مَكيَّةٌ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: إلا آيتينِ مِنها، وهما: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ إلى آخرِها[2].

وقيلَ: مَكيَّةٌ إلا قولَه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ والتي بعدَها[3].

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾؛ أي: المُتزَمِّلُ بثيابِه، والتَّزَمُّلُ: التَّلفُّفُ، فأُدْغِمَ التاءُ في الزَّاي.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: يريدُ النبيَّ ﷺ، وكان يَفرَقُ مِن جبريلَ عليهِ السَّلامُ، ويتزَمَّلُ في الثِّيابِ أوَّلَ ما جاءَهُ[4]، ويأتي بيانُهُ في (المُدَّثِّرِ)، فأتاهُ وهو

---

(١) «عشرون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٥٧)، وفيه: «ثماني عشرة آية في المدني الأخير، وتسع عشرة في المكِّي بخلاف عنه وفي البَصْري، وعشرون في عدد الباقين وفي المكِّيّ من روايتنا، اختلافها أربع آيات...».

(٢) ذكره عنه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٥١)، والداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٥٧).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ١٢٤) عن ابن عباس وقتادة، وذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٦٦٩) عن قتادة.

(٤) ذكره مكي في «الهداية» (١٢/ ٧٧٨٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٤٢)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٧٦).

متلفِّـفٌ فـي قَطيفَـةٍ[1]، هذا فيمَنْ لـم يجعَلْـهُ مِن أوائـلِ القُرآنِ.

عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: كان متلفِّفًا في مِرْطٍ لهُ طُولُهُ أربعةَ عشرَ ذِراعًا نصفُهُ عليَّ وأنا نائمةٌ، ونصفُهُ على رسولِ اللهِ ﷺ وهو قائمٌ يُصلِّي[2].

السُّدِّيُّ: يا أيُّها النَّائِمُ. قالَ: وكانَ مُتلفِّفًا في ثيابِ نَومِهِ[3].

وقيلَ: كانَ مُتلَفِّفًا بثيابِهِ للصَّلاةِ.

وعن ابن عباسٍ أيضًا: المتزمِّلُ بالقرآنِ[4].

عكرمةُ: المتزمِّلُ بالنبوَّةِ[5].

وقيلَ: هو مِن (الزِّمْلِ) بمعنى: الحِملِ، ومنهُ: الزَّامِلَةُ؛ أي: المُتحمِّلُ بأعباءِ النُّبوَّةِ، وإلى هذا المعنى ذهبَ عِكرمَةُ[6].

وقيلَ: ناداهُ بالمزَّمِّلِ والمُدَّثرِ في أوَّلِ أمرِهِ؛ لأنه لم يكُنْ قد شَرعَ بعدُ في الأمرِ، فلمَّا شرعَ خاطبَهُ بالنبوَّةِ والرِّسالةِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣١٣) عن إبراهيم النَّخعي قال: «نزلت وهو في قطيفة».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٦٩ـ٤٧٠). وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ١٠٧): «غريب». وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٧٨): «لم أره هكذا». ورده عدد من المفسرين بأن السورة مكية، وأن ذلك كان في بيت خديجة رضي الله عنها كما هو مشهور ومعلوم.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٤٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٤٧١) بلفظ: «يا أيها النائم، قم فصل».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٥).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٥)، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٥٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥٨) بلفظ: «زملت هذا الأمر فقم به»، وبهذا اللفظ رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٦٣) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه.

(٦) انظر التعليق السابق.

وقيلَ: هذا إبداءُ إيناسٍ وإزالةُ وَحشَةٍ كما قالَ لموسى عليهِ السَّلامُ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧].

وقيلَ: معناهُ: يا حامِلَ الذِّكرِ سنرفَعُ لكَ ذِكرَكَ[1].

***

(٢) ـ ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾؛ أي: للصَّلاةِ[2] عندَ الجمهورِ، وقيامُ اللَّيلِ عِبارَةٌ عن الصَّلاةِ فيهِ.

وقيلَ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ لِقراءَةِ القُرآنِ؛ لقولِه: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: مِن اللَّيلِ تنامُ فيهِ.

وكانَ قِيامُ اللَّيلِ فرضًا عليهِ وحدَهُ؛ لقولِهِ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾.

وقيلَ: عليهِ وعلى أصحابِهِ؛ لقولِه: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠]. حتى نُسِخَ بالصَّلواتِ الخمسِ بعدَ سَنةٍ، وقيلَ: بعدَ ثمانيةِ أَشهُرٍ، وقيلَ: بعدَ سِتَّة عشرَ شهرًا.

وقيلَ: نُسِخَ بآخرِ السُّورَةِ، وهو قولُه: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: بينَ أَوَّلِ سورةِ المزَّملِ وآخرِهَا سَنةٌ[3].

وقيلَ: بقيَ في حقِّ النبيِّ ﷺ فرضًا إلى عشرِ سنينَ، ثم خُفِّفَ عنهُ[4].

وقيلَ: كان فرضًا عليهِ إلى أَنْ قُبِضَ صلواتُ اللهِ عليهِ[5].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٥)، وعده من العجائب.

(٢) في (ف): «الصلاة».

(٣) رواه أبو داود (١٣٠٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٩)، عن سعيد بن جبير مرسلًا.

(٥) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٢٩٣) دون نسبة. وإلى هذا ذهب من قال: إن =

وقيلَ: لم يكُنْ قيامُ الليلِ فرضًا عليهِ بَل كانَ تَطوُّعًا؛ لأنه جعلَ الاختيارَ إليهِ في المقدارِ في قوله:

(٣ ـ ٤) ـ ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾.

﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ الجمهورُ على أنَّ اللهَ تعالى خيَّرَهُ بين أن يقومَ ثلثيِ الليلِ أو نصفَهُ أو ثلثَهُ، واختلفوا في التَّقديرِ:

فذهبَ بعضُهُم إلى أنَّ ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ بدلٌ من القليلِ، وفيهِ ضَعفٌ؛ لأنَّ أحدَ النِّصفينِ مُسَاوٍ للنِّصفِ الآخرِ، فلا يكونُ أحدُهُما قليلًا والآخرُ كثيرًا.

وقيلَ: بدلٌ من ﴿ٱلَّيْلَ﴾ بعد الاستثناءِ، وهذا أيضًا ضعيفٌ؛ لتلكَ العلَّةِ.

وقيلَ: بدلٌ من ﴿ٱلَّيْلَ﴾ قبلَ الاستثناءِ، وتقديرُه: قم الليلَ نصفَهُ إلا قليلًا، وقال بعضُهُم: تقديرهُ: قم الليلَ نصفَهُ إلا قليلًا من النِّصفِ، فقَدَّم المستثنَى على المستثنَى منهُ كقولهِ:

ومالِيَ إلَّا آلَ أحمدَ شيعَةٌ ... وما ليَ إلَّا مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَبُ[1]

فعلى هذينِ القولينِ لا يكونُ في الآيةِ نصٌّ على النصف.

وقال بعضُهم: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ هو الثلثُ، ثم قالَ: قم نصفَه.

وقال بعضُهم: لمَّا قالَ: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ كان مبهَمًا، ففسَّره بما بَعْدَه فقال: ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ﴾ من النصف إلى الثلث ﴿أَوْ زِدْ﴾ على النصف إلى الثُّلُثين.

= قيام الليل نسخ فرضه عن الأمة وبقي في حق الرسول ﷺ. انظر: «النكت والعيون» (٦/ ١٢٥)، و«المصفى بأكف أهل الرسوخ» لابن الجوزي (ص/ ٥٨).

(١) في (ن): «وما ليَ إلاَّ مَذهَبَ الحقِّ مَذهَبُ». والبيت للكميت كما في «ديوانه» (ص: ٥١٧)، و«العين» (١/ ٢٦٣)، و«الكامل» (٢/ ٦٩).

وقال بعضُهم: ﴿أَوِ انقُصْ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الرُّبع، قاس القليلَ الثانيَ على القليلِ الأولِ فجعَله نصفَ النِّصفِ ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾: على الرُّبع إلى الثُّلث، فيكونُ الحَتْمُ(١) ثلثَ اللَّيل.

وقال بَعضُهُم: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعودُ إلى أعدادِ اللَّيلِ، وجازَ لأنَّ الليلَ للجنسِ، وتقديرُهُ: قمِ اللَّياليَ جميعًا إلا قليلًا مِن الأَعدادِ يقعُ لك فيها أعذارٌ(٢)، ثمَّ بيَّنَ مِقدارَ ما يقومُ من الليلِ فقال: ﴿نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾.

وقال الأخفشُ: تقديرُه: إلا قليلًا أو نصفَهُ أو انقُصْ منهُ قليلًا أو زِدْ عليهِ، فحُذِفَ (أو) لأنَّ ما بعدَهُ يدلُّ عليهِ؛ كما تقولُ: له عليَّ دِرهَمٌ دِرهمانِ أو ثلاثةٌ(٣).

وقال بعضُهُم: هذا على حَسَبِ طولِ اللَّيلِ(٤) وقصرِه(٥)، فالنِّصفُ إذا استوى الليلُ والنَّهارُ، ﴿أَوِ انقُصْ﴾ إذا قصُرَ الليلُ ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾: إذا طالَ اللَّيلُ(٦)، واللهُ أعلَمُ.

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾: ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: بيِّنْه تبيينًا(٧)؛ أي: بيِّن الحروفَ ووَفِّ حقَّها كأنَّكَ تفصِلُ بين الحرفِ والحرفِ، مُشتَقٌّ مِن قولهم: ثَغْرٌ رَتْلٌ ورَتِلٌ؛ إذا كان مُفلَّجًا، والترتيلُ: أداءُ الحروفِ، وحفظُ الوقوفِ.

وقيلَ: معناه: اقرَأْ ثلاثَ آياتٍ وأربعَ آياتٍ؛ لأنَّ ذلكَ أبلَغُ في التَّدبُّرِ والتفكُّرِ.

---

(١) في (ف): «الختم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٦)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٥٢).

(٤) في (ف): «حسب الطول».

(٥) في النسختين: «وقصرها»، والمثبت أولى.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٦)، وعده من العجائب.

(٧) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨٧٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٠).

سعيدُ بن جبيرٍ: معناه: فسِّره تفسيرًا[١].

وقيلَ: اقرَأْ على ترتيبِهِ؛ لا تقدِّمْ مُؤخَّرًا، ولا تؤخِّرْ مُقدَّمًا.

وقيلَ: تفهَّمْهُ تاليًا له.

وقيلَ: فصِّله تَفصيلًا، ولا تَعْجَلْ في قِراءَتِهِ.

قطرب: رَتِّلْ؛ أي: ضعِّفْ صوتَكَ، واقرَأْ بصوتٍ حزينٍ[٢].

أمُّ سلمةَ رضيَ اللهُ عنها: كان رسولُ اللهِ ﷺ يقطِّعُ قراءَتَهُ آيةً آيةً[٣].

أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ: كان النبيُّ ﷺ يمدُّ صوتَهُ مَدًّا[٤].

* * *

(٥) ـ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ﴾: سننزِّلُ عليكَ ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: يريدُ القرآنَ؛ أي: رَصِينًا رزينًا ليس بسَفْسافٍ خَفِيفٍ.

وقيلَ: ﴿ثَقِيلًا﴾ في الميزانِ يومَ الحسابِ.

وقيلَ: ﴿ثَقِيلًا﴾ حقًّا؛ لأنَّ الحقَّ ثَقيلٌ.

وقيلَ: ﴿ثَقِيلًا﴾ على الكفَّارِ والمنافقينَ.

---

(١) ذكره بكر بن العلاء في «أحكام القرآن» (٢/ ٦٣٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٢٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٦)، واستغربه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٥٨٣)، وأبو داود (٤٠٠١)، ورواه الترمذي (٢٩٢٧) وقال: «غريب»، وبلفظ قريب (٢٩٢٣) وقال: « هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٤) رواه البخاري (٥٠٤٥)، ولفظه عن قتادة: سألت أنس بن مالك، عن قراءة النبي ﷺ فقال: «كان يمد مدًّا».

وقيـلَ: ﴿ثَقِيلًا﴾ علـى النبيِّ عليهِ السَّـلامُ؛ لِمَا يلحقُهُ مِن المشـاقِّ فـي إبلاغِهِ، والمجاهـدةِ به مـع الكفَّارِ.

وقيلَ: ﴿ثَقِيلًا﴾ بالأمرِ والنَّهيِ والحدودِ والأَحكامِ.

ويحتمِلُ أنَّ ﴿ثَقِيلًا﴾ صفةٌ للمَصدَرِ(١)؛ أي: إلقاءً ثقيلًا؛ لِمَا رويَ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: لقد رأيتُهُ ـ يعني: النبيَّ ﷺ ـ ينزلُ عليهِ الوَحْيُ في اليومِ الشَّديدِ البردِ فينفَصِمُ عنهُ وإنَّ جبينَهُ ليَرْفَضُّ عَرَقًا(٢).

وعنها أيضًا أنها قالَتْ: إنْ كانَ لَيوحَى إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهوَ على راحلَتِهِ فتضربُ بجرانِها(٣).

وعن عائشَةَ رضيَ اللهُ عنها: أنَّ الحارثَ بن هشامٍ سألَ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ! كيفَ يأتيك الوَحْيُ؟ فقال: «أحيانًا يأتيني مثلَ صَلصلَةِ الجرسِ وهوَ أشدُّهُ عليَّ، فينفَصِمُ عني وقَدْ وَعَيْتُ ما قالَ، وأحيانًا يتمثَّلُ الملكُ رجلًا فأَعِي ما يقولُ»(٤).

***

(٦) ـ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: ابنُ عباسٍ وعكرمةُ: الليلُ كلُّهُ نَاشئةٌ(٥)؛ لأَنَّها تنشَأُ بعدَ النَّهارِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٧)، واستغربه.

(٢) رواه البخاري (٢) بلفظ: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٨٦٨)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٧): «رجاله رجال الصحيح».

(٤) رواه البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨).

أنسٌ رضيَ اللهُ عنهُ: ما بينَ المغربِ والعشاءِ(١).

وقيلَ: أولُ الليلِ.

وقيلَ: بعدَ العشاءِ الآخرةِ إلى الصُّبحِ نَاشئَةٌ.

وقيلَ: الصَّلاةُ بعدَ النَّومِ نَاشئَةٌ.

وقيلَ: ما أحياه المصلِّي مِن اللَّيلِ فهوَ ناشِئَةٌ.

ابنُ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: ناشئةُ الليلِ: قيامُ اللَّيلِ بلُغةِ الحبشَةِ(٢)؛ يقولون: نشَأَ؛ إذا قامَ. والوَجْهُ الساعات(٣)، تقولُ العربُ: نشأَتْ؛ إذا ابتدأَتْ وأقبَلَتْ شيئًا فشيئًا.

وقيلَ: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: مصدَرٌ(٤)؛ أي: ما ينشِئُهُ الرَّجلُ بالليلِ مِن القراءةِ والصَّلاةِ.

ابنُ بحرٍ: المعاني المستنبطَةُ مِن القُرآنِ(٥).

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾: أثقَلُ على البدَنِ، مِن قولِهِ عليهِ السَّلامُ: «اشدُدْ وَطأَتَكَ على مُضَرَ»(٦)؛ لأنَّ الليلَ للنَّومِ والدَّعَةِ، فإذا صُرِفَ إلى الصَّلاةِ ثَقُلَ على المصلِّي.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٦٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٩٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٧٥٢).

(٢) رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٩٧٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا علقه البخاري قبل حديث (١١٤١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٧)، وعده من العجائب.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٣)، وفيه: «﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: ساعات الليل، وهي آناء الليل ناشئة بعد ناشئة».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٧)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٧)، وعده من العجائب.

(٦) رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيـلَ: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾: أبلَـغُ فـي الثوابِ، وقيلَ: أشـدُّ ثباتًـا مِن النَّهـارِ، وأثبَتُ فـي القلبِ، وقيـلَ: أبلَغُ.

ابنُ عيسى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: قوةُ الفكرِ فيهِ أمكَنُ وَقْعًا، ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أصحُّ قولًا.

وقُرِئَ ﴿أشدُّ وِطاءً﴾ بالمدِّ[1]؛ أي: مُوافَقَةً، والمعنى: يواطِئُ السَّمعُ والبَصرُ القلبَ[2] فيها أكثرَ ممَّا يواطِئُ في ساعاتِ النَّهارِ.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أشدُّ استقامةً وصَوابًا لفراغ البال، وقيلَ: أكثرُ نَشاطًا.

ابنُ بحرٍ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾[3]: المعاني المستنبطَةُ من القرآنِ بترتيلِهِ ليلًا ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾: أثبَتُ وأبيَنُ أثرًا ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أصحُّ ممَّا يُخرِجُهُ الأفكارُ نهارًا؛ لخلوِّ السَّمعِ والبَصرِ عن الاشتغالِ بالمدرَكاتِ لأجلِ الظُّلمَةِ.

وقيلَ: ﴿أقومُ قيلاً﴾ أعجَلُ إجابةً للدُّعاءِ.

* * *

(٧) ـ ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾: تصرُّفًا في حوائجِكَ وإقبالًا وإدبارًا.

وقيلَ: فراغًا طويلًا لنومِكَ وراحتِكَ.

ابنُ عيسى: السَّبْحُ: المرُّ السَّهلُ في الشيءِ كالمرورِ في الماءِ، ومنه: السَّبْحُ في الماءِ[4].

---

(١) قرأ بها أبو عمرو وابن عامر، والباقون بفتح الواو وسكون الطاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) في (ف): «والقلبُ».

(٣) في (ف): «لفراغ البال، ابنُ بحرٍ: أكثر نشاطًا و﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾».

(٤) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٧٠) دون نسبة.

وقيلَ: السَّبْحُ: العملُ والتقلُّبُ.

وقرئَ بالخاءِ(١)؛ أي: تخفيفًا، من قولهِ عليهِ السَّلامُ لعائشةَ رضيَ اللهُ عنها وقد دعَتْ على سارقٍ سرَقَها: «لا تُسبِّخي عنهُ بدعائكِ عليهِ»(٢)؛ أي: لا تخفِّفي عنهُ بدعائكِ عليهِ.

* * *

(٨) ـ ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾: ادعُه بأسمائِهِ الحُسنى.

وقيلَ: اذكُرْهُ في صلاتِكَ التي أُمِرْتَ بها.

وذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ المعنى: اذكرُ بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ إذا أردتَ قِراءَةَ القُرآنِ أو الصَّلاةَ.

﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾: انقطِعْ إليهِ بعبادتِكَ وأخلِصْ إليهِ إخلاصًا، والقياسُ: تَبتُّلًا؛ ولكنْ لَمَّا كانَ التَّبتيلُ مِن حُروفِهِ عدلَ إليهِ لموافقَةِ رُؤوسِ الآيِ؛ لأنَّ خطَّ القرآنِ مِن جنسِ النَّظمِ، والوَصفِ فوقَ كلِّ خطٍّ(٣).

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: تبتَّلْ إليهِ يُبَتِّلْكَ(٤) تبتيلًا؛ كما قالَ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧]؛ أي: وتنبتونَ نباتًا.

---

(١) أي: (سبخاً) نسبت ليحيى بن يعمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٥)، و«تفسير الطبري» (٢٣/ ٣٧٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٧)، واستغربه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤١٨٣) و(٢٥٠٥١) و(٢٥٠٥٢) و(٢٥٧٩٨)، وأبو داود (١٤٩٧) و(٤٩٠٩).

(٣) في (ف): «لأن حظ القرآن... فوق كل حظٍّ».

(٤) في النسختين: «تبتلك»، والصواب المثبت إن شاء الله.

والتبتُّلُ: الانقطاعُ إلى اللهِ بتأمِيلِ الخيرِ مِنهُ دونَ غَيرِه.

***

(٩) ـ ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾؛ أي: هـو ربُّ المشـرقِ والمغـربِ. وقيلَ: رفـعٌ بالابتداءِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبرُهُ. وقرئَ بالجرِّ[1] بدلٌ من قولِه: ﴿ٱسْمَ رَبِّكَ﴾.

وقيلَ: بدلٌ من الهاءِ في قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾.

والمعنى: ربُّ العالَمِ بما فيهِ، وقيلَ: ربُّ الليلِ والنَّهارِ، وقد سبقَ.

﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾: حفيظًا يحفظُكَ ويتولَّاكَ، وقيلَ: كَفِيلًا بما وعدَكَ، وقيلَ: قيِّمًا بأمورِكَ.

***

(١٠) ـ ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾.

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾؛ أي: للهِ مِن الولدِ والصَّاحبةِ والشَّريكِ.

وقيلَ: ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ لكَ مِن السَّاحرِ والكَاهنِ والمجنونِ.

﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: قيلَ: هو كقولِهِ: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وكقوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزخرف: ٨٩].

وقيلَ: هو إظهارُ الجَفْوةِ مِن غيرِ تَركِ الدَّعوةِ.

وقيلَ: هو كقولِه: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣].

---

(١) قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائيُّ وشعبة، والباقون بالرَّفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

الكلبيُّ وقتادةُ: مَنسوخَةٌ بآيةِ السَّيفِ[١].

***

(١١) ـ ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾.

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: دَعْني وإيَّاهُم، ولا تهتمَّ بِشأنِهِم؛ فإني أَكفيكَهُ.

﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾: التَّنَعُّمِ بالنِّعمةِ، والنِّعمَةُ بالكَسرِ: الثَّروةُ، والنُّعْمَةُ بالضمِّ: السُّرورُ.

وهذا وعيدٌ للمطعِمِينَ يومَ بدرٍ، وقد سبقَ.

وقيلَ: في صَناديدِ قُريشٍ، وقيلَ: في بني المغيرَةِ، ووصفَهُم بالنِّعمَةِ توبيخًا لهم على تركِ الشُّكرِ، وتبيينًا أَنَّهُ أطغاهُم اسْتغناؤُهُمْ.

﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾: إلى يومِ بدرٍ، وكانَ بينَ نزولِ الآيةِ وبينَ يومِ بدرٍ زمانٌ يَسيرٌ.

وقيلَ: إلى يومِ القيامَةِ.

***

(١٢) ـ ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا﴾.

﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ﴾؛ أي: للكافرينِ ﴿أَنكَالٗا﴾: قيودًا وأغلالًا إهانةً لهُمْ لا خوفًا مِن فِرارِهِم.

مقاتلٌ: أنواعًا مِن العذابِ يوجبُ النُّكولَ عما يُوجِبُ ذلكَ[٢].

﴿وَجَحِيمٗا﴾: نارًا عظيمًا.

***

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٧٦)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٧٠).

(٢) أي: يوجب النكول عن الذي يسبِّب العذاب. انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٧٧)، وفيه: «فالأنكال عقوبة من ألوان العذاب».

(١٣) ـ ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: الضَّرِيعُ والزَّقُّومُ يغصُّ في الحلقِ ولا يَسوغُ.

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: يَخلُصُ وجعُهُ إلى القلبِ.

وجاءَ في التَّفسيرِ: أنَّهُ لمَّا نزلَتْ هذهِ الآيةُ خرَّ النبيُّ ﷺ مَغشِيًّا عليهِ[١].

* * *

(١٤) ـ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾: تتحرَّكُ أغلظَ حركةٍ بمَنْ عليها، وهي الزَّلزلَةُ.

﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾: وتَصيرُ الجبالُ رَمْلًا مَصبوبًا، وقيلَ: سَائلًا.

الفرَّاءُ: هو الذي إذا حرَّكتَ أسفلَهُ يَنهالُ عليكَ[٢].

* * *

(١٥) ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿رَسُولًا﴾ يعني: محمَّدًا ﷺ ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٤٦)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢٦٧) عن حمران بن أعين مرسلًا بلفظ: «أن النبي ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ فصعق». ورواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٩) عن حمران بن أعين عن أبي حرب بن أبي الأسود، قال البيهقي: «وهو مع ذكره فيه مرسل».

ورواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧٥) موصولاً عن ابن عمر رضي الله عنهما. وفيه طاهر بن الفضل قال ابن حبان: «يضع الحديث على الثقات وضعاً، لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب. وقال الحاكم: روى الموضوعات». انظر: «لسان الميزان» (٤/ ٣٤٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٨).

يومَ القيامةِ بالإجابةِ والامْتناعِ ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾ يعني: موسى[1] عليهِ السَّلامُ.

***

(١٦) ـ ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾.

﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾: ثقيلًا شديداً[2]، وقيلَ: متتابعًا، وقيلَ: مُهلِكًا، والوابِلُ: الشَّديدُ من المطرِ.

وقيل: هو من قولهم: استَوْبَلْتُ: استثقلتُ.

***

(١٧) ـ ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾.

﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا﴾؛ أي: كيفَ تتَّقونَ عذابَ يومٍ؟ فحُذِفَ المضافُ، و﴿يَوۡمٗا﴾ مفعولٌ بهِ.

وقيلَ: معناه: كيفَ لكُم التَّقوى يومَ القيامَةِ وقد كفرتُم في الدُّنيا؟ أي: لا تنفَعُ التَّقوى إذا وافيتُم القيامَةَ كفَّارًا، فيكونُ (اليومُ) ظرفًا، وقولُه: ﴿يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾: صفةٌ لليومِ، والفاعلُ مُضمَرٌ يعودُ إليهِ.

وقيلَ: تقديرُهُ: يجعلُ اللهُ فيهِ الوِلدانَ شِيبًا مِن هَولِهِ وشِدَّتهِ، وذلكَ حينَ يُقالُ لآدمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «قُمْ فابعَثْ بعثَ النَّارِ مِن ذُرِّيَّتكَ»[3].

---

(١) في (ف) زيادة: «ابن عمران».

(٢) «شديدًا» من (ف).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٠) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفيه: «ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعين، قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق»، ورواه البخاري (٦٥٣٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، =

وقيلَ: هُمْ أولادُ الزِّنى.

وقيلَ: أولادُ الكُفَّارِ(١).

وقيلَ: هذا مثلٌ ضُرِبَ للشِّدَّةِ(٢).

وقيلَ: يجعَلُ الوِلدانَ شبابًا، وهذا خطأٌ حكاهُ النَّقاشُ(٣).

* * *

(١٨) - ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ﴾؛ أي: مُنشـقَّةٌ واهِيـةٌ ﴿بِهِۦ﴾ قيـلَ: البـاءُ بمعنى: فـي؛ أي: في ذلـكَ اليَـومِ، وقيلَ: بسـببِ ذلـكَ اليَومِ.

الزَّجَّاجُ: مُتعلِّقَةٌ باللهِ(٤).

الحسنُ: مُتعلِّقَةٌ بيومِ القيامَةِ(٥).

﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾: كائنًا.

* * *

= ولفظه: «يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٨)، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٨)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٨)، وعده من العجائب.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤٣)، وفيه: «وقيل في التفسير: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ أي: السماء مثقلة بالله عز وجل».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (١٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٠) بلفظ: «محزونة مثقلة بيوم القيامة».

(١٩) ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: السُّورَةَ أو الموعِظَةَ(١) ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: تذكيرٌ للخلقِ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾؛ أي: بالإيمانِ.

وقيلَ: مَن شاءَ أن يرغَبَ فليرغَبْ.

وقيلَ: فليعمَلْ عَمَلًا صالحًا.

* * *

(٢٠) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾: معنى ﴿أَدْنَىٰ﴾: أقربُ، وقيلَ: أسفَلُ، مِن قوله: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقيلَ: معناه: أقلُّ.

قرئَ ﴿ونِصْفهُ وثُلُثهُ﴾ بالنصبِ والجرِّ(٢)، فمَن جرَّهُ جعلَ المعنى: تقومُ قريبًا مِن هذهِ المقاديرِ، ومَن نصبَهُ عطفَهُ على ﴿أَدْنَىٰ﴾ فيكونُ المعنى: تَقومُ أقلَّ مِن الثُّلُثينِ وتقومُ نِصفَهُ وثُلُثَهُ.

وقالَ بعضُهُم: لم يَعرِفوا(٣) المقاديرَ فقاموا الليلَ كلَّهُ، فيكونُ المعنى: إنَّ ربَّكَ

---

(١) في (ف): «والموعظة».

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بالجر، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٣) في (ن): «لم تُعرف».

يعلَمُ أنَّكَ أُمِرتَ أن تقومَ أَدنى مِن هذهِ المقاديرِ وتقومُ أنتَ الليلَ كُلَّهُ[١].

وقيلَ: أدنى مِن ثُلثيهِ مَرَّةً ووقتًا، ومِن نصفِهِ وقتًا، ومِن ثُلثِهِ وقتًا.

ابنُ بحرٍ: معناهُ: أنَّهُ أدَّاهُ كما أُمِرَ أوَّلَ السُّورَةِ[٢].

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾؛ أي: وتقومُ طائفةٌ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾؛ أي: آمنوا معكَ؛ يعني: الصَّحابَةَ.

﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: هو سبحانَهُ وتعالى يعلَمُ مَقاديرَها ومواقيتَها، وليسَ تحقيقُ ذلكَ في طَوقِ البَشرِ.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾: لن تُطيقوهُ على هذهِ المقاديرِ.

وقيلَ: لن تَقدِرُوا على إحصاءِ أَجزاءِ اللَّيلِ ودَقائقِهِ.

ويحتَمِلُ: لن تَعلَمُوا مَواقيتَهُ، مِن الحَصَاةِ، وهي العَقْلُ.

﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾: فخفَّفَ عليكُمْ ووَضعَ عَنكُم.

وقيلَ: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أَن لَزِمَكُم ذنبٌ بتركِهِ.

وقيلَ: رخَّصَ لكُم في تركِ ذلك.

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ﴾: ما أحبَبْتُم وأَرَدْتُم ﴿مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾؛ أي: مِن السُّوَرِ القِصارِ، يريدُ: في الصَّلاةِ النَّافلةِ، وقيلَ: في الفَرضِ.

وقيلَ: خارجَ الصَّلاةِ، وهذا حُجَّةُ مَن قالَ: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ لقراءةِ القرآنِ.

السُّدِّيُّ: ﴿مَا تَيَسَّرَ﴾: مئتا آيةٍ[٣].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٦٩)، وعده من العجائب.

(٣) بهذا اللفظ ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٣٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٦) بلفظ: «مئة آية»، وهكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٥٢٥)، ومكي بن أبي =

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: مئةُ آيةٍ[١].

الحسنُ: مَن قرأَ مئةَ آيةٍ في ليلةٍ لم يحاجَّهُ القرآنُ[٢].

وقيلَ: ثلاثُ آياتٍ كأقصَرِ سُورةٍ.

ثم ذكرَ سببَ التَّخفيفِ فقال: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾؛ أي: أنَّهُ سيكونُ ـ فخفَّفَ ـ ﴿مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾ فيَشُقُّ عليكم قيامُ الليلِ ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ يريد: يسافرونَ للتِّجارَةِ، وجاءَ مرفوعًا: «﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ لطلبِ العلم»[٣].

﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هم المجاهدونَ.

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ﴾: في صلاةِ المغربِ والعِشاءِ.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أيْ: المفروضةَ، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الواجبةَ، وقيلَ: صدقةَ الفِطرِ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الطَّاعةَ والإخلاصَ له[٤].

= طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٨٠٨).

(١) رواه بكر بن العلاء في «أحكام القرآن» (٢/ ٦٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩٤٠)، والقزويني في «أخبار قزوين» (٢/ ٢٧) مرفوعًا، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩): «حديث غريب جدًّا». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٠): «رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن طاوس، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٦) من قول الحسن، وروي عنه مرفوعاً مرسلاً، رواه الدارمي في «سننه» (٣٥٠٢)، والحارث كما في «بغية الباحث» (٧٣٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٦/ ٤٢٨) من قول الحسن وسعيد بن جبير ومكحول بلفظ: «﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] هو طلب العلم»، وكذا ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢١٣) من قول الحسن وسعيد، واستغربه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٢٤).

﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: النَّوافِلَ مِن الصَّدقةِ، سمَّاهُ قرضًا تأكيدًا للجَزاءِ.

وقيلَ: القَرضُ الحسنُ يقَعُ على جَميعِ الطَّاعاتِ، وقوله: ﴿حَسَنًا﴾؛ أي: خَالِصًا.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟﴾: تُسلفوا ﴿لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: حسنةٍ ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾؛ لأنَّ اللهَ يعطي المؤمنينَ أجرَهُم بغيرِ حِسَابٍ.

وقيلَ: خيرًا من الشُّحِّ والمنعِ.

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ مِن تَقصيرٍ وذَنبٍ وقعَ مِنكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَن تابَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ لِمَن استغفرَ.

* * *

سُورَةُ المُدَّثِّر

ستةٌ وخمسونَ آيةً[1]، مكيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال جابرٌ رضيَ اللهُ عنهُ: أُحدِّثكم ما حدَّثنا رسولُ اللهِ ﷺ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إني جاوَرْتُ بحِرَاءَ شهرًا، فلمَّا قضيتُ جواري نزلتُ فاستَبْطَنْتُ بطنَ[2] الوادي، فنُودِيْتُ، فنظَرْتُ أمامي وخَلْفي وعَن يميني وعَن شمالي، ثمَّ نظرتُ إلى السَّماءِ، فإذا هوَ على العرشِ في الهواءِ؛ يعني: جبريلَ عليه السلام، فأخذَتْني رجفةٌ، فأتيتُ خديجةَ فأمرْتُهُم فدَثَّروني ثمَّ صبُّوا عليَّ الماءَ؛ فأنزلَ اللهُ تعالى عليَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾»[3].

* * *

(٢) - ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾.

﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: فهـو خِطـابٌ للنبـيِّ ﷺ، وأصلـهُ: المتَدثِّـرُ، فأُدغـمَ، والمعنـى:

---

(١) «ستة وخمسون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٥٨) وفيه: «وهي خمسون وخمس آيات في المدني الأخير والمكي والشامي، وست في عدد الباقين».

(٢) «بطن»: من (ن)، وهي رواية مسلم، وليست في (ف)، وهي رواية البخاري.

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١).

المتدثرُ للنومِ، واشتقاقهُ من الدِّثارِ، وهو ما يعلو الشِّعارَ.

عكرمةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ بالنبوَّةِ وأثقالها، قد تدثَّرتَ هذا الأمرَ فقمْ بِهِ(١).

المبرِّد: ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ هو المُلْقَى عليهِ الدِّثار.

ابن عيسى: هو مِن دَثَرَ الرَّسْمُ: إذا انمحى أثرهُ، كأنه قيلَ: يا أيها الطالبُ صرفَ الأذى بالدثارِ اطلبْهُ بالإنذارِ(٢).

وقيلَ: معناهُ: لا تَنَمْ عمَّا أمرتكَ بهِ، ولا تستعمِلِ الهُوَينى فيهِ، بل قمْ وارفضِ الرَّاحة، وبلِّغِ الرسالةَ، وأنذرِ الكفرةَ موضعَ المخافة مما هم عليهِ؛ ليتَّقُوهُ بطاعتي.

وقيلَ: أنذرهم عذابَ اللهِ ووقائعهُ في الأممِ الخاليةِ.

وهو أولُ ما نزلَ(٣).

وقيلَ: أولُ ما نزلَ بعدَ سورةِ (اقرأ)(٤).

وقيلَ: لمَّا قال الوليدُ بن المغيرةِ في دارِ الندوةِ: ليسَ كلامُهُ شعرًا ولا هو كاهنٌ، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤ـ٢٥]، عادَ إلى منزلهِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٥٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٤)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٦٨) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٧٦) بلا نسبة.

(٣) وهو مذكور في حديث جابر رضي الله عنه السابق، ففي أوله: «عن يحيى بن أبي كثير، سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] قلت: يقولون: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت: فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ...» الحديث.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٣) عن الزهري.

وقـال: «دثِّرونـي»، فأُلقِيَـتْ عليـهِ قَطيفـةٌ حمـراءُ اسـتراحةً إلـى النـومِ مـن الغـمِّ، فنزلـت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[1].

* * *

(٣) ـ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: صِفْهُ بكبرِ الشأنِ وجلالةِ السُّلطانِ.

* * *

(٤) ـ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

﴿وَثِيَابَكَ﴾؛ أي: الثيابَ الملبوسةَ ﴿فَطَهِّرْ﴾: نقِّها ممَّا يُفسدُ الصَّلاةَ.

وقيلَ: طهِّرها من الذنوبِ فيها، من قولهم: فلان نقيُّ الثِّيابِ، وضدُّهُ: خبيثُ الثِّيابِ.

وقيلَ: لا تكنْ غادرًا؛ فإنَّ الغادرَ يسمَّى: دَنِسَ الثِّيابِ.

وقيلَ: لا تلبسْ من مكتسَبٍ غيرِ طيِّبٍ.

وقيلَ: قصِّرها.

وقيلَ: ﴿ثيابَك﴾: قلبَك؛ أي: فَرِّغْ قلبَكَ من قولِ الوليدِ بن المغيرة.

وقيلَ: عملَك، قال النبيُّ عليهِ السَّلامُ: «يُحشرُ المرءُ في ثوبيهِ اللَّذينِ ماتَ فيهما»[2]؛ يعني: عملَهُ الصَّالحَ أو الطَّالحَ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣١): «وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك»، وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٥). ورواه بكر بن العلاء في «أحكام القرآن» (٢/ ٦٤١) عن يعلى بن عطاء.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٣٦)، والعز بن عبد السلام في «تفسيره» (٣/ ٣٨٤)، =

وقيلَ: كنايةٌ عنِ النساء؛ أي: اخترْ أزواجًا مؤمناتٍ، من قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧][(١)].

وقيلَ: من الحيضِ.

وقيلَ: نفسَك؛ أي: أصلحْ نفسَكَ، من قولهم: فداكَ ثوبي؛ أي: نفسِي.

* * *

(٥) ـ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾؛ أي: فاهجُرْ ما يؤدِّي إلى العذابِ، وقيلَ: الرُّجزُ: الصَّنمُ. والكسرُ والضمُّ لغتان[(٢)]. وقيلَ: الكسرُ: العذابُ، من قوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، والرُّجز: الصَّنمُ، وسُميَ الصنمُ رُجزًا؛ لأنه يؤدِّي إلى

= والقرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٦٣) دون نسبة، وذكره الماوردي في «الحاوي الكبير» (٣/ ١٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كلهم بلفظ الحشر، ورواه أبو داود (٣١١٤) عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري: أنه لما حضره الموت، دعا بثياب جدد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها»، وصحح إسناده النووي في «خلاصة الأحكام» (٣٢٥٥)، وكذا رواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٣١٦)، وقال: «أراد به: في أعماله، كقوله جل وعلا: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ يريد به: وأعمالك فأصلحها، لا أن الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها، إذ الأخبار الجمة تصرح عن المصطفى ﷺ بأن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلًا».

وتعقبه ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٢٣) بقوله: «والقصة التي في حديث أبي سعيد ترد ذلك، وهو أعلم بالمراد ممن بعده، وحكى الخطابي في الجمع بينهما: أنه يبعث في ثيابه، ثم يحشر عرياناً، والله أعلم». وانظر: «فتح الباري» (١١/ ٣٨٣، ٣٨٤) فقد ذكر أوجهًا للجمع بين الحديثين، وأقوالًا أخرى.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٢)، واستغربه.

(٢) قرأ حفص بضم الراء، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

العذاب، وقيل: لأنهُ يعذَّبُ الكافرُ به، من قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقيلَ: الرُّجزُ: الشِّرك، وقيلَ: الذنبُ والإثمُ، وقيلَ: الظُّلم.

ومعنى ﴿فَٱهْجُرْ﴾: اتركْ، والهجرانُ يأتي بمعنى الدَّوامِ على التَّرك، وهذا منه.

* * *

(٦) ـ ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾؛ أي: لا تُعْطِ أحدًا عطيَّةً تلتمِسُ بها أفضلَ منها؛ فإنكَ مأمورٌ بأجلِّ الأخلاقِ.

وقيلَ: لا تمنُنْ على اللهِ بحسناتكَ(١).

وقيلَ: لا تمنُنْ على الناسِ بأداءِ الرسالةِ مستكثرًا بها الأجرَ منهم.

وقيلَ: معنى ﴿وَلَا تَمْنُن﴾: لا تضعُفْ أن تستكثرَ من الخيرِ.

و﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ حكايةُ حالٍ، أو تقديرُ حالٍ(٢).

* * *

(٧) ـ ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾.

﴿وَلِرَبِّكَ﴾؛ أي: لأمرِهِ، وقيلَ: لوعدِهِ، وقيلَ: لوجههِ ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على أداءِ الرِّسالةِ وتعظيمِ الحقِّ، وقيلَ: على انتظارِ ثوابِ عملكَ من اللهِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٢)، واستغربه.

(٢) يريد والله أعلم: أنه إما أن يكون المعنى: «لا تَمْنُنْ مُسْتَكْثِراً ما أعطَيْتَ» فهو حكاية حال، أو يكون معناه: «لِتَأْخُذْ أكثرَ مِمَّا أَعْطَيْتَ مستكثراً» فهو تقدير حال؛ أي: حال مقدرة، وهي التي لا تقارن الفعل في الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤]، وكما تقول: «خِطْ هذا الثوبَ قميصاً»، و: «ابْرِ هذه القصبَةَ قلماً»، فهذه كلها من الحال المقدَّرة؛ لأن الجَبَل لا يكون بيتاً في حال النَّحت، ولا الثوبُ والقصَبَةُ قميصاً وقلماً في حال الخياطةِ والبَرْي. وكذا قولهم: «مَررتُ برَجُلٍ معه صَقْرٌ صائداً بِهِ غداً»؛ أي: مقدِّراً به الصيد غدًا، أو: قاصِداً به الصَّيْدَ غداً، وكذا كل حال مقدرة.

(٨) ـ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾.

﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾: نُفِخَ ﴿فِي ٱلنَّاقُورِ﴾: في الصُّورِ، فاعولٌ من النَّقرِ؛ أي: من شأنِهِ أن يُنقَر، وأصلهُ: التصويتُ؛ كنقرِ الطائرِ الشيءَ بمنقارِهِ، وقيلَ: هي النفخةُ الأولى، وقيلَ: الثانيةُ يحيى الناسُ عندها، وهذا حجةٌ لمن جعلَ الصُّورَ ما يُنفخُ فيه، لا جمعَ (صُورةٍ) كما ذهب إليه بعضُهم[١].

وقيلَ: الناقورُ: القلبُ[٢]، فهو كقولِه: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].

***

(٩) ـ ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾.

﴿فَذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى وقتِ النَّقرِ، وهو مبتدأٌ، و﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبرهُ[٣].

وقيلَ: إشارةٌ إلى النَّقرِ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ من صلتهِ، و﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبرهُ على تقديرِ: نَقْرُ يومٍ عسيرٍ[٤]؛ تشتدُّ فيهِ الكُلفةُ.

---

(١) هو أبو عبيدة ومن تبعه. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٩٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٢)، واستغربه.

(٣) قوله: «خبره» ليس في (ف)، وقوله: «﴿يَوْمَئِذٍ﴾» ليس في (ن)، والمثبت هو الصواب والله أعلم.

(٤) قوله: «نَقْرُ يومٍ عسيرٍ» ضبط في النسختين هكذا: «نُقِرَ يومٌ عسيرٌ» وهذا خطأ؛ لأن التقدير: «فذلك النقرُ يومئذٍ نقرُ يوم عسير»، فحذف المضاف الذي هو «نقرُ» وهو في الحقيقة الخبر. انظر: «الحجة» للفارسي (١/ ٣٣)، و«باهر البرهان» للغزنوي (٣/ ١٥٧٩)، و«الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» للمنتجب الهمذاني (٦/ ٢٦٢).

قال القزويني في «الكشف على الكشاف»: ﴿ذَٰلِكَ﴾ ابتداء، وهو إشارة إلى المصدر؛ أي: فذلك النقر، وهو العامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، و﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ خبر المبتدأ، والمضاف مُقدر؛ أي: فذلك النقرُ في =

(١٠) ـ ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾.

﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾: توكيدٌ، وهو القليلُ الكُلفةِ.

* * *

(١١) ـ ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾.

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ نزلتْ في الوليدِ بن المغيرة[1]؛ أي: لا تهتمَّ لأمرهِ فإني أكفيكَهُ، وقوله: ﴿وَحِيدٗا﴾: يجوزُ أن يكونَ من صفةِ اللهِ تعالى؛ أي: خلقتُهُ بلا مُعِينٍ، ويجوزُ أن يكونَ من صفةِ الوليدِ؛ أي: خلقتُهُ وحيدًا صغيرًا ضعيفًا لا مالَ لهُ ولا ولدَ.

وقيلَ: ﴿وَحِيدٗا﴾: لغيرِ رِشْدةٍ؛ كما نزلَ فيهِ: ﴿زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]؛ أي: ملحقٍ بالقومِ ليسَ منهم[2].

قال الحسنُ: كان يُدْعى: الوليدَ الوحيدَ[3].

وأنكرَ صاحبُ «النَّظمِ» أن يكونَ ﴿وَحِيدٗا﴾ صفةً للهِ تعالى؛ لأنهُ يدلُّ على تفرُّدٍ بعدَ تَجَمُّعٍ[4] واللهُ تعالى لا يوصفُ بذلكَ[5]. والجمهورُ على الأوَّلِ.

* * *

= ذلك الوقتِ نَقْرُ يومٍ عسير. انظر: حاشية الطيبي على الكشاف المسماة «فتوح الغيب» (١٦/ ١١٧).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك وقتادة.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٣)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٣) عن الحسن، واستغربه، وذكره بلا نسبة: مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٩١)، وابن الكلبي في «جمهرة أنساب العرب» (ص: ١٧)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٠١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (ن): «جمع»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «غرائب التفسير».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٣)، واستغربه.

(١٢) ـ ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾: ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ألفَ دينارٍ[1]. وقيلَ: أربعةَ آلافِ دينارٍ. وقيلَ: مئةَ ألفٍ.

وقيلَ: الأنعامَ تَنْمِي بالنَّتاجِ، وتمتدُّ في الأرضِ بالرَّعيِ.

وقيلَ: أرضٌ مُغِلَّةٌ لا تَنقضي لها غَلَّةٌ حتى تأتيَ لها أخرى.

وقيلَ: نخيلًا وأشجارًا.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾: حضورًا معهُ يستمتعُ برؤيتهم ويستمتعونَ، لا يغيبونَ في طلبِ المعاشِ لغِناهُ، وكانوا عشرةً، وقيلَ: اثني عشرَ.

وقيلَ: ﴿شُهُودًا﴾: نجباءَ أخيارًا يشهدونَ مَواضعَ الفَخارِ وبِقَاعَ النِّزالِ.

وقيلَ: إذا ذُكِرَ ذُكِرُوا معهُ[2].

* * *

(١٤) ـ ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾: بسطتُ لهُ في الأرضِ ورئاسةِ القومِ، ومَكَّنتُهُ من التَّمتُّعِ في صِحَّةٍ من البدنِ.

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٣٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٦٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٣)، واستغربه.

(١٥) ـ ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾ تقديرُهُ: فعاندَ وكفرَ ثمَّ يطمعُ ﴿أَنْ أَزِيدَ﴾، فحذِفَ؛ لأنَّ أوَّلَ الكلامِ يدلُّ عليهِ، وقيلَ: يطمعُ أن أدخلهُ الجنَّةَ، وقيلَ: يطمعُ أن أنصرَهُ.

* * *

(١٦) ـ ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾.

﴿كَلَّا﴾: رَدعٌ وزَجرٌ؛ أي: لا يُجمَعُ لهُ بعدَ اليومِ بينَ الكُفرِ والمزيدِ منِ النِّعمِ. فلم يزلْ بعدَ نزولِ الآيةِ في نقصانٍ من المالِ والجاهِ وماتَ فقيرًا.

وقيلَ: زَجرٌ عنِ الطمعِ في الجنَّةِ.

﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾: للقرآنِ، وقيلَ: لمحمَّدٍ ﷺ، وقيلَ: للحقِّ.

والعنيدُ الذَّاهبُ عن الشَّيءِ على طريقِ الغَباوةِ.

وقيلَ: مُعاندًا، وقيلَ: جَاحدًا.

وقيلَ: مُعرِضًا؛ من قولهم: ناقةٌ عنودٌ؛ إذا نَفَرتْ، و: عَنَدَ العِرقِ؛ إذا نَفَرَ.

* * *

(١٧) ـ ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾.

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾: سأحملُهُ على شاقٍّ منَ العذابِ، والإرهاقُ: إعجالٌ بعنفٍ.

وقيلَ: هو عقبةٌ في النَّارِ يُكلَّفُ ارتقاءَها بضربِ المقامعِ، كلَّمَا وضعَ رجلهُ ليرتقيَ ذابتْ، ثمَّ تعودُ.

وقيلَ: المرادُ بهِ: الحملُ على الأمرِ الشَّديدِ.

* * *

(١٨ ـ ٢٠) ـ ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أجمعَ المفسرونَ على أنَّ الآيَةَ نزلتْ في الوليدِ بن المغيرةِ، وذلكَ أنهُ جمعَ رؤساءَ مكَّةَ فقال لهم: إنَّ الموسمَ قد دنا، وقد فشا أمرُ هذا الرَّجلِ في الناسِ، وهم سائلوكم عنهُ، فماذا تردُّون عليهم؟ قالوا: نقول: إنهُ مجنونٌ يَخنُقُ[١]، فقال: يأتونهُ فيكلِّمونهُ فيجدونهُ صحيحًا عاقلًا فيكذِّبونكم، قالوا: نقولُ: شاعرٌ، قال: فَهُمُ العربُ، وقد روَوا الشِّعرَ وفيهمُ الشُّعراءُ، وقولُه لا يشبهُ الشِّعرَ فيكذِّبونكم، قالوا: نقولُ: كاهنٌ، قال: الكهنةُ لا يذكرونَ اللهَ تعالى ولا يقولونَ: إن شاءَ اللهُ، وهو يقولُهُ، وأنا واللهِ سمعتُ منهُ كلامًا آنفًا ما هوَ من كلامِ الإنسِ ولا هوَ من كلامِ الجِنِّ، وإنَّ أسفلهُ لمُغدِقٌ، وإنَّ أعلاهُ لمثمِرٌ، وإنَّ لهُ لحلاوةً، وإنَّ لهُ لطلاوةً، وإنهُ ليعلو ولا يُعلى. ثمَّ انصرفَ إلى منزلِهِ. فقالت قريش: صبأَ الوليدُ. وكانَ يقالُ للوليدِ: ريحانةُ قريشٍ، فقالَ ابنُ أخيهِ أبو جهل: أنا أكفيكُمُوهُ. فجاءهُ حزينًا فقالَ له الوليدُ: ما لكَ يا ابنَ أخي؟ فقال: إنَّ قريشًا تزعمُ أنَّكَ قد صبأْتَ لتصيبَ من فضولِ أصحابِ محمَّدٍ، وهم يجمعونَ لكَ مالاً تستعينُ به على حاجتكَ. قال: ويحكَ! ما يَشبعُ أصحابُ محمَّدٍ من الطَّعامِ وإني لأكثرُ قريشٍ مالًا، ولكنِّي فكرتُ في أمرِ هذا الرَّجلِ فوجدتهُ ساحرًا، أمَا تعلمونَ أنَّهُ فرَّقَ بين فلانٍ وفلانةَ زوجتِهِ، وبينَ فلانٍ وأبيهِ، وبينَ فلانٍ وأخيهِ، وفلانٍ وابنهِ، وفلانٍ ومواليهِ فلا ينفعُهم ولا يلتفتُ إليهم؟ قالوا: بلى، فأجمعَ رأيَهم على أن يقولوا: هوَ ساحرٌ يفرِّقُ بينَ النَّاسِ، وما يقولهُ سحرٌ. فأنزلَ الله هذهِ الآياتِ[٢].

---

(١) أي: يأخذ بخناق من يحدِّثه. وفي «تفسير القرطبي» (١٩/ ٦١): «المجنون يخنق الناس، وما خنق محمد قط».

(٢) ذكر نحوه دون عزوٍ الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٥٢)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩)، ورواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٨٣) عن عكرمة، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٢) وصححه، =

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ في شـأنِ محمَّدٍ ﷺ وما أتى بـهِ، ﴿وَقَدَّرَ﴾ ماذا يمكنهُ أن يقولَ فيهما، ﴿فَقُتِلَ﴾: لُعِـن وعُـذِّبَ وعُوقـبَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ اسـتفهامٌ علـى وجـهِ التعجُّـبِ، وقيـلَ: علـى وجـهِ الإنـكارِ.

وقوله: ﴿قُتِلَ﴾: هو أشدُّ دعاءٍ، لا يُدْعى به إلَّا على مَن لا بقيَّةَ في أمرِهِ.

والتكرارُ للتأكيدِ.

وقيلَ: أحدُهما لتقديرِهِ القولَ في محمدٍ عليهِ السَّلام، والثاني لتقديرِهِ القولَ في القرآنِ[١].

وقيلَ: أحدُهما لنفيهِ عنهُ الجنونَ والكهانةَ والشِّعرَ لا على وجهٍ قُصِدَ به الإيمانُ، والثاني لإثباتِ صفةِ السِّحرِ له[٢].

***

(٢١ ـ ٢٥) ـ ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ فيما قدَّرَ معجَبًا بذلكَ نظرةَ تفكُّرٍ، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قبَضَ ما بينَ عينيهِ تكرُّهًا في وجوهِ المؤمنينَ، وقيلَ: ﴿عَبَسَ﴾ حيثُ عجزَ عنِ القولِ فيهما.

﴿وَبَسَرَ﴾: إتباعٌ ومبالغةٌ[٣]، وقيلَ: تضاحَكَ متعجِّبًا، وقيلَ: نَفَرَ، وقيلَ: تكرَّهَ.

= والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وجود إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٢٣)، وانظر القصة أيضاً في «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٩٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٧٠).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٤) واستغربه.

(٢) انظر: «درة التنزيل» للخطيب الإسكافي (٣/ ١٣٠٧ ـ ١٣٠٩).

(٣) فمعنى بسر: كلم، وهي بمعنى: عبس، ولكنها ذكرت بعدها توكيداً، هذا ما أراده المصنف، أما أن يكون =

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: تولى إلى قومِهِ ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: تكبَّرَ عنِ الإيمانِ ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا﴾: ما هذا ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: يُروى؛ أي: يرويهِ محمدٌ عن جبرٍ ويسارٍ، وقيلَ: عن مسيلمةَ، وقيلَ: عن أهلِ بابلَ.

صاحبُ «النَّظمِ»: ﴿يُؤْثَرُ﴾: يُتعلَّمُ، من قولهِ: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤].

﴿إِنْ هَٰذَا﴾: ما هذا ﴿إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، كما قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

* * *

(٢٦ ـ ٣٠) ـ ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾: سأدخلهُ، والإصلاءُ: إلزامُ موضعِ النَّار.

ابنُ بحرٍ: أجعلُهُ صلًا لسقرَ؛ أي: وقودًا.

وسقرُ: اسمُ علمٍ لجهنمَ، وقيلَ: للدَّرْكِ الرَّابعِ منها، واشتقاقُهُ من سَقَرَتْهُ الشَّمسُ؛ أي: أذابتهُ.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ تفخيمٌ لشأنها.

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾: لا تبقي لحمًا ولا تذرُ عَظمًا.

وقيلَ: لا تبقي لحمًا ولا عظمًا إلَّا أكلَتْهُ، ولا تذرُهُم كذلكَ، بل يُعادونَ خلقًا جديدًا.

وقيلَ: لا تُبقي حيًّا ولا تذرُ ميتًا؛ كقوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

وقيلَ: لا تبقي مَن يَدخلُها ولا تذرُ أحدًا خُلقَ لها حتَّى تأخذَهُ.

وقيلَ: هذا مثلٌ يضربُ لمن يأتي على كلِّ شيءٍ.

= (بسر) إتباعاً بالمعنى الإصطلاحي فلا؛ لأن (بسر) لها معنى مستقل، ولأن عطف الإتباع على المتبوع غير معروف، إنما المعروف ذكرهما بلا واسطة، يقال: هو عفريت نفريت، ولأن كتب اللغة التي عنيت بذكر الإتباع لم تذكر هذا، وهذا مما يثبت بالسماع. وانظر: «روح البيان» لإسماعيل حقي (١٠/ ٢٣٠).

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾: مسوِّدَةٌ لها، وقيلَ: محرِّقةٌ لها ثمَّ تعودُ.

وقيلَ: تأتي على كلِّ شيءٍ إلَّا الفؤادَ[١].

والبَشَرُ: جمعُ بَشَرةٍ، وهي ظاهرُ الجلدِ.

الأخفش: معطِّشَةٌ للخلقِ، من اللُّوحِ، وهو العَطَش[٢].

وقيلَ: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾: تَلُوحُ للخلقِ إذا رأوها وهي بعيدةٌ[٣]، والبشرُ على هذينِ القولينِ: الناسُ.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ الجمهورُ: تسعةَ عشرَ ملكًا، وقيلَ: تسعةَ عشرَ صنفًا من الملائكةِ، وقيلَ: تسعةَ عشرَ صفًّا منهم، والهاءُ يعودُ إلى ﴿سَقَرُ﴾.

فلمَّا نزلت هذه الآية قال أبو جهلٍ: زعمَ ابنُ أبي كبشةَ أنَّ خَزَنَةَ النَّارِ تسعةَ عشرَ وأنتمُ الدَّهماءُ، أفَيَعجزُ كلُّ عشرةٍ منكم أن يأخذوا واحدًا ثمَّ يخرجونَ منَ النَّارِ[٤]!

وقالَ أبو الأشدِّ بنُ كَلَدَةَ بنِ الأُسَيدِ[٥] وكانَ يوصفُ بالقوَّةِ: أنا أكفيكُم سبعةَ عشرَ منهم فاكفوني اثنين فأنزلَ اللهُ تعالى:

* * *

(١) هنا جاءت في النسخ، وهي تفسير ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٤٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٤)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٦٠) عن ابن عباس وقتادة والضحاك، رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣٦) عن ابن عباس بإسناد ضعيف، وعن قتادة.

(٥) اختلف اسمه وكنيته في المصادر، وفي «تفسير مقاتل»: «أبو الأشدين اسمه أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي»، وفي «أنساب الأشراف» (١/ ١٣٣): «أبو الأسدين، واسمه كلدة بن أسيد بن خلف الجمحي».

(٣١) - ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾[1].

أصحابُ النار هاهنا: الخزنةُ لا أهلُها، وقيلَ: تقديرُهُ: وما جعلنا خزنَةَ أصحابِ النَّارِ، فحذفَ المضافَ، وهذا في المعنى كقوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]، فمَن ذا الذي يَغلبُ الملائكةَ والواحدُ منهم يأخذُ أرواحَ جميعِ الخلقِ، وللواحدِ منهم قوةُ الثقلينِ؟!

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾: عَدَدَهم في القِلَّةِ ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: بليَّةً عليهم وضَلالًا حتى قالوا فيهم ما قالُوا، وقيلَ: مِحنَةً؛ ليَظهرَ ما يقولُ كلُّ واحدٍ منهم ويعتقدُهُ.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: ليوقنوا أنَّ عددَهم تسعةَ عشرَ إذا وافقَ ما في كتبهم. وقيلَ: ليتيقَّنُوا أنَّ محمدًا ﷺ نبيٌّ صادقٌ حينَ أخبرهم بما يُوافِقُه كتبُهم وهو أُمِّيٌّ لا يكتبُ ولا يقرأُ من الكتابِ.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بإيمانهم بهذا ﴿إِيمَٰنًا﴾؛ أي: يقينًا ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا توكيدٌ للاستيقانِ والزيادةِ في الإيمانِ.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ، وقيلَ: نفاقٌ، والأوَّلُ أظهرُ في هذهِ الآيةِ ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾: ليسَ في الآيةِ مَثَلٌ، ولكنَّهم استغربوا هذا العددَ فقالوا: لعلَّهُ مثلٌ مضروبٌ. واللامُ لامُ كي، وقيلَ: لامُ العاقبةِ.

---

(١) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٤) عن السدي. وذكره مقاتل «تفسيره» (٤/ ٤٩٧)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٠٤) دون نسبة.

وفي تخصيصِ خزنةِ النَّارِ بهذا العددِ أقوالٌ كلُّها ضِعافٌ، لكنِّي حكيتُ لكَ لأنها لا تخلو من فائدةٍ:

أحدُها: أنَّ جهنَّمَ أطباقٌ سبعةٌ، ومالكٌ خازنُ النَّارِ في الطَّبقةِ الأولى، وفيها المذنبونَ من المؤمنينَ، فيَرْفقُ بهم إلى أن يخلِّصَهمُ اللهُ منها، ثم في كلِّ طبقةٍ منها ثلاثةٌ منهم يعذِّبونَ أهلَها بأنواعِ العذابِ، ومجموعُهم تسعةَ عشرَ.

الثاني: «بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ» تسعةَ عشرَ حرفًا، وعددُ الزَّبانيَةِ تسعةَ عشَرَ ملَكًا، فيدفعُ المؤمنُ بكلِّ حرفٍ منها واحدًا منهم، وقد سبقتْ رحمتُهُ غضبَهُ.

والثالثُ: حَفِظَ اللهُ تعالى نظامَ العالَمِ[1] باثني عشرَ برجًا وسبعَ سياراتٍ، ومجموعُها تسعةَ عشرَ، كذلكَ حفظَ نظامَ جهنَّمَ بمثلِ هذا العددِ ملائكةً.

والرابعُ: أنَّ ساعاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ أربعٌ وعشرونَ ساعةً: خمسٌ منها جُعلتْ للصَّلواتِ الخمسِ، وبقيتْ تسعةَ عشرَ ساعةً، فمَن ضيَّعَها عُذِّبَ بتسعةَ عشَرَ ملَكًا في النَّارِ، ومَن حَفِظَها بذكرِ اللهِ تعالى ذَبَّتْ كلُّ ساعةٍ منهُ ملَكًا منهم.

والخامسُ: جعلَ اللهُ أوتادَ الأرضِ ـ وهي الجبالُ ـ تسعةَ عشرَ جبلًا، كذلكَ جعلَ أوتادَ النَّارِ تسعةَ عشَرَ ملَكًا، وزعمَ هذا القائلُ أنَّ جبالَ الأرضِ تسعةَ عشَرَ، والباقي تشعَّبَ[2] عنها، وقد عُدَّت جبالُ الأرضِ المتشعِّبةُ عنها فبلغت مئةً وتسعينَ جبلًا.

والسادسُ: الأعدادُ على وجهينِ: قليلٌ وكثيرٌ؛ وحدُّ القليلِ: من الواحدِ إلى التسعةِ، وهي آخرُ الآحادِ، وحدُّ الكثيرِ: من العشرةِ إلى ما لا نهايةَ لهُ، فجمعَ بينَ نهايةَ القليلِ وبدايةِ الكثيرِ فصارَ تسعةَ عشرَ.

---

(١) في (ف): «الملك».

(٢) في (ف): «يتشعب».

والسابعُ: أنَّ هذا السؤالَ ساقطٌ؛ لأنهُ لا عددَ إلَّا ويتَّجهُ عليهِ هذا السُّؤالُ، فصارَ دَورًا، وسؤالُ الدَّورِ ساقطٌ، واللهُ أعلمُ.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: كافتراقِهم عندَ هذا الامتحانِ يفرِّقُ بينهم بالإضلالِ والعذابِ، والهدايةِ والثوابِ.

وقيلَ: كافتِتانِ أقوالهم في الخزنةِ وإصابةِ البعضِ وإخطاءِ البعضِ ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ عن الصوابِ ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ إليهِ.

وقيلَ: يعودُ إلى تعذيبِ العنيدِ(١) في سَقَرَ؛ أي: كذلكَ يعذِّبُ من يشاءُ منَ الضَّالينَ ويهدي مَن يشاءُ مِن المؤمنينَ.

﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: جموعَ ملائكةِ ربِّكَ، وقيلَ: لا يعلمُ جميعُ الخلائقِ كُنْهَهَمْ وكيفيَّتهم وكَمِّيَّتهم إلَّا اللهُ.

﴿وَمَا هِيَ﴾؛ أي: سَقَرُ، وقيلَ: نارُ الدُّنيا، وقيلَ: عِدَّةُ الخزنةِ، وقيلَ: السُّورةُ.

وقيلَ: الجنودُ؛ أي: [إن] الجنودُ ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾: ليسَ أنَّ اللهَ تعالى محتاجٌ إلى ناصرٍ ومُعِينٍ تعالى عن ذلكَ.

* * *

(٣٢ ـ ٣٥) ـ ﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾.

﴿كَلَّا﴾: ردعٌ لِمَن زعمَ أنَّ جنودهُ لحاجتِهِ إليهم.

وقيلَ: ردعٌ لمن زعمَ أنَّهُ يكفي أمرَ الخزنةِ فيخرجُ منها؛ وهو أبو جهلٍ وأبو الأَشَدِّ بن كلدةَ.

وقيلَ: ردعٌ للوليدِ عائدٌ إلى أوَّلِ الكَلامِ.

وقيلَ: معناهُ: حقًا، وقيلَ: ألَا؛ للتنبيهِ.

---

(١) في (ن): «العبيد».

﴿وَٱلْقَمَرِ ٣٢ وَٱلَّيْلِ إِذا دَبَـرَ﴾: جـاءَ بعـدَ النَّهـارِ، و﴿أَدْبَرَ﴾[1]: ذهـبَ، وقيـلَ: جـاءَ. وقيـلَ: هُمَـا لغتانِ. وقيـلَ: دَبَـرَ: انقضَـى، وأدبـرَ: ولَّى.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾: أضاءَ.

﴿إِنَّهَا﴾: إنَّ سقرَ ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾: والكُبَرُ: العَظَائمُ، واحدتها: الكُبرى؛ وهي جماعةُ أطباقِ النَّارِ: جهنمُ، ثمَّ لظَى، ثمَّ الحُطَمَةُ، ثمَّ السَّعيرُ، ثمَّ سَقَرُ، ثمَّ الجحيمُ، ثمَّ هاويةُ.

وقيلَ: كنايةٌ عن جهنَّمَ، وقيلَ: عنِ النَّارِ.

وقيلَ: عن آياتِ القرآنِ[2].

وقيلَ: كنايةٌ عن الذِّكرى.

الحسنُ: إنَّ تكذيبَكُم محمَّدًا عليهِ السَّلامُ من الكبائرِ[3].

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

﴿نَذِيرًا﴾: منذرًا، وقيلَ: مصدرٌ كنكيرٍ وعذيرٍ، وهو حالٌ عن (إحدى) أو عن ﴿ٱلْكُبَرِ﴾، والعاملُ فيهِ معنى التَّفرُّدِ أو ﴿ٱلْكُبَرِ﴾، وقيلَ: حالٌ عنِ النبيِّ ﷺ؛ أي: قُم منذرًا، وقيلَ: عنِ القرآنِ، وقيلَ: عنِ اللهِ سبحانهُ[4].

---

(١) قرأ حفص ونافع وحمزة ﴿والليل إذ أدبر﴾، وقرأ الباقون (إذا دَبَرَ). انظر: «السبعة» (ص: ٦٥٩)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٥)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٥)، وعده من العجائب. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أطال المصنف في ذكر الناصب لـ ﴿نَذِيرًا﴾ في «غرائب التفسير» (/ ١٢٧٦)، وقد ذكر أنه أضاف ثلاثين وجهًا، فعدد بعضها، وفيها من التكلف ما فيها، كما ذكر السمين في «الدر المصون» (١٠/ ٥٥٢) لها ستة عشر وجهاً من الإعراب.

﴿لِّلْبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ بالطَّاعةِ ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ بالمعصيةِ.

* * *

(٣٨ ـ ٤٢) ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾؛ أي: عندَ الحسابِ مرهونةٌ بعملها إمَّا يخلِّصُها أو يوبِقُها ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾: قيلَ: همُ الأطفالُ، وقيلَ: همُ الملائكةُ، وقيلَ: أصحابُ الجنَّةِ، وقيلَ: الميامِينُ[1] على أنفسِهم.

﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: عنِ الكفَّارِ، وقيلَ: عن كلِّ من في النَّارِ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾: ما أدخلَكُم ﴿فِى سَقَرَ﴾؟

* * *

(٤٣ ـ ٤٧) ـ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾.

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾: قيلَ: لم نعتقِدْ وجوبَها وفرضَها[2] ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾: لمْ نأتِهِ ولمْ نأمُرْ به ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾: نكذِّبُ معَ المكذِّبينَ.

وقيلَ: ما غَوَى غاوٍ إلَّا وغَوَينا معهُ.

وقيلَ: هو قولُهُم: محمَّدٌ ساحرٌ، أو شاعرٌ، أو مجنونٌ.

---

(١) في (ن): «الميامن».

(٢) في هامش (ن): «قال الشيخ: هذا حجة لأصحاب الإمام الشافعي: أن الكفار مخاطبون بالصلاة وأركانها وجميع العبادات، خلافًا للإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما، وهذا بناء على أن الإيمان قول واعتقاد، والشافعي يضيف إليه العمل بالأركان، وأبو حنيفة يقول: إن الكفار مخاطبون بالإيمان ثم بفعل الأركان».

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: القيامةِ.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾: الموتُ، وقيلَ: البعثُ.

وقيلَ: أصحابُ النارِ يومئذٍ أربعةُ أصنافٍ، وكلُّ واحدٍ من هذهِ الأربعةِ كلامُ صنفٍ منهم[1].

***

(٤٨) ـ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾؛ أي: ليسَ لهم منَ الملائكةِ والنَّاسِ شفيعٌ.

***

(٤٩) ـ ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾: عنِ القرآنِ ﴿مُعْرِضِينَ﴾: مولِّينَ.

***

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾: جمعُ حِمَارٍ ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ بالكسرِ: نَافِرةٌ، يقوِّيهِ قولُه: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾.

و﴿مُسْتَنْفَرةٌ﴾ بالفتحِ[2]: محمولَةٌ على النِّفَارِ، أو: موجودةٌ نافِرة.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾: الأسدُ، مشتقٌّ من قَسَرَهُ؛ أي: قَهَرَهُ.

وقيلَ: الرِّجالُ القنَّاصونَ الرُّماةُ.

---

(١) في هامش (ن): «قال: الأربعة أراد بها أنَّ كل صنف يقول شيئًا، فصنف يقول: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ وصنف يقول: ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ إلى آخرها.

(٢) قرأ بها نافع وابن عامر، والباقون بكسر الفاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٠)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

ابن عباسٍ رضي الله عنهما: رِكْزُ الناسِ[1]؛ أي: صوتُهُم وحِسُّهُم.

وقيلَ: من سوادِ اللَّيلِ[2].

* * *

(٥٢) ـ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾: هو قولُهم: إنْ أحببتَ يا محمَّدُ أنْ نَتَّبِعَكَ فأْتِنَا بكُتُبٍ منَ اللهِ فيها: منَ اللهِ إلى فلانِ ابنِ فلانٍ أنِ اتَّبِعْ مُحمَّدًا[3].

وقيلَ: كانَ مَن أذنَبَ من بني إسرائيلَ ذنبًا وجدَ ذنبَهُ مكتوبًا على بابهِ في غدٍ، فسألوا مثلَهُ لهم[4].

وقيلَ: سألوا براءةً منَ النَّارِ.

* * *

(١) علقه البخاري قبل الحديث (٤٩٢٢)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٥٨)، والخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ٤٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٧)، وعده من العجائب.

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦١) عن قتادة ومجاهد، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٦٣) عن الحسن، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٦٤) عن مجاهد ومقاتل وقتادة والحسن.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٩٧) والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٦٤) عن الكلبي، وهو بلا نسبة في «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٠٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٠)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ٣٣٠).

(٥٣) ـ ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾.

﴿كَلَّا﴾: ردعٌ وزجرٌ عن اقتراحِ الكُتُبِ.

وقيلَ: إعلامٌ أنهمْ لا يؤمنونَ وإن جاءَهُمُ الكتابُ؛ كقولِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١].

وقيلَ: قَسَمٌ.

﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾: لا يقدِّرُونَ وقوعَها وكونَها.

* * *

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾.

﴿كَلَّا﴾: ردعٌ وقسَمٌ ﴿إِنَّهُ﴾: إنَّ القرآنَ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: تذكيرٌ للخلقِ ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾: إذ يسَّرهُ للخَلْقِ.

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾؛ أي: لا يؤمنونَ ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إلَّا بمشيئةِ اللهِ وإرادتهِ ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ﴾: أهلٌ أن تُتَّقى معصيتُهُ ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾: أهلٌ أن يغفِرَ للمتَّقِي.

وقيلَ: هو أهلُ الانتقامِ وأهلُ الإنعامِ.

* * *

سُورَةُ القِيَامَةِ

تسعٌ وثلاثونَ آيةً[1]، مكيَّةٌ.

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

(١) ـ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾.

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾: فيهِ وفي أمثالِهِ خمسةُ أقوالٍ:

أحدها ـ وهو قولُ الجُمهورِ ـ: أنَّ ﴿لَآ﴾ صلةٌ؛ كقولِهِ: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩].

الثاني: المبرِّدُ: ﴿لَآ﴾ تأكيدٌ للقسمِ، وأنشدَ:

فـلا وأبيـكِ ابـنــةَ الـعـامِـرِيْـ ... ـي لا يدَّعـي القَـومُ أني أَفِـرّ[2]

الثالثُ: الفرَّاءُ: ﴿لَآ﴾ ردٌّ لإنكارِ المشركينَ البعثَ[3].

الرابع: أصلهُ: لَأُقْسِمُ؛ اعتبارًا بقراءةِ ابنِ كثيرٍ[4]، ثمَّ أُشبعَ فظهرَ منَ الإشباعِ أَلِفٌ، وهذا اللَّامُ يصحبهُ نونُ التَّأكيدِ في الأغلبِ وقد يفارقُهُ[5].

---

(١) «تسع وثلاثون آية»: ليس في (ف). وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٥٩)، وفيه: «أربعون آية في الكوفي وتسع وثلاثون في عدد الباقين».

(٢) البيت لامرىء القيس كما في «ديوانه» (ص: ١٠٥)، و«الشعر والشعراء» (١/ ١٢٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٧).

(٤) قرأ بها ابن كثير بخلف عن البزي. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦١)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٩)، واستغربه.

الخامسُ: ﴿لَآ﴾ نفيٌ للإقسامِ؛ لأنَّ النَّاسَ يؤكِّدونَ أخبارهم بنفيِ القسَمِ كمَا يؤكِّدونها بالقَسَمِ، فإنَّ ذِكرَ تركِ القَسَمِ يقومُ مقامَ القَسَمِ(١).

***

(٢) ـ ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾: الجُمْهورُ على أنَّهُ سبحانهُ أقسَمَ بها، والحسنُ ذهبَ إلى أنهُ أقسمَ بيومِ القيامةِ، ولم يُقسِمْ بالنَّفسِ اللَّوَّامةِ(٢).

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ التقديرَ في هذا وأخواتِهِ: لا أقسِمُ بيومِ القيامةِ بل أقسمُ بربِّ القيامةِ. وهذا بعيدٌ ضعيفٌ غيرُ مطَّرِدٍ كقولِهِ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ وأمثالِهِ.

ومعنى ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾: ما رويَ عنِ النبيِّ ﷺ، وهو أنَّهُ قالَ: «ليسَ من نفسٍ برَّةٍ ولا فاجرةٍ إلا وتَلومُ نفسَها يومَ القيامةِ؛ إنْ عملت خيرًا قالت: كيفَ لم أزدَدْ؟! وإن عملتْ شرًّا قالت: ليتني كنتُ قصَّرتُ»(٣).

ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما: ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾: المَذمُومة(٤).

قتادةُ: الفاجِرة(٥).

وقيلَ: يريدُ: تلومُ نفسَها في أمورِ الدُّنيا وغيرِها والزَّمانِ، فهوَ صفةُ ذمٍّ. ومَن جعلَ تقديرَهُ: تلومُ على اكتسابِ السَّيئاتِ والتقصيرِ في الخيراتِ، فهوَ صفةُ مدحٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٧٩)، وعده من العجائب، وقال: «وهذا ضعيف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١٠/ ٣٣٤).

(٣) رواه النعالي في «فوائده ـ مخطوط» (٤) عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٧٥)، والنووي في «التبيان» (ص: ١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١١٣).

(٣) ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ يعني: الكافرَ ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ خصَّ العِظامَ بالذِّكرِ لقوله[1]: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

والآيةُ نَزَلتْ في عدِيِّ بن رَبيعةَ ـ ختَنِ الأخنَسِ بن شريقٍ ـ حينَ أتى النَّبيَّ عليهِ السَّلامُ فقال: حدِّثْني عن يومِ القيامةِ متَى يكونُ؟ وكيفَ أمرُهَا وحالُهَا؟ فأخبرَهُ بذلكَ، فقال: لو عاينتُ ذلكَ اليومَ لم أصدِّقْكَ ولمْ أؤمِنْ بهِ، أو يجمعُ اللهُ هذهِ العظامَ؛ فأنزلَ اللهُ هذهِ الآيةَ[2].

***

(٤) ـ ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾.

ثمَّ قال: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾: معناهُ عندَ أكثرهم: نجعلُهَا كخُفِّ البعيرِ أو حافرِ الفَرَسِ.

الفرَّاءُ: نعيدُ أصغرَ العظامِ إلى ما كانَ[3].

الزَّجَّاجُ: نسوِّي بنانَهُ على ما كانتْ[4].

والمرادُ به: جميعُ البَدَنِ.

وقيلَ: نسوِّي بنانَهُ الخمسَ فنجعلُهَا كلَّها كالوُسطَى أو كالخِنْصَرِ[5] والإبهامِ؛ فلا ينتفِعُ بها.

---

(١) في (ف): «كقوله»، ولا يصحُّ.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٠٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢٨/ ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٠)، ولم يذكروا له سنداً ولا راوياً.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥١).

(٥) في (ف): «وكالخنصر».

و﴿قَٰدِرِينَ﴾ حالٌ، والعاملُ فيهِ: نجمعُ أو نَقدِرُ(١).

ومـا ذكرَهُ الفَـرَّاءُ(٢) من قولـهِ: فلْيَحْسَـبْنا قادرين(٣)، ضعيـفٌ؛ لأنَّ المأمورَ في حـقِّ اللهِ تعالـى العلـمُ دونَ الحُسـبانِ، أو يُحمَـلُ علـى ازدواجِ اللَّفظِ، وهـذا أبعدُ؛ لأنَّهُ ليـس بملفوظٍ.

***

(٥) ـ ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾.

﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هو الكافرُ يكذِّبُ بالقيامةِ(٤).

المبرِّدُ: يُسَوِّفُ التوبَةَ ويركبُ المعاصِيَ(٥).

أبو عليٍّ: يعزمُ على المعصيةِ في أوقاتٍ لعلَّهُ لا يبلُغُهَا(٦).

وقيلَ: يقدِّمُ ذنبَهُ ويؤخِّرُ توبتَهُ.

الحسنُ: يمضِي في معاصِي اللهِ قُدمًا قُدمًا لا ينزِعُ عنها(٧).

---

(١) أي: الفعل المقدَّر بعد ﴿بَلَىٰ﴾. انظر: «روح المعاني» (٢٨/ ٩٤).

(٢) في (ن): «القائل»: والمثبت من (ف) ونسخة في هامش (ن).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٠)، وعده من العجائب، والتقدير فيه: «بلى احسبنا قادرين؛ لأنا مأمورون بالعلم والإيقان، لا بالشك والحسبان».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٧).

(٥) وذكر نحوه البخاري معلقاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قبل الحديث (٤٩٢٧) بلفظ: «﴿لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾: سوف أتوب، سوف أعمل».

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٠) دون نسبة، واستغربه.

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٥).

(٦) ـ ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: متَى يكونُ؟ استبعادًا واستهزاءً.

* * *

(٧) ـ ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾.

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ ﴿بَرِقَ﴾ بالكسرِ: فرِعَ، وبالفتح[1]: شَخَصَ.

وقيلَ: هما بمعنى حَارَ؛ أي: تحيَّرَ.

* * *

(٨) ـ ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾: ذهبَ ضوؤُهُ.

ابنُ كيسانَ: غابَ، مِن قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ [القصص: ٨١][2].

* * *

(٩) ـ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾؛ أي: جُمِعَا في ذهابِ ضوئِهِمَا.

وقيلَ: يُجمَعَانِ كالثَّورين العقيرينِ فيُلقَيانِ في النَّارِ.

وقيلَ: يدرِكُ أحدُهُما الآخرَ بخلافِ الدُّنيا؛ لقوله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠].

مجاهدٌ: معناهُ: يُكوَّرانِ[3]، من قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١].

---

(١) قرأ نافع بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦١)، و«التيسير» (ص: ٢١٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٢٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٨٢).

وذكَّرَ الشَّمسَ حَملًا على النُّورِ، وقيلَ: لعطفِ القمرِ عليهِ، ويحتمِلُ أنَّهُ عَطَف فحَمَلَ على المعنى؛ أي: فجُمِعَ القمرانِ، وكرَّرَ ذِكرَ القَمَرِ لأنَّ الخبرَ عنه مختلِفٌ.

وقيلَ: القمرُ الأوَّلُ بياضُ العينِ، وفيهِ بُعدٌ[1].

***

(١٠) ـ ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: اسمُ الجنسِ ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ قيلَ: عن اللهِ استحياءً منهُ، وقيلَ: عن جهنَّمَ. والمفَرُّ المصدرُ، والمَفِرُّ بالكسرِ: المكانُ، والمِفَرُّ الجادُّ، وهما في القراءةِ من الشَّواذِّ[2].

***

(١١) ـ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾.

﴿كَلَّا﴾: ردعٌ عن تمنِّي الفِرَارِ ﴿لَا وَزَرَ﴾: لا حِرزَ لهم، والوَزَرُ: ما لَجَأَ إليهِ الإنسانُ من ملجأٍ أو مَنجًى أو جبلٍ، قال الشاعر:

لعمرُكَ ما للفتى من وَزَرْ ... منَ المَوتِ يُلْجِئُهُ والكِبَرْ[3]

***

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٠)، واستغربه.

(٢) نسبت القراءة بفتح الميم وكسر الفاء للحسين بن علي وابن عباس والحسن بن يزيد وعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ لابن خالويه (ص: ١٦٥). ونسبت القراءة بكسر الميم وفتح الفاء للزهري. انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٣٤١).

(٣) البيت لابن الذئبة كما في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٧)، ودون نسبة في «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٢٠٧). وابن الذئبة اسمه: ربيعة، والذئبة أمه وأبوه عبد ياليل بن سالم، شاعر فارس. انظر: «المؤتلف والمختلف» للآمدي (ص: ١٥٢).

(١٢) ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾: المنتَهى؛ إذا جعلْتَـهُ مصدرًا، وإنْ جعلتَـهُ مكانًا فالجنَّةُ أو النَّـارُ؛ أي: لا يُنَزَّلُ أحـدٌ منزلَهُ إلَّا اللهُ.

* * *

(١٣) ـ ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما: ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من خيرٍ وشرٍّ ﴿وَأَخَّرَ﴾: سنَّ سنَّةً فعُمِل بها بعدَهُ(١).

عكرمةُ: ما قدَّمَ فعملَ، وما أخَّرَ فلم يعمل بهِ وكانَ عليهِ أن يعمَلَ بهِ(٢).

مجاهدٌ: بأوَّلِ عملهِ وآخِرِهِ(٣).

وقيلَ: ما قدَّمَ لدنياهُ وأخَّرَ لآخِرتهِ، وهوَ مسؤولٌ عنِ الجَميعِ؛ لأنَّ اللَّفظَ عامٌّ.

* * *

(١٤) ـ ﴿بَلِ الْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾.

﴿بَلِ الْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾: عالِمٌ بعملهِ شاهدٌ عليهِ، فالهاءُ دخلت للمبالغةِ كالعَلَّامةِ.

وقيلَ: عينٌ بصيرةٌ، فحُذفَ الموصوف.

وقيلَ: ذو بصيرةٍ، فحُذفَ المُضافُ.

وقيلَ: البصيرةُ رفعٌ بالابتداءِ، وخبَرُهُ ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ تقدَّمَ عليهِ، والجملةُ خبرُ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٤) بلفظ: «بما قدم من الشر وأخر من الخير».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٨٣).

المبتدأ الأوَّلِ؛ كما تقول: زيدٌ على رأسهِ عِمامةٌ، والبصيرةُ على هذا الوجهِ: الملَكُ الموَكَّلُ عليهِ أو جوارحُهُ(١).

وقيلَ: على نفسهِ علامةٌ ودلالةٌ، من قولِ الشَّاعرِ:

راحــوا بصائرُهــم عــلى أكـتافِهِــم وبصيرتي يعــدُو بهــا عتــدٌ وَأَى(٢)(٣)

***

(١٥) ـ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: المعاذيرُ: جمعُ مِعذار، وهو العُذرُ؛ أي: لو تكلَّمَ بعذرِهِ وجادَلَ واعتذَرَ، وعُذْرُه قولُه: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ الآية [الأحزاب: ٦٧].

ابن عيسى: المعَاذيرُ: ذكرُ موانعَ تقطعُ عنِ الفعلِ المطلوبِ.

الضَّحاكُ: ﴿أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: أرخَى ستورَهُ(٤)، والمعذارُ: السِّترُ، قالَ الشاعرُ:

ولكنَّهــا ضنَّــت بمنــزلِ ســاعــةٍ فغابَتْ وألقَــتْ دُونَهــا بالمعــاذِرِ(٥)

ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: تجرَّدَ عن ثيابِهِ(٦).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٠)، واستغربه.

(٢) في (ن): «عتدٌ وعدو أي».

(٣) البيت للأسعر بن حمران الجعفي. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٣٨)، و«الأصمعيات» (ص: ١٤١)، و«الوحشيات» (ص: ٤٤). والعَتِد والعَتَد: الفرسُ المُعَدّ للرُّكُوب. والوأى: الشديد الصلب.

(٤) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٢)، وابن معين في «تاريخه» (٤/ ٤٣)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١/ ٣٩١).

(٥) البيت بلا نسبة في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٥)، و«تفسير القرطبي» (١٩/ ١٠٠).

(٦) رواه العجلي في «الثقات» (٢/ ٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩٥) بلفظ: «لو تجرد»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨١)، واستغربه.

وقيلَ: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: سَكَتَ عنها لم يَنفَعْه[1].

* * *

(١٦) ـ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ هذا اعتراضٌ بينَ قولِهِ: ﴿أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ وبينَ قولِه: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾، وذلكَ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا أتاهُ الوحيُ تلاهُ قبلَ فراغِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ مخافةَ أن يَنْفَلِتَ منهُ شيءٌ، فأنزلَ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾[2]؛ أي: بالقرآنِ ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾: لتحفظَهُ مستعجلًا.

وقيلَ: كانَ النبيُّ ﷺ يكثرُ قراءةَ القرآنِ مخافةَ النِّسيانِ، فأنزلَ اللهُ هذهِ الآيةَ[3]. والأوَّلُ أظهرُ.

وقال بعضُهم: هذا يقوِّي قولَهُ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾.

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨١)، وعده من العجائب.

(٢) رواه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: « ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦] قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه... فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٧] قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] قال: فاستمع له وأنصت: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩] ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه». وفي رواية للبخاري (٤٩٢٧): «أن النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه يريد أن يحفظه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة.

(١٧) ـ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾؛ أي: أن نجمعَهُ في صدرِكَ ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: وأنْ نقرأَهُ عليكَ حتى يمكنَكَ تلاوتُهُ.

قتادة: علينا تأليفُهُ على ما نزلَ عليكَ[١].

* * *

(١٨) ـ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: إذا أنزلناهُ فاتَّبِعْ قراءتهُ[٢].

قتادة: إذا تُلِيَ عليكَ فاتَّبِعْ أحكامَهُ[٣].

الحسن: إنَّ علينا أن نجزيَ بهِ يومَ القيامةِ على ما قلنا في الدُّنيا من الوَعدِ والوَعيدِ[٤].

وقيل: يريدُ[٥] بيانَ ما يتضمَّنُهُ من الأخبارِ عمَّا كانَ وسيكونُ كقولِهِ: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨].

وقيلَ: هذا خطابٌ للعبدِ يومَ القيامةِ، والهاءُ يعودُ إلى كتابِ العبدِ؛ أي: لا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠١) بلفظ: «حفظه وتأليفه»، وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٦).

(٢) في (ن): «قرآنه». ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٣) بلفظ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾: فإذا أنزلناه إليك ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: فاستمع قرآنه. وفي رواية: فاستمع له. وفي رواية: إذا تُلي عليك فاتَّبعْ ما فيه. قال الطبري: فقد صرَّح هذا الخبرُ عن ابن عباس: أنّ معنى القرآن عنده: القراءة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٣) بلفظ: «اتبع حلاله واجتنب حرامه».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٧١).

(٥) «وقيل» من (ن).

تعجلْ فإنَّ علينا أن نجمعَ أفعالَكَ في صحيفتِكَ وقد فُعِلَ، وعلينا أن نقرأَ عليكَ كتابكَ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾؛ هل غادرَ شيئًا أو احتوى على زيادةٍ؟

***

(١٩) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: إظهارَ الجزاءِ عليهِ.

***

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾.

﴿كَلَّا﴾؛ أي: لا تنسَ القرآنَ، وقيلَ: يعودُ إلى إنكارِهمْ للبعثِ، وقيلَ: افتتاحُ كلامٍ.

﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾: الدُّنيا وشهواتِها ﴿وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: الدَّارَ الآخرةَ ونعيمَهَا.

***

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾: حسنةٌ متهلِّلَةٌ فيها أثرُ النِّعمةِ والحُبورِ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: الجمهورُ على أنَّ المرادَ به رؤيةُ اللهِ تعالى.

وقيلَ: هوَ بمعنى الانتظارِ، وهو بعيدٌ من وجهينِ:

أحدهما: أن (إلى) لا يستعملُ معَ النَّظرِ إذا كانَ معناهُ الانتظارُ، كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

والثاني: أنَّ الانتظارَ لا يضافُ إلى الوجهِ.

وقولُ مَن جعلَ ﴿إِلَىٰ﴾ واحدَ الآلاءِ إلغازٌ، وكلامُ[1] اللهِ منزَّهٌ عن ذلكَ[2].

* * *

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: مقطِّبةٌ كريهةٌ ﴿تَظُنُّ﴾: تُوقِنُ؛ أي: أصحابُ الوجوهِ ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: نازِلٌ بها أشدُّ العذابِ، والفاقرةُ: الداهيةُ الكاسرةُ لفَقَارِ الظَّهرِ.

الأخفشُ: الفاقرةُ من السِّمَةِ التي تفقِرُ الأنفَ؛ أي: تَحُزُّ فيهِ، يقالُ: فَقَرَ يَفقِرُ ويَفْقُرُ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾.

﴿كَلَّآ﴾: افتتاحُ ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾؛ أي: بلغتِ الرُّوحُ، كنَّى عنها ولم يتقدَّم ذكرُها لأنَّ الآيةَ تدلُّ عليها، و﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾: جمعُ تَرْقُوَةٍ، وهيَ العظمُ المشرِفُ على الصَّدرِ، وهما ترقوَتانِ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾.

﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾: هذا قولُ مَن يحضرُهُ؛ أي: هل طبيبٌ يداويهِ؟ أو هل راقٍ يَرْقي فيَشْفَى برُقيتِهِ؟

وقيلَ: هذا من كلامِ المحتَضَرِ.

---

(١) في (ن): «وقول».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٢)، وعده من العجائب، وفيه: «العجيب: ﴿إِلَىٰ﴾ في الآية بمعنى النعمة، وما بعده مجرور بالإضافة؛ أي: منتظرة نِعَمَ ربها، وهذا بعيد سحيق».

وقيلَ: إنَّهُ من كلامِ الملائكةِ؛ أي: أملائكةُ الرَّحمةِ يؤمرونَ برَقيِ روحِهِ أم ملائكةُ العذابِ؟ وهذا قولُ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا[1].

وقيلَ: هذا على الإياسِ؛ أي: مَن هذهِ الحالَةُ حالُه؟

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾: وأَيْقنَ أنَّ الذي نزلَ بهِ الفراقُ من الدنيا والأهلِ والمالِ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾: الْتَفَّتْ: الْتَصَقتْ، وأكثرُ المفسِّرينَ على أنَّ المُرادَ بالسَّاقِ: الشِّدةُ، والتفافُ السَّاقِ: نهايةُ الدُّنيا ﴿بِٱلسَّاقِ﴾: ببدايةِ الآخرةِ.

الحسن: أي: ماتت ساقاهُ فلم تحمِلاهُ إلى شيءٍ وكانَ عليهما جوَّالًا[2].

وقيلَ: كثُرَتْ عليهِ الشَّدائدُ.

وقيلَ: لُفَّت ساقاهُ في الكَفَنِ[3].

السُّدِّيُ: أرادَ: يَبَسَها عندَ الموتِ[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٨).

(٢) لم أجده عن الحسن، وهو في «الدر المنثور» (٨/ ٣٦١) عن أبي قلابة.

(٣) رواه وكيع في «الزهد» (٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٩) عن الحسن بلفظ: «هما ساقاك إذا التفَّتا في الكفن».

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥١٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢١) عن السدي عن أبي مالك.

(٣٠) ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾: هو مصدرُ ساقَهُ، والمعنى: يسوقُ كاتبُ السَّيئاتِ صاحبَهُ إلى حكمِ اللهِ في القيامةِ، ويشهدُ عليهِ كاتبُ الحسَنَاتِ.

وقيلَ: مساقُ العبدِ(١) إلى حيثُ أمرَ اللهُ؛ إمَّا إلى جنَّةٍ، وإمَّا إلى نارٍ، وإمَّا إلى علِّيينَ، وإمَّا إلى سجِّين.

* * *

(٣١) ـ ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾: الجمهورُ على أنَّها نزلت في أبي جهلٍ(٢).

وقيلَ: راجعٌ إلى السَّائلِ: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؟.

و(لا) بمعنى: لمْ؛ أي: لم يصدِّقْ بكتابِ اللهِ ولا بنبيِّهِ ﷺ، ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ للهِ عبادةً، وحسَّن دخولَ ﴿لَا﴾ على الماضي تكرارُه؛ كما تقول: لا قامَ ولا قعدَ.

وعن الحسنِ: لم يتصدَّق ولمْ يصلِّ(٣).

وقيلَ: ﴿صَلَّىٰ﴾ من قولِ الشَّاعرِ:

تَلْـقَ السَـوابِقَ منَّـا والمصَلِّينَـا(٤)

---

(١) في (ف): «العباد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٤) عن ابن زيد.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٢)، واستغربه.

(٤) عجز بيت وصدره:

إن تُبتَـدَرْ غايـةٌ يومـاً لمَكْرُمـةٍ

ونسب لنهشل بن حري، كما في «الشعر والشعراء» (٢/ ٦٢٣)، و«عيار الشعر» (ص: ١٠٤)، و«زهر الآداب» (٤/ ١١٥٩). =

والمعنى: لم يتَّبِعِ الرَّسولَ[1].

***

(٣٢) ـ ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾: نبيَّ اللهِ وكتابَهُ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: عن طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسولِهِ.

***

(٣٣) ـ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾: يتبخترُ، وأصلُهُ: يتمطَّطُ، قُلِبَ الأخيرُ لاجتماعِ ثلاثةِ أحرفٍ متماثلةٍ ياءً، وهذا بابٌ واسعٌ، وقيلَ: هوَ من المطَا، وهو الظَّهرُ؛ أي: حرَّكَ مطَاهُ في مِشيتِهِ.

***

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾: العربُ تستعملُ هذهِ اللَّفظةَ للتهديدِ والوعيدِ كما في الآيةِ، وقد يُستعملُ للتعجُّبِ، واختُلِفَ في وزنِهِ:

فذهبَ بعضُهم إلى أنَّهُ فِعْلٌ؛ أي: أولاكَ عملُكَ أو الزَّبانيَةُ المكروهَ، واللامُ زيادةٌ، كقولِه: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]، وكذلكَ الثَّاني؛ لكنَّه حَذَفَ (لَكَ) لأنَّ الأوَّلَ يدلُّ عليهِ.

= ولبشامة بن حزن النهشلي، كما في «عيون الأشعار» (١/ ٢٨٧)، و«المؤتلف والمختلف» (ص: ٨١). ولأبي مخزوم النهشلي، كما في «الكامل» (١/ ٩٥)، و«الحماسة المغربية» (١/ ٦٢٦). وانظر الخلاف في نسبته في «خزانة الأدب» (٨/ ٣١٢).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٢)، وعده من العجائب.

وقال بعضهم: هو اسمٌ، ووزنُهُ: أفعَلُ، وهو معرفةٌ، والمعنى: الذمُّ أولى لكَ من تركِهِ، فهو خبرُ المبتدَأِ، وقيلَ: هو الذمُّ[1]؛ أي: الذَّمُّ لكَ، فيكونُ الذَّمُّ مبتداً، و﴿لَكَ﴾ خبرُهُ، وحُذِفَ من الثاني.

وقال بعضُهم: هو (أفعَلُ) من (الوَيلِ) بعدَ القَلبِ، كمَا قيلَ في (أدنى): إنَّهُ (أفعَلُ) من لفظِ دونَ.

وقيلَ: هو (فَعْلَى) من آلَ يؤُولُ؛ أي: عُقبَاكَ النَّارُ.

وقولُ الزَّجَّاجُ: معناهُ: وليكَ المكرُوهُ[2]. هوَ القولُ الأوَّلُ.

والتَّكرارُ للتأكيدِ، وقيلَ: أولَى لكَ الموتُ؛ فأولى لكَ العذابُ في القبرِ، ثمَّ أولى لكَ هولُ القيامَةِ؛ فأولى لكَ عذابُ النَّارِ على الدَّوامِ.

***

(٣٦) - ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: أيحسبُ الكافرُ أن يتركَ مهمَلًا لا يُؤمَرُ ولا يُنهَى ولا يُجَازى بعملِهِ؟ وقيلَ: أن لا يُبعَثَ؟

الحسنُ: ﴿يُتْرَكَ سُدًى﴾: سَرمَدًا في الدُّنيا دائمًا لا يموتُ[3].

***

(٣٧) - ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ﴾: النُّطفةُ والمَنِيُّ: ماءُ الرَّجلِ ﴿يُمْنَىٰ﴾: يُصبُّ في الرَّحِمِ، والمنيُّ مشتَقٌّ من المَنَى، وهو القَدَرُ.

---

(١) في (ن): «للذمِّ».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٤).

(٣) لم أجده.

(٣٨) ـ ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾؛ أي: صارَ المنيُّ قطعةَ دمٍ جامدٍ بعدَ أربعينَ يومًا ﴿فَخَلَقَ﴾؛ أي: فقدَّرَهُ اللهُ تعالى ﴿فَسَوَّىٰ﴾: فسوَّاهُ إنسانًا.

* * *

(٣٩) ـ ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾؛ أي: من هذا الإنسانِ، وقيلَ: ﴿مِنْهُ﴾ يعودُ إلى المَنِيِّ.

﴿الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾؛ أي: خلقَ منهُ أولادًا ذكورًا وإناثًا.

* * *

(٤٠) ـ ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: مَن قدَرَ على إيجادِهِ بهذهِ الصِّفَةِ ابتداءً يقدرُ على إعادتِهِ؛ إذ ليسَ إعادتُهُ بأصعبَ من ابتدائِهِ، ورويَ مرفوعًا أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا قرأَ هذهِ الآيةَ قال: «سبحانَكَ اللهمَّ بلى»[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٨) عن قتادة قال: ذُكِرَ لنا أنَّ نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك وبلى».

ورواه أبو داود (٨٨٤)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٦٢٤)، عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾، قال: سبحانك فبلى. فسألوه عن ذلك، قال: سمعته من رسول الله ﷺ. ورجاله ثقات إلا أن موسى بن أبي عائشة لم يرو عن أحد من الصحابة، وروايته إنما هي عن التابعين، وقد ذكروا أنه كثير الإرسال، ويؤيد هذا رواية أبي عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥١) عن موسى بن أبي عائشةَ، عن رجلٍ، عن آخرَ، عن آخرَ: أنه كان يَقرأ فوق بيتٍ له... الحديث.

ورواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٠)، عن =

= ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً بلفظ: «سبحانك اللهم وبلى». وهكذا رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٠٥١) لكن دون واو قبل «بلى».

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٣٩١)، وأبو داود (٨٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «فليقل: بلى».

سُورَةُ الإِنسَانِ

إحدى وثلاثون آيةً[1]، مدنيَّةٌ. وقيلَ: مكيَّةٌ[2].

وقيلَ: مكيَّةٌ إلى قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ والباقي مَدنيٌّ[3].

ويقال لها: «سورة الدَّهرِ» أيضًا.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾: هذا استفهامُ تقريرٍ، والمعنى: ألَمْ يأتِ؟

وقيلَ: ﴿هَلْ﴾ هاهنا بمعنى: قدْ، والإنسانُ آدمُ عليهِ السَّلامُ، والحينُ في الآيةِ زمانٌ محدودٌ، وهو أربعونَ سنةً.

قال ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: خلقَ اللهُ آدمَ عليهِ السَّلامُ من تُرابٍ فأقامَ أربعينَ سنةً، ثمَّ من طينٍ أربعينَ سنةً، ثمَّ من صَلصَالٍ أربعينَ سنةً، ثمَّ من

---

(١) «إحدى وثلاثون آية»: ليس في (ف).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦١) عن ابن عباس ومقاتل والكلبي.

(٣) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦١)، وعنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٧٤) هذا القول معكوسًا فقال: «وقال آخرون فيها مكي من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ إلى آخرها، وما تقدم مدني».

حمأٍ مسنونٍ أربعينَ سنةً، ثمَّ خلقهُ بعدَ ستينَ ومئةِ سنةٍ(١).

ولو لم يكن محدودًا لَمَا قال: ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾.

وقيلَ: هو غيرُ محدودٍ، وقوله: ﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾؛ أي: عليهِ في علمِ اللهِ = ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾، وقيل: لم يكنْ شيئًا أصلًا، وقيل: كان ولم يكنْ مذكورًا(٢).

وقيلَ: الإنسانُ: بنو آدمَ، والحينُ: مدَّةُ لُبثِهِ في بطنِ أمِّهِ تسعةَ أشهرٍ إلى أنْ صارَ شيئًا مذكورًا(٣).

ويحتملُ أن ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ عامٌّ، و﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ زمانُ فترةِ الرُّسُلِ بعدَ عيسى عليهِ السَّلام ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾؛ أي: لم يُذكَرُوا بوحيٍ ولم يبعث إليهم رسولٌ في تلكَ المُدَّةِ، واللهُ أعلمُ.

والدَّهرُ أعمُّ من الحينِ؛ فإنَّ الحينَ جزءٌ(٤) منهُ.

الحسنُ: خَلَقَ أصولَ الأشياءِ في الأيَّامِ السِّتَّةِ، ثمَّ خَلَقَ آدمَ عليهِ السَّلامُ فكانَ غيرَ مذكورٍ في جملةِ المخلوقاتِ(٥).

وقيلَ: آخرُ شيءٍ خلقهُ اللهُ آدمُ صلواتُ اللهِ عليهِ.

***

(٢) ـ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: بَني آدمَ ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: مِن منيٍّ ﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاطٍ،

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٨)، والقرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١١٩).

(٢) «وقيل لم يكن شيئًا أصلاً وقيل كان ولم يكن مذكورًا» من (ف).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٥)، واستغربه.

(٤) في (ف): «كان الحين جزءًا» بدل: «فإن الحين جزء».

(٥) لم أجده.

واحِدهـا: مَشِـج، وقيـل: مشـيج، وقيـلَ: (مَشَـج) بفتحتَيـن، مُشـتقٌّ مِـن مَشَـجتُ الشَّـيء؛ أي: خَلَطْتُـه، والمـرادُ بهـا: مـاءُ الرَّجُـلِ ومـاءُ المـرأةِ.

وقيلَ: لأنها تنتقِلُ أحوالًا: نطفةً ثمَّ علقةً... إلى آخِرَ تمامِ الخِلقَةِ[1].

وقيـلَ: لاختـلافِ ألوانهـا؛ لأنَّ مـاءَ الرجـلِ أبيـضُ، وماءَ المـرأةِ أخضـرُ، ثمَّ يخضرَّ ان.

وقيلَ: ماءُ المرأةِ أصفرُ.

وقيلَ: الأمشاجُ: العروقُ التي تُرى في النُطفة[2].

ابنُ عيسَى: الأمشاجُ: الحرارةُ والبُرودةُ، والرُّطوبةُ واليُبوسةُ؛ ولهذا جُمعَ[3].

وقيلَ: إنَّما جُمعَ كقولهم: بُرْمَةٌ أعشارٌ وثوبٌ أسمالٌ[4].

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾: نختبرهُ بالتَّكليفِ، وهوَ حالٌ؛ أي: خلقناهُ مبتلِينَ، ويحتمِلُ أن يكونَ حالًا من ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾؛ أي: خلقناهُ مبتلًى[5].

---

(١) في (ف): «الخلق».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٥) واستغربه.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٤) عن أهل المعاني، وعده المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٦) من العجائب.

(٤) قوله: «بُرمة أعشار»، البُرمة: القِدْر، وبُرمةٌ أعشار: إذا انكسرت قطعاً، وقوله: «وبُرد أسمال»، السَمَلُ: الخَلَقُ من الثياب، أخلق الثوبُ: إذا بلي. وقالوا أيضاً: «ثوب أخلاق» يَصِفون به الواحدَ إذا كانت الخُلُوقة فيه كلِّه، كما قالوا: «حبْلٌ أَرْمامٌ» و«أرضٌ سَباسِب». انظر: «الصحاح» و«اللسان» مادة: (عشر وخلق وسمل)، و«الكشاف» (٤/ ٦٦٦)، وقال الزمخشري: «وهي ألفاظ مفردة غير جموع، ولذلك وقعت صفات للأفراد».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٦)، واستغربه.

وقيلَ: لنبتليَهُ، فحذفَ اللَّام وسكَّنَ الياء، والمعنى عليهِ.

ويحتملُ أن يكونَ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: نحنُ نبتليهِ.

﴿فَجَعَلْنَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: هو السَّمعُ والبصرُ الظَّاهرانِ، وقيلَ: العقلُ.

قال الفرَّاءُ: وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أيْ: جعلناهُ سميعًا بصيرًا لنبتليهِ(١).

وزيَّفهُ بعضهم فقال: إرادةُ التكليفُ أوجبت كونَهُ سميعًا بصيرًا(٢).

* * *

(٣) ـ ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ﴾: سبيلَ الخيرِ والشَّرِّ.

وقيلَ: نَصَبْنا الأدلَّة.

وقيلَ: سبيلَ المعاشِ.

وقيلَ: سبيلَ خروجهِ من الرَّحمِ.

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾؛ أي: هديناهُ شاكرًا أو كفورًا، فهما حالانِ من الهاءِ.

و﴿إِمَّا﴾ يأتي للجزاءِ؛ أي: شَكَرَ أو كَفَرَ فقد هديناهُ، ويأتيَ للتخييرِ؛ أي: فلْيَخْتَرْ إمَّا هذا وإما ذاك فقد هُديَ السبيلَ.

* * *

(٤) ـ ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَفِرِينَ سَلَسِلَا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا﴾.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَفِرِينَ﴾: الإعتادُ والإعدادُ في اللُّغةِ: تحصيلُ الشيءِ لوقتِ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٦)، واستغربه.

(٢) ذكر المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٦) هذا التزييف لقول الفراء، وعده من العجائب.

الحاجةِ إليهِ ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾: جمعُ سلسلةٍ الواحدُ منها سبعونَ ذراعًا ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾: جمعُ غِلٍّ؛ وهو القيدُ الذي يَجمعُ اليمينَ والعنقَ[1] ﴿وَسَعِيرًا﴾: نارًا موقَدةً.

* * *

(٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾: جمعُ بارٍّ ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾: خمرٍ، وقيلَ: هي إناءٌ فيهِ خمرٌ يأخذونَها كأسًا ويردُّونها إناءً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: ما يمزَجُ بها ﴿كَافُورًا﴾ قيلَ: هو اسمُ ماءٍ.

وقيلَ: يُمزَجُ بالكافورِ لبَردِهِ وعذوبتِهِ وطيبِ عَرْفِهِ.

وقيلَ: يخلطُ برائحةِ الكافورِ[2].

* * *

(٦) ـ ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يَرْوَى، والعينُ: ينبوعُ الماءِ، ويستعملُ للماءِ، ونصبُهُ يجوزُ أن يكونَ بدلًا من (الكافورِ) إذا جعلتَهُ اسمَ ماءٍ، أو صفةً لـ(لكأسِ) على المحلِّ، ويجوزُ أن ينتصبَ بـ(يشربون)[3]، ويجوزُ أن يكونَ حالًا من ضميرِ (الكأسِ).

ويجوزُ أن ينتصبَ على المدحِ[4].

---

(١) في (ف): «والشمال».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٦)، وعده من العجائب.

(٣) أي: نصب بـ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾، كما تقول: زيدًا مررت به. قاله المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٧) واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٧) عن الأخفش، وعده من العجائب.

وقوله: ﴿بِهَا﴾: الباء: زيادةٌ؛ أي: يشربها.

وقيلَ: بمعنى: مِن؛ أي: يشربُ منها.

وقيلَ: بمعنى: في؛ أي: يشربُ في ذلكَ الموضِعِ؛ كما تقول: شربتُ ببغدادَ، قال:

شَـربَتْ بمـاءِ الدُّحْرُضَيْـنِ فأصبَحَـتْ[1]

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: يفتحونها إليهم ويُجْرُونَها حيثُ يريدونَ، وقيلَ: يفجِّرونها في الكأسِ.

***

(٧) ـ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾؛ أي: يوفونَ بنذورِهمُ التي نذروها في طاعةِ اللهِ، والنَّذْرُ: وعدٌ بطاعةٍ مؤكَّدٌ[2] بعَقدٍ.

---

(١) صدر بيت لعنترة، وعجزه:

زوراءَ تَنْفِـرُ عَـنْ حِيـاضِ الدَّيْلَـمِ

انظر: «ديوان عنترة» (ص: ٢٠١)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٥٨). وذكره ابن قتيبة في «أدب الكاتب»(ص: ٥١٥)، و«تأويل مشكل القرآن» (ص: ٣٠٢) شاهداً على مجيء الباء بمعنى (مِن)، وكذا شرح ابن الأنباري في «شرح القصائد السبع الطوال» (ص: ٣٢٤)، وفيه: قوله: «شربت بماء الدحرضين» أراد: من ماء الدحرضين، فالباء بمعنى مِن، حُكي عن العرب: سقاك الله بحوض الرسول؛ أي: من حوض الرسول ﷺ. و(الدحرضان): ماءان يقال لأحدهما: دحرض، وللآخر: وسيع، فلما جمعهما غلَّب أحدَ الاسمين، ومعنى البيت: شربت بماء الدحرضين فهي به آمنة ريًّا تنفر عن حياض الديلم؛ أي: مياه الديلم، والديلم عند الأصمعي: الأعداء وإن كانوا غرباء، وهذا كما يقال للأعداء: كأنهم الترك والديلم، يريد أن عدواتهم كعداوة أولئك.

(٢) في (ن): «مؤكدة».

وقيلَ: النَّذرُ: هو الوفاءُ بما ألزمَ اللهُ تعالى من العباداتِ.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾: شدائدُهُ ﴿مُسْتَطِيرًا﴾: فاشيًا ممتدًّا بالغًا أقصى المبالغِ، من قولهم: استطارَ الفجرُ، واستطارَ الحريق[1].

***

(٨) ـ ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾؛ أي: على حبِّ الطَّعامِ وعِزَّتِهِ.

وقيلَ: هو على حبِّ الإطعامِ[2].

وقيلَ: على حبِّ اللهِ، فيكونُ المصدرُ مُضافًا[3] إلى المفعولِ.

ويحتمِلُ: على حبِّ اللهِ الإطعامَ؛ فيكونُ المصدرُ مُضافًا إلى الفاعلِ.

﴿مِسْكِينًا﴾: هو الذي ضَمَّ إلى فقرِهِ الذِّلَّةَ وانقطاعَ المعونةِ.

﴿وَيَتِيمًا﴾: هو الذي فقدَ أباهُ قبلَ الحُلُمِ إلى الحُلُمِ.

﴿وَأَسِيرًا﴾: يريدُ: أسرى الكفَّارِ والمؤمنينَ، وقيلَ: العبيدُ والإماءُ.

***

(٩) ـ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يضمِرونَ هذهِ الآياتِ في أنفسهم، وليس المعنى أنَّهم تكلَّموا بها.

---

(١) في (ن): «النار».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٧)، واستغربه.

(٣) في (ف): «على حب الله مصدر مضاف».

قوله: ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لطلَبِ ثوابِهِ.

المفضَّل: الوجهُ: القصدُ إلى الشَّيءِ والعملُ فيهِ.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾: مكافأةً ﴿وَلَا شُكُورًا﴾: ولا أن يُثْنَى بهِ علينا، وهو مصدرُ شَكَرَ، وقيلَ: جَمعُ شُكرٍ؛ أي: شُكرًا بعدَ شُكرٍ.

***

(١٠) ـ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾: عذابَ يومٍ ﴿عَبُوسًا﴾: تَعبسُ فيهِ الوجوهُ، وقيلَ: ضيِّقًا كريهًا.

﴿قَمْطَرِيرًا﴾: أشدُّ ما يكونُ من الأيَّام وأطولُها، وكذلكَ: قَماطِرُ؛ أي: شرُّهُ ملتفٌّ، وأصلُهُ من قولِ العربِ: اقْمَطرَّتِ النَّاقةُ؛ إذا رفعت ذَنبَهَا وجمعت بينَ طرفَي ذَنبِهَا.

وقيلَ: كلاهما من صفةِ وجهِ الإنسانِ في ذلكَ اليومِ؛ والعُبوسُ بالشَّفتينِ، والقمطريرُ بالجبهةِ والحاجبينِ، حكاهُ الماورديُّ[1].

وسُئلَ الحسنُ عن القمطريرِ فقال: سبحانَ اللهِ ما أشدَّ اسمَهُ! وهوَ أشدُّ من اسمِهِ[2].

***

(١١) ـ ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾؛ أي: صانَهم من شدائدِهِ ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾؛ أي: في الوجوهِ، وهي أثرُ النِّعمةِ، وحسنُ اللَّونِ والبهاءِ ﴿وَسُرُورًا﴾: وفرحًا في القلوبِ.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٦/ ١٦٧)، وعزاه لمجاهد.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٧)، واستغربه.

(١٢) ـ ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ أي: بصبرهم ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾: أدخلهمُ الجنَّةَ وألبسَهمُ الحريرَ.

وقيلَ: الحريرُ كنايةٌ عن لِيْنِ العَيشِ[1].

* * *

(١٣) ـ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: على السُّرُرِ في الحجالِ، واحدُها: أريكةٌ، وهيَ السَّريرُ عليهِ قبَّةٌ من حريرٍ، وقيلَ: الأريكةُ: ما يُتَّكأُ عليهِ.

و﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ نصبٌ على الحالِ من ﴿جَزَاهُمْ﴾.

وقيلَ: حالٌ عنِ الجنَّةِ[2]، وفيهِ ضعفٌ؛ لأنه يستدعي إبرازَ الضَّميرِ.

وقيلَ: نصبٌ على المدحِ[3].

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ أي: لا ينالونَ في الجنَّةِ حرًّا ولا بردًا[4].

وقيلَ: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾؛ لأنهم في ضياءٍ مستديمٍ لا شمسَ فيها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ عطفٌ على المعنى؛ لأنَّ الزَّمهريرَ لا يُرى، والتقديرُ: لا ينالونَ زمهريرًا، وهو البَرْدُ الذي يأتي على الأطرافِ من شدَّتِهِ.

وقيلَ: الزَّمهريرُ: القمرُ، فيكونُ عطفًا على الرُّؤيةِ، وأنشدَ ثعلبُ:

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، وعده من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، واستغربه.

وليلـةٍ ظلامُهـا فيهـا اعتَكَـرْ   قطَعتها والزَّمهَرِيـرُ مـا زَهَـرْ[١]

***

(١٤) ـ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾؛ أي: قَرُبت أشجارُ الجنَّةِ منهم حتَّى صارت كالمِظلَّةِ عليهم وإن لم يكن هناكَ شمسٌ.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾: سُـهِّلَت لهـم فينالونَهـا كيـفَ شـاؤوا، من (الـذِّلِّ) ضدِّ الصُّعوبـةِ، و﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارُهـا.

و﴿دانية﴾: نصبٌ على الحالِ، عطفٌ على ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾.

وقيلَ: صفةٌ للجنَّةِ، فتكونُ الواوُ زيادةً.

أبو عليٍّ: وجنةً دانيةً، فحُذفَ الموصوفُ، ومثلُهُ في المعنى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦][٢].

في نزولِ هذهِ الآياتِ قولان:

أحدهما: نزلت في عليِّ بنِ أبي طالبٍ وفاطمةَ رضيَ اللهُ عنهما[٣].

---

(١) رواه عن ثعلب: الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٢١)، وذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦٩)، وأبو موسى المديني في «المجموع المغيث» مادة: (ز م هـ ر)، وفيه: أي: لم يطلع القمر. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، وعده من العجائب.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٨)، واستغربه.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٨ ـ ١٠٢) وذكر له قصة طويلة. وقد أفاض ابن تيمية في «منهاج السنة» (٧/ ١٧٥ ـ ١٨٧) في بيان وجوه بطلانها. ونقل السيوطي في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (١/ ٣٤١) عن الحكيم الترمذي قال: «هذا حديث مفتعل».

والثاني: نزلت في مُطعِمِ بنِ ورقاءَ الأنصاريِّ[١].

***

(١٥) ـ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾: الطَّوفُ: الدَّورُ بالتنقُّلِ من واحدٍ إلى آخرَ؛ أي: يُديرُ عليهم خدمُهم كؤوسَ الشَّرابِ وهي من فضةٍ، وقيل: أواني بيوتِهم من فضَّةٍ.

﴿وَأَكْوَابٍ﴾: جمعُ كوبٍ، وهو الإبريقُ لا عروةَ لهُ.

مجاهدٌ: الأقداحُ[٢].

﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾: القوارير: الزُّجَاجُ.

***

(١٦) ـ ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾.

﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾؛ أي: في صفاءِ[٣] فضَّةٍ، فحذفَ المضافَ، وقيلَ: لها صفاءُ الزُّجَاجِ ورِقَّتُهُ وبياضُ الفضَّةِ، فناهيكَ حسنًا ولطافةً.

وقيلَ: كانت قواريرَ، فحوَّلها اللهُ فضَّةً.

وقيلَ: إذا شابهَ الشيءُ الشيءَ قيلَ: هوَ هوَ، قال:

فهـنَّ إضـاءٌ صافيـاتُ الغلائـلِ[٤]

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٥٦).

(٣) في (ف): «أي من منا».

(٤) عجز بيت للنابغة، وصدره:

عُلِيـنَ بِكَدْيَـونٍ وأُبْطِـنَّ كُـرَّةً =

الزجَّاجُ: قواريرُ الدُّنيا من الرَّملِ، وقواريرُ الجنَّةِ منَ الفضَّةِ ومن صفائِها ونقائِها(١).

وقيلَ: القواريرُ: جمعُ قارورةٍ، وهيَ ما استدارَ من الأواني، وليست هاهنا اسمًا للزُّجاجِ(٢).

مَن نوَّن(٣) فلموافقةِ الآياتِ التي تقدَّمت والتي تأخَّرت، وقيلَ: جاءَ بها على الأصلِ المرفوضِ كاستَحْوذَ وأخواتِه، ومَن قالَ: تشبيهًا بإنشادِ بني تميمٍ، فسهوٌ؛ لأنَّ ذلكَ يكونُ في الوقفِ، وهذا يكونُ في الوَصلِ؛ لأنَّ مَن نوَّنها وقفَ بالألفِ عليها.

= انظر: «ديوان النابغة» (ص: ٩٤)، و«الجيم» (٣/ ١٧٦)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» (٢/ ٦٧٥)، و«المعاني الكبير» (٢/ ١٠٣٦)، وفيه: الكديون: دُرْدِيُّ الزيت، والكُرُّ: البعر تجلى به الدروع، (فهن إضاء)؛ أي: مثل الغدران، يقول: مسحن بعكَرِ الزيت ثم ألقيت الكُرة في الأوعية وجعلت فيها الدروع لئلا تصدأ ولا تختلَّ فيضرَّ ذلك بمساميرها، والغلائل الواحدة غلالة وهو الثوب يكون تحت الدرع وتكون مساميرَ الدروع، الواحد: غليلٌ فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، وإنما قيل: غليل؛ لأن المسمار غُلَّ في الحَلَق ثم أُدخل ثم جمع. وفي هامش (ن): «الغلائل: الثياب التي تحت الدرع». وفي التاج مادة: (أ ض ى): «أَرادَ: مثْلَ إضَاء، والأضاة: الغدير، أو أراد: وِضاء؛ أي: فهنَّ وِضاءٌ حِسَانٌ نِقاءٌ، ثم أبدل الهمزة من الواو».

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٩)، واستغربه، وعبارته: «الغريب: القارورة من الظروف ما استقر فيها المائع، وليست في الآية اسماً للزجاج».

(٣) قرأ نافع والكسائي وأبو بكر بتنوينهما ووقفوا عليهما بالألف، وابن كثير في الأول بالتنوين ووقف عليه بالألف والثاني بغير تنوين ووقف عليه بغير ألف، والباقون بغير تنوين فيهما، ووقف حمزة عليهما بغير ألف، ووقف هشام عليهما بالألف صلة للفتحة. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٧).

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾: الجمهورُ: جُعلَت على قَدْرِ رِيِّهم.

ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما: على قَدْرِ كفِّ الشَّارِبِ[1].

والواوُ ضميرُ الملائكةِ.

المبرِّدُ: قدَّروا في أنفسهم شيئًا وتمنَّوهُ فكانَ كما تمنَّوهُ.

وقيلَ: قُدِّرَت هذهِ الآنيةُ من فضَّةٍ على تقديرِ ما عُهِدَ من مثلِها منَ القواريرِ.

***

(١٧) ـ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾: الفرَّاءُ: الزَّنجبيلُ اسمُ للْعَينِ[2]، يشربُها المقربونَ صِرفًا، وتمزجُ لسائرِ أهلِ الجنَّةِ[3].

وقيلَ: دلَّ بذلكَ على لذاذةِ المقطَعِ[4].

ابنُ عيسى: إذا مُزِجَ الشرابُ بالزنجبيلِ فاقَ في الإلذاذِ[5].

وقيلَ: إنَّما قالَ ذلكَ لشدَّةِ ميلِ العربِ إلى الزَّنجبيلِ وكثرةِ وُلوعِها بهِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٥٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣١٢) بلفظ: «قدرت للكف».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٧).

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٦١) عن قتادة قال: «رقيقة يشربها المقربون صرفا، وتمزج لسائر أهل الجنة».

(٤) قال الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٤٠): «والمعنى: إنهم إذا شربوا هذا الرحيق ففني ما في الكأس وانقطع الشرب انختم ذلك بطعم المسك ورائحته، والمعنى لذاذة المقطع، وذكاء الرائحة وأرجها مع طيب الطعم».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٩).

(١٨) ـ ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾.

﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾: ﴿عَيۡنٗا﴾ بدلٌ من الزَّنجبيلِ عندَ الفرَّاءِ[١].

الزَّجَّاجُ: يُسقونَ عينًا، وسلسبيلٌ: اسمٌ للعينِ[٢]؛ لقوله تعالى: ﴿تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ وحقُّهُ أن لا ينصرفَ لاجتماعِ التعريفِ والتأنيثِ، لكنهُ صُرفَ كما صُرِفَ ﴿قَوَارِيرَا۠﴾.

وقيلَ: معناهُ: سَلِسٌ عذبٌ ماؤها.

وقيلَ: السلسبيلُ: الحديدُ الجَرْيِ، وقيلَ: السهلُ الصَّافي.

وإذا جُعلَ صفةً كانَ صفةً للْعينِ، ومعنى ﴿تُسَمَّىٰ﴾: تُذكَرُ؛ فيتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ[٣]، كما تقول: لم يسمَّ فاعلُهُ؛ أي: لم يُذكر.

وفي تفسيرِ ابنِ المباركِ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ هذهِ الروايةُ[٤] معناهُ: سلْ مِنَ اللهِ إليها سبيلًا[٥].

ويحتمِلُ أن يكونَ العينُ مسماةً بهذهِ الجملةِ كـ«تأبَّطَ شرًّا» و«بَرَقَ نحرُه».

ويحتمِلُ أَنْ يكونَ الكلامُ قد تمَّ على قوله: ﴿تُسَمَّىٰ﴾؛ أي: تُذكرُ، ثمَّ استأنفَ فقال: (سلْ سبيلاً)، واتصالُهُ في المصحفِ لا يمنعُ صِحَّةَ هذا التَّأويلِ لكثرةِ أمثالِهِ[٦].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٧)، وفيه: «ذكر أن الزنجبيل هو العين، وأن الزنجبيل اسم لها».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٩)، واستغربه، وضم إليه وجه البدل، وفيه: «الغريب: ﴿سَلۡسَبِيلٗا﴾ صفة للعين أو بدل، ومعنى ﴿تُسَمَّىٰ﴾: تُذكَرُ...».

(٤) «عن علي رضي الله عنه هذه الرواية»: ليس في (ف).

(٥) ذكره عن علي رضي الله عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧١).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٨٩)، وعده من العجائب. وقال أبو بكر الأنباري في =

(١٩) ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾: الجمهورُ على أنهم غلمانٌ يُنشئهمُ اللهُ لخدمةِ المؤمنينَ.

وقيلَ: همُ الأطفالُ؛ لتسميتهم وِلدانا، وهي من الوِلادَةِ.

﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: دائمونَ لا يشيبونَ، وقيلَ: مقرَّطونَ، وقيلَ: من السِّوار والخُلدةِ يجمعُها.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾: لبياضِهم وحسنِهم وصفائِهم ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾: وجَعَلهم منثورًا ـ والمنظومُ أحسَنُ ـ لكثرتهم وتردُّدِهم في مجيئِهم وذهابِهم.

***

(٢٠) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: الفرَّاءُ: رأيتَ ما ثمَّ[١]، وأنكرهُ الزَّجَّاجُ وقال: لا يجوزُ حذفُ الموصولِ وإقامةُ الصِّلَةِ مُقامَهُ، وجَعَلَ ﴿ثَمَّ﴾ مفعولًا به، و﴿رَأَيْتَ﴾ هوَ المتعدِّي إلى مفعولٍ واحدٍ[٢].

ويقوِّيهِ قولُ المبرِّدِ: وإذا رأيتَ الجنَّةَ.

ابنُ عيسى: رأيتَ الأشياءَ ثَمَّ[٣]، فالأشياءُ مفعولٌ بها، و﴿ثَمَّ﴾ ظرفٌ.

= «الزاهر» (٢/ ١٩٧): «وهذا عندنا خطأ؛ لأنه لو كان كذلك، لقطعت اللام من السين ولم توصل بها، ولبقي ﴿تُسَمَّىٰ﴾ غير واقع على منصوب، وسبيله أن يصحبه المنصوب، كقولك: المرأة تُسمّى هنداً، والجارية تُسمّى جُملاً، وغير جائز أن يقع على (سَلْ)؛ لأنّ (سَلْ) فعلٌ معناه الأمر، ولا يقع فعل على فعلٍ، فخلا ﴿تُسَمَّىٰ﴾ من المنصوب، واتصال اللام بالسين أكبر دليل على غلط القوم، وأوضح برهان على أنها حرف واحد، لا ينفصل بعضه من بعض».

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦١).

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ١٠٩) بلا نسبة.

قولُه: ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ جزاء الشَّرط.

قيلَ: وكِبَرُ ملكِهم أنَّهُ يدومُ ولا ينقطعُ، وتسلِّمَ عليهمُ الملائكةُ ويستأذنونَ في الدخولِ عليهم، وأن «أدناهم منزلةً مَن ينظُرُ في ملكِهِ في مسيرةِ ألفي عامٍ يَرى أقصاهُ كما يرى أدناهُ»[1].

***

(٢١) ـ ﴿عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.

﴿عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾؛ أي: يعلوهم ثيابُ الحريرِ، والسُّندسُ: ما رقَّ منها، والإستبرقُ: ما غَلُظَ، ونُصبَ ﴿عَلِيَهُمْ﴾ من وجهينِ:

أحدهما: الظَّرفُ؛ أي: فوقَهم؛ كقوله: ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢].

والثاني: الحالُ، والعاملُ فيها ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أو ﴿وَجَزَىٰهُم﴾؛ هذا إذا جعلتَ الضميرَ للأبرارِ، فإنَّ جعلتَ الضَّميرَ للوِلدانِ فالعاملُ في الحالِ ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾.

و﴿ثِيَابُ﴾: يرتفعُ بما في ﴿عَلِيَهُمْ﴾ من معنى الفعلِ؛ لأنَّ إضافتهُ في نيَّةِ الانفصالِ، ومَن سكَّنَ الياءَ[2] جعلَهُ مبتدأً و﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: خبرُهُ.

﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾: قيلَ: الفضَّةُ للخَدَمِ، والذَّهبُ للمَخدُومِ، وقيلَ: الفضَّةُ للرِّجالِ والذهبُ للنِّساءِ، وقيلَ: يُجمعُ بينهما.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٦٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٧٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وضعف الذهبي إسناده بثوير بن أبي فاختة، وقال: «واهي الحديث».

(٢) قرأ بها نافع وحمزة، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٤)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: لا يَبُولونَ عنهُ ولا يتغوَّطونَ.

وقيلَ: شرابُ الدُّنيا نجسٌ ـ يعني: الخمرَ ـ وشرابُ الآخرةِ طاهرٌ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾؛ أي: كانَ عملُكم محمُودًا يثنَى بهِ عليكم، وقيلَ: سمَّى المكافأةَ شُكرًا على التوسُّعِ.

قال الكلبي: مقبولًا جُزِيتم بهِ الجنَّةَ[١].

* * *

(٢٣) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾: نزَّهَهُ عن الافتراءِ والسِّحرِ والكَهانة.

ابن جرير: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ اختبارًا[٢].

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾: الآثمُ دونَ الكافرِ، وقيلَ: هو المنافقُ، و﴿أَوْ﴾ بمعنى الواوِ، وأفادَ أنَّ كلَّ واحدٍ منهم أهلٌ أن يُعصى.

والآثمُ الوليدُ بن المغيرةِ، والكَفورُ عتبةُ بن ربيعةَ[٣].

---

(١) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: «يريد: إني قبلت اليسير من أعمالكم وشكرتكم عليه، وأثبتكم أفضل الثواب وأعظمه».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٧٢).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٣٣)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ٥٢٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢٨/ ٢٥٩).

وقيلَ: نزلت في أبي جهلٍ[١].

***

(٢٥) ـ ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ﴾: صلاة الفجرِ ﴿وَأَصِيلٗا﴾: صلاة الظهرِ والعصرِ.

***

(٢٦) ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾: صلاة العشاءينِ ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾؛ أي: التَّطوعُ بصلاةِ الليلِ، وقيلَ: المرادُ: الإدامةُ على ذكرِ اللهِ في الأوقاتِ كلِّها.

***

(٢٧) ـ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾؛ أي: يحبُّونَ الدُّنيا ويُؤْثِرونها على الأُخرَى[٢] والاستعدادِ ليومٍ ثقيلٍ على الكفَّارِ؛ لشدَّةِ عذابِهِ عليهم، ولإنكارهم إيَّاهُ.

***

(٢٨) ـ ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا﴾.

﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ﴾: وأحكَمْنا خَلْقَهم ومفاصِلَهم وقُواهم، وربَطْنا بعضَها ببعضٍ، وقيلَ: قوَّينا أقوياءَهم.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٧٢)، عن قتادة.

(٢) في (ف): «الآخرة».

وقيل: شدَدْنا مصرَّتيهِ؛ يمسكُهما متى شاءَ، ويرسِلُهما متى شاءَ.

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: إذا شئنا أهلكناهم وجِئنا بآخرينَ بدلًا منهم.

* * *

(٢٩) ـ ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾.

﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: هذهِ السُّورةُ تذكيرٌ للخلقِ وتبيينٌ ما هوَ خيرٌ لكم.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: بأن يسلكَ طريقَ طاعتِهِ باتِّباعِ أنبيائِهِ ورُسُلِهِ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: لا تقدرونَ على المشيئةِ إلا بعدَ أن يشاءَ اللهُ ذلكَ، وقيلَ: إلَّا أن يشاءَ اللهُ بالتكليفِ والأمرِ والنَّهيِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

* * *

(٣١) ـ ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ يعني: المطيعينَ في الجنَّةِ.

وقيلَ: مَن يشاءُ في رحمتهِ[1] في الدنيا ومغفرَتِهِ في الأخرى[2].

وقيلَ: ﴿فِى رَحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: في دينِهِ.

﴿وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: نصبَ ﴿الظالمين﴾ بفعلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليهِ ﴿أَعَدَّ﴾.

---

(١) في (ف): «نعمته».

(٢) في (ف): «الآخرة».

وقُرِئَ في الشَّواذِّ بالرفعِ على الابتداءِ[١]، ولا يؤخذُ بهِ لمخالفَتِهِ الإمامَ.

* * *

(١) نسبت لابن الزبير وأبان بن عثمان. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٤).

سُورَةُ المُرسَلاتِ

خَمسونَ آيةً، مَكِّيَّةٌ[1].

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: مَكِّيَّةٌ إلَّا قولَهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ﴾، فإنَّها مَدنيَّةٌ[2].

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾.

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الرِّياحُ[3]، أُرسِلَتْ ﴿عُرۡفٗا﴾: مُتتابعةً كعُرفِ الفرسِ يَتلو بعضُها بعضًا.

وقيلَ: العُرفُ: جَرْيُها على التَّعارُفِ، وهو توسُّطُها في الهبوبِ.

ابنُ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ والفرَّاءُ: هُمُ الملائِكَةُ[4]؛ جبريلُ ومِيكائيلُ وإِسرافيلُ، والعُرفُ: أمرُهُ ونَهيُهُ.

وقيلَ: هُمُ الملائِكَةُ يتتابعونَ بوحيِ اللهِ.

---

(١) في (ف): «سورة والمرسلات مكية».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٥)، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ١٦٨٧)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ١٢٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٠) عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة وغيرهم.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢١).

الزَّجَّاجُ: ﴿المرسلات﴾: الرُّسُلُ[١].

***

(٢) ـ ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾.

﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾: هي الرِّياحُ.

الزَّجَّاجُ: هي الملائكةُ تعصِفُ بروحِ الكَافرِ[٢].

***

(٣) ـ ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾.

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾: الجمهورُ: هي الرِّياحُ، وقيلَ: الأمطارُ تَنشرُ النَّباتَ.

الربيعُ: البَعثُ للقيامَةِ تُنْشَرُ فيهِ الأرواحُ.

الضَّحَّاكُ: كتبُ الأَعمالِ[٣].

***

(٤) ـ ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا﴾.

﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا﴾ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: الملائكَةُ تَفرُقُ بينَ الأُمورِ[٤].

الحسنُ: آياتُ القرآنِ[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ذكر القولين الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٨) بلفظ: «الملائكة»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٧٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٦) بلفظ: «الملائكة تفرق بين الحق والباطل».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٧٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٧٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٨٣).

الزَّجَّاجُ: الرُّسُلُ(١).

مجاهدٌ: الرِّياحُ(٢).

وقيلَ: الرِّياحُ الحوامِلُ، مِن قولهم: ناقَةٌ فارِقٌ؛ إذا ضربَها المخاضُ وذهبَتْ في الأرضِ.

* * *

(٥) ـ ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾.

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: الملائِكَةُ.

الزجَّاجُ: الرُّسُلُ(٣).

الحسنُ: المُرسلاتُ: السَّحابُ(٤).

* * *

(٦) ـ ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾: هما مصدرانِ كالنُّكْرِ، ويكونانِ جَمْعَينِ(٥) لعَذِيرٍ ونَذيرٍ، والحركةُ والسُّكونُ بمعنًى(٦)، ونصبُهُما يجوزُ أنْ يكونَ على المفعولِ لَهُ؛ أي: للإعذارِ والإنذارِ.

ويَحتَمِلُ المفعولَ بهِ مِن المصدَرِ، وهو: الذِّكْرُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٥).

(٤) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٦). وحقه التقديم كما جاء عند ابن عطية عند تفسير المرسلات، إلا إن كان مراد المصنف أن (المرسلات السحاب) تفسير للملقيات ذكراً.

(٥) في (ف): «جميعًا».

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (عُذْراً) و(نُذُراً)، والباقون ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦).

ويحتَمِلُ البدَلَ مِن الذِّكرِ، والصِّفةَ؛ أي: ذا عذرٍ أو ذا نذرٍ[١].

ويَحتمِلُ الحالَ مِن الملقياتِ[٢]، وعطفَ بـ(أو)؛ لأنَّ المعنى: جالبةً للنِّعَمِ أو آتيةً بالنِّقَمِ.

والأحسَنُ أن يُجعَلَ الكلامُ مُتَّصلًا ومنتظِمًا لمعنًى واحدٍ، فيكونَ الكلُّ للملائكةِ، ويُحمَلَ العاصفاتُ على ما قالَهُ الزَّجَّاجُ: تَعْصِفُ بروحِ الكافرِ.

ويحتمِلُ أنْ يكونَ الكلُّ للرِّياحِ؛ فتكونَ الملقياتُ ذكرًا معناها: يَتَّعظُ بها ذوو الأبصارِ.

ويحتمِلُ أنْ يكونَ الكلُّ للرُّسُلِ.

وعُطِفَ ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾: بالواوِ؛ لأنَّهُ قسَّمَها قسمينِ: عاصفًا للعذابِ وناشرًا للرَّحمةِ.

* * *

(٧) ـ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾ جوابُ القسمِ؛ أي: ما وعدْتُم مِن البَعثِ والحسابِ لكائنٌ عَن قريبٍ.

* * *

(٨ ـ ١١) ـ ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾: أُذهِبَ ضوؤُها ومُحِيَت آثارُها كما يُمحَى الكِتابُ.

---

(١) في (ف): «ذا عذر ونذر».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩١)، واستغربه.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾: صُدِعَتْ وشُقَّتْ ووقَعَتْ فيها الفُروجُ التي نفاها بقوله: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾ [ق: ٦]، وقيلَ: فُتِحَتْ.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾: حُرِّكَت وقُلِعَت مِن أَماكِنِها وأُذهِبَتْ بسرعةٍ فنُسِفَت نَسْفًا.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾: جُعِلَ يومُ الفَصلِ لهم وقتًا؛ كمَا قالَ: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]، وقيلَ: أُجِّلَت للاجتماعِ لوقتٍ هوَ يومُ القيامةِ.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: جُمِعَت[١].

وأصله: (وُقِّتَتْ)[٢] مِن الوَقتِ، قُلِبَت همزةً لضمَّتِها.

وقيلَ: عَرفَتْ وقتَ ثوابها، وإنما يُعرَفُ[٣] ذلكَ في القيامَةِ.

وقيلَ: بُيِّنَ لها[٤] مواقيتُهَا ومواقيتُ أُمَّتِها[٥].

* * *

(١٢ ـ ١٥) ـ ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ﴾: تعجيبٌ[٦] مِن ذلك اليَومِ؛ أي[٧]: ما أعظمَهُ!

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٩١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧٧).

(٢) وقرئ به، فقد قرأ أبو عمرو بالواو وتشديد القاف، وقرأ أبو جعفر بالواو والتخفيف بخلف عن ابن جماز، والباقون بالهمز والتشديد وهو الوجه الثاني لابن جماز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨)، و«النشر» (٢/ ٣٩٦).

(٣) في (ف): «نعرِّف».

(٤) في (ن): «لهم».

(٥) في (ف): «أمها».

(٦) في (ف): «تعجبتُ»، وفي (ن): «تُعُجِّبت». والصواب المثبت. انظر: «الكشاف» (٤/ ٦٧٨).

(٧) في (ن): «الذي».

وقيلَ: وإذا الرُّسلُ أُعلِمَتْ لأيِّ يومٍ أُجِّلَتْ؛ فيكونُ ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ﴾ في تقديرِ مفعولٍ ثانٍ لأُعْلِمَتْ.

﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾: يفصِلُ بينَ المحسنِ والمسيءِ، وبينَ الرُّسلِ ومُكذِّبيها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾: مِن أينَ تعلَمُ كُنهَهُ ولم تَعهَدْ مِثلَهُ؟!

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في التَّفاسيرِ: وادٍ في جهنَّم، وقيلَ: عبارةٌ عَن أعظمِ البَلايا والمكارِهِ، وهذهِ الآيةُ تتكرَّرُ في هذهِ السُّورةِ عشرَ مرَّاتٍ، وفي ذلكَ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ القرآنَ عربيٌّ؛ ومن عادَتِهم التَّكرارُ والإِطنابُ، كما في عادَتِهم الاقتصارُ والإِيجازُ.

والثاني: أنَّ كلَّ واحدَةٍ مِنها ذُكِرَتْ عقيبَ آيةٍ غيرِ الأُولى، فلا يكونُ تكرارًا مُستَهْجَنًا، ولَوْ لم يكرَّرْ كانَ متوعّدًا على بعضٍ دونَ بعضٍ.

والثالثُ: أنَّ بَسطَ الكَلامِ في التَّرغيبِ والتَّرهيبِ أَدْعى إلى إدراكِ البُغيَةِ مِن الإِيجازِ، وقَدْ يجدُ كلُّ أحدٍ في نفسِهِ مِن تأثيرِ التَّكرارِ مَا لَا خَفَاءَ بهِ.

* * *

(١٦ ـ ١٩) ـ ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني: قومَ نُوحٍ وعادًا وثمودًا ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾؛ أي: مَن سَلكوا سَبيلَهُم، ذهبَ كَثيرٌ مِن المفسِّرينَ إلى أنَّهم الذين أُهلِكُوا في العصرِ الأَقرَبِ إلى أمَّةِ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ، وذلكَ يَستدعي جَزْمَ ﴿نُتْبِعُهُمُ﴾ وهوَ شاذٌّ[1]،

---

(١) نسبت للأعرج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٦).

و﴿نُتۡبِعُهُمُ﴾ في الآيةِ رفعٌ بالاستئنافِ أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، وفي حرفِ ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: (وسنتبعُهُم الآخرينَ) [١].

والوجهُ ما ذكرَ: أنَّهم الذينَ قُتِلُوا ببدرٍ بعدَ نُزولِ الآيةِ، ثم قالَ:

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: مِن كفَّارِ العَرَبِ وسائرِ أمَّتِك [٢].

***

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۝٢٢ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾: نطفةٍ ضعيفةٍ، والمهينُ: الحقيرُ الذَّليلُ.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ﴾ يعني: الرَّحِمَ يستقرُّ فيهِ الماءُ ويتمكَّنُ، وقيلَ: يتمكَّنُ فيه الوَلَدُ.

وقيلَ: من المكانةِ والمنزلَةِ؛ لكونِها مَكانَ خلقِ الوَلَدِ وتصويرِ الحيوانِ [٣].

﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾: إلى وقتِ الولادةِ.

ابنُ عيسى: القَدَرُ: المِقدارُ، وهو خاصَّةً: التَّسوِيَةُ مِن غيرِ زيادةٍ ولا نُقصانٍ.

﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ قُرِئَ (قَدرْنَا) بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ [٤]، وهما بمعنًى واحدٍ،

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧).

(٢) في (ف) زيادة: «أجمعين».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٣)، واستغربه.

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

والتَّخفيفُ أكثرُ مُشاكلَةً بقولِه: ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾، والتَّشديدُ على الجمعِ بينَ اللَّفظيْنِ كقولِهِ: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٧].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

* * *

(٢٥ ـ ٢٨) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ ﴿كِفَاتًا﴾: مَصدَرُ كفتَ؛ أي: جمَعَ، والمعنى: تَكْفِتُ الأحياءَ على ظَهرِها والأمواتَ على بَطنِها، وهما منصوبانِ بالمصدَرِ.

وقيلَ: ﴿كِفَاتًا﴾: جمعُ كافِتَةٍ.

ابنُ عيسى: الكِفَاتُ: كلُّ ما ضمَّ شيئًا واحتوى عليهِ.

فيكونُ التَّقديرُ على هذينِ القولَينِ: ﴿كِفَاتًا﴾ للخلقِ ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾، فيكونُ الأحياءُ والأمواتُ حالَيْنِ مِن الخَلقِ.

أبـو عبـيدةَ: ﴿كِفَاتًا﴾: أوعيةً، جمعُ كِفْتٍ وكَفِيتٍ[١]، فيكونُ ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ حالَينِ مِن الأَرضِ، وهوَ ما يُنبِتُ وما لا يُنبِتُ[٢].

وقيلَ: الكِفاتُ: اسمٌ لِمَا يُكفَتُ بهِ كالصِّمَامِ والعِقالِ[٣].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨١).

(٢) في (ن): «ما تنبت وما لا تنبت». وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٣)، واستغربه.

(٣) قوله: «اسمٌ لِمَا يُكفَتُ بِهِ كالصِّمَامِ والعِقالِ». كذا في النسختين فقد جعله المصنف اسم آلة، وجاء عند غيره: «اسمٌ لما يَكْفِتُ؛ كالضِّمام والجِمَاع: اسم لمَا يَضُمُّ ويَجمَعُ، يُقال: هذا البابُ جِمَاعُ =

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾؛ أي: جِبالًا ثوابِتَ طِوالًا ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾: مكَّنَّاكُم مِن شُربِهِ وسَقيِهِ دوابَّكُم ومَزارِعَكُم.

ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما: أصولُ أنهارِ الأرضِ أربعَةٌ: سَيحانُ والفُراتُ والنِّيلُ وجَيحانُ، فسَيْحانُ دِجلَةُ، وجَيحانُ نهرُ بلخَ، وهيَ مِن الجنَّةِ، وتنبعُ من الأرضِ مِن تحتِ صَخرةٍ عندَ بيتِ المقدسِ[1].

ومعنى الفراتِ: أعذَبُ العُذوبَةِ، ضدُّ الأُجاجِ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

* * *

(٢٩ ـ ٣٤) ـ ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: الخَزَنَةُ تقولُ لهم: امْضُوا إلى النَّارِ التي كُنتُمْ تكذِّبونَ مَن أخبرَكُم بها.

قيلَ: انطلَقَ مُطاوِعُ أطلقَ، وهذا شاذٌّ.

وقيلَ: مُطاوِعُ طَلَقَهُ، قالَ:

أُطلُقْ يديْكَ تنفعَاكَ يا رَجُلْ[2]

= الأَبوابِ، مِن كفَتَ الشَّيءَ: إذا ضمَّه وجمعَه». انظر: «الكشاف» (٤/ ٦٧٩)، و«تفسير البضاوي» (٥/ ٢٧٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٢)، وغيرها.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٩٩)، وروى مسلم (٢٨٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة».

(٢) الرجز ذكره ثعلب في «الفصيح» (ص: ٢٨٤)، وعن ثعلب ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» =

وذهبَ بعضُهُم إلى أنَّ هذا إياسٌ مِن المأمولِ، وليسَ بأمرٍ بالانطِلاقِ[(١)].

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ يعني: دخانَ جهنَّمَ، وسُمِّيَ ظِلًّا لكثافَتِهِ ومَنعِهِ رؤيةَ ما وراءَهُ.

وقيلَ: الظلُّ: النَّارُ نفسُها؛ لأنَّهُم يصيرونَ إليها لا إلى ظلِّها[(٢)]، ولقولِه: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ وأُنِّثَ الضَّميرُ حملًا على المعنى، و﴿ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾: شعبةٌ عن اليَمينِ وشُعبةٌ عن اليَسارِ، وشعبةٌ مِن فوقُ، فتحيطُ بهم، كقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

وقيلَ: ﴿ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾: ثلاثِ صفاتٍ: ﴿لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ﴾[(٣)].

وقيلَ: ﴿ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾: شعبةٌ مِن النَّارِ، وشُعبَةٌ من الدُّخانِ، وشعبةٌ مِن الزَّمْهريرِ[(٤)].

واللَّهبُ: ما يعلو النارَ إذا اضطرمَتْ مِن أحمرَ وأصفرَ وأخضرَ، والشَّرَرُ: ما تطايرَ مِنَ النَّارِ إذا حُرِّكَتْ.

﴿كَٱلۡقَصۡرِ﴾: الحسنُ: الحطَبُ الجَزْلُ، جمعُ قَصْرَةٍ كتَمْرٍ وتَمْرةٍ[(٥)].

= (٩/ ٢١)، وابن فارس في «مقاييس اللغة» (٣/ ٤٢١) مادة: (ط ل ق). قال ثعلب: «وبعضهم يقول: أطلق يديك».

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٣)، واستغربه.

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٤)، وفيه: «الغريب: ﴿ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ هو ما فسره الله: ﴿لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ﴾ أي: ثلاث صفات».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٤)، وعده من العجائب.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٠٤).

وقيلَ: الغليظُ مِن الشَّجرِ.

الفرَّاءُ: القَصْرُ مِن قصورِ مياهِ العَرَبِ[١].

وقيلَ: هو القَصْرُ المعروفُ.

﴿كأنَّه جِمَالاتٌ﴾[٢]: جمعُ جِمَالَةٍ، والجِمَالَةُ: جمعُ جَمَلٍ؛ كحَجَرٍ وحِجَارَةٍ.

«الحجَّة»: ﴿جِمَالاتٌ﴾: جمعُ جِمالٍ[٣].

وقرئ: (جُمالاتٌ) بالضمِّ[٤]، الزَّجَّاجُ: قَلْسُ سُفُنِ البحرِ[٥].

ابن عباسٍ: قِطَعُ النُّحاسِ والشَّرَر، الواحدَةُ شبهُ القَصْرِ فإذا توارَتْ[٦] صارَتْ كالجِمالاتِ[٧]، وقيلَ: تفرَّقَتْ فصارَتْ كالجِمالاتِ.

﴿صُفْرٌ﴾: قيلَ: سُودٌ، وقيلَ: هو اللونُ المعروفُ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٦/ ١٩٧).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص: ﴿جِمَالةٌ﴾، والباقون: ﴿جِمَالاتٌ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٦٥).

(٤) نسبت لابن عباس وغيره. انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٤٧).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٦٨)، وفيه: ومن قرأ (جُمَالاتٌ) بالضم فهو جمع جمالة، وهو القَلْسُ من قلوس سفن البحر، ويقال كالقَلْسِ من قلوس الجسر. والقَلْس: حَبْلٌ تشد به الجسور أو سفن البحار.

(٦) في (ف): «تواتر».

(٧) لم أجده هكذا، وروى الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٤) عن ابن عباس: ﴿بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ قال: كالقصر العظيم ﴿جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ قال: قطع النحاس. وهكذا رواه الطبري مقطعاً (٢٣/ ٦٠١ و٦٠٨).

(٣٥ ـ ٣٧) ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾: يومُ القيامَةِ يومٌ ممتَدٌّ فيهِ حالاتٌ ومواقِفُ، فيمكَّنونَ مِنَ الكلامِ في بعضِها، ويُمنَعُونَهُ في بعضِها، وإضافتُهُ إلى الفعلِ يدلُّ على أنَّ المرادَ مِنهُ زمانٌ أو سَاعةٌ، كقولك: آتيكَ يومَ يقدمُ زيدٌ، وإنما يقدُمُ في ساعةٍ.

وقيلَ: لا ينطقونَ بحجَّةٍ[1].

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾؛ أي: ليسَ لهم عُذرٌ فيؤذَنَ لهم في الاعتِذارِ، ولَوْ كانَ لهم عُذرٌ لم يُمنَعُوا.

وقيلَ: معنى ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾: لا يُسمَعُ مِنهُم[2] عذرٌ، مِن: أَذِنَ له؛ إذا استَمَعَ قولَه[3].

﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾: عطفٌ على ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾، وليسَ بجوابٍ.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ للقضاءِ ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾ يا مكذِّبي أمَّةِ محمَّدٍ عليهِ السَّلامُ ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ من بني آدمَ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾: حِيلَةٌ في التَّخلُّصِ مِن العذابِ ﴿فَكِيدُونِ﴾: فاحتالوا عليَّ، والكَيدُ مُتعَدٍّ، تقولُ: كِدْتُ فلانًا؛ إذا احتَلْتَ عليهِ، وهذا تقريرٌ بالعَجزِ وتوبيخٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٤)، واستغربه.

(٢) في (ف): «لهم».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ١٢٩٤)، واستغربه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٤١ ـ ٤٥) ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾؛ أي: في جنَّةٍ ظَليلَةٍ تَصونُ من الحرِّ ولا تؤذي بالبردِ ﴿وَعُيُونٍ﴾: عيونِ ماءٍ ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: لَذيذَةٍ مُشتهاةٍ.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: لا يشوبُهُ مَكروهٌ ولا ينقطِعُ.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: المؤمنينَ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾: رجعَ عَجزُ الكَلامِ إلى صَدرِهِ، فخاطبَ الكفَّارَ؛ أي: إنَّكُم تتمتَّعونَ بالأكلِ والشُّربِ تمتُّعًا قليلًا، وقيلَ: زماناً قليلاً، وبعدَهُ عذابٌ لا انقطاعَ له، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾؛ أي: أطيعوا واخضَعُوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: لا يعبدونَ اللهَ ولا يخضعونَ لهُ، وقيلَ: هو في القِيامَةِ، مِن قولِه: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

(٥٠) ـ ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾؛ أي: ما على هذهِ البراهينِ مِن مَزيدٍ، فإذا لم يؤمنوا عندَ سَماعِهِم لها فبأيِّ كَلامٍ يخاطَبونَ بهِ بعدَ القرآنِ يُؤمنونَ؟

* * *